آلان بيل

الدليل إلى اللسانيات الاجتماعية

ترجمة: متيم الضايع



الدّليل إلى اللّسانيات الاجتماعية

الكتاب: الدليل إلى اللسانيات الاجتماعية
تأليف: آلان بيل
ترجمة: متيم الضايع
الطبعة الأولى: 2019/2

هذه هي الترجمة العربية للنص الإنكليزي:
The Guidebook To Sociolinguistics
By: Allan Bell



ISBN:978-9933-592-36-3



تم تنفيذ التنضيد والإخراج الضوئي في القسم الفني بدار الحوار



دار الحوار للنشر والتوزيع www.daralhiwar.com
ص. ب 1018 اللاذقية، سورية
هاتف وفاكس: 339 422 41 963+
البريد الإلكتروني daralhiwar@gmail.com
info@daralhiwar.com

آلان بيل

الدّليل إلى اللّسانيات الاجتماعية

ترجمة: متيم الضايع



"تمت ترجمة هذا الكتاب بمساعدة صندوق منحة
معرض الشارقة الدولي للكتاب للترجمة والحقوق"

دار الحوار

مقدمة المترجم

أول ما شغل تفكيري عندما اطلعت على هذا الكتاب بلغته الأم هو كيف سيتلقّى القارئ العربي عنوان الكتاب. قد يكون من الواضح لمن يدرس اللغة الإنكليزية أن ترجمة مصطلح 'linguistics' يعني اللسانيات، وهو مجال يهتم بطرق الكلام وكيفية النطق الصحيح للأحرف والكلمات الإنكليزية. لكن ما هو علم 'اللسانيات الاجتماعية – sociolinguistics'، وما أهميته؟ وهل يمكن إسقاط دراسة ما باللغة الإنكليزية على لغات أخرى؟

يهتم العاملون بقضايا اللغة والمجتمع وعلاقتهما التفاعلية بمصطلحين اثنين هما "sociology of language"، الذي يعني "اجتماعيات اللغة"، و"sociolinguistics" الذي يعني اللسانيات الاجتماعية. والفرق بينهما، في أغلب المراجع العربية التي تتناول دراسة اللسانيات الاجتماعية، هو أن المصطلح الأول يشير إلى دراسة اللغة على ضوء القضايا الاجتماعية، ويشير المصطلح الثاني إلى دراسة المجتمع على ضوء القضايا اللغوية؛ أي إن العاملين في مجال "اجتماعيات اللغة" يكونون مختصّين بعلم الاجتماع، ويدرسون المجتمع باستخدام آليات هذا العلم وذلك بالنظر إلى علاقته مع اللغة. أما العاملون في مجال "اللسانيات الاجتماعية" فيكونون

مختصّين في اللسانيات، ويدرسون اللغة نفسها باستخدام آليات هذا العلم، وذلك بالنظر إلى علاقتها مع المجتمع.

تقوم اللسانيات الاجتماعية بدراسة كافة نواحي العلاقة بين اللغة والمجتمع، وتهتم بقضايا معيّنة مثل: الهوية اللغوية للمجموعات الاجتماعية، والميول الاجتماعية نحو اللغة، وأنماط استخدام اللغة القومية وأغراضها، والتنوّعات الاجتماعية للغة ومستوياتها، والأسس الاجتماعية للتعدديّة اللغوية، كما أنها تدرس اللغة والمجتمع من منظورين: الأول هو "اللسانيات الاجتماعية الكبرى" الذي يبحث في قضايا الاختيار اللغوي، والثنائية اللغوية، والتعددية اللغوية، والازدواجية اللغوية والتخطيط اللغوي، والتحوّل اللغوي. أما الثاني فهو "اللسانيات الاجتماعية الصغرى" التي تبحث في قضايا التنوّع اللغوي، وطرق الحديث، والأشكال اللغوية النموذجية وغير النموذجية، واللهجات والتنوّعات اللغوية، وأفعال الكلام.

ما أودّ توضيحه هنا أن الكتاب يهتم بدراسة المجتمع معتمداً على دراسة اللغة، ومع أننا نختلف في مجتمعاتنا العربية، عن المجتمع الغربي الذي تسود فيه الثنائية اللغوية، وربما التعددية اللغوية، وقد تكون لدولة ما لغتان رسميتان أو أكثر، إلا أن بإمكاننا إسقاط بعض النقاط المشتركة على مجتمعنا، والاستفادة من طرق البحث الأخرى لتتم دراستها على مجتمعنا لاحقاً ضمن الطرق والمناهج التي تناسبه.

كيف يمكن أن نفهم المجتمع من لغته؟ سأحاول أن أذكر بعض المؤشرات اللغوية التي تُعطي انطباعاً ما يجعلنا نفهم المجتمع من خلالها. مثلاً، في المناطق الحدودية بين دولتين مختلفتين في اللغة، قد تبدأ إحدى المناطق بتعلّم لغة الدولة الأخرى، أو لهجتها، وذلك بناءً على مصالحها الاقتصادية، أو انتمائها الديني أو غير ذلك. وبالتالي فإن

إجراء استطلاع في هذه المنطقة، ومعرفة مستوى التغيّر في اللغة أو اللهجة يجعلنا نعرف الحالة الاجتماعية لهذه المنطقة.

ماذا عن إدخال كلمات من لغة أخرى في اللغة الأم؟ إذا أجرينا استطلاعاً عاماً بين جيل الشباب، نلاحظ تزايداً كبيراً في إقحام كلمات إنكليزية أو فرنسية في الجملة العربية المنطوقة، وقد لا يقتصر الموضوع على الكلمات العلمية أو التكنولوجية التي لا نجد مرادفاً لها بالعربية، بل يتعداها إلى الكلمات العادية، رغبةً منه بأن يبدو أكثر انفتاحاً، وهو ما يعطينا صورة عن مقدار الانتماء إلى اللغة الأم.

لا بدّ أن ترتبط اللغة بالذكورة والأنوثة، ونلحظ أحياناً أن الذكور يُبالغون بتضخيم نبرة الصوت تعبيراً عن ذكورتهم، بينما نرى العكس لدى الإناث، وقد نرى مبالغة في لفظ الكلمات المحظورة والتشديد عليها لدى الذكور، بينما تميل الإناث إلى عدم نطق هذه الكلمات، أو استخدام بدائل ملطّفة، أو أجنبية، مما يعطي فكرة عن حالة المجتمع من ناحية النظرة إلى الجندر.

يوجد في مجتمعات العالم كله فوارق طبقية واجتماعية ومادية، مما يؤدي إلى فوارق شعورية، وإحساس بالفوقية أو الدونية بحسب الانتماء. عندما نلحظ ارتفاعاً في محاولات تغيير اللهجة أو اللغة في طرف، رغبة منه في الانتماء إلى طرف آخر، يتضح لنا مستوى الشعور لدى هذه الأطراف.

أليس هناك مدارس وجامعات تُعلن أنها تعلّم باللغة الإنكليزية أو الفرنسية مما يوحي بأهميتها وأفضليتها على اللغة الأم؟ أليس هناك سطوة للغة على أخرى؟

ألا تعلن بعض الشركات، في بعض الدول العربية، عن حاجتها إلى موظفين يُتقنون اللغة الإنكليزية، حتى وإن كانت لا تتعامل مع

قطاعات أجنبية؟ بل وتفرض على الموظفين عدم التحدث باللغة العربية أثناء العمل.

بحسب الإصدار السادس عشر لكتاب 'لغات العالم – Ethnologue'، الذي يحتوي على خلاصة وافية عن لغات العالم كلها، يقدّر عدد اللغات في العالم بستّة آلاف لغة، ويكون أعلى عدد من اللغات في أفقر الدول: ثمانمئة وثلاثون لغة في 'بابوا'، غينيا الجديدة، وسبعمئة واثنان وعشرون في إندونيسيا. وهناك تقديرات تقول إن نصف الجنس البشري يتكلّمون عشر لغات رئيسة، وتسعين بالمئة منهم يتحدثون ما يقارب مئة لغة.

يبدو أن الاحتلال اللغوي لا يزال قائماً، بل وترتفع سطوته لدرجة تُنذر بخطر فقدان لغات كاملة، وموت آخر المتحدثين بها. ومن هنا فإن دراسة اللسانيات الاجتماعية، على الرغم من أنها لا تهدف إلى إيجاد حلول لتلك القضايا، إلا أنها قد تساعد في فهم المجتمع، وتصويب نظرتنا لقضايا هامة جداً ربما لم نكن نعيرها الكثير من الاهتمام.

متيم الضايع

إشادات بهذا الكتاب

"لا أحد يرى الروابط النظرية بين فروع منوعة من أبحاث اللسانيات الاجتماعية ويجمعها معاً أكثر من 'آلان بيل'. إنه كتابه 'الدليل إلى اللسانيات الاجتماعية' كتاب شامل ومتطور، ولاسيما بغناه بالأمثلة والمفاهيم الجديدة".

جون ريكفورد، جامعة ستانفورد

"يقدّم كتاب الدليل إلى اللسانيات الاجتماعية، تمارين متكاملة مستمدّة من خلفية أبحاث 'بيل' المكثفة، وتسمح للقراء باختبار التفاصيل التشغيلية والتحاليل الأساسية والبُنى النظرية الكامنة في مجال اللسانيات الاجتماعية. إنه عمل مثالي!"

والت ولفورم، جامعة كارولينا

"يستخدم 'آلان بيل' ثروة خبرته الهائلة كباحث ومدرّسٍ ومحرر لمجلّة اللسانيات الاجتماعية، ليس فقط ليبيّن ما هي اللسانيات الاجتماعية بل كيف يتم العمل بها أيضاً. والأهم في هذا الأمر أنه يرينا كيفية تطبيق اللسانيات الاجتماعية بأنفسنا".

جيني تشيشر، كوين ميري، جامعة لندن.

"لقد قدّم 'بيل' خارطة طريق مفصّلة وموثوقة إلى علم اللسانيات الاجتماعية. ومن خلال الهيكلية الرائعة المكتوبة بوضوح، والتي تتمتع بالحيوية وسهولة الوصول إليها، يقدّم الدليلُ التقاليدَ الأساسية في علم اللسانيات الاجتماعية، وتوجهاً إلى أهم المصادر ووجهات النظر الهامة، المدعومة بثروة من الأمثلة العملية والتمارين".

نيكولاس كوبلاند،

جامعة كوبنهاغن وجامعة التكنولوجيا في سيدني

مقدمة:

كان تأليف هذا الكتاب أشبه برحلة ملحمية في مجال رفع مستوى فهمي بشكل كبير جداً. لقد قرأت في هذا الاختصاص أكثر مما فعلت في أي وقت مضى، وكانت قراءتي عميقة وشاملة. ومع أنني مُختصّ في علم اللسانيات الاجتماعية منذ عقود، إلا أنني تعلّمت الكثير عما كنت لا أعرف عنه سوى الإطار الخارجي، وذلك بمعايير اختصاص لم أقم بممارسته بشكل مباشر. كما أنني استكملت المراجعة التاريخية من خلال قراءتي لكل ما هو جديد بصفتي محرّراً لمجلّة "*جورنال سوسيولينغويستك – مجلّة اللسانيات الاجتماعية*" بمعدّل ثلاثة مقالات أسبوعياً على مدى سنوات عديدة. وقمت في تلك الفترة بأبحاث خاصة واسعة النطاق استفدت منها في فصول كثيرة، بالإضافة إلى تقديم نكهة علمية أرجو أن تكون مفيدة للكتاب.

جعلت مهمتي الخاصة في كتابة هذا الكتاب التعليمي أصعب بكثير وذلك بالعمل عليه لوقت طويل غير اعتيادي. ومع الانتهاء من إعداده، غطّى كل فصل من فصوله، ما كان على الأرجح، قسماً أساسياً من علم اللسانيات الاجتماعية، من خلال استهلاك وقت طويل للانتهاء منه، بحيث يصبح لكل قسم كتابه التعليمي الخاص. وقد تطوّر هذا الاختصاص بشكل هائل في السنوات الأخيرة، وهذا ما زاد من التحدي، ومن الجاذبية أيضاً للقيام بمحاولة لفهم الجوهر والإحاطة به ضمن كتاب واحد.

لا بدّ لأي كتاب تعليمي أن يكون انتقائياً، وقد حذفت من هذا الكتاب بعض الأجزاء التي كنت أرغب في تغطيتها، وأعني بشكل خاص تحليل الخطاب الذي يتداخل الآن بشكل كبير مع علم اللسانيات الاجتماعية. فقد يطفو موضوع تحليل الخطاب على السطح في عدّة فصول، لكنني كنت أودّ أن يكون له فصله الخاص.

هناك ثلاثة مواقع منحازة في هذا الكتاب، وآمل أن تكون بمثابة مزايا. **أولاً:** في أوقات معيّنة، أُقحِم صيغة المتكلّم، وأستخدم أبحاثي وإسقاطاتي وتعميماتي كأمثلة. وقد استخدمت دوماً أمثلة عملية من خلال ممارستي لمهنة التعليم في مختلف المستويات. وعملي هذا يجعل الطلاب في حالة تماس مباشر مع طرق إنجاز البحث وإيجاد النتائج. ويحدث هذا في الكثير من الفصول: مع أكثر من أربعين سنة من العمل في علم اللسانيات الاجتماعية؛ إذ غطّى عملي قدراً كبيراً مما يشمله هذا الاختصاص. كما تركّز 'صيغة المتكلّم' على نهاية الكتاب حيث أعالج قضايا نمط اللغة وإيديولوجية اللغة، إنه محور بحث أساسي وأنا أوّل من قام بالتركيز عليه.

ثانياً: أشرت إلى الكثير من الدراسات التي تم نشرها في "مجلّة اللسانيات الاجتماعية" التي شاركت في تأسيسها وتحريرها. وهي إحدى مجلّتين عامتين رائدتين في هذا المجال، وأنا طبعاً أعرف محتوياتها أكثر من محتويات المجلّة الأخرى "اللغة في المجتمع": وقد قرأت جميع المقالات قبل نشرها، وتفاعلت مع مؤلّفيها على مدى السنوات الخمس عشرة الماضية.

ثالثاً: يعرض الكتاب ما يبدو أنه حالة من عدم التوافق في الأمثلة الموجودة عن نيوزيلندا. وأدافع عن موقفي على الشكل الآتي: بما أن هذا البلد صغير، فقد كان أحد مواقع أبحاث علم اللسانيات الاجتماعية الأكثر نشاطاً في العالم على مدى عشرين إلى

ثلاثين سنة، وكان للكثير من هذه الأعمال مكانتها الخاصة في أي كتاب عالمي. فموقعنا العالمي يمنحني الأمل بأن يكون كتابي هذا كتاب بحث عالمي؛ لأننا نشغل المركز والمحيط جغرافياً، وعلى الحافة غالباً من الناحية الثقافية الاجتماعية على الرغم من وجود الأنترنت، لكننا في الوقت نفسه جزء من الغرب الذي يحظى بالأفضلية، مما يقتضي أنه لاعب أساسي في العولمة. يُخبرنا هذا المنظور المزدوج شيئاً عن محتويات الكتاب. وقد كنت، عن سابق إصرار وتصميم، عالمياً في كثير من الأمثلة التي ذكرتها، وذلك بالقدر الذي سمحت به الأبحاث الموجودة.

هناك موضوعان هامان في هذا الكتاب، وهما يتوضحان في الفصل الافتتاحي والفصل الختامي. الأول هو غزارة اللغة بكل تنوعاتها. والثاني هو الالتزام بأصوات هامشية في العالم، وبالعدالة والإنصاف في هذا العلم. وآمل من هذين الأمرين أن يكونا بمثابة تحفيز للطلاب.

أحد أبرز مناهجي هو أنه، بالإضافة إلى تغطية محتويات علم اللسانيات الاجتماعية، يلتزم الكتاب بتعريف الطلاب بالطريقة التي يتم فيها البحث في هذا العلم. وأتوقّع منهم إجراء أبحاث بأنفسهم، إما على شكل مشاريع صغيرة، في البداية، تقوم بها مجموعة طلاب ضمن الفصل الدراسي، مستخدمين بيانات الأنترنت، أو على شكل أطروحة كبيرة يُنجزها شخص واحد، وعادة ما تحتاج أشهر عمل طويلة تحت الإشراف. إن تجربة القيام بالبحث تجربة لا تقدّر بثمن لدى الطلاب؛ وذلك لأنها تبيّن لهم كيفية الوصول إلى النتائج، وتدعمهم بما هو ضروري لإجراء البحث بأنفسهم. ومن خلال تجاربي الخاصة، لم يفشل سوى قلّة قليلة في مواجهة هذا التحدّي. كما

توضح نشاطات البحث في الفصل الثالث والسابع والعاشر، كيفية البدء بمشروع بحثيّ.

يُعتبر طلاب صفّ 'علم اللسانيات الاجتماعية' المورد الأكثر قيمة للمعلومات والبيانات. وقد تميّزت صفوفي الدراسية في نيوزيلندا بأغلبية تتحدث لغتين أو عدة لغات، لكن الصفّ الدراسي الذي يتحدّث معظم أفراده لغة واحدة فقط، وتكون لديه أيضاً خبرة واسعة في تنوّع اللغات التي يمكن أن تُغني محتوى الصف الدراسي. كما تدعو العديد من التمارين إلى هذا النوع من المشاركة والتفكير في حالات الطلاب الخاصة.

قمت بترتيب العناوين داخل الكتاب بالنمط الذي رأيت أنه الأفضل في صفوفي الدراسية الخاصة؛ إذ بدأت بالعناوين الكبيرة – التعددية اللغوية بشكلها العام في المجتمع – وانتقلت بعدها تدريجياً نحو التفاصيل الأصغر لأصناف معيّنة. ويعود السبب الرئيس لهذا إلى أنه، في تجاربي الخاصة، يصل الكثير من الطلاب إلى صفوف اللسانيات الاجتماعية وليس لديهم سوى القليل من المعرفة والخبرة بالتدريبات اللغوية. وبدلاً من إغراقهم بمصطلحات جديدة على الجهتين الاجتماعية واللغوية، أقدّم هذه اللسانيات تدريجياً بينما ينتقل الكتاب نحو المواد المتباينة التي تتطلّب المهارات القصوى. ويمكن للمعلّمين، والطلاب أصحاب الخبرة الضعيفة باللسانيات، أن يتجاوزوا التمارين التي تتطلّب الكثير من المهارة التقنية. إن بعضها يبدأ في الفصل الرابع الخاص بموضوع "ولادة اللغة وموتها"، ثم الخامس حول "تحوّل الرمز – الانتقال بين اللغات"، حيث تتطلّب بعض الأجزاء معرفة بعلم 'المورفوسينتاكس'[1]. ومع بداية الفصل

---

[1] "morphosyntax": هو دراسة الفئات النحوية أو الوحدات اللغوية التي لها خصائص (مورفولوجية - فرع من علم الأحياء، يتعامل مع شكل الكائنات الحية، والعلاقة بين هياكلها)

السابع، تظهر الحاجة إلى مقدرات صوتية[1] خاصة. لقد حاولت في جميع الحالات أن أجعل المصطلح واضحاً قدر الإمكان. وحيث احتاج الأمر مساعدة ما، وجّهت الطلاب إلى الإصدار الأخير لقاموس: "*كريستال، قاموس اللسانيات والصوتيات*"[2]. وكنت أهدف لأن أضع هذا الكتاب في متناول الطلاب في مستوياتهم الجامعية كلها، اعتماداً على خبرتي الطويلة في الصحافة العلمية، وكمحاولة مني لإزالة ما أمكن من عقبات. وسيكون الطلاب المميّزون قادرين على استخدامه بشكل أعمق، في التمارين على سبيل المثال.

بالنسبة إلى معظم المستويات الدراسية، سيرغب الأساتذة في الاختيار من ضمن المحتويات التي أوردتها هنا، ولهذا دعني أطرح بعض الإرشادات المتعلّقة بفصول معيّنة: إذ يمكن لدراسة الحالات في كل فصل أن تكون كافية غالباً، أو أن يتم حذفها، اعتماداً على حاجات الفصل الدراسي. كما تغطي الأقسام الثلاثة الأولى من الفصل الثاني أساسيات المناهج التقليدية الخاصة بالتعددية اللغوية. أما الفصل (3.1)، الذي يبحث موضوع التواصل اللغوي، فهو عبارة عن خلفية أساسية للفصلين اللاحقين. كما يمكن للمعلّم في الفصل الرابع أن يختار إما موضوع "ولادة اللغة" في الأجزاء الثلاثة الأولى، أو موتها في الجزأين الرابع والخامس، أو أن يختار الاثنين معاً. ويبحث الجزء الرابع والخامس من الفصل الخامس موضوع "تحوّل الرمز" الذي يمكن تناوله كوحدة كاملة. ويتناول الجزء الثالث والرابع من الفصل السادس موضوع

و(بنيوية – كيفية ترتيب الكلمات في لغة ما لبناء جملة متناسقة مفهومة). هو مجموعة القواعد التي تحكم الوحدات اللغوية التي يمكن تحديد خصائصها بمعايير مورفولوجية وبنيوية. المترجم.

[1] "phonological": نظام العلاقة بين الأصوات التي تشكّل المكونات الأساسية للغة ما. المترجم.

[2] اسم القاموس باللغة الإنكليزية: "Crystal, A Dictionary of Linguistics and Phonetics". المترجم.

المتحدثين والمستمعين، ويتناول الجزء الخامس من الفصل ذاته موضوع التهذيب وأداء الكلام، أما الجزءان السادس والسابع، الخاصّان بموضوع التفاعل، فيمكن معالجتهما كعناوين منفصلة. وفي تقديمي للتنوّع، الفصل (7.2) عن الطبقة الاجتماعية، والفصل (4.7.3) عن الأصل العرقي، و(7.5) عن الجندر، والفصل (6.7) عن الجندر أيضاً، فيمكن لكل منها أن يكون أساساً لدرس كامل يتناسب مع تركيز المجموعة الخاضعة للدورة (انظر المراجع المذكورة في فقرة القراءات المتقدمة في الفصل السابع). وتشكّل الفصول (8.1 حتى 8.5) وحدة كاملة تتعلّق بتغيّر اللغة، لكن من الممكن معالجة إطارات العمل الثلاثة في الفصل (8.6) بشكل منفصل. أما الفصل التاسع وما يحتويه عن اللغة والسياحة، واللغة والعولمة، والمشاهد اللغوية الطبيعية، فيمكن اختيارها والتوسّع بها للتركيز على هذه العناوين. ويمكن التعامل مع المواقف اللغوية الموجودة في الفصل (10.2) بشكل مستقل، بينما يشكّل الفصل (11.1 حتى 11.4) وحدة متكاملة.

يتضمّن الكتاب مئة تمرين تقريباً، وهناك العديد من الجداول والأشكال والأمثلة التي يرتبط بها سؤال أو اثنان. وهذا سيجعل المدرّسين انتقائيين في اختيارهم ما يناسب صفوفهم. كما يمكنهم أيضاً الاختيار من التمارين: فعلى الرغم من تسلسل الأسئلة في التمرين، إلا أن من الممكن تجاوز بعضها لصالح أهداف الفصل الدراسي. وقد تم إعداد بعض هذه التمارين للعمل بوضوح ضمن الفصول الدراسية، أما ما تبقّى منها فهو للاهتمام الفردي أو الجماعي.

للاطلاع السريع على محتويات فصل، تمت الإشارة إلى الملخّصات الموجودة في القسم الثاني وحتى الأخير من كل فصل أساسي لتتوافق مع الأجزاء الرئيسة والفرعية في كتلة الفصل كله.

هناك بعض المواقع الإلكترونية المُقدّمة ضمن النصّ بشكل مباشر (كانت صالحة حتى وصول الكتاب إلى المطبعة). فبعض التمارين تستخدم صراحة إمكانيات الأنترنت، ويمكن اعتماد بيانات الأنترنت أيضاً بالنسبة إلى الكثير من التمارين الأخرى.

حقيقة واحدة مثيرة للاهتمام كنت قد اكتشفتها خلال القراءات التي سبقت إعدادي هذا الكتاب هي أن بعض الدراسات، التي غالباً ما تم الاستشهاد بها، لم تفعل أو تجد في الواقع ما أشارت الكتابات الثانوية إلى أنها فعلته أو وجدته. أو أن الشيء الذي تم الاستشهاد به عن المنشور كان هامشياً بالنسبة إلى ما كانت تهدف إليه الدراسة. أو أن الدراسة التي تستند إليها حقيقة علمية معيّنة تطرحُ في الواقع أساساً هزيلاً جداً لهذه النتيجة. لقد حاولت تقديم ما قرأته في المصادر الأساسية عوضاً عما قدّمتهُ الاستنتاجات اللاحقة.

بما أن هذا الكتاب قد انغمس في علم اللسانيات الاجتماعية لوقت طويل جداً، فمن الصعب أن أذكر هنا كل من أدينُ لهم بالمساعدة من موجّهين وزملاء على مدى ذلك الوقت. فقد مارست مهنة غير عادية بالنسبة إلى أكاديمي. ولأنني عملت لعقود كمحرر وصحفي، بالإضافة إلى عملي كباحث حرّ، وصلت متأخراً إلى مهنة التدريس – واكتشفت أنني استمتعت بها وكنت فاعلاً أيضاً.

أقدّم شكري للمعاهد والكليات التي استضافتني خلال تأليف هذا الكتاب: مركز أبحاث اللغات الإنكليزية في العالم، في جامعة ريجنسبيرغ ومديره "إدغار شنايدر"، ومركز شلوس ميترسيل في تيرول في النمسا، وليس آخراً "كاتالينا كافيه، هوبسونفيلي بوينت، أوكلاند"، حيث كانت تقع معظم قراءاتي مع الكابوتشينو. أيضاً للزملاء، المساعدين والموجهين على مدى عقود، وخاصة "جانيت هولمز"، "والت ولفرام"، "دونا ستاركس". وأشيد إشادة خاصة

بمئات الزملاء الباحثين الذين قرأت أعمالهم، واستشهدت بها في هذا الكتاب. أعرف بعضهم معرفة شخصية، وبعضهم لا: آمل أن تروا أنني كنت منصفاً معكم.

بالنسبة إلى زملائي في جامعة أوكلاند للتكنولوجيا، أنا مدين بتقديم الدعم الأكاديمي، وخاصة في معهد "الثقافة والحوار والتواصل": فيليبا سميث، أندي جيبسون، شارون هارفي، جيني بيلوت. لقد قدّم 'ألوين أغوير" مساعدة لا تقدّر بثمن من النواحي العملية لهذا الكتاب، وأنا مدين جداً لكفاءته وموثوقيته. وأقدّم شكري لـ "تريش برازرز" على مهاراتها في التدقيق المميز، وإلى "ثاي هانغ نجوين" على مساعدتها.

الطلاب الذين علّمتهم على مدى العقدين الماضيين، ومن بلدان مختلفة، كانوا أساسيين بشكل خاص في إنجاز هذا الكتاب. فقد قدّم بعضهم موادَّ أغنت الكتاب، لكن تفاعلنا ضمن الفصل الدراسي على وجه التحديد، هو ما شكّل النهج الخاص بي على الرغم من أنني أعدتُ تشكيل المحتويات التي تمت تغطيتها في الفصول الدراسية بشكل جذري.

لقد كان زملائي الآن، وفي مجلّة اللسانيات الاجتماعية في الماضي، شبكة معلوماتي اليومية في هذا المجال، وقد استخدمت عمل الكثيرين منهم في هذا الكتاب: "نيك كوبلاند، مونيكا هيلر، آدم جوارسكي، ديفِد بريتاين، ليونيل وي، ديفياني شارما، بوني ماكيلهيني، راكش بات".

أنا ممتن جداً لـ "فيليب كاربنتر" الذي دعم هذا الكتاب منذ مدّة طويلة، ربما قد نسي ذلك، وللزملاء الحاليين في "وايلي بلاكويل، دانييل ديسكوتيوكس، وجوليا كيرك". وتقديري الكبير لـ "آنا أوكسبيري" لتحريرها نسخة عالية الجودة.

أخيراً إلى عائلتي، على دعمها وحماسها وخبرة أفرادها في اللسانيات الاجتماعية: زوجتي "كارين"، و"كاناديان كيوي" وسجلّها الخاص في علم اللسانيات الاجتماعية، و"هيستر" و"ويليم". أنا فخور بكم بذكائكم المتميّز. وإلى "بونزر" الرفيق المخلص المعروف بوصفه فارقةً مميزةً في اللغة الإنكليزية النيوزيلندية القديمة، والذي كان معي طوال مدّة إعداد هذا الكتاب.

الفصل الأول

ما هو علم اللسانيات الاجتماعية

إن علماء اللسانيات الاجتماعية متجسسون محترفون – ليس على ما يقوله الناس، بل على الطريقة التي يقولون فيها ما يقولون:

أتذكر أنني كنت في القطار الخارج من لندن، وأستطيع أن أسمع عائلة شابّة اتخذت أربعة أماكن لها على بعد عدة أنساق أمام مقعدي. عندما استمعت إليهم وهم يستقلّون القطار، اعتقدتُ أنهم يتكلّمون الفرنسية، لكنني واثق الآن بأنني بدأت أسمع لغة ألمانية، ومن ثم إنكليزية.

تبين أن الأب يتحدث الإنكليزية عموماً مع زوجته وولديه اليافعين. ومن الواضح أن الإنكليزية هي لغته الأم، لكنه كان يتحوّل من حين لآخر ليتحدّث الفرنسية بطلاقة، ويوجّه بعض الكلمات الألمانية إلى ولده الكبير. وتتحدث الأم اللغة الفرنسية بشكل أساسي مع زوجها، وخاصة مع الولد الأصغر. لكنها تستخدم أيضاً الكثير من المفردات الألمانية، وبعض المفردات الإنكليزية، مع أن لكنتها تدلّ على أنها ليست لغتها الأم. ويتحدث الولد الأكبر مع والده بالإنكليزية عموماً، لكن مع مفردات كثيرة ألمانية، ومفردات فرنسية بنسبة أقل. وكانت لكنته باللغة الإنكليزية متأثرة بشكل واضح بوالده ووالدته.

بعد ذلك، بهدف تسلية الأولاد، بدأ الوالدان يغنيان أغنية للأطفال تحمل عنوان "فريري جاكو" المعروفة في معظم أنحاء العالم. لكن في الإعادة الثانية لها تحوّل اللفظ إلى "بودر جاكوب" وأخيراً "برازر جون". هذا التحوّل الثلاثي باللغة كان جديراً بالاهتمام بالنسبة إليّ كمستمع صادف وجوده في هذا الموقع، ويعود هذا جزئياً لأن التصرّف بدا عادياً جداً للمشتركين بالغناء أنفسهم.

هذا كتاب عن غزارة الأصوات في المجتمع. إنه كتاب عن اللغة بوصفها حقيقة اجتماعية، وحاملة هويّة، عن اللغة بوصفها تفاعلاً وتواصلاً وجسراً بين الذات والآخر، عن اللغة بوصفها أداة للتعبير، ومصدراً للمتعة. إننا مطوّقون بلغات ولهجات محليّة، وبأصناف وأساليب ونبرات، وبالرطانة والأنماط والرموز وأداء الكلام. إنها دوّامة تلفّ حولنا وتدور في تيار من الإبداع اللغوي الدائم وإعادة الخلق. إن لكل صوت زمانه ومكانه وإيقاعه الخاص، ورغبته في أن يكون مسموعاً. هذه هي الغزارة اللغوية لـ "بابل"، القصّة القديمة التي أؤمن بالتنوّع اللغوي لأبطالها بدلاً من إدانته (انظر الفصل الثاني عشر).

اللغة محتواة أيضاً في شكل المجتمع. وكما تقول اللغةُ الحقيقةَ، يمكن أن تكون خادعة أيضاً؛ إذ يؤدي عدم المساواة الاجتماعية إلى عدم مساواة لغوية، وتعيد اللغة إنتاج عدم مساواة في العديد من مجالات المجتمع: البُنى الهيكلية، الديموغرافيا، السلطة، الجندر، الأصل العرقي، التفاعل، العولمة. ليست الأصوات متساوية كلها أو يمكن سماعها بسهولة. ويميّز المنظّر المؤسس للسانيات الاجتماعية "ديل هايمز" (**1974**: صفحة **195**) بين ثلاث طرق يُظهر فيها علم اللسانيات الاجتماعية علاقة بين الاجتماعي واللغوي:

1- اللغوي إضافة إلى الاجتماعي: معالجة القضايا الاجتماعية التي لها مكوّن لغوي.

2- لسانيات واقعية اجتماعياً: تأسيس البحث اللغوي على بيانات المجتمع الحقيقي.

3- لسانيات مبنيّة اجتماعياً: التأكيد على أن اللغة اجتماعية بطبيعتها، والمجتمع لغوي بطبيعته.

في اختيار لسانيات مشكّلة اجتماعياً، أصرّ 'هايمز' على الاهتمام بالمساواة، وكيف يتم إثبات ذلك ودعمه في أصوات المجتمع - من يتحدث، من يستمع إلى من، من يعطيه قيمة، ومن يتجاهله. وقال "إن إحدى طرق التفكير بمجتمع يرغب المرء في العيش فيه هي التفكير بنوع الأصوات التي لديه". ففي نوع كهذا من اللسانيات الاجتماعية المرتبطة بالصوت، لا تكون المساواة اللغوية شيئاً يُعطى بل شيئاً يتم الوصول إليه في المجتمع. إنها تدعو إلى المشاركة. هاتان هما الفكرتان الأساسيتان اللتان يترصدهما هذا الكتاب: وفرة اللغة، والدفع نحو لسانيات اجتماعية متساوية. وسأعود إلى القضية الثانية بشكل خاص في فصل الاستنتاجات من هذا الكتاب.

1.1 ماذا تعني كلمة لغة؟

ربما لا يُعطي علماء اللسانيات الاجتماعية ما يكفي من الوقت للتعمّق في هذا السؤال الأساسي جداً: إذ بدأ علم اللسانيات الاجتماعية في مكان وزمان كان يتعامل فيه معظم اللغويين مع اللغة كما لو أنها تحدث في الخلاء. في اللسانيات الأمريكية الخاصة بستينات القرن العشرين، فقد كانت نظرية 'نعوم تشومسكي' عن "القواعد التحويلية التوليدية"[1] في طور الصعود. وقد قلّصت تلك

---

[1] تحمل فلسفة تشومسكي نزعة عقلانية في البحث عن أساس معرفي، وفلسفته هي استمرار للفلسفة التحليلية التي تضع اللغة في مركز التحليل الفلسفي. فعارض تشومسكي علم النفس السلوكي في شرحه لكيفية استخدام اللغة مفضلاً المذهب الفطري. ويعتقد كذلك أنه من الممكن للطفل أن يتعلم اللغة وذلك لوجود القدرة العقلية اللغوية للطفل منذ ولادته، أما استخدام اللغة لدى البالغين فهي عبارة عن تمرين ذهني. وأن اكتساب اللغة هو صفة فطرية. لقد غيّرت نظرية

النظرية الكفاءة اللغوية إلى مقدرة تجريبية مُختصرة للحكم على ما إذا كانت الجملة نحوية أم لا، وتهميش أوجه السلوك اللغوي الأخرى كلها بوصفها مجرّد 'أداء'. وكان التركيز على "'متحدث – مستمع' مثالي، في مجتمع الكلام المتجانس تماماً"[1] مخالفاً لأي نوع من الاهتمام في تفحّص كيفية استخدام اللغة فعلاً عندما يتحدث البشر.

في هذا المناخ الفكري الذي لم يكن صحيّاً لإدخال الاجتماعي في اللغوي، أصبح 'هايمز' من أول الروّاد المدافعين عن اللسانيات الاجتماعية. إذ تولّى مفهوم 'تشومسكي' الضيّق عن الكفاءة اللغوية وقام بتوسيعه ليشمل الكثير مما عالجه 'تشومسكي' بوصفه أداء، وانتهى به الأمر إلى صوغ مصطلح "الكفاءة التواصلية – **communicative competence**"[2]. فقد ركّز 'هايمز' على "الكفاءة التي تمكّن أعضاء المجتمع من الكلام وتفسير الكلام" (1972: 52)، مُبعداً الاهتمام عن المقدرة النحوية الصرفة

"القواعد التحويلية التوليدية" علم اللسانيات وفلسفة اللغة بشكل جذري. وهذه النظرية في الحقيقة عبارة عن نظريتين متكاملتين، فالنظرية التوليدية عبارة عن مجموعة من القواعد التي تعمل من خلال عدد من المفردات على توليد عدد غير محدود من الجمل. أما النظرية التحويلية فتُعنى بتطبيق مجموعة من قواعد الحذف والاستبدال والإضافة وتغيير الموقع على الجمل. ويؤكّد تشومسكي بأن الدماغ البشري مبرمج بيولوجياً لتعلّم اللغة، ولذلك فإن القدرة العقلية لتعلّم اللغة تعدّ فطرية وليست سلوكية. وقد تبنّى تشومسكي مفهوم القدرة اللغوية الفطرية للإنسان، وهو عبارة عن آليات وقدرات لغوية غريزية تنمو من خلال التفاعل مع البيئة اللغوية المحيطة خلال مرحلة الطفولة، وتساعده هذه الغرائز على اكتساب المعلومات اللغوية وتخزينها وتكوين قواعد اللغة الأم، على مراحل تصاعدية، حتى تصل لمرحلة الاكتمال والثبات، وعندها يستطيع الطفل صياغة جمل لا متناهية لم يتكلّم أو يسمع بها من قبل وفهمها، وهذا مفهوم الإبداع، فالإنسان يتميّز عن غيره من الكائنات بالتفكير واللغة والذكاء، فأغبى الناس يستطيع التكلّم، بينما أذكى الحيوانات لا يستطيع ذلك أبداً. المترجم.

[1] عبارة مُقتبسة عن 'تشومسكي، 1965: 3'. المترجم.

[2] مصطلح من مصطلحات علم اللسانيات، يشير إلى المعرفة النحوية لمستخدم اللغة ببنيتها وتشكيلها وأسلوبها الصوتي وما إلى ذلك، إضافة إلى المعرفة الاجتماعية المرتبطة بكيفية استخدام الألفاظ بالشكل المناسب. المترجم.

للمتحدثين باللغة الأم، إلى استخدام اللغة في مجموعة من المواقف الاجتماعية: إذ يعرفُ أي متعلّم للغة ثانية أنه حتى إذا استطاع أن يتحدث بشكل نحوي كامل، فهو ما لم يُتقن الطرق الصحيحة لاستخدام هذه الجمل النحوية، فلن يصبح أبداً كالناطقين الأصليين بها. والأسوأ من ذلك أنك ربما تُسيء إلى من يتحدثون باللغة الأم أو تهينهم. فعليك أن تعرف أين ومتى تستخدم اللغة، وأن تعرف أي لغة تستخدم؛ إذ لا تتضمّن الكفاءة اللغوية معرفة باللغة وحسب، بل معرفة ثقافية ومهارات تفاعلية. كما أن الطريقة التي يتصرّف بها المتحدّث والمُستمع أحدهما مع الآخر لغوياً هي محور اهتمام علم اللسانيات الاجتماعية.

أعرض هنا أربع خصائص تتعلّق بتعريف اللغة بالنسبة إلى عالم اللسانيات الاجتماعية. إنه يتبع خاصية من الخصائص:

1: اللغة اجتماعية

لا يجب بحث الأمور المتعلّقة باللغة – قضايا اللغة – في المحاكمات العقلية لجمل معينة، بل في "**الكلمة المنطوقة – utterance**" – أصغر وحدة يقول المتحدث من خلالها شيئاً. ثم في **الحوارات والمحادثات** التي تتجمّع فيها الكلمات المنطوقة بعد ذلك. لقد اتخذت اللغة موقعاً، وأصبح لديها سياق. وهناك متحدث ومستمع، وزمان ومكان، ولدينا موضوع وغاية.

وصلتنا بعض أفضل التصريحات المتعلّقة بوجهة النظر اللسانية الاجتماعية حول اللغة ممن هم ليسوا مختصّين بهذا المجال، مع أن المصطلحات التي استخدموها قد تكون مختلفة كما في "كلام – speech"، "حوار – discourse"، "رسالة – message" أو حتى "الكلمة – the word". وقد جادل الفيلسوف الفرنسي 'بول ريكور'

ضدّ وجهة النظر التي تعتبر أن اللغة كانت قضية بلا جسد، وغير اجتماعية. والحياة الاجتماعية للكلام والحوار لا تحدّ من كفاءة اللغة بغية الوصول إلى شكليات الرمز:

في حين أن اللسانيات البنيوية تحدد الكلام وتستخدم الأقواس والجمل الاعتراضية، بينما تُلغي نظرية الحوار الأقواس والجمل الاعتراضية (ريكور، **1981**: **133**).

2 اللغة حوار

تنشأ اللغة بين شخصين، وهما من يعطيانها شكلاً. إنها تتضمن متحدثاً ومستمعاً مع كل الفوضى الناتجة عن التفاعل اللفظي، حيث يتبع التحوّل تحوّلاً آخر بوجود المقاطعة والتداخل وإتمام أحدهم لعبارة الآخر. لكن هذا التعقيد في العالم الحقيقي يكون مُبهجاً لعالِم اللسانيات الاجتماعية من جهة، ويمنحه شعوراً بالتحدي من جهة أخرى. فنحن نهتم بالمستمعين والحضور، وليس علينا بعد الآن أن نتخيّل اللغة دون مستمعين أكثر مما نتخيّلها دون متحدثين. فهناك مشاركة بخلق اللغة، وهي وجهة نظر شخص آخر ليس مختصّاً باللسانيات الاجتماعية:

الكلمة فعل ثنائي الجانب. يتم تحديده بالتساوي بين من نطق الكلمة، ومن كانت تعنيه. فالكلمة على وجه التحديد نتاج علاقة متبادلة بين المتحدث والمستمع، المُرسل والمُرسل إليه. وتُعبّر كل كلمة عن 'أحدهم' في علاقته مع 'الآخر'... الكلمة جسر يربط بين ذاتي والآخر. وإذا كانت إحدى نهايتي الجسر تعتمد عليّ، فالنهاية الأخرى تعتمد على المُرسل إليه؛ لأن الكلمة منطقة يتشاركها اثنان هما المُرسل والمُرسَل إليه، المتحدث ومُحاوره. (فولوشينوف، **1973**: **86**).

3- *اللغة غزارة*

ثمرة المحادثة هي "تعدد الأصوات – heteroglossia"[1] – أي تنوّع لغوي. فلا يمكن ترويض اللغة لتصبح معياراً مثالياً. إنها منوّعة وملوّنة دائماً وفي أي مكان بناءً على وجهة نظر معاون 'فولوشينوف':

في أية لحظة محددة من وجودها التاريخي، تنوّعت أصوات اللغة واختلفت من القمّة إلى القاع: فقد مثّلت الوجود المشترك للتناقضات الإيديولوجية الاجتماعية بين الحاضر والماضي، بين عصور مختلفة في الماضي، بين مجموعات مختلفة أيديولوجياً واجتماعياً في الحاضر، وبين نزعات ومدارس وحلقات وما إلى ذلك، وكل منها شكّلت تجسيداً مادياً. (باختين، **1981**: **291**).

التمرين 1.1: أساطير اللغة

يعالج كتاب "أساطير اللغة" الذي حرّره 'لوري باور' و'بيتر ترودجيل' إحدى وعشرين إيديولوجية لغوية شعبية يذكرها الناس في كثير من الأحيان. نورد هنا بعض العناوين الرئيسة في الفصل:

اللغة الفرنسية لغة منطقية.

تخلو بعض اللغات من النحو (القواعد).

اللغة الإيطالية جميلة، والألمانية بشعة.

يتحدث الناس بلغة إنكليزية سيئة فعلاً في الجنوب الأقصى، وفي نيويورك سيتي.

يتحدث السكان الأصليون لغة بدائية.

الأطفال السود محرومون حرفياً.

---

[1] يصف مصطلح "heteroglossia" اليوناني الأصل، التعايش بين أصناف مميزة ضمن لغة واحدة، وهو يعني حرفياً اللسان المختلف أو اللغة المختلفة. ويعني أيضاً "كلام الآخر بلغة مختلفة" المترجم.

1. هناك إيديولوجيات لغوية. تفحّص واحدة منها أو أكثر. أيُّ نوع من الحجج اللغوية يمكن تقديمها كأدلّة؟ وإلى أيّ حد يمكن أن تبرر الأسطورة؟

2. هل هناك حجج لغوية مقابلة لهذه الأسطورة؟ حددها.

3. ما هي الأسس الاجتماعية للأسطورة؟ على سبيل المثال، ما هي الخصائص المتصوّرة عن الناس الذين ترتبط معهم بلغة معيّنة أو بتشكيلة من اللغات؟ كيف أتت هذه التصوّرات؟

4. من أين جاءت الأسطورة؟ هل هناك أي احتمال بأن تكون صحيحة؟

4- اللغة إيديولوجيا

لا تتعلّق اللغة فقط بإيصال المضمون، وربما لا يأتي ذلك بالدرجة الأولى أيضاً. إنها تتعلّق بالمعنى الاجتماعي. هذا يعني أن جميع اللغات تستخدم 'فهارس' المعاني الاجتماعية، وتستحضر أماكن وفترات زمنية، ومجموعات وطبقات، وجندراً. إنها تحمل أيديولوجيا، وتخدم سلطة. فاللغة 'أذواق' من استخداماتها السابقة؛ إذ يضعنا مستمعونا أمام الستارة الخلفية المرتبطة بكل خبرتهم السابقة باللغة. فنحن لا نستطيع أن نتحدث دون أن نهب أنفسنا اجتماعياً وعرقياً وجغرافياً. كما أن فهرسة المعاني الاجتماعية متجذرة بعمق في اللغة واستخدامها. لقد كتب 'جورج برنارد شو'، في مقدّمة مسرحيته 'بجماليون'، كلمات تم اقتباسها لاحقاً في واحدة من أغاني "سيدتي الجميلة":

أسلوب الرجل الإنكليزي في الكلام يعطيه تصنيفاً كاملاً،
وفي اللحظة التي يتحدث فيها، يجعل رجلاً إنكليزياً آخر يحتقره.

تمرين 1.1 ناقش بعض الأساطير اللغوية الأخرى.

1.2 ما هي اللغة؟

عندما بدأت أعلّم صفاً في اللسانيات الاجتماعية، كنت أسأل الطلاب في الجلسة الأولى عن اللغة التي يتحدثون بها. كانت القائمة النموذجية لخريجيّ جامعة نيوزيلندا، على مستوى الدراسات العليا، تتضمن اللغة الإنكليزية، ولغة "الماندرين" الصينية الشمالية، ولغة "الكونتونيز"، في جنوب شرق الصين بما فيها هونغ كونغ، واللغة اليابانية. وغالباً ما كان بعضهم يتحدث الألمانية والفرنسية، ولغة 'الباهاسا' الماليزية، واللغة الكورية أو 'الأفريكانية' الخاصة بجنوب أفريقيا. وقد يوجد أحياناً لغة الخمير لجنوب شرق آسيا، ولغة الساموا والماوري والإيطالية والإسبانية أو الروسية. فيصبح معظم طلاب الصف ناطقين بلغتين، وبعضهم بثلاث لغات أو أربع. وقد يدّعي أحدهم أحياناً بأنه يتحدّث خمس لغات أو أكثر – وعادة ما يكون هناك واحد أو اثنان ممن يتحدثون لغة واحدة فقط (الإنكليزية)، بلهجات متعددة؛ إذ ادعى شخص واحد فقط بأنه يتحدث لغة غير محكية هي لغة الإشارة في نيوزيلندا، والتي تُعتبر اللغة الأم لعدة آلاف من الصمّ النيوزيلنديين، وقد تم تشريعها كلغة رسمية عام (2006). كما أصبحت لغة الإشارة لغة كاملة في كثير من البلدان، لكنها لا تزال تُصارع للاعتراف بها في أنحاء كثيرة من العالم.

يؤمّن هذا التعدد اللغوي أرضية صلبة لتفحّص أعمال اللغة اجتماعياً وتوضيحها. ذلك أن صفّاً تعليمياً لديه دزينة من اللغات هو أشبه بهدية، لأن الكثير من المواضيع والقضايا تتجلّى في خبرات الصفّ ذاته.

تسمية اللغة

تبدو تسمية لغة معيّنة أكثر إشكالية مما يبدو عليه؛ إذ تعتبر الصين لغة الماندرين والكونتونيز لهجات من اللغة الصينية الأم ذاتها،

مع أن هناك معايير لغوية كثيرة تفرّقها عن اللغة 'الصينية' وتجعلها لغات متمايزة تماماً، بما في ذلك معيار الوضوح المتبادل بينها. ويمكن القول إن مجموعة اللغات الرومانسية (الفرنسية والإسبانية والبرتغالية والإيطالية وما إلى ذلك) أقل تنوّعاً لغوياً من اللغة 'الصينية'. كما أن نظام الحروف (الهجائي) الذي تُكتب به اللغة لا يستحضر طريقة لفظ تمكّن الخيال من لغة صينية واحدة.

إذاً نحن الآن أمام لغز كبير بسبب وجود لغات لها أسماء مختلفة في العالم، لكنها متشابهة جداً من الناحية "اللسانية" مثل اللغة الهندية والأوردو، والسويدية والدانماركية والنرويجية، والصربية والكرواتية. وهناك مجموعة أخرى من الرموز المختلفة جداً من الناحية "اللسانية" لكنها تحمل اسماً واحداً كالعربية أو الإنكليزية. بالإضافة إلى ذلك، يمكن لتعريفات كهذه أن تسير باتجاه واحد دون آخر: فقد يرى البلغاريون اللغة المقدونية لهجة من لهجات اللغة البلغارية، لكن المقدونيين لا يعتبرون اللغة البلغارية لهجة من اللهجات المقدونية. ويمكن أيضاً أن ننعت اللغات بصفات معيّنة مختلفة. فما الذي يعنيه أن ننعت لغة التاميل بـ "المتدنّية" أو "غير الهامة" عندما يتحدث بها أكثر من سبعين مليون شخص؟ وما الذي يعنيه إطلاق صفة "فاشلة" على لغة "بيدمونتس" في شمال غرب إيطاليا لأنه لم يتم توحيدها كما ينبغي؟ (توسكو، 2009).

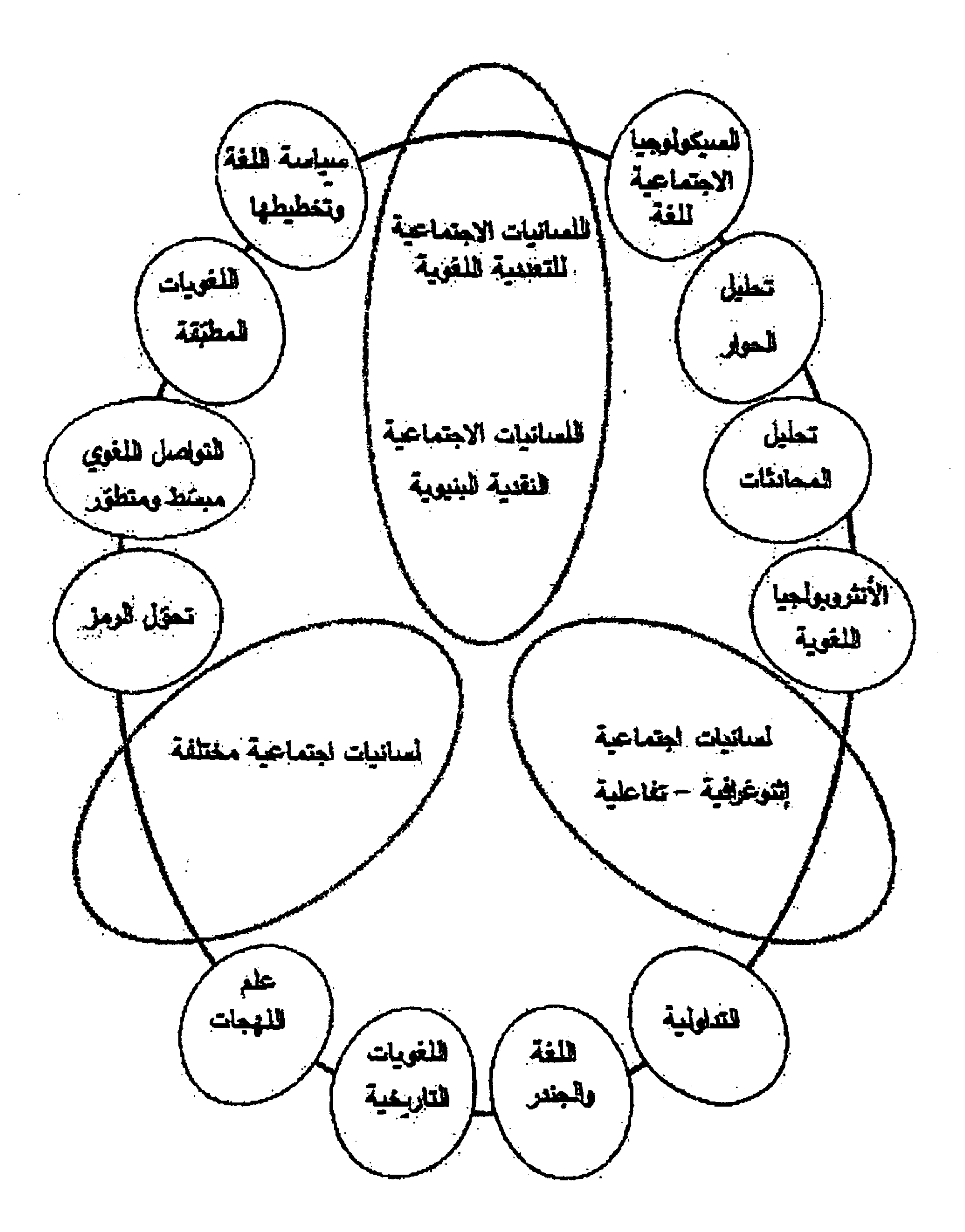
إذاً إن تسمية اللغة مسألة اجتماعية وسياسية جداً. وهذا ليس مفاجئاً. تقول الأنثروبولوجية اللغوية 'سوزان جيل' (2006: 14):

قد يبدو غريباً أن أقول ذلك، لكن اختراع 'اللغة' قد تمّ في أوروبا. فالكلام ميزة كونية لنوعنا البشري، لكن 'اللغة'؛ لا تعادل القدرة على الكلام. ويُفترض أن تكون اللغات في هذا المعنى المقيّد قابلة للتسمية (إنكليزية، هنغارية، إغريقية)، وقابلة للعدّ ربما (يمكن أن يكون للمرء عدة لغات)، ومحددة وتختلف إحداها عن الأخرى.

إن مفهوم لغة معيّنة، وتعريفها ببلد معيّن، عبارة عن بناء أوروبي يعود إلى القرن الثامن عشر، لكن تم فرضه على باقي العالم خلال فترة الاستعمار الأوروبي الذي ميّز بحماسٍ 'لغات'، وعرّفها ومنحها أسماء أينما كان يذهب. لكن لتجنّب جدالات من هذا النوع، ربما اختار علماء اللسانيات الاجتماعية استخدام المصطلح الأكثر حيادية وهو **'الرمز أو الشيفرة – code'**. وربما يفضّلون مصطلح **'التنوّع'** على مصطلح **'اللهجات'** ليتجنّبوا أمتعة الأخير بما تحويه من تهميش وضعف في الملاءمة.

1.3 إذاً ما هو علم اللسانيات الاجتماعية؟

أسهل طريق للبدء بفهم مجال ما هو تخيّله. يحاول الشكل **(1.1)** رسم خريطة للعناصر والتقاليد والاتجاهات التي ساهمت في تشكيل علم اللسانيات الاجتماعية. ويرتّب الجدول **(1.1)** بعض تفاصيل العناصر الرئيسة. كما يمثّل الشكل البيضوي الكبير صورة عما تحتويه اللسانيات الاجتماعية. أما الأشكال البيضوية الثلاثة الوسطى فتُبيّن المناهج الرئيسة بحسب تطوّرها من أواسط القرن العشرين. وتقبع معظم مناطق هذه الأشكال البيضوية الثلاثة داخل محيط منطقة اللسانيات الاجتماعية، لكن جزءاً منها يظهر وكأنه في الخلف. وتمثّل الأشكال البيضوية الصغيرة مساحات أخرى لديها مستويات مختلفة من القواسم المشتركة مع اللسانيات الاجتماعية، لكن لديها أيضاً نفوذ في مجالات أخرى بنسبة أعلى أو أقل. ويترافق مع هذا المخطط تحذير هام: هذا النوع من العرض يجب أن يكون مثالياً بشدّة. فهو يرسم خطوطاً صارمة لإظهار الحدود الغائمة وغير المنتظمة. ولا يمكنه أن يُبيّن دقّة المجالات الرئيسة والفرعية (في العمودين كليهما **2** و**4** من هذا الجدول على سبيل المثال، قد تتعامل مع تعددية اللغة، ولو كان على مستويات مختلفة). لكن هذه الحالة المثالية ستساعدني على رسم خريطة تضاريس هذا الكتاب.



الشكل 1.1: شكل اللغويات الاجتماعية

	اللسانيات الاجتماعية للتعددية اللغوية			
	اجتماعيّات اللغة	نقدي - بنيوي	لسانيات اجتماعية عرقية تفاعلية	لسانيات اجتماعية منوّعة
التركيز	كيف تعمل اللغات في المجتمع	كيف تعمل اللغات كممارسة اجتماعية	كيف يستخدم الأفراد والمجموعات الصغيرة هذه اللغة	كيف تختلف السمات اللغوية مع العوامل الاجتماعية
الاتجاه	نحو المجتمع	نحو اللغة والمجتمع والسياسات	المجتمع واللغة كلاهما	نحو اللغة
الاختصاص	علم الاجتماع	أنثروبولوجيا، ثقافة، لسانيات	علم الاجتماع، لسانيات، أنثروبولوجيا	لسانيات
الفرضيات	تجريبية	بنيوية	تفسيرية	تجريبية
المقياس	كبير	كبير وصغير	صغير	صغير
واضع النظرية، أو الرائد فيها	جوشوا فيشمان	مونيكا هيلر، بيتر أوير	ديل هايمز، جون غومبيرز	ويليام لابوف
أبحاث نموذجية	ما هي اللغة المستخدمة؟	ما هي المصادر اللغوية المُعتمدة؟	ما هي اللغة المستخدمة في حالات خاصة؟	ما هو التنوّع اللغوي المستخدم في لغة معيّنة؟

أسلوب نموذجي	المسح	تحليل الحوارات	مراقبة المشارك	مقابلات مُسجَلة
نتائج نموذجية	انتقال اللغة: من لغة إلى لغة أخرى ضمن مجموعات من فئات عمرية مختلفة	مزج اللغة: رموز متعددة ضمن حالات معولمة	استخدام اللغة: استخدام رموز لغات مختلفة لمحاورين مختلفين	تغيّر اللغة: استخدام ميزات لغوية مختلفة من مجموعات بفئات عمرية مختلفة
دراسة مثال	باراغواي جون روبن	كورسيكا ألكساندرا جيف	البريطانية، الإنكليزيات الهندية. جون غومبيرز	نيويورك سيتي وليام لابوف

ننتقل إلى المناهج الثلاثة الرئيسة التي قمت بتصنيفها في اللسانيات الاجتماعية: التعددية اللغوية، التفاعل الإثنوغرافي (العرقي)، التنوّع اللغوي[1]؛ إذ ترد في الجدول (1.1) بعض الخصائص لكل واحدة منها (والتي تخضع بالطبع للتحذير ذاته المتعلّق بالتبسيط ودراسة الظواهر فقط كما في المخطط). وتنقسم اللسانيات الاجتماعية المتعلّقة بالتعددية اللغوية إلى قسمين. وفي حين كانت دراسة التعدديّة اللغوية خاضعة تاريخياً "اجتماعيات اللغة"[2]

---

[1] المصطلح باللغة الإنكليزية هو "variationist sociolinguistics". هذا المصطلح مبني على نظرية 'وليام لابوف' التي تقول إن الاختلاف متأصل في البنية اللغوية؛ إذ تختلف طريقة نطق اللغة (وكتابتها) بين الأفراد، وكذلك عبر الحالات التي يواجهها الشخص ذاته. وقد جادل لابوف بأن هذه الاختلافات ليست طبيعية فقط بل هي ضرورية أيضاً لعمل اللغة. وتتحدى هذه الرؤية الكثير من الأفكار والممارسات السائدة تقليدياً في النظرية اللغوية، من 'فيرديناند سوسور' إلى 'نعوم تشومسكي'. المترجم.

[2] هناك فرق بين مصطلحي "اجتماعيات اللغة – sociology of language" و"اللسانيات الاجتماعية – sociolinguistics". إن المصطلح الأول يشير إلى دراسة اللغة على ضوء القضايا الاجتماعية، ويشير المصطلح الثاني إلى دراسة المجتمع على ضوء القضايا اللغوية، أي:

(العمود الثاني)، فقد تغيّر هذا الوضع في العقدين الماضيين. ويتخذ الآن الناقدون البنيويون المعاصرون أهمية متزايدة (العمود الثالث). فتمثّل الأعمدة (2، 4، 5) من الجدول (1.1) فروع اللسانيات الاجتماعية التاريخية الثلاثة التي تعود نشأتها إلى ستينات القرن العشرين، بينما يُبين العمود الثاني ما وصلت إليه أبحاث التعددية اللغوية في القرن الحادي والعشرين.

اجتماعيّات اللغة

ظهر علم اجتماعيّات اللغة في خمسينات القرن العشرين وستيناته، وكان اهتمامه منصباً على علم الاجتماع البنيوي الأمريكي في ذلك الحين. وكان توجّهه إلى المقياس الكبير، قد أُطلِق عليه أحياناً اسم 'اللسانيات الاجتماعية الكبرى'. لقد جعل صلته بجميع اللغات وتوزّعها واستخدامها ضمن المجتمع، وليس بميزات اللغات وإنشاءاتها أو العمليات الاجتماعية الصغرى على سبيل المثال. يكون التركيز عادة على استخدام مجموعات معيّنة لهذه اللغات. وتقوم أساليب البحث الاعتيادية على إجراء استطلاع يسأل من يتحدث تلك اللغة – وذلك من ضمن عملية استطلاع شاملة للمعلومات الاجتماعية والتعداد السكاني الوطني الذي يتضمّن سؤالاً لغوياً روتينياً. فقد كان التركيز غالباً على اللغات التي تتحدث بها مجموعة عرقية معينة، وخاصة إذا كان تفضيلهم للغة متغيّراً. ويقدّم المثال (1.1) فكرة عن دراسة مبكّرة نموذجية.

العالم 'جوشوا فيشمان' هو من أسّس علم "اجتماعيّات اللغة"، وكان لفترة طويلة رئيس هذا الفرع والمدافع عنه والمنظّر له، وكان

إن المشتغلين في العلم الذي يدرس "اجتماعيات اللغة" يكونون متخصصين في علم الاجتماع، ويدرسون المجتمع باستخدام آليات هذا العلم وذلك بالنظر إلى علاقته مع اللغة، والمشتغلين في علم "اللسانيات الاجتماعية" يكونون متخصصين في اللسانيات، ويدرسون اللغة نفسها باستخدام آليات هذا العلم، وذلك بالنظر إلى علاقتها مع المجتمع. المترجم.

بشكل خاص صاحب الأثر الكبير فيه من خلال عمله كمحرر. لقد أنشأ *'المجلة العالمية لاجتماعيّات اللغة'*، وشرع في برامج التحرير والنشر. وبقي كتاباه "*قراءات في اجتماعيّات اللغة*" الصادر عام (1968)، *والتطوّر في اجتماعيّات اللغة*" الصادر عام (1971 – 1972)، مصدرين لا غنى عنهما للعمل المبكّر في مجال اللسانيات الاجتماعية الذي انتشر على نطاق واسع؛ إذ أراد 'فيشمان' جمع ما يمكن جمعه من اللسانيات ضمن اجتماعيّات اللغة، وكانت هذه المنشورات الأولى واسعة للغاية. لكن مع تطوّر العمل، أصبحت التسمية تدلّ على فرع أو اتجاه اجتماعي معين. لا يزال لهذا النهج دوره مع أن أسلوب الاستطلاع العام، من بين أدوات البحث الأخرى، ولا يزال يُعتبر أفضل وسيلة للحصول على معلومات سريعة حول اللغات في المجتمع. فالفصلان الثاني والثالث فصلان أساسيان في هذا الاتجاه؛ ويشكّلان، مع الفصل الرابع المرتبط بتواصل اللغات، الجزء الأول من هذا الكتاب.

المثال 1.1: اجتماعيات اللغة

اختيار اللغات في الباراغواي

يوجد في الباراغواي لغتان رسميتان هما اللغة الإسبانية، مثل معظم دول أمريكا اللاتينية، ولغة 'الغواراني' وهي لغة السكان الأصليين. لكن ما هي اللغة التي يستخدمها الناس ومتى؟ في ستينات القرن العشرين، أجرت عالمة "اجتماعيّات اللغة"، الأمريكية 'جوان روبن'، استبياناً تسأل فيه عن اللغة التي يستخدمها الناطقون بها مع الشريحة الكبرى من الناس الذين يتعاملون معهم يومياً، أي مع الشريك والخادم والجدّة ورب العمل.

أثبتت لغة 'الغواراني' أنها لغة الألفة في الحياة اليومية، بينما كانت اللغة الإسبانية لغة العلم والمعرفة. 'الغواراني' هي لغة الريف،

والإسبانية هي الراجحة في المدينة. إذاً ما هي اللغة التي تخاطب بها امرأة حافية القدمين؟ - 'الغواراني' بالطبع. وما اللغة التي تخاطب بها 'حبيبة قلبك عندما تمارس الحب معها'؟ - الإسبانية، وهذا مثير للدهشة. ومع 'رجل غريب يرتدي ملابس أنيقة' – إسبانية، ومع 'امرأة ترتدي تنورة طويلة وتدخّن سيجاراً أسودَ كبيراً؟ - يقول تسعة وثمانون من أصل واحد وتسعين إنهم يتحدثون بلغة 'الغواراني' (روبن، **1968**: **519**). كما تُستخدم الإسبانية مع معلّمي المدارس دوماً وفي أي مكان، وتُستخدم بنسبة عالية جداً في العاصمة 'أسونسيون'، بينما تُستخدم 'الغواراني' أكثر في الريف. فهم يفضّلون الإسبانية في المناسبات الرسمية، لكنهم يفضّلون 'الغواراني' في الحوارات غير الجادّة.

سيكون مثيراً للاهتمام أن نعرف ما إذا كانت هذه النماذج قد تحوّلت خلال خمسين عاماً من التفاعل، وكيف تحوّلت.

اللسانيات الاجتماعية النقدية البنيوية

كما تأثّر علم اللسانيات الاجتماعية بشكل متزايد بتحوّلات النظرية الاجتماعية، إذ تغيّرت أبحاث التعددية اللغوية بشكل جذري. وأصبح يُنظر إلى اللغة كممارسة اجتماعية، مع اعتماد المتحدثين بها على كل أنواع المصادر اللغوية لتحقيق غاياتهم. ولا تزال هذه الأبحاث تركّز على القضايا اللغوية الكبرى في المجتمع، ومن ضمنها الأكثر ضخامة على الإطلاق، أي العولمة. فربما يُنظر إلى كيفية "تسليع" لغات الأقليات، وإعطائها قيمةً تجاريةً في 'السوق" اللغوي للأمة. لقد كان لعمل الباحثين من أمثال 'جان بلوميرت' و'مونيكا هيلر' دور رائد في إعادة تشكيل الطريقة التي نرى فيها اللغات بوصفها تبني مجتمعاً، على مدى عقدين من الزمن، بالإضافة إلى كونها مبنيّة في مجتمع (هيلر، **2011**). يُظهر المثال (**1.2**) الفروق الاجتماعية السياسية الدقيقة لحالة لغة واحدة فقط.

تجاوز التيار النقدي البنيوي اجتماعيّات اللغة إلى حد ما، وبات يهيمن بازدياد على سلوك أبحاث التعددية اللغوية وتنظيرها. فهو يطرح أسئلة جديدة، وإجابات جديدة على الأسئلة القديمة. ونستطيع أن نرى التحوّل بوضوح تام في الفرق بين الكتب ثنائية اللغة والمتعددة اللغات المتوفّرة لدينا. حيث يعكس كتاب 'باتيا وريتشي' (2004) المثال النموذجي الأصلي، ويمثّل الكتاب التعليمي الذي حرره 'مارتن جونز، وبلاكليدج وكريس' أحدث الأعمال النقدية البنيوية. ففي حين يطفو عملي النقدي البنيوي على السطح في الفصلين الثاني والثالث من كتابي هذا، يظهر تأثيره بشكل أكبر في الفصول الخامس والسادس والثامن والتاسع، وخاصة العاشر.

المثال 1.2: اللسانيات الاجتماعية النقدية البنيوية

سياسات اللغة في كورسيكا

يملك فيليب 'يو كارمينو'، متجراً صغيراً في بلدة باستيا على جزيرة كورسيكا في البحر المتوسط. إنه متخصص في منتجات كورسيكا التقليدية.

لكن كورسيكا جزء من فرنسا، واللغة الكورسيكية هي لغة أقليّة تتراجع كثيراً مع انتقال المجتمع إلى اللغة الفرنسية المهيمنة. يتحدث فيليب اللغة الكورسيكية بطلاقة، ويتماهى بعمق مع تلك اللغة. لقد فاز بجائزة القصة القصيرة في اللغة الكورسيكية المعاصرة. وقام بملء استبيان الباحثة في مجال اللغة بتفاصيل حماسية.

كان فيليب أيضاً في السجن بسبب نشاطات أممية. وكان انتماؤه العام نحو اللغة الكورسيكية، ويستثني الفرنسية. ولم يكن يتحدث سوى اللغة الكورسيكية حتى عامه الرابع أو الخامس، ولا يزال يتحدث هذه اللغة بشكل طبيعي وعن عمد.

لكن حياته الخاصة لم تكن مطابقة لإيديولوجيته، هذا ما وجدته الأنثروبولوجية اللغوية 'الكسندرا جيف' في فترة سنة من

مراقبتها للمشارك (1999: 13)، فقد جاءت زوجته من تونس، ولم تكن تتحدث الكورسيكية. ويحمل أطفاله أسماء فرنسية، ولم يترعرعوا في مجتمع خاضع للهيمنة الفرنسية فقط، بل في منزل تسود فيه الفرنسية في الواقع. لقد حافظ فيليب على فصل اللغة في الحياة العامة، لكنه لم يستطع أن يحافظ على ذلك في حياته الخاصة._وعلى الرغم من أن التحدث باللغة الكورسيكية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهويته اللغوية والقومية، إلا أن هذا الصراع يبقى عالقاً في حياته المنزلية.

اللسانيات الاجتماعية العرقية التفاعلية

"الإثنوغرافيا" أو علم الأجناس البشرية هو منهج أبحاث اجتماعية يركّز على سلوك الأفراد والمجموعات الصغيرة وتفاعلهم (الجدول 1.1). ولدى هذا العلم خاصية بشرية قوية، إلى جانب مهارات التحليل اللغوي. وقد كانت الشخصيتان المؤسستان لهذا العلم هما 'جون غومبيرز' و'ديل هايمز'، اللذان ارتبط اسماهما بشدّة بهذا المجال بسبب تحريرهما لإحدى المجموعات الأساسية لمقالات اللسانيات الاجتماعية (1972)؛ إذ اهتمت أبحاث 'هايمز' بلغة سكان أمريكا الأصليين وثقافتهم، وكان في ستينات القرن الماضي المدافع الرئيس عن اللسانيات الاجتماعية الناشئة، والمنظّر لها، وخاصة موضوع "إثنوغرافيا التواصل". كما أسّس عام (1972) مجلّة "*اللغة في المجتمع*"، وقام بتحريرها مدّة عشرين عاماً، فكان له تأثيره الكبير في هذا المجال. وتُعتبر مجموعة أعماله الصادرة عام (1974) أساس مؤلّفاته جميعها".

كان منهجا 'غومبيرز' و'هايمز' متوافقين تماماً أحدهما مع الآخر، لكن مقاييس عملهما ووسائلهما مختلفة جداً. وتؤكد 'اللسانيات الاجتماعية التفاعلية' التي أوجدها 'غومبيز' على الأبحاث المتعلّقة

بتفاصيل اختيار رمز اللغة في تفاعلات خاصة؛ لقد غطى عمله الميداني بلداناً عديدة. كما أن المؤلّفين اللذين أصدرهما عام (1982) يجمعان معاً منهجه الخاص ومساهمات طلابه. التمرين (1.3) مأخوذ من أبحاث 'غومبيرز'.

المثال 1.3: اللسانيات الاجتماعية التفاعلية الإثنوغرافية

سوء التواصل بين الأعراق

السيد (آ) يتحدث الإنكليزية الهندية بطلاقة، أستاذ في الرياضيات، ولم يستطع الحصول على عمل في إنكلترا لأنه 'يفتقد إلى مهارات التواصل'. وتمت إحالته إلى مقابلة مع السيدة (ب) في مركز يتعامل مع مشاكل التواصل بين الأعراق في الصناعة البريطانية.

لا تسير المقابلة على ما يرام، وتجري لمدة ساعة كاملة على مسارات موازية لم تؤدّ إلى أي تلاقٍ في الفهم (غومبيرز، 1982). ما الخطأ الذي حدث؟ في بداية المقابلة، يطلب الأستاذ "تمهيداً أو مقدّمة – introduction" من السيدة التي تُقابله. واعتبرت أنه يقصد بذلك أن تعرّفه باسمها ويعرّفها باسمه بالمقابل، وهكذا قدّمت اسمها. أجاب الأستاذ: 'هل يبدو ذلك تقديماً كافياً'؟ (يا للغرابة!) ومع تقدّم المقابلة، قال: 'أريد التنازل عن هذا الشرط'. (أي شرط، ولماذا؟) يفصّل 'غومبيرز' فترات التوقف، وتدرّجات الصوت في الصعود والهبوط، البدايات الخاطئة والمقاطعات، ليصل إلى تفسير سبب المشكلة في التواصل.

تبقى مشكلة الأستاذ غير واضحة حتى في شرح 'غومبيرز'. إذ يحاول السيد (آ) أن يعرّف بنفسه في سياق سردي مدّته نصف ساعة، وقد قاطعته السيّدة (ب) مراراً بمحاولة منها لإعادته إلى موضوع المقابلة والهدف منها كما تراه هي - أي لتحديد أي نوع من التدريب الذي يحتاجه. فقد فاض الحديث بينهما بسوء فهم

للواقع، وسوء قراءة القصد. فشل المتحدّثان بالكامل في إيجاد أساس للتواصل، أو في التوافق على ماهية الموضوع. ومع أن لغة الطرفين هي اللغة الإنكليزية الرسميّة، فقد أثّر اختلافهما الثقافي الاجتماعي في إنتاج الكلام وتفسيره على مختلف المستويات، مما أدى إلى سوء فهم شامل ومستمرّ.

وصل التحوّل إلى النقدية البنيوية، التي غيّرت جذرياً أبحاث التعددية اللغوية، إلى علم اللسانيات الاجتماعية التفاعلية العرقية بشكل طبيعي جداً، وهناك الكثير من القواسم المشتركة بين النهجين في العمودين الثالث والرابع من الجدول (1.1). كما يختصّ القسم الثاني من هذا الكتاب، أي في الفصلين الخامس والسادس، بالمناهج العرقية التفاعلية.

لسانيات اجتماعية مختلفة

هذا هو "المثال النموذجي – paradigm" المُهيمن في الولايات المتحدة الأمريكية التي تميل أكاديميتها إلى تحديد الاتجاه لباقي دول الغرب، لكنه مُعتمد أيضاً بشكل كبير جداً في أماكن أخرى من العالم. ينصبّ تركيزها على قضايا لغوية، وعلى مؤسسها 'وليام لابوف' الذي عارض في الأساس مبدأ 'اللسانيات الاجتماعية' وهذا الوشم الذي أصبح ملتصقاً بها، لأنه آمن بأن من المفترض أن ننظر إلى هذا المنهج بوصفه أفضل طريقة فقط لعمل اللسانيات. لقد ركّزت الاختلافات اللغوية على بحث الطريقة التي تتفاوت فيها سمات لغوية معيّنة مع عوامل اجتماعية كالعمر أو الجندر.

تعمل الاختلافات على المستوى الأصغر لغوياً على الرغم من أن بعدها الاجتماعي مشتقّ من علم الاجتماع التقليدي. وكانت معظم التحليلات من علم الأصوات في اللغة، تبحث في المكان الذي يستخدم فيه متحدثون مختلفون طرقَ لفظٍ أو أحرفاً متحرّكة أو ساكنة. لقد

هيمن ’لابوف‘ على هذا المجال، وركّز على تغيّر اللغة أكثر من الاختلافات اللسانية الاجتماعية بحد ذاتها. كما جمع عمله الرئيس كلّه في ثلاثة مجلّدات حملت عنوان ’مبادئ التغير اللغوي‘، وصدرت على مدى عشرين عاماً. وفي الفترة الأخيرة، ازداد تأثير هذه المناهج النقدية البنيوية هنا أيضاً مع تعمّق أبحاث الاختلافات وتنوّعها.

المثال 1.4: اللسانيات الاجتماعية المختلفة: الحالة المنحرفة لـ ’ناثان بي‘

’ناثان بي‘ رجل في منتصف العمر من أعلى مستوى في الطبقة المتوسطة. وكان ’لابوف‘ يتابع قصّته في دراسته عن اللغة الإنكليزية الخاصة بنيويورك. يحمل ’ناثان بي‘ شهادة دكتوراه في العلوم السياسية، ولديه عدّة مؤلّفات.

لكنه يلفظ حرف (الحاء) بدل (الهاء) في الكلمات التي تبدأ بالهاء، كما أنه يلفظها بطريقة متقطّعة وليس بشكل مستمرّ سلس: فيقول (حاذه) بدلاً من (هذه) و(حاؤلاء) بدلاً من (هؤلاء). وكانت طريقة لفظه متوافقة مع طريقة أولئك المنتمين إلى طبقة اجتماعية أدنى، وليس مع أبناء طبقته (لابوف 2006: 158).

ترأس مرّة فريق المناقشات في الجامعة، لكن طالباً آخر ألقى الخطاب الذي كتبه. كما تلقّى نصيحة بالخضوع لدروس علاجية في الخطابة ليتمكّن من الحصول على منصب أكاديمي، لكنه رفض؛ إذ لم يكن لديه وظيفة، وكان يعمل على حسابه الخاص. حتى عندما يبذل قصارى جهده ليقدّم خطاباً سلساً متواصلاً بصوت عالٍ، لم يكن يستطيع ذلك.

كانت صعوبة النطق لدى ’ناثان بي‘ لها نظيرها في الفهم والإدراك. فحول سؤال عن دور "القَدَر – Fate" في حياة الناس أجاب: "أنا فخور جداً بإرثي اليهودي، وعندما أتذكّر كلمة "القَدَر – Fate"، فهي

تعني بالنسبة إلى 'اليهودية'. فهم 'لابوف' الأمر أخيراً عندما قام 'ناثان بي' بتهجئة كلمة "إيمان – Faith". بدلاً من كلمة "القَدَر – Fate"، ثم عادت المقابلة إلى مسارها.

كانت دراسة 'لابوف' التأسيسية بعنوان *"التراتبية الاجتماعية المرتبطة باللغة الإنكليزية في نيويورك سيتي"* – انظر المثال (**1.4**). تابع 'لابوف' هذا العمل مع مشروع حول لغة عصابات المراهقين، وجمع ثمار المشروعين كليهما في كتابين صدرا عام (**1972**)، *"أنماط اللسانيات الاجتماعية"* و*"اللغة في عمق المدينة"*. كما أسّس مع زملائه مجلّة *"تنوّع اللغة وتغيّرها"*. وقد كان للتنوّع مؤتمر خاص به بعنوان "مؤتمر سكان أمريكا الشماليين الأصليين" (NWAV)، ودام انعقاده السنوي على مدى أربعين عاماً. يعالج الفصلان السابع والتاسع من هذا الكتاب تنوّع اللغة وتغيّراتها.

1.4 مجالات متجاورة ومتداخلة

هناك الكثير بالنسبة إلى الفروع الرئيسة لمجال اللسانيات الاجتماعية؛ إذ تمثّل الأشكال البيضوية الصغيرة في الشكل (**1.1**) مجموعة منوّعة تتداخل بنسبة صغيرة أو كبيرة مع اللسانيات الاجتماعية. ويندرج جزء من كل حقل مجاور ضمن مجال اللسانيات الاجتماعية، بينما يندرج الباقي في أمكنة أخرى. لقد وضعت هذا المخطط بشكل مقتضب، منتقلاً عكس عقارب الساعة حول الشكل البيضوي الكبير، مشيراً بشكل خاص إلى المجالات التي كنتُ قادراً على تغطيتها في هذا الكتاب، والمجالات التي قررت حذفها.

انبثقت *"سياسة اللغة وتخطيطها"* من علم الاجتماعيات اللغوية، مع اهتمام بتصنيف اللغات داخل البلاد وخارجها، ومع عمل مطبّق في سياسات خاصة بتعليم اللغة ووضع معاييرها. فأنا لن أعالج السياسة والتخطيط هنا بهذه الطريقة، لكن ستظهر الجوانب

المرتبطة بها في الفصل الثالث المتعلّق بالحفاظ على اللغة، وفي الفصل العاشر المتعلّق بإيديولوجيات اللغة.

اللسانيات المطبّقة هي مجال هائل بحد ذاته، وفيها الكثير من التداخل مع اللسانيات الاجتماعية. كما اهتمّت اللسانيات المطبّقة التقليدية بتعليم اللغة وتعلّمها، لكن 'تطبيق اللسانيات' يمكن أن يغطي أشياء كثيرة لها نبرة اجتماعية قوية كاللغة والقانون. وأنا أعتبر إمكانية تطبيق المعرفة الاجتماعية أمراً هاماً جداً، ولا سيما في تأثيره في المساواة. وهكذا، فمع أنني لن أحاول الخوض في مواضيع خاصة، إلا أنني أعود إلى مبادئ تطبيقات اللسانيات الاجتماعية بشكل مقتضب في نتائج الفصل الثاني عشر.

ركّز *التواصل اللغوي* أساساً على دراسة اللغة الإنكليزية "المبسّطة والكريول"[1]، وهي اللغات التي نتجت عن التواصل. وتأخذ الكثير من الأبحاث السياق الاجتماعي لهذه اللغات بعين الاعتبار: إذ يتضمن تاريخها ظلماً اجتماعياً متطرّفاً بحيث لا تزال مواقفهم الحالية تعكسها. كما يعرض الفصل الثالث التواصل اللغوي، ويعرض الرابع لغات مولودة حديثاً، وموت لغات.

يحدث *تحويل الرمز* عندما يمزج متحدثو لغات متعددة لغاتهم في أثناء الحديث؛ إذ تتضمن بعض أبحاث تحويل الرمز وصفاً لغوياً رسمياً بحثاً للطرق التي تتداخل فيها لغتان بنيوياً. وعلى أية حال، معظم المناهج تأخذ الشكل والسياق الاجتماعي بعين الاعتبار (الفصل الخامس).

يُعتبر *علمُ اللهجاتِ* السلفَ المباشر للسانيات الاجتماعية. فقد كان تركيزه التقليدي منذ القرن التاسع عشر على اللهجات الريفية،

---

[1] "pidgin and creole": 'pidgin' هي لغة مبسّطة، اما 'creole' فهي لغة متطوّرة. تتطوّر لغة مبسّطة، لغة 'pidgin'، بين الناطقين الأصليين بلغات مختلفة. وبالمقابل، تُعتبر 'Creole' لغة وظيفية كاملة تتضمن عناصر من لغاتها الأم. ولديها قواعد وقوة تعبير كاملة خاصة بها. المترجم.

لكن 'لابوف' نقله إلى المناطق المتحضرة، وأحدث ثورة بالوسائل المُستخدمة. وقد أُعيد تشكيل علم اللهجات، وأُعيد إحياؤه بسبب اندماجه باللسانيات الاجتماعية (الفصل التاسع).

تدرس *اللسانيات التاريخية* الطريقة التي تغيّرت فيها اللغات في الماضي، وغالباً ما يكون ذلك مع بعض الاهتمام بالمجتمع الذي حدثت فيه التغيّرات. فقد اخترع 'لابوف' وسائل للتحقيق في تغيّر اللغات وتفسيرها في الوقت الحاضر وفي سياقها الاجتماعي (الفصل الثامن).

تتفاعل *اللغة والجندر* في كل مكان في المجتمع. ومع صعود نسويّة القرن العشرين، أصبح تمييز الجندر عبر اللغة هدفاً لكل من عمليتي البحث والنشاط. وقد ركّزت بعض أكثر الأعمال المُبتكرة في اللسانيات الاجتماعية على قضايا (الجندر/ لغة)، وجعلها محورية لمعظم التنظيرات اللغوية الاجتماعية. (انظر الفصل السادس، السابع، الثامن، العاشر والحادي عشر).

تتفحّص *"التداولية"*[1] استخدام اللغة في سياقها التفاعلي المباشر. ويمكن أن تتضمّن أوصافاً شكلية وحسب، لكن غالباً ما يكون هناك بعد اجتماعي ضروري؛ إذ تتداخل الأبحاث التداولية كثيراً مع تقارير اللسانيات الاجتماعية المرتبطة بالاختلافات النحوية والخطابية (الفصل السادس).

تتداخل *الأنثروبولوجيا اللغوية* بشكل كبير أيضاً مع اللسانيات الاجتماعية، متضمنة أساليب خاصة وليس مواضيع مختلفة. فقد كانت اللسانيات الاجتماعية المبكرة تتلقّى رعاية جزئية تحت جناح الأنثروبولوجيا في كلٍ من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. وكانت

---

[1] "Pragmatics": فرع من فروع اللسانيات يتعامل مع اللغة المستخدمة، والسياق الذي تم استخدام اللغة فيه، بما في ذلك تناوب المحادثة وتنظيم النص والافتراض المُسبق وتضمين المحتوى. المترجم.

المناهج الأنثروبولوجية تؤثر دوماً في نظرية اللسانيات الاجتماعية ووسائلها بدءاً بـ 'هايمز' و'غومبيرز'، ولا تزال مستمرّة إلى يومنا هذا من خلال التحوّل النقدي البنيوي. تلامس معظم فصول هذا الكتاب القضايا الأنثروبولوجية اللغوية، لكن انظر بشكل خاص إلى الفصول الخامس والسادس والعاشر.

يهتم *تحليل المحادثة (CA)* بالتحرّي التفصيلي عن التفاعل اللفظي، والقواعد التي تجري المحادثة بناءً عليها، والطريقة التي يفهم من خلالها المشاركون ما يجري بينهم. وهو يهمّش الدوافع والعوامل الاجتماعية، ويعمل كتوصيف شكلي لاستخدام اللغة. وعلى الرغم من انفتاحه المتزايد على الدور الاجتماعي في المحادثة، إلا أننا لن نقوم بتغطية تحليل المحادثة في هذا الكتاب.

يرتبط مجال *تحليل الحوار* ارتباطاً وثيقاً باللسانيات الاجتماعية من خلال اهتمامه بالمغزى السياسي والاجتماعي للغة. وبالنسبة إلى تحليل الحوار النقدي، فهو يظهر بشكل خاص في تأثير اللغة في عدم المساواة الاجتماعية؛ إذ يستفيد العديد من علماء اللسانيات الاجتماعية من بيانات الحوار في أبحاث الإيديولوجيا اللغوية مثلاً، وهناك تأثيرات لسانية اجتماعية كثيرة في أنماط الحوار. ومع أن الحوارات تظهر بشكل خاص في الفصول السادس والثامن والحادي عشر، يُعتبر تحليل الحوار مجالاً متداخلاً جداً يؤسفني ألا أجد المساحة الكافية، ولا الوقت الكافي له في هذا الكتاب.

تدرس *السيكولوجيا الاجتماعية للغة* موقف اللغة ودورها في سلوك مجموعة معيّنة وعلاقاتها، واللغة والعرق. وتتداخل اهتماماتها بشكل لافت مع اللسانيات الاجتماعية التي تجلب إليها طريقة انضباطية ومنهجية مختلفة يمكن أن تمنح شعوراً بالغربة أو التحفيز. ويظهر ذلك في الفصول الثاني والثالث والعاشر.

1.5 المرشد إلى هذا الكتاب

مسار الكتاب

يتضمن هذا الكتاب مبدأين توأمين عن الغزارة اللغوية والارتباط الاجتماعي. وبناءً عليه، يهدف الكتاب إلى جعلك متناغماً مع الحياة اللسانية الاجتماعية التي تهمّك بالنقاط الآتية:

- يعطيك فكرة عن شكل اللسانيات الاجتماعية، محتوياتها ومبادئها ومصطلحاتها.
- يعطيك فكرة عن فهم الأبحاث اللسانية الاجتماعية، أي عن أهدافها، ووسائلها ونتائجها.
- يقدم لك أساليب ومهارات تساعدك على القيام بالأبحاث اللسانية الاجتماعية، ويعرض لك خبرة تجريبية عن كيفية القيام بذلك.
- يقدم لك فرصة للتفكير في موقفك اللساني الاجتماعي الخاص – غزارة اللغات والأصوات التي تشكّل جزءاً من حياتك.
- يعطيك فرصة للانخراط في الطريقة التي تؤثر بها اللغة في المجتمع وتشكّله، وبشكل خاص في المكان الذي يؤدي فيه هذا الأمر إلى عدم المساواة.

ينطلق هذا الكتاب من "الماكرو إلى الميكرو"، أي من النطاق الواسع إلى الضيق – وهو النظام الذي تابعت فيه فروع اللسانيات الاجتماعية في هذا الفصل. هذا يمكنني من تخفيف السرد في الأماكن التي تحتاج فيها اللسانيات الاجتماعية إلى مصطلحات لغوية ومهارات قبل البدء بها. كما تندرج الفصول المحورية للكتاب، أي من الفصل الثاني وحتى الحادي عشر، بشكل فعلي ضمن أربعة أجزاء يتضمّن كلٌّ منها فصلين أو ثلاثة. وتتعامل الأجزاء الثلاثة الأولى مع المحاور التاريخية للسانيات الاجتماعية كما يظهر في العمود الثاني

والرابع والخامس من الجدول (1.1). لقد بدأت باللغات وتصنيفها في المجتمع ككل، وهكذا ستغطي الفصول الثاني والثالث والرابع التعددية اللغوية والقضايا المتعلّقة بها إلى حد كبير. وينتقل الجزء الثاني من الكتاب نحو خيارات أصغر يتخذها المتحدثون أثناء استخدام اللغة في حياتهم اليومية، وذلك في الفصلين الخامس والسادس اللذين يغطيان الجانب العرقي التفاعلي. ومع مزيد من التركيز اللغوي، تغطي الفصول السابع والثامن والتاسع التنوّع اللغوي والتغيّر والتواصل بين اللهجات. ثم ينتهي الكتاب أخيراً بفصلين يجمعان العديد من مواضيعه واهتماماته الأساسية: إيديولوجيا اللغة (الفصل العاشر) والنمط والهوية (الفصل الحادي عشر). كما يظهر الاتجاه النقدي البنيوي كاتجاه أساسٍ في جميع الفصول بدءاً من الخامس وحتى الأخير.

يوجد في كل فصل من خمسة عشر إلى عشرين تمريناً ومثالاً وجدولاً وشكلاً (يوجد في المقدّمة ملاحظات عن هذا الأمر للمدرّسين). كما ينتهي كل فصل محوري بتسلسل نظامي للأقسام الأربعة الآتية:

- دراسة حالة: يتم تناول قضية خاصة بشخص معيّن أو دراسة خاصة، بشيء من التفصيل والعمق. إنها مجموعة أعمال حديثة لدراسات كلاسيكية تعود إلى السنوات الخمسين الماضية، وتتدرّج من القضايا النظرية إلى العلمية، ومن البرازيل إلى 'فاناتو'[1] ومن 'مارلين ديتريش' إلى 'ميخائيل ميخائيلوفيتش باختين'.
- نشاطات البحث: مجموعة من المهمات والأساليب والقضايا التي تكمل العرض في الكتاب كله. إنها تتعامل مع مجالات معينة كعمليات الاستطلاعات ثنائية اللغة، والمشهد اللغوي، ولغة

[1] دولة جنوب غرب المحيط الهادئ تتكون من مجموعة من الجزر. المترجم.

الأنترنت أو الإثنوغرافيا الوصفية[1]. ويوجد بشكل خاص ثلاثة نشاطات لتعلّم إجراء مشروع في اللسانيات الاجتماعية في تسع خطوات، وعلى أي مقياس. ويتم تفسير ذلك في النشاطات في الفصول الثالث والسابع والعاشر.

- **ملخّص**: قائمة بالنقاط الهامة التي توجز أقسام الفصل.
- **قراءات متقدمة**: إشارة إلى المقالات والكتب والدراسات والمجلات التي تطرح المزيد من التفاصيل حول القضايا الواردة في الفصل.

قراءات عامة

في حين توصي القراءات الإضافية في نهاية كل فصل بمراجع خاصة بموضوعات هذا الفصل، هناك منشورات عامة تشمل مساحة واسعة من اللسانيات الاجتماعية. هناك قراء، هناك كتب، وهناك مجموعات مجلدات كثيرة ومجلات (وبالطبع هناك كتب دراسية تمهيدية أخرى...). وقد وجدت أن بعضها يساعد كثيراً في بحثي الخاص بهذا الكتاب. وأورد فيما يلي ما أوصي به:

- **الكتب**: كتاب 'كامبريدج للسانيات الاجتماعية' (راجيند ماثري، **2011**)، كتاب 'الحكيم للسانيات الاجتماعية' (ووداك، جونستون، وكيرسويل، **2011**) وكتاب 'أكسفورد للسانيات الاجتماعية' (بايلي، كاميرون ولوكاس، **2013**)، جميعها تحوي مقالات معدّة حديثاً، إضافة إلى محتويات رائعة أخرى. إنها منشورات أساسية فيها نقاط قوّة مختلفة جديرة بالملاحظة. وهناك كتب أخرى بمجالات خاصة (مثل 'سياسة اللغة، سبولسكي، **2012**) أو بمجالات متداخلة (مثل الأنثروبولوجيا اللغوية، ديورانت، **2004**).

---

[1] علم يهتم بالوصف العلمي لعادات الشعوب والثقافات الفردية. المترجم.

- **مقالات**: هناك اثنان – مجموعة من المقالات الموجودة – هما (كوبلاند وجاورسكي، 2009) و(مايرهوف وشليف، 2010).
- **المجموعات**: نشرت دار 'روتليدج' سلسلة رائعة من المجموعات تتضمن كلّ منها أربعة إلى ستة مجلدات، وتجمع ما يقارب مئة مساهمة أساسية – تاريخية ومعاصرة – إلى جزء من هذا المجال. وبالنسبة إلى هذا الكتاب التعليمي، وجدت أنه عبارة عن مورد هام في مجالات لسانيات اجتماعية لم أكن أعرفها كما ينبغي. إنها بالإضافة إلى ذلك مكان مثالي للعثور على مقالات يصعب تحديدها – بما في ذلك مواقع كثيرة في مراجع هذا الكتاب – حول لسانيات اجتماعية (قام بتحريرها 'كوبلاند وجاورسكي'، 2009)، *لسانيات أنثروبولوجية* ('شيفيلين وغاريت، 2011)، *اللغة والجندر* (إيرليش، 2008)، *ثنائية اللغة وتعدديتها* ('لي وي'، 2010)، *لغات التواصل* ('هولم وميشيل'، 2009)، *وإنكليزيات العالم* ('بولتن وكاشرو'، 2006).
- **المجلات**: مجلّة *اللغة في المجتمع*' ومجلّة '*مجلّة اللسانيات الاجتماعية*' هما المجلّتان العامتان في هذا المجال، الأولى لها تاريخ في النشر يعود إلى أربعين سنة مضت. ومجلّة '*المجلة العالمية للاجتماعيّات اللغوية*' تنشر بشكل رئيس مواضيع عن اللغات والمناطق. مجلات '*اللغة*'، '*اللغة والتواصل*'، '*مجلّة الأنثروبولوجيا اللغوية*'، '*الخطاب الأمريكي*' تنشر جميعها على نطاق واسع من خلال علم اللسانيات الاجتماعية. وللمتخصصين أكثر – بحسب عناوينها - هي '*اختلاف اللغة وتغيّرها*'، '*الإنكليزية في جميع أنحاء العالم*'، '*مجلة اللغات المتداولة*'، '*مجلة التعددية اللغوية والثقافية*'، '*مجلّة اللغة والسيكولوجيا الاجتماعية*'.

تطبيق اللسانيات الاجتماعية

أعتقد أن أفضل طريقة لتعلّم اللسانيات الاجتماعية – حتى على المستوى التمهيدي – هي ممارستها. وهكذا فقد تحدثت في هذا الكتاب حول الطريقة التي قام بها علماء اللسانيات الاجتماعية بعملهم، بالإضافة إلى ما وجدوه. وأنا أتوقع منك أيها الطالب – بغضّ النظر عما إذا كنت في سنتك الأولى أو في سنة التخرّج – أن تقوم بالبحث. ستختلف طبيعة البحث ومستواه بشكل كبير، متدرّجاً من مشروع محدود جماعي يتم العمل فيه ضمن قاعة الدرس، إلى مشاريع فردية تدوم عدة أشهر، تعمل بنفسك على تصميمها وتنفيذها تحت الإشراف. وأتوقّع أيضاً أنك ستجد هذا الاحتمال شاقّاً - لكن من خلال تجربتي أرى تقريباً أن كل طالب ينخرط في هذا التحدي، ويتخذ بحثاً معيناً في هذا المجال، سيتمكّن أخيراً من إنجازه. ستساعدك نشاطات البحث في الفصل (3.6) على فهم كيفية البدء بالمشروع.

التمرين 1.2: لغز الكتاب

تزخر اللسانيات الاجتماعية بالأشياء الغريبة عن طبيعة البشر ومساعيهم. وسوف تجد الإجابات عن الأسئلة الآتية (وربما أكثر...) في هذا الكتاب. في الصفّ الدراسي الذي أقوم بتعليمه، أول طالب يعود إليّ بالإجابات كلها – ورقم الصفحة التي وجد فيها الإجابة – يحصل على هدية هي قطعة شوكولا من نوع "السمكة".

1. أية لغة عالمية تمت تسميتها بعد ظهور مادة 'aphrodisiac' وهي المادة المثيرة للشهوة الجنسية؟
2. لماذا يبحث عالِم اللسانيات الاجتماعية عن الطابق الرابع؟
3. من قال هذه العبارة، ومن كان يقصد؟ "إذا لم يكن لديها سوى صوتها، فهي تستطيع أن تكسر قلبك به".

4. أية لغة تصنّف المرأة بأنها 'نار وأشياء خطيرة' معاً؟

5. اعتقد الأمريكيون من ولايات أخرى أن رجلاً من ميشيغان قال: "يُمسك جسد الحسناء بالقمامة المناسبة وحسب". لكن ما الذي قاله ذلك الرجل الميشيغاني فعلاً؟

6. من هو منظّر اللسانيات الاجتماعية الذي أحرق آخر نسخة باقية من مخطوطات أحد كتبه، ولماذا؟

7. أين ستجد متجراً اسمه "لا توجد جوارب"، "لا توجد سراويل"؟

8. من قال ذلك، أين ولماذا؟ "مدّ عالٍ من جهة الصوت، الليلة الماضية احترق الماء، وهذه الليلة يشعّ القمر. ليس هناك أسماك. ما هي المشكلة برأيك، يا عمّي 'وودز'؟

9. من هو 'جيمس موراي' وكم لغة كان يعرف؟

10. أثنى أحدهم على شخص آخر قائلاً: أعجبني هذا القميص عليك. فأجاب الآخر: شكراً، يعجبني وجهك. لماذا؟

11. من هي التي تضع الكحل الداكن، والجينز الضيّق، وحذاء..... ضيقاً – أحرف صوتية متحرّكة متشنّجة.

12. من أمضى السنوات الخمس الأخيرة من القرن التاسع عشر وهو يدور حول فرنسا لإجراء مقابلات مع سبعمئة شخص، ولماذا؟

13. ولماذا قطعة شوكولا سمكة؟!

في الفصل الآتي يبدأ نقاشنا حول التعددية اللغوية. لكن قبل أن نبدأ بذلك، اختبر نفسك في 'لغز الكتاب – Guidebook Quiz' حول حقائق غريبة في اللسانيات الاجتماعية (التمرين **1.2**). وبينما تمضي قدماً في هذا الكتاب، عد إلى الإجابة عن الأسئلة حتى تكمله تماماً.

الفصل الثاني

غزارة اللغات

يعالج الفصل الثاني والثالث والرابع من هذا الكتاب موضوع التعددية اللغوية، وبشكل أساسي، من منظور اجتماعي واسع النطاق. كما نركّز في هذه الفصول الثلاثة على الطريقة التي تعمل فيها اللغات وتتوزّع بين المجتمعات، وكيف يتم إجراء الأبحاث عليها. وننظر إلى التواصل بين اللغات، وكيف يؤدي ذلك إلى تحوّل اللغة وضياعها، وإلى الجهود للحفاظ على عدم تدمير اللغة (الفصل الثالث). ونبحث موضوع اللغات وولادتها، وكلاهما يمكن أن يحدثا نتيجة للتواصل بين اللغات (الفصل الرابع).

2.1 أن تكون متعدد اللغات

نورد هنا حالة جديرة بالاهتمام عن التعددية اللغوية، إذا كنت اختصاصياً:

علي أن أذكر أن "علم اللغة" المقارن والخاص، كان مسعاي المفضل طوال حياتي كلها، وأنني اكتسبت معرفة عامة باللغة الآرية والعربية السورية وآدابها – بالتأكيد، ليس لدرجة القول إنني أعرفها كلها، أو الكثير منها، لكنني أمتلك تلك المعرفة المعجمية والبنيوية التي تجعل المعرفة الكاملة بها مسألة قليل من الممارسة وحسب.

ولدي أيضاً معرفة أكثر بعدة لغات مثل اللغات الرومانسية، الإيطالية والفرنسية والكتلانية والإسبانية واللاتينية، ومعرفة بدرجة أقل باللغات البرتغالية، و"الفاودوس"[1]، و"البروفانس"[2]، ولهجات منوعة. وفي الفرع 'التيوتوني – الجرماني' لديّ معلومات لا بأس بها بالهولندية 'الفلاميش'[3] (لدي في مكان عملي مراسلات يجب قراءتها باللغة الهولندية والألمانية والفرنسية، وبلغات أخرى أحياناً)، والألمانية والدانماركية. في اللغة الأنغلوساكسونية و'القوطية'، كانت دراساتي أقرب بكثير، وقد أعددت بعض الأعمال للنشر على هذه اللغات. كما أعرف القليل عن لغة 'السلتك'[4]، وأنا منغمس الآن باللغة 'السلافية'، بعد أن حصلت على معرفة كافية باللغة الروسية. وباللغة الفارسية، الأخمينية المسمارية، وفروع اللغة السنسكريتية، وأعرف ما يكفي لأهداف 'علم اللغة' المقارن. ولدي معرفة كافية باللغة العبرية والسريانية لأقرأ العهد القديم و'البشيتو'[5]؛ ومعرفة أقل باللغة العربية الآرامية، والقبطية والفينيقية إلى النقطة التي تركها 'جيسنيوس'[6].

---

[1] نسبة إلى طائفة مسيحية تأسست جنوب فرنسا حوالي العام (1170) على يد 'بيتر فالديس'، واعتمدت العقيدة الكالفينية خلال الإصلاح، وهي موجودة الآن بشكل أساس في إيطاليا وأمريكا. المترجم.

[2] مقاطعة سابقة جنوب شرق فرنسا، على ساحل البحر الأبيض المتوسط شرق نهر الرون. وهي الآن جزء من منطقة بروفانس إلب كوت دازور. المترجم.

[3] اللغة الهولندية بالطريقة التي يتحدثون بها في مقاطعة "فلاندرز" وهي إحدى اللغات الرسمية في بلجيكا. المترجم.

[4] هي فرع من العائلة الهندية الأوروبية، وتشمل الإيرلندية والإسكتلندية والويلزية والبريطانية والمانوية وبعض اللغات المنقرضة. المترجم.

[5] Peshito: أو 'البشيطتا': هي أقدم ترجمة للتناخ والأناجيل إلى اللغة السريانية، وهي النسخة الرسمية المستخدمة لدى مختلف الكنائس السريانية حتى اليوم. ويعود أصل التسمية إلى كون الترجمة مكتوبة بلغة بسيطة سهلة الفهم على العكس من غيرها من التراجم اليونانية. المترجم.

[6] هنري فريدريك جيسنيوس (1786 – 1842)، هو مستشرق ألماني، لوثري، وناقد للكتاب المقدس. وقد اشتهر بإعادة ترجمة اسم الله العبري وتشكيله بأربعة أحرف هي 'YHWH' أو 'JHVH'، أو الإله 'يهوه'. المترجم.

جاء هذا النص من مسودة رسالة للحصول على منصب في مكتبة المتحف البريطاني، كتبها ’جيمس موراي‘، وهي مؤرّخة في العشرين من "تشرين الثاني – نوفمبر" عام (**1866**). وقد أصبح لاحقاً مؤلّف "قاموس إكسفورد الإنكليزي" ومحرره. ولكنَّ طلب الوظيفة هذا كان غير ناجح.

- **كم عدد اللغات التي ادعى ’موراي‘ معرفتها؟**

معظم العالم ثنائي اللغة – يعرف أكثر من لغة واحدة - أو متعدد اللغات، يعرف أكثر من لغتين. ومع ذلك غالباً ما تُعتبر أحادية اللغة هي الأمر الطبيعي بطريقة ما، والتعددية اللغوية هي الانحراف. إن لوجهة النظر هذه جذورها في تطوّر الدولة القومية الأوربية الغربية التي طرحت ’أمّة واحدة – لغة واحدة‘ كنموذج مثالي سياسي. فقد تم تهميش اللغات الأخرى الموجودة ضمن حدود الدولة القومية الرائدة وتقليصها عبر سياسات وممارسات تتراوح بين الإهمال السلبي والإقصاء النشط.

لقد كانت أحادية اللغة جزئية دوماً بالنسبة إلى الدول الغربية المبكّرة، وهي بنية تجاهلت حقائق لم تكن مناسبة؛ إذ كانت اللغات الهامشية السلتية، كالولزية في بريطانيا، والبريتون في فرنسا، عنيدة في إصرارها. ولم تكن اللغة الألمانية ولا الإيطالية لغات موحّدة، وهي ليست كذلك الآن. وتشمل اللغتان كلتاهما لهجات مختلفة لغوياً لدرجة تستحقّ أن تُصنّف كلغات منفصلة. فربما يفهم الناطقون باللهجات الألمانية على الحدود الشمالية مع هولندا اللغة الهولندية بسهولة أكثر مما يفهمون اللهجات الألمانية النمساوية من جهة الجنوب الشرقي. وفي الوقت نفسه، سخرت الإمبراطوريات الأوروبية الشرقية، بتعدديتها اللغوية الهائلة، بشكل واضح من أسطورة الدولة أحادية اللغة.

في النصف الثاني من القرن العشرين، واجهت 'أحادية اللغات'، التي تم الوصول إليها مؤخراً في أوروبا، تحدياً آخر بسبب الهجرة التي تلت الحرب، والتي أدخلت عبر خمسين عاماً أقليّات كثيرة لم تشارك الأكثرية لغتها في البلد الجديد. فقد استقرّ الناطقون بلغة الأوردو والجامايكية (الكريول)[1] في المملكة المتحدة، واستقرّ الناطقون بالتركية والسلوفينية في ألمانيا، والناطقون بالعربية و(كريول) متنوّعة في فرنسا. هذه الهجرات هي إحدى جوانب اللسانيات الاجتماعية لمرحلة ما بعد الاستعمار، حيث تغذي عمليات العولمة التي جلبت أعداداً متزايدة من الناطقين بالإسبانية إلى الولايات المتحدة. أما الجانب الآخر فكان استقلال المستعمرات السابقة الذي خلق حاجة محسوسة لدى بلدان جديدة ليكون لديها لغة قومية. إن إرث هذه التحرّكات والحركات السياسية هو أنه، في عالم الدول القومية، تكون التعددية اللغوية منتشرة مع أنها قد تتعامل مع أحادية اللغة بوصفها الهدف. وفي حوار من هذا النوع، قد يتم تأطير الانتقال نحو أحادية اللغة كعملية تشبه عملية التطوّر، كجزء من تطور اجتماعي اقتصادي أوسع للدول الناشئة في فترة ما بعد الاستعمار. لكن علماء مثل 'هيلير' (2007)، و'أوير' و'لي وي' (2007) يجادلون بأن هناك انحيازاً أيديولوجياً نحو أحادية اللغة في كثير من الممارسات والأفكار المتعلقة باللغة.

---

[1] لغة الكريول، أو ببساطة 'الكريول' هي لغة طبيعية مستقرّة تم تطويرها من خليط من اللغات المختلفة في لحظة زمنية معينة. في الكثير من الأحيان، يتم تحويل لغة مبسّطة إلى لغة أصلية كاملة. وفي حين أن المفهوم مشابه لمفهوم اللغة الهجينة أو المختلطة، بالمعنى الدقيق للمصطلح، فقد استمدّت اللغة الهجينة مفرداتها من لغتين أو أكثر، إلى درجة أنها لم تعد مرتبطة بشكل وثيق بلغات المصدر. إن لغة الكريول أكثر تعقيداً، وهي تستخدم للأغراض اليومية في المجتمع، ويتعلّمها الأطفال كلغة أصلية. وهكذا فإن لدى لغات (الكريول) مفردات متطوّرةً ونظامَ نحو وقواعد. المترجم.

أفضّل في هذا الفصل أن نفتح نهايات مصطلح 'أحادية اللغة، ليغطي استخدام أكثر من 'لغة واحدة'، لكن معظم الأبحاث كانت على لغتين فقط في واقع الأمر، هكذا فإن الكلام بشكل صارم هو حول ثنائية اللغة. إن الكثير مما نعرفه عن ثنائية اللغة يمكن مضاعفته لكي يتم تطبيقه على تعددية اللغة. وغالباً ما يتم الاستشهاد بسويسرا كدولة متعددة نموذجية قديمة العهد في تعدد اللغات، وهي كذلك بطرق كثيرة، مع وجود أربع لغات رسمية (الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، والرومانش[1]). لكنها عملياً أكثر من مزيج من اللغات الأحادية. ففي أي منطقة معينة من الريف، يتم تحقيق معظم التفاعلات عبر لغة واحدة فقط. ومن بين ست وعشرين مقاطعة في سويسرا، هناك اثنتان وعشرون مقاطعة لديها لغة واحدة رسمية، والكثير من الأفراد هم أحاديو اللغة عملياً.

التمرين 2.1: الإنكليزية فقط

في عام (2004) أرسل مدير شركة في 'أوكلاند' في نيوزيلندا، المذكّرة الآتية إلى عماله:

لفت انتباهي أن الموظفين يتواصلون أحدهم مع الآخر بلغة أخرى غير الإنكليزية. واللغة الوحيدة التي يمكن التحدّث بها في هذه المؤسسة هي اللغة 'الإنكليزية'. ولا يُسمح التحدّث بأي لغة أخرى في هذه المؤسسة، هذا تحذير رسمي. ولن أتردد في فصل أي شخص يستمرّ بهذا التصرّف.

كونوا حذرين.

قال 'موريس كليست' إن التحذير جاء "لمبررات تتعلق بالأمان' (نيوزيلندا، 'هيرالد'، 29 'حزيران – يونيو 2004). كما اعترض بعض

---

[1] هي لغة رومانسية محكية في الغالب في مقاطعة 'جريسنس' (جنوب غراووبوندن) في جنوب سويسرا. المترجم.

العمال على عمال آخرين (هنود) لاستخدامهم لغتهم الخاصة في غرفة الطعام. فقال السيد 'كليست' لـ 'هيرالد':

غرفة الطعام مكان لاسترخاء جميع العمال في فترة الاستراحة، وعندما يتحدث فيها بعضهم بلغة أجنبية، وخاصة اللغة التي يستخدمها الهنود، يسود مناخ مرهق وليس المناخ الذي يساعد على الاسترخاء.

'إنهم لا يريدون حدوث ثرثرة وكلام فارغ. ولغة الهنود أشبه برشاش آلي. وكلام بطريقة متقطّعة'.

- ناقش في الصف الدراسي من يقف إلى جانب مذكّرة السيد 'كليست' ومن يقف ضدها، وكل طرف يضع الحجج المناسبة إذا كانت معه أو ضدّه.
- ثم فكّر بالأسئلة الآتية:

1- ما هي وجهات النظر المتعلّقة باللغة، أحادية اللغة أو تعددية اللغة، هي متضمّنة في التقرير؟ وما هي وجهات النظر عن جماعات أخرى؟

2- كيف تفكّر بوجهات النظر هذه من منظور لساني اجتماعي؟

بالنسبة إلى حالات التعددية اللغوية بشكل أصيل، وذخيرة المعلومات الفردية، علينا أن نذهب إلى المناطق القبلية النائية في بعض البلدان. فقد مارس شعب 'الهوا' في 'بابوا، في مرتفعات 'غينيا الجديدة'، عادة 'الزواج البعيد'، وذلك بتزويج النساء لرجال من قبائل أخرى لديها لغة أخرى وذهابهن للعيش في قرية الزوج. ومن خلال عملية استطلاع قام بها 'هايمان' (1979)، وجد أن هؤلاء الناس يعرفون أربع لغات أو خمس بطلاقة تامة. وادعى اثنان فقط، من بين ثلاثمئة وتسعة وخمسين شخصاً شملهم الاستطلاع، أنهما أحاديا اللغة، وادعى أحد عشر فقط أنهم ثنائيو اللغة. وتُعتبر مناطق

من هذا النوع قاعدة أساسية لمعظم لغات العالم التي يُقدّر عددها بستة آلاف لغة. كما يمكن العثور على أعلى عدد من اللغات في بعض أفقر دول العالم – ثمانمئة وثلاثين في 'بابوا – غينيا الجديدة'، سبعمئة واثنين وعشرين في إندونيسيا، وخمسمئة وإحدى وعشرين في نيجيريا – أو في المناطق الفقيرة من بعض البلدان مثل أستراليا التي يوجد فيها (مئتان وسبع لغات)، والمكسيك (مئتان وسبع وتسعون لغة) أو البرازيل (مئة وثلاث وتسعون لغة)، وذلك بحسب الإصدار السادس عشر لكتاب 'لغات العالم – Ethnologue' الذي يحتوي على خلاصة وافية عن لغات العالم كلها (لويس **2009**). بالتناقض مع ذلك، هناك تقدير بأن نصف الجنس البشري يتكلّمون عشر لغات رئيسة، وتسعون بالمئة منهم يتحدثون ما يقارب مئة لغة (روماين **2004**).

من هو ثنائي اللغة؟

تحديد ما تعنيه معرفة لغة أمر صعب جداً بالنسبة إلى أحاديي اللغة، ناهيك عن ثنائيي اللغة. هل يتطلّب الأمر كفاءة متساوية في اللغتين كلتيهما؟ هذا ما يراه عالم اللسانيات الأمريكي المؤسس 'ليونارد بلومفيلد'، مفسّراً ثنائية اللغة بأنها 'التحكم باللغتين مثل اللغة الأم' (**1933**: **56**). وغالباً ما يُستخدم مصطلح 'ثنائية اللغة المتوازنة' لتوصيف هذا النوع من المتحدثين، لكن معظم ثنائيي اللغة في الواقع مؤهّلون بطرق مختلفة في اللغتين اللتين يعرفانها. وربما يكتبون بسهولة أكبر في إحدى اللغتين مثلاً، ولا يكتبون باللغة الأخرى بالسهولة ذاتها.

وعلى الطرف الآخر من مقياس المقدرة، يذكر 'جون إدوارد' الآتي، دون أن يعني بالمطلق ما ذكره:

كل شخص هو ثنائي اللغة. هذا يعني أنه ليس هناك من شخص في العالم (ليس هناك من شخص بالغ على أية حال) لا يعرف على الأقل بضع كلمات من لغات أخرى غير لغته الأم. وبالنسبة إلى ناطق بالإنكليزية، إذا استطعت أن تقول ' c'est la vie or gracias or guten Tag or tovarisch' – وتعني حياة ذهبية (بالفرنسية)، أو شكراً (بالإسبانية) أو طاب يومك (بالألمانية) أو كلمة صديق (بالروسية)" - أو حتى إذا فهمتها دون أن تلفظها – فمن الواضح أن لديك بعض إمكانية التحكّم بلغة أجنبية (إيدوارد **2004: 7**).

بوضوح كبير، يُشير وصفك بشخص ثنائي اللغة إلى مستوى معين من المعرفة باللغتين كلتيهما، ومقدرة على التعامل معها. وهذا يفسح مجالاً لعدم الالتزام بمستوى محدد من المعرفة والتعامل الكافي لكي تكون مؤهلاً.

أما مسألة تحديد من هو ثنائي اللغة فهي أصعب بكثير لأن ثنائي اللغة الطليق باللغتين كلتيهما يمكن أن يتنقّل بينهما بشكل سريع. فأحياناً يستعيرون كلمات بالجملة، أو يشرعون بشكل متكرر 'بتحويل الرمز' – ويمزجون اللغتين في المحادثة ذاتها، وغالباً في الجملة ذاتها. وربما يتضمن تحويل الرمز مزجاً لغوياً غزيراً يجعل من الصعب التمييز أين توقّفت اللغة الأولى وأين بدأت الثانية. هذا السلوك شائع جداً لكنه غالباً ما يواجه إدانة بوصفه مؤشراً على عدم القدرة على التحدّث بأي لغة منهما بالشكل المناسب. كما يُعتبر تحويل الرمز منطقة حساسة بالنسبة إلى ثنائي اللغة، وموضوعاً معقّداً للبحث، وهو ما سنعالجه في الفصل الخامس.

كيف ظهرت تعددية اللغة

تظهر تعددية اللغة لدى الفرد عندما ينشأ في بيئة متعددة اللغات، أو عندما يتعلّم بطرق رسمية لغات إضافية خلال حياته. أما

بالنسبة إلى المجتمع، فتظهر زيادة ثنائية اللغة غالباً مع الانتقال التاريخي للبشر عبر الهجرة. وقد تكون هجرة طوعية سعياً لحياة أفضل، أو هجرة إجبارية كما في حالة اللاجئين أو العبيد. وقد ينتقل البشر بين منطقتين لغويتين لأسباب تجارية، أو بسبب الغزو أو الدين (إما للهروب من الاضطهاد، أو كمبشّرين لنشر دينهم الخاص). وقد تؤدي الهجرات الكبيرة إلى إعادة تشكيل التوزّع اللساني الاجتماعي في البلد، كالاستعاضة عن اللغات الأم في أمريكا الجنوبية باللغة الإسبانية والبرتغالية. وقد تفرض، حتى الهجرات الصغيرة، لغة جديدة كما في حالة بريطانيا مع الهند.

التمرين 2.2: لمحة عن لغة الصف الدراسي.

1- قم باستطلاع الذخيرة اللغوية لدى عناصر صفّ دراسي باستخدام هذه الأسئلة الثلاثة:

- ما هي اللغة التي يعتبرونها لغتهم الأولى (L1)؟
- ما هي اللغات الأخرى التي يتحدثون بها بطلاقة (L2 بطلاقة)؟
- ما هي اللغات الأخرى التي يعرفونها إلى حد ما (L3 لغة أخرى)؟

2- سجّل الإجابات على السبورة (اللغات بحسب مستوى الطلاقة، حسب عدد المتحدثين بها) لتكوين لمحة لسانية اجتماعية عن الصف الدراسي.

3- ثم دع عناصر الصف يصفون ميزة لغوية واحدة عن لغتهم (أو لغاتهم) الأولى التي يعتقدون أنها غير عادية – مثلاً، قد يكون فيها الكثير من حالات الاسم، أو لا يوجد فيها أبداً، أو فيها نظام كلمات غير عادي، أو ندرة الحرف الساكن.

4- قم بتوصيف خاصية لسانية اجتماعية ملحوظة عن لغة أو لغات – ربما لديها نظام معقّد من خيارات ضمائر المخاطب التي تقوم

على الاحترام، أو مخاطبة الرجال بطريقة تختلف عن النساء، أو تنوّع مميز تتحدث به مجموعة عرقية واحدة.

• إن القيام بهذا 'الاستطلاع' المختصر، وغير الرسمي، في بداية الدورة الدراسية يعطي الطلاب والأستاذ فكرة عن تنوّع اللغات الموجودة في الفصل الدراسي كمصدر للخبرة، وكأمثلة لنقاش القضايا اللسانية الاجتماعية القادمة. ولأن الاستطلاع يجري وجهاً لوجه، يصبح بالإمكان مناقشة مصطلحات متنازع عليها مثل 'الطلاقة' و'اللغة الأولى'. وحتى الممارسة الواضحة البسيطة أثناء تسمية لغة 'أو لغات' أحدهم، ستتضمن خيارات تذكّرنا كيف تكون اللغة طليقة، وكيف تكون تعددية اللغات بالنسبة إلى المشتركين. هل لغتك هي اللغة الصينية أو لغة 'الهوكين'؟ الفرنسية أو 'الكاجون'؟ الصربية أو الكرواتية؟

• إذا كانت نسبة كبيرة من الطلاب أحاديي اللغة، وكان لديهم لهجات مختلفة، طبق التمرين على اللهجات بدلاً من اللغات.

لا تظهر التعددية اللغوية الاجتماعية بسبب انتقال الناس فقط، بل ربما تظهر أيضاً بسبب الحدود السياسية التي تقسّمهم أو توحّدهم. إذ يمكن إنشاء كيان سياسي ثنائي اللغة من خلال الوحدة أو تشكيل فيدرالية، ومثالنا هنا هم الناطقون بالفرنسية والهولندية لتشكيل دولة بلجيكا في القرن التاسع عشر. لقد أُعيد رسم الخريطة اللسانية الاجتماعية لوسط أوروبا وشرقها، بالإضافة إلى الخريطة السياسية، منذ تفكك إمبراطورية الاتحاد السوفياتي (بوفلنكو 2008؛ انظر التمرين 2.3). فقد تغيّرت التركيبة اللغوية الاجتماعية للدول، وتغلغلت التداعيات اللغوية لهذه التغيّرات مع الوقت إلى المستويات المحلية والفردية، حيث تطلّبت الدولة الجديدة، أو الدول المختلفة، لغة جديدة للتعليم والحكومة. حتى المناطق الحدودية

الثابتة نسبياً تستضيف عادة اللغات ذاتها على جانبي الحدود كليهما. وغالباً ما تسود لغة الأكثرية على أحد جانبي الحدود، ولغة الأقليّة على الجانب الآخر. إننا نجد اللغة الهنغارية مثلاً في الدول المجاورة لهنغاريا. فقد تم رسم الحدود السياسية بين البلدان بشكل تعسّفي دون أدنى اهتمام بالحقائق المحلية، كما هو الحال في أجزاء من المستعمرات الأفريقية، وقد نتوقّع وجود قواسم لغوية عابرة للحدود (انظر أمونيّي **2004** حول الحالة النيجيرية).

التمرين 2.3: تحوّل الحدود اللغوية الاجتماعية

هل حدث تغيير في منطقتك – مدينة أو دولة – خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية، وأثّرت في خصائصها اللغوية الاجتماعية؟

1. هل كان هناك هجرات من بلدان أخرى؟ هل انتقل البشر من الريف إلى المدينة، أو إلى مدن جديدة؟ هل انتقل السكان إلى أجزاء مختلفة من المدينة؟

2. ما هي الآثار اللسانية الاجتماعية التي نتجت عن هذه التغيرات؟ هل يتم التحدث بلغات (أو لهجات) لم يكن يتم التحدث بها سابقاً؟

تمت إعادة رسم خارطة وسط شرق أوروبا جذرياً منذ مطلع القرن العشرين:

3. حدد المناطق التي انتقلت فيها الحدود الدولية.

4. اختر إحدى الدول الجديدة (صربيا على سبيل المثال) وفكّر في تداعيات تغيير الحدود على صورتها اللسانية الاجتماعية.

قيم التعددية اللغوية

إن لثنائية اللغة قيمة "الهوية" بالنسبة إلى الناطقين بها؛ إذ تمثل ثنائية اللغة جزءاً من ذواتهم من خلال اختيارهم لها (بافلينكو **2006**). أحد الأبحاث الأكثر شمولاً حول ما تعنيه لغتان بالنسبة إلى

ثنائي اللغة هو بحث قام به 'ميشيل كوفن' على الشابات البرتغاليات اليافعات المقيمات في فرنسا (2007). وقد ضمت الدراسة مناقشة علنية تتعلّق بما تشعر به النساء حيال اللغات المختلفة، وذلك من خلال سرد حكايات من التجارب الشخصية في اللغتين الفرنسية والبرتغالية، وردود أفعالهنّ على تسجيلات مشاركات أخريات. كان يُنظر بوضوح إلى المتحدثات بوصفهن 'لسن الشخصيات ذاتها تماماً' عندما سردن القصص ذاتها بلغتين مختلفتين.

تظهر القيمة الأخرى للتعددية اللغوية في علاقتها مع الإمكانية المعرفية. فتقول إحدى وجهات النظر إن ثنائية اللغة تؤخّر تطوّر الدماغ. وقد تبنّى هذه الفكرة العديد من المدرّسين، والعديد من الآباء والأمهات المهتمين، وأثرت في حياة الكثير من الأطفال. وعلى الرغم من انتشار وجهة النظر هذه على نطاق واسع شعبياً، فقد أظهر ثقل خمسين سنة من الأبحاث على التطوّر العقلي للأطفال ثنائيي اللغة العكس تماماً. مع بدء 'بيل ولامبرت' بدراسة عام (1962)، ظهرت أدلّة بأن ثنائيي اللغة يختبرون مزايا معرفية أكثر من أحاديي اللغة، ويختبرون مساوئ معرفية أقل.

بالتناقض مع وجهات النظر الشعبية الخاصة بأحادية اللغة على مساوئ التعددية اللغوية، تبدو المجتمعات متعددة اللغات أصلاً وكأنها تعلّق أهمية كبيرة على قدرات أعضائها متعددي اللغات. تسمح المعرفة الوافية بلغات متعددة، بعرض هويات متعددة، ويُنظر إلى مهارات تعدد اللغات كإشارات على التفوّق، حيث يفخر شعب 'التيوا' في منطقة أريزونا بمقدراته في لغات أخرى كنوع من رأس المال الثقافي (كروسكريتي، 1993). في منطقة 'بابوا' في مرتفعات غينيا الجديدة، ويُشاع أنّ شعب 'إمّينيو' قد تعلّم لغات أخرى من المتحدثين الذين صادفوهم، وأدّوا أغانٍ بلغات ادعوا أنهم لا

يفهمونها. فقد كان يُنظر إلى المعرفة اللغوية الواسعة بأنها "هيبة اجتماعية" بحد ذاتها، بغض النظر عن فائدة تلك اللغة (ساليسبوري، 1962)، وهي تقدّم الناطقين بعدة لغات وكأنهم أشخاص متطوّرون وعالميون. وسيكون تقييم اللغة واللغات مكرراً في هذا الكتاب، وسيكون محور تركيز الفصل العاشر.

التمرين 2.4: التعددية اللغوية في منطقتك

إذا كان في المنطقة التي تعيش فيها عدد من اللغات، ابدأ بمراقبتك الخاصة لموضوع التعددية اللغوية حولك.

- ضع ملاحظاتك حول عدد اللغات المختلفة التي تسمعها خلال يوم واحد، وكيف تسمعها غالباً.
- ما هي اللغات التي يتم تمثيلها في 'المشهد اللغوي' في منطقتك (انظر، 'غورتر'، 2006 من أجل هذا المفهوم)؟ هل هناك تعددية لغوية على شاخصات أسماء الشوارع، أو على أعمدة الإرشاد؟ ما هي اللغات التي تراها على واجهات المحال التجارية، أو على مغلّفات البضائع؟ أو على الملصقات واللوحات الإعلانية؟
- ما هي اللغات المستخدمة في وسائل الإعلام، في الصحافة أو الراديو على سبيل المثال؟
- لخّص نتائجك في لوحة مختصرة لتعددية اللغات في منطقتك.
- قيّم أنواع المعلومات الخاصة التي جمعتها، وما رأيك بالتعددية اللغوية في منطقتك. وما هو مدى موثوقية معلوماتك؟ هل اعتمدت المعلومات على إطار ضيّق جداً أو شامل تماماً؟
- يمكنك أن توسّع المشروع بمقارنة النتائج المباشرة لمنطقتك مع ما تجده في بلدة أو ضاحية مجاورة.

غالباً ما استخدم علماء اللسانيات الاجتماعية مفهوم 'مجتمع اللغة' لتوصيف المنطقة الجغرافية قيد البحث. سنعالج هذا

المصطلح بالتفصيل في الفصل (5.2). لكن دون استباق لهذا الأمر، هل تعتقد أن بالإمكان توصيف منطقتك على أنها 'مجتمع لغة' بأية طريقة تريد تعريف ذلك في هذه المرحلة؟ ما هي الخصائص التي تشير إلى ذلك؟

2.2 ستة أبعاد لثنائية اللغة

الهدف الأول للتفكير بثنائية اللغة هو من خلال عدد الفروع المزدوجة (الثنائيات). ومثل معظم الثنائيات من هذا النوع، فهي تمثّل غالباً ميلاً وليس تعارضاً، لكنها تصوغ أسلوباً مفيداً للبدء بتفحّص طبيعة ثنائية اللغة.

1: فردي مقابل اجتماعي

يمكننا التفريق ما بين ثنائية اللغة للفرد، وثنائية اللغة للمجتمع. إذا كان الناس الذين يعرفون لغتين هم ثنائيو اللغة، يمكن اعتبار المجتمع الذي يكون معظم أفراده من هذا النوع مجتمعاً ثنائي اللغة. وتُعتبر معظم الجهة الجنوبية من الولايات المتحدة الأمريكية المتاخمة للمكسيك مناطق ثنائية اللغة بسبب وجود عدد كبير من الناس الذين يستخدمون اللغتين الإنكليزية والإسبانية. وعلى أية حال، هناك الكثير من الناطقين بإحدى اللغتين، مما يجعل هذا التوصيف قابلاً للنقض.

إن مجموع الأفراد ثنائيي اللغة ليس الطريقة الوحيدة – ولا حتى الطريقة العامة – التي تنشأ منها وحدة اجتماعية ثنائية اللغة. فتجميع الناس من أي حجم كان ربما يمكن وصفه بثنائي اللغة حتى لو كان من يتحدث باللغتين هم أفراد مختلفون، وهم بطريقة ما أحاديو اللغة، لكن لديهم لغات مختلفة. فقد يتضح أن لدولة مثل بلجيكا أحادية لغوية متداخلة (اللغة الفرنسية والفلامنكية، لغة فلاندرز) بدلاً من ثنائية لغوية للأفراد. وتُعتبر مدينة مالبورن في

أستراليا موطن لغات كثيرة يتحدث بها عدد كبير من البشر، لكن لا يزال معظم سكانها أحاديي اللغة، بلغتهم الإنكليزية. وهناك أقليات ثنائية اللغة يتحدثون لغة مجتمعاتهم بالإضافة إلى الإنكليزية، وأعداد صغيرة من أحاديي اللغة الذين يعرفون العربية، اليونانية، الألمانية أو الفيتنامية (كلاين وكيب **2006**).

تاريخياً، حدثت حالة ثنائية لغوية اجتماعية حديّة كلغات أحادية متداخلة في المجتمع الأوربي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر. إذ كانت الطبقة الحاكمة في بعض البلدان أحادية اللغة إلى حد كبير، بمعرفتها باللغة الفرنسية التي تُعتبر لغة النخبة، بينما كانت الطبقات المحكومة أحادية اللغة، بمعرفتها بإحدى اللغات المحليّة كاللغة الروسية أو الألمانية. وعلى الطرف الآخر من مقياس هذه التعددية اللغوية، ربما توصف دولة مثل اليابان بأنها أحادية اللغة بسبب سيطرة اللغة اليابانية بشكل هائل، وعدم معرفة الشعب الياباني بلغة سوى لغته.

2: التحدث باللغة مقابل الفهم (الإنتاج مقابل التلقّي)

قد تختلف كفاءة ثنائيي اللغة في اللغات التي يعرفونها بسبب اختلاف مهاراتهم اللغوية. أثناء تعلّم اللغة الرسمية، تفوق القدرة على التلقّي بشكل روتيني القدرةَ على الإنتاج، لكن حتى ثنائي اللغة الذي تعلّم لغته في المنزل، سيكون لديه عادة، قياساً بأقرانه، مقدرات لغوية مختلفة أثناء المحادثة والاستماع والكتابة والقراءة باللغتين. وقد تكون مقدرات بعضهم سلبية بإحدى اللغتين: فيمكن أن يتحدثوا بإحدى اللغات بطلاقة، ولا يكونون كذلك في الأخرى، على الرغم من أنهم يفهمون معظم ما يرد فيها.

غالباً ما يفقد الأولاد البالغون العائدون إلى عائلات مهاجرة كفاءتهم الإنتاجية في لغتهم الأصلية. إنهم يحافظون على قدراتهم في

فهم أجدادهم حتى ولو كان لديهم صعوبات في الاستجابة لهم باللغة ذاتها. لكن هناك الكثير من الفروق البسيطة لما قد يبدو وكأنه مقدرة إنتاجية "محدودة" في اللغة. فقد أفصحت دراسة 'نانسي دوريان' الكلاسيكية عن موت لغات في مجتمعات الغال الإسكتلندية (1981) عن أنه كان هناك طبقة من 'أنصاف المتحدثين" الذين لا تزال لديهم القدرة الكاملة على المشاركة في محادثات لأنهم يفهمون كل شيء، ويعرفون كيف يساهمون بطريقة مناسبة مع معرفتهم المحدودة بلغتهم 'الغالية'. سنتعمّق بدراسة هذه الحالة في الفصل (4.6).

3: الأساسي مقابل الثانوي

في ثنائية اللغة الأساسية، يتم اكتساب لغتين 'بشكل طبيعي' في سياق اجتماعي، بينما في ثنائية اللغة الثانوية، يتم تعلّم اللغة الثانية لاحقاً ضمن المدرسة. وقد يتداخل بالطبع هذان الأمران أحدهما مع الآخر. وغالباً ما يتلقّى المهاجرون دورات نظاميّة يتعلّمون خلالها لغة البلد الجديد الذي استضافهم، في الوقت ذاته الذي يمارسون فيه هذه اللغة في حياتهم اليومية. كما تعترف نظريات تطبيق اللغة وممارستها بالأهمية الكبيرة لتعلّم اللغة في السياق الاجتماعي، وبالدوافع الاجتماعية والمواقف التي لدى المتعلّم.

هناك فوارق كثيرة في أهمية اللسانيات الاجتماعية، ونتائج المسار الأساسي مقابل الثانوي بالنسبة إلى ثنائية اللغة. إن متكلّماً من قلب الريف الويلزي، الذي نشأ مع تلك اللغة الخاصة ببيئته اليومية – هذه هي 'ثنائية اللغة الأساسية' – قد يكون لديه كفاءة وتجربة مختلفة جداً عن 'ويلزي' آخر مراهق من مدينة 'كارديف' كان قد تعلّم هذه اللغة 'بشكل ثانوي' في المدرسة، حتى ولو شمل هذا التعليم نوعيّة خاصة. فربما يُعتبر كلاهما ثنائي اللغة وطليق اللسان

بمقاييس الإحصاءات الرسمية للسكان لكن خبرتهما اليومية باللغة 'الويلزية' مختلفة تماماً. (كوبلاند وألدريدج، 2009).

4: الإضافة مقابل النقص

عندما تكون ثنائية اللغة انتقالية – أي إذا كان الشخص أو المجموعة يـ/ تتعلّم لغة ثانية – يمكن النظر إلى معرفته/ها باللغة الثانية على أنها إضافة إلى ذخيرته/ها اللغوية أو إنقاص منها. ففي حالة الإضافة إلى اللغة، يحتفظ الشخص بمقدراته في لغته الأصلية بالكامل، ويضيف إليها مقدرة أخرى (إلى حد ما) من لغة أخرى جديدة. فلا يفقد الشاب الراشد المهاجر عادة الكثير من كفاءته في لغته الأصلية مع اكتساب لغة جديدة.

تحدث حالة الإنقاص من اللغة الأصلية عندما يتم تعلّم لغة جديدة على حساب النقص التدريجي باللغة الأصلية. الحالة الكلاسيكية هي حالة طفلة مهاجرة في السادسة من عمرها، وكان لديها كفاءة كاملة بلغتها الأصلية عندما هاجرت، لكن تعلّمها للغة مُهيمنة في البلد الجديد، يغطّي على مقدرتها الإنتاجية في لغتها السابقة، وغالباً ما يحدث ذلك بسرعة كبيرة.

5: الاستقرار مقابل الديناميكية

قد تكون ثنائية اللغة مستقرّة أو متغيرة. وقد يحدث التغيير للأفراد، وخاصة البالغون الذين يتعلّمون لغة جديدة، وينتقلون عبر مستويات متتالية فيها. كما تختلف القدرة اللغوية أيضاً مع تغيّر ظروف البشر خلال حياتهم. فثنائيو اللغة الذين يكتسبون إحدى لغاتهم بعد الهجرة إلى بلد معيّن في سن الشباب، قد يخسرون شيئاً من تلك المقدرة مرة أخرى بعد التقاعد من العمل. ويحدث هذا عندما تكون لغة "عامة الناس" مختلفة عن لغة المجموعة، ويتناقص استخدامها إذا قل انخراط الشخص في الحياة العامة.

تنعكس حالة الفرد الذي يضيف أو يخسر لغة في تحوّلات توزيع ثنائية اللغة في المجتمع بإطاره الكبير. فعندما يبقى ترتيب اللغات ثابتاً مع مرور الزمن في مجتمع ما، مع عدم تقدّم أي لغة أو تراجعها، ندعو ذلك 'الحفاظ على اللغة'. ومن الشائع جداً، وبنسبة كبيرة أثناء الهجرة، أن يخضع الترتيب الاجتماعي للغات في بلد ما لتغيير مستمرّ. فلغات جديدة تدخل أو تنتشر، ويُصبح أحاديو اللغة تدريجياً ثنائيي لغة. إنه تطوّر نموذجي بعد هجرة أقليات إلى بلدان مثل الولايات المتحدة الأمريكية أو سنغافورة أو فرنسا. أولئك الذين أصبحوا حديثاً ثنائيي لغة، يتعلّمون اللغة السائدة، ويحافظون على لغتهم الأصلية عادة، وهكذا ينوّعون الخصائص اللسانية الاجتماعية للبلد الجديد. لكن أطفالهم، أو على الأقل أحفادهم، سيخسرون على الأرجح إرثهم اللغوي ويصبحون أحاديي اللغة تحت ضغط اللغة السائدة للبلد المضيف. كما يركّز الفصل الثالث على طبيعة تحوّل اللغة والحفاظ عليها في مجتمعات مختلفة.

6: الشعوب الأصلية مقابل المهاجرين

في حالة لسانيات اجتماعية ديناميكية، عندما تتلاقى لغتان بفعل الهجرة، سيكون هناك دوماً لغة أكثرية ولغة أقليّة (مع أن ذلك يخضع لإعادة التقييم مع الوقت). تكون لغة الأقلية إما لغة المهاجرين أو لغة السكان الأصليين.

تتعرّض لغة السكان الأصليين للضغط بعد أن كانت ذات يوم لغة الأكثرية (أو حتى الوحيدة) في الفضاء المحيط بهم، وحين تأتي اللحظة المناسبة، ربما يتم إغراقها بلغة من لغة المهاجرين أو أكثر، لأن عدد السكان الأصليين يبقى ذاته بينما يزداد عدد القادمين الجدد. فقد كانت لغة البلد الأولى في كندا مثلاً هي اللغة ('الهندية')، وقد تراجعت وانكفأت أمام اللغتين الإنكليزية والفرنسية. وبالشكل ذاته نرى أن

اللغة البولينيزية الأصلية في جزيرة 'إستر' (رابا نوي) في شمال شرق المحيط الهادي تتعرّض الآن لتهديد اللغة الإسبانية وذلك لأن ملكية الجزيرة تعود سياسياً إلى دولة تشيلي (ماكيهارا، **2005**). وتتعرّض لغات كثيرة خاصة بالأقليات العرقية على الحدود الشمالية والغربية للصين لضغط من لغة 'الهان' الصينية التي تُعتبر لغة الأكثرية (برادلي، **2005**).

من جهة أخرى، يبقى المهاجرون الجدد عادة أقليّة محرومة إلى جانب الأكثرية الأساسية. وعادة ما تفقد مجموعات من هذا النوع لغتها الأصلية أمام لغة الأكثرية خلال ثلاثة أجيال. وكما قال 'إدوارد': "في العديد من حالات الهجرة.... كانت ثنائية اللغة محطة (تتعلّق بالجيل) على الطريق بين فرعين من أحاديّة اللغة" (**2007: 458**).

التمرين 2.5: مقابلة مع ثنائي لغة

قم بإجراء مقابلة مع ثنائي لغة تعرفه. اسأله عن مقدراته واستخداماته للثنائية اللغوية من ناحية التباينات الستة التي تم استخدامها أعلاه:

1. هل معظم أفراد مجتمعه ثنائيو اللغة، أو يميل الناس في الممارسة لأن يكونوا أحاديي اللغة؟

2. هل هناك فرق في مقدراته في الإنتاج والاستقبال في لغتين مختلفتين، وكذلك بين المهارات المختلفة المتعلّقة بالحديث والاستماع والكتابة والقراءة؟

3. هل إحدى هذه اللغات أساسية والأخرى ثانوية؟ وأعني الطريقة التي تعلّم بها اللغة.

4. هل تتضمن ثنائية اللغة لديه الإضافة أو الإنقاص؟ وهل تتراجع مقدرته في إحدى اللغات أثناء تعلّمه للغة أخرى؟ هل تميل إحدى اللغات لأن تحلّ محلّ الأخرى؟

5. هل ثنائية اللغة لديه مستقرّة أو ديناميكية؟ هل تغيّرت خلال حياته؟ وهل لازالت تتغيّر؟

6. هل أتت ثنائية اللغة لديه نتيجة لهجرته أو هجرة أسرته، أو لأنه ينتمي إلى أقليّة السكان الأصليين، أو أتت من ظروف أخرى؟

2.3 مناهج تعددية اللغة

سأفرّق هنا بين ثلاثة مناهج رئيسة لدراسة اللسانيات الاجتماعية لثنائية اللغة وتعدديتها. يأتي كل منها مع افتراضات واهتمامات ونظريات ووسائل وأولويات صارمة مختلفة تماماً. كما يوجد بينها قواسم مشتركة أيضاً، وخاصة بين النهج الأول والثاني. لكن من جهة أخرى، لا تتناسب جميع الأبحاث تماماً مع هذه الفئات؛ إذ يسبق النهجان الأول والثاني النهج الثالث، ويتم استبدالهما به إلى حد ما.

اجتماعيّات اللغة

تصاعدت دراسة ثنائية اللغة في خمسينات القرن العشرين على يد 'أوريل فينريتش' في كتابه 'لغات تتواصل' عام (1953) – فأصبح هذا الكتاب الخادع بحجمه الصغير ذا تأثير هائل جداً. لقد كانت أبحاث التعددية اللغوية، منذ ستينات القرن العشرين، تحت رعاية علم الاجتماع الوظيفي الأمريكي في ذلك الوقت. إن علم اجتماعيات اللغة نهج واسع جداً، وهو يعالج حالة اللغات كلها في المجتمعات. ويركّز على الطريقة التي تعمل بها اللغة في المجتمع، ومكانتها ووظائفها وتوزيعها الاجتماعي. إنه يهتم بمواقع اللغات كلها، والتي يمكن تحديدها بتسميات مثل 'الهندية' أو 'الكاتالونية' أو 'السويحلية'[1]. إنه يتعامل مع كل لغة من هذه اللغات ككل متكامل بدلاً من التحليلات الصغرى لبنيتها وخصائصها. ويميل إلى التعامل مع العوامل

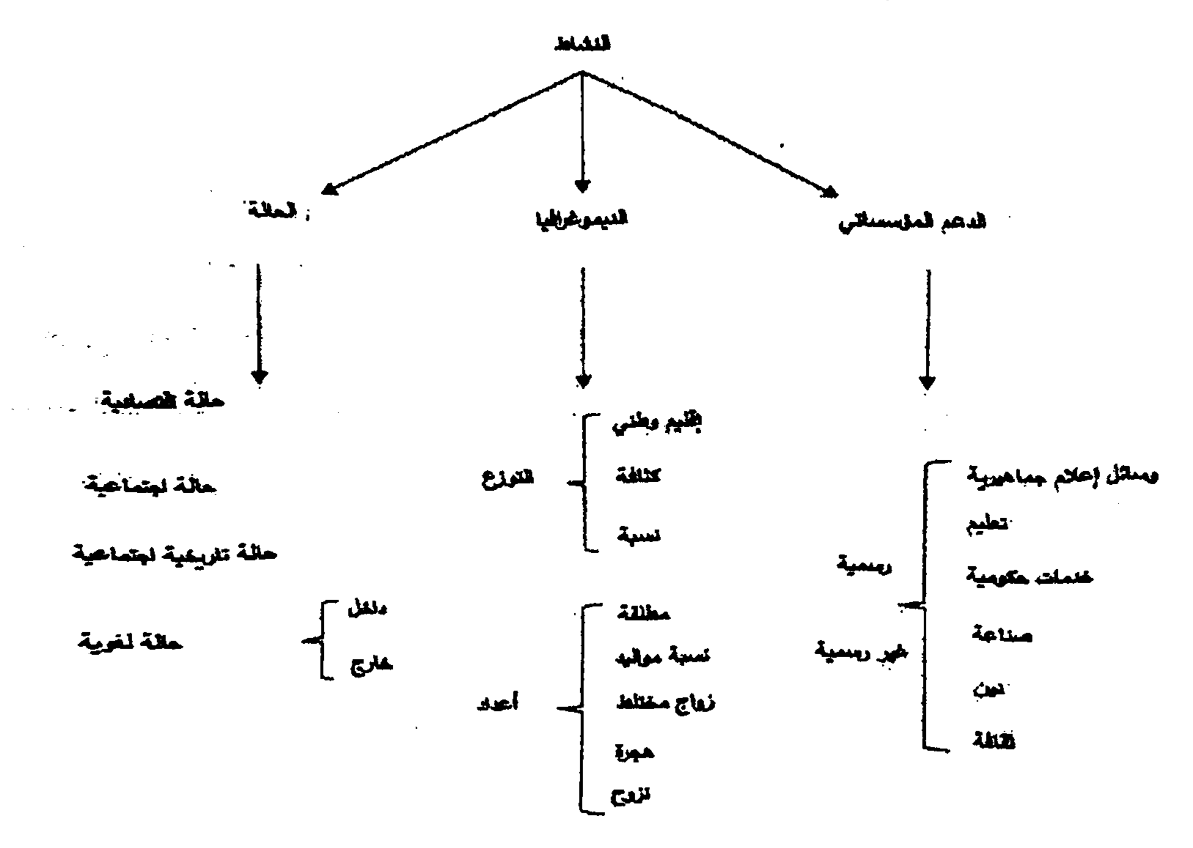
[1] "Swahili": اللغة السواحلية، أو لغة البانتو، وهي اللغة الأولى للشعب السواحلي، منطقة جزر زنجبار في المحيط الهندي والقريب من تانزانيا. ولغة مشتركة لمنطقة البحيرات الكبرى. المترجم

الاجتماعية الكبرى كأن ينظر، على سبيل المثال، إلى العصر الذي استُخدمت فيه لغة معينة، أو ما هي المجموعة العرقية التي تستخدم لغة معيّنة. ويعتمد على أسلوب الاستبيانات العادي. إن اجتماعيات اللغة هي دراسة المجتمع بدلاً من دراسة اللغة. ويميل أكثر المهتمين بهذا العلم لرؤية أنفسهم وكأنهم يدرسون علم الاجتماع بدلاً من دراسة اللسانيات.

لا يتحرى هذا العلم عما يفعله الأفراد، ولا حتى المجموعات الصغيرة، بقدر ما يتحرى عن السلوك اللغوي للبلدان بأكملها أو المجموعات التي تشكّل الأغلبيّة فيها (ولا سيما العرقية منها). والسؤال المطروح هو: ما هي الصورة اللسانية الاجتماعية للهند أو إسبانيا أو تانزانيا، وليس عن كيفية استخدام المتحدثين الأفراد للغاتهم في تلك البلاد. ويشمل هذا التركيز دراسة كيفية عمل ثنائية اللغة وتعدديتها في المجتمع، وكيف ترتبط اللغات المختلفة ضمن البلد الواحد أو المجموعة العرقية. وليس مفاجئاً أن يعكس هذا التركيز الأصول المتعددة اللغات للباحثين في هذا المجال، بمن فيهم مؤسس علم الاجتماعيات اللغوية 'جوشوا فيشرمان'. فعلى الرغم من أن تركيزه كان على المستوى 'الكبير - ماكرو' للتفاعل بين اللغة والمجتمع، إلا أنه كان في السنوات الأولى متحمساً للسانيات الاجتماعية 'الصغرى - ميكرو' ليجعلها أيضاً تحت مظلّة الاجتماعيّات اللغوية. وبينما ركّز بحثه التجريبي الخاص على التحليلات الإحصائية لموقع اللغات في المجتمعات والبلدان، فقد شمل نشاطه المبكّر؛ بوصفه محرراً الكثير من العمل مع مزيد من التركيز على 'الصغرى - الميكرو'. (انظر قسم قراءات متقدمة في نهاية هذا الفصل).

يستمرّ نهج الاستطلاع الاجتماعي اليوم لتوفير معلومات أساسية عن المجتمعات ثنائية اللغة حول العالم. ففي ميامي مثلاً، يشكل

عدد كبير من المهاجرين الكوبيين حضوراً قوياً للغة الإسبانية بالإضافة إلى الإنكليزية. وقد وجدت الدراسة الإحصائية التي قام بها 'جورغن بورسيل' (2006)، أن التحوّل عن اللغة الإسبانية بين هؤلاء المهاجرين قد تأثر بعوامل كثيرة كالولادة في الولايات المتحدة أو التعلّم فيها والتواصل مع المتحدثين باللغة الإنكليزية.



الشكل (2.1): تصنيف المتغيرات البنيوية

التي تؤثر على مصادر اللسانيات العرقية الحيوية 'جايلز، بوركيس، وتايلور

نشاط اللسانيات العرقية

تطوّر مفهوم نشاط اللسانيات العرقية في سبعينات القرن العشرين ليوضّح العلاقة بين العرق واللغة، وبشكل خاص، موقع العوامل الاجتماعية والثقافية في تفسير السلوك اللغوي للمجموعات ومواقفها. وكان 'هاوارد جايلز' أساس تطوير هذا النهج، وهو عالم نفس اجتماعي يعيش في كاليفورنيا، ومتخصص في دور

اللغة في العلاقات الاجتماعية. من خلال عمله مع عدد كبير من المساعدين، أنشأ 'جايلز' منهجاً للتعددية اللغوية قام على أساس رؤى في علم النفس الاجتماعي (مقارنة مع الأصول السوسيولوجية الخاصة بعمل 'فيشرمان'). لقد كتب 'جايلز وبورخيس وتايلور' في اقتراحهم الأصلي لهذا المنهج: "يرجّح أن نشاط المجموعة اللسانية العرقية هو ما يجعل المجموعة العرقية تتصرّف ككيان جمعي متمايز وفعّال في المواقف بين المجموعات". لقد افترضوا وجود ثلاثة أنواع من المتغيرات البنيوية التي تؤثر في الحيوية، وشرحوا خصائصها، (انظر الشكل **2.1**):

1- تأتي المكانة من هيبة المتحدثين باللغة. فكلما كان للمجموعة اللغوية مكانة أعلى، ازدادت حيويتها.

2- الديموغرافيا هي الشكل العددي الأساس للمجموعة، ومن ضمنها نسبة المواليد والمهاجرين. فكلما كان التوزع العددي والجغرافي للمجموعة أفضل، ارتفعت أرجحية زيادة حيويتها.

3- الدعم المؤسساتي هو مدى استخدام لغة المجموعة ودعمها من قبل المؤسسات الاجتماعية. كلما زاد الدعم المؤسساتي للغة، ازدادت حيويتها.

يشبه الوجه الديموغرافي لهذا الأمر النهج السوسيولوجي، لكن الفرق يأتي من التركيز على العنصر الذاتي في ثنائية اللغة. وقد اقترح 'جايلز' ومعاونوه أن يفرّقوا ما بين الحيوية اللسانية العرقية الذاتية والموضوعية؛ إذ تتضمن الحيوية الموضوعية العوامل المذكورة أعلاه، كعدد الناطقين باللغة. وتغطي الحيوية الذاتية مفهوم عناصر المجموعة عن مكانة مجموعتهم ولغتها، والذي لا يعكس الواقع 'الموضوعي' بشكل مباشر بالضرورة. فيمكن لمجموعات مهتمة أخرى أن ترى الظروف ذاتها بشكل مختلف تماماً.

بشكل مشابه لعلماء اللسانيات الاجتماعية، يستخدم علماء النفس الاجتماعيون الاستبيانات للبحث في مواقف عناصر مجموعة. ونذكر مثالاً على ذلك دراسةً أجراها 'ألارد ولاندري' عام (1986) حول 'مونغتون'، المدينة ثنائية اللغة، التي تنطق بالإنكليزية والفرنسية، في نيو برونسويك في كندا. وجادل الباحثون أنه يمكن أن يكون للمجموعة أربعة أنواع مختلفة من 'رأس المال' – الديموغرافي، السياسي، الاقتصادي والثقافي. كما استخدمت دراسة عن حيوية اللغة 'الويلزية' في مجتمعات الشتات في 'باتاغونيا' "مجموعات اختبار"[1] كوسيلة بدلاً من استخدام استبيان موضوع سابقاً. وهناك، تعمل اللغة 'الويلزية': بوصفها لغة تراثية للعرض على السياح، وتظهر بشكل قوي جداً لكنها تبقى ضعيفة في الاستخدام الاجتماعي اليومي الواقعي. إن قيمة اللغة 'الويلزية' كرأس مال لغوي في هذا الاقتصاد المحلي من الصعب تفسيره بمقاييس حيوية عادية.

حالياً تستمرّ أبحاث كثيرة حول ثنائية اللغة بالبناء على مفهوم الحيوية اللسانية العرقية مع أنها قد تعدّل الوسائل والنتائج. ويعترف تقرير 'يغمور وإهالا' (2011) بأنه على الرغم من وجود الكثير من الدراسات التي تستخدم الحيوية اللسانية العرقية، لم تحقق سوى القليل من التطوّر منذ أن تم طرحها للمرة الأولى.

مناهج نقدية/ بنيوية

مع تطور التفكير النقدي والبنيوي للمجتمع واللغة، واجه القرن الحادي والعشرون تحديات للمناهج السوسيولوجية التقليدية والسيكولوجية الاجتماعية الخاصة بأبحاث ثنائية اللغة. وظهر الاستفسار عن الطريقة التي ننفذ فيها بحثاً من هذا النوع، وكيفيّة

[1] عبارة عن مجموعة متنوّعة ديموغرافيا للمشاركة في مناقشة حول مُنتج معيّن قبل أن يتم إطلاقه، أو تُستخدم لتقديم تعليقات مستمرّة حول حملة انتخابية أو مسلسل تلفزيوني أو ما شابه ذلك.... المترجم.

التفكير في ثنائية اللغة لدى الفرد والمجتمع، وكيفية الكلام على لغات تتمايز إحداها عن الأخرى. هنا يُصبح مصطلح 'ثنائية اللغة' بحد ذاته إشكالياً.'فتعددية اللغة' مسألة قليلة التعقيد لكن 'أحادية اللغة' أكثر تعقيداً (التمرين 2.6). كما يعيد المنهج النقدي البنيوي بشكل متزايد تحديد الطريقة التي نفهم بها تعددية اللغة، وكيف نبحث فيها، وما هي الأسئلة التي نطرحها، وما هي النتائج الهامة.

تخصص عالم اللسانيات الاجتماعية الألماني 'بيتر أوير' ببحث موضوع "تحوّل الرمز"، وهي الحالات التي يمزج فيها ثنائيو اللغة لغتهم معاً (انظر الفصل الخامس). فيجادل بأن البحث في تحوّل الرمز يتطلّب ألا نبدأ بتحديد اللغتين، بل بتحديد الممارسات اللغوية العامة للناطقين بها. وربما لا يكون السؤال عن اللغات التي يتحدثون بها هاماً – وقد لا يكون بالإمكان الإجابة عنه. وغالباً ما يمزج 'العمال الضيوف' الإيطاليون في ألمانيا لغتهم معاً بطرق تجعل من غير الواضح إلى أية لغة ينتمي فرد معيّن – وربما يكون إلى اللغتين (أوير، 2007). وقد يتعمّد الناطقون باللغتين معالجة هذا الالتباس لغاياتهم التواصلية الخاصة. إنه تحدّ أساسٍ جداً لكيفية البحث والتفكير في ثنائية اللغة عندما تصبح طبيعة الموضوع قيد البحث موضع شك.

التمرين 2.6: انحياز نحو أحادية اللغة

قدّم 'أوير' و'لي وي' كتابهما حول تعددية اللغة بهذا التصريح:

لماذا يجب أن تكون ثنائية اللغة مشكلة؟ إننا نخمّن أن معظم البشر في العالم يتحدثون أكثر من لغة، إنهم ثنائيو اللغة بالحد الأدنى. إذاً قد تكون أحادية اللغة، من الناحية العددية، هي الاستثناء، وثنائية اللغة هي المعيار. ألن نكون منطقيين أكثر إذا نظرنا إلى أحادية اللغة على أنها مشكلة حقيقية ومترابطة منطقياً، بل هي

التي يمكن 'الشفاء منها'؟.... ألسنا نحن من نحوّل أكثر شيء طبيعي في العالم إلى مشكلة؟ (2007).

ناقش وجهة النظر هذه:

هل توافق على وجود انحياز نحو أحادية اللغة في مجتمعك؟ أو عالمياً؟ أو في الدوارت اللغوية؟ أو في هذا الكتاب؟

إذا كان الوضع كذلك، كيف يظهر هذا الانحياز في تلك الميادين المختلفة؟

بناءً على وجهة نظر الكندية الفرانكوفونية ثنائية اللغة 'مونيكا هيلر'، تُعتبر اللغة ممارسة اجتماعية، أو مجموعة من المصادر التي يأتي بها المتحدثون، وليس مجموعة من 'الرموز' اللغوية. ينتج نهج كهذا من تطورات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وتستخدم عادة أساليب البحث النوعي كالإثنوغرافيا، تحليل خصائص تفاعلات ثنائية اللغة وحوارات معينة بدلاً من إجراء استبيان. تجادل 'هيلر' (2007) ضد اعتبار اللغات كيانات يمكن استخدامها كأدوات للبحث. كما يُظهر استخدام التعددية اللغوية الفعلي كيف يمكن أن تكون هوامش اللغات قابلة للنفاذ.

تُعتبر دراسة 'جيف' عن حركة لغة الأقلية في جزيرة كورسيكا الفرنسية مثالاً عن هذا النوع من العمل الذي يقول فيه:

... المدى الذي تُستخدم فيه ثنائية اللغة أو يتم تخيّلها كلغتين أحاديتين منفصلتين (مرتبطتين بهويتين منفصلتين)، كخليط مُحتمل متفاوت من الرموز والممارسات والكفاءات الموزعة بين أفراد مختلفين وأوقات مختلفة ومجالات أداء اجتماعي مختلفة (جيف، 2007).

لغات الأقليات كلغة الكورسيكيين وما يرتبط بها من ثنائية اللغة، تبرز كسلع قابلة للتسويق في الاقتصاد العالمي، وكمدخرات قيّمة في ظلّ التحوّلات السياسية كالأوروبية والإقليمية. أما السياحة فهي

مجرّد قطّاع واحد يمكن فيه للغات المحلية أن تصبح شعارات عالمية تدلّ على المناطق الخاصة بها. إن وضع شعارات أو علامات على هدايا تذكارية من 'لابلاند'، في أقصى شمال فيلندا، بلغة السكان الأصليين يُثبت ادعاءها بالأصالة المحلية، بينما قد تستخدم الإنكليزية إلى جانبها كوسيلة لتواصل أوسع (بيتيكاينين وكيلي هولمز، **2011**).

المثال **2.1**: الهندية والإنكليزية في الهند

الهند عملاق لسانيات اجتماعية لأمة كاملة. مع تعداد سكاني تجاوز المليار نسمة، فلدى الهند اثنتان وعشرون لغة "مُدرجة' قانونياً، بالإضافة إلى مئتي لغة أخرى. واللغة الهندية هي الأضخم حتى الآن، ويتم الترويج لها باعتبارها لغة مشتركة محلية. وقد يؤدي فحص بيانات التعداد السكاني، كما هو الحال في منهج اجتماعيات اللغة، إلى نتائج تتعلّق بانتشار اللغة، لكن العمل النقدي النوعي يشير إلى حالة أكثر غموضاً.

تتحدث النخبة الاجتماعية في العاصمة 'دلهي' اللغة الإنكليزية بدلاً من الهنديّة منذ أجيال. وقد قابلت 'فينيتا تشاند' أعضاء من هذه النخبة وسجّلت هذه الملاحظات من امرأة في الستين من عمرها تُدعى 'سونال':

إننا جميعاً نتحدث الإنكليزية. وأعني بكلمة 'جميعاً' أنني لا أظنّ أن هناك أي شخص يتحدث كثيراً، وطليق جداً باللغة الهندية. كما تتحدث 'العائلات' اللغة الهندية، لكن ليس كثيراً كما تعرفين، أعني ليس بطلاقة. فربما نرتكب أخطاء قواعدية هنا وهناك. لكن إذا كان عليّ أن أتحدث من أجل المساعدة، مساعدة اجتماعية مثلاً، فلا بدّ أن يكون ذلك باللغة الهندية، أو إذا تحدثت إلى أحدهم وكان لا يعرف الإنكليزية، جيراني مثلاً، يكون ذلك بالهندية أيضاً. لكن الإنكليزية هي اللغة التي كبرت عليها. فأنا أتحدث.... بالإنكليزية.

والرسائل وكل شيء، أياً كان، والمقالات، وكل ما أفعله سيكون بالإنكليزية. (تشاند، 2011: 23)

• من خلال الاقتباس، ما هي الأشياء المنوّعة التي تمارسها هذه المتحدثة النخبوية باللغة الهندية والإنكليزية، ولماذا؟

النهج النقدي البنيوي متداخل بشكل كبير مع الاهتمام بإيديولوجيات اللغة، التي سنعود إليها في أواخر الكتاب في الفصل العاشر. هذه الإيديولوجيات أساسية في كيفية توضّع اللغات في المجتمع بشكل نسبي إحداها إلى جانب الأخرى. وتتيح هذه المناهج فرصة لإعادة النظر في كثير من الأشياء التي كانت مسلّمات في مناهج سابقة للتعددية اللغوية. لقد أدركوا أننا لم نعد نستطيع تهميش كمية التدفّق غير المنظّم والتعددية التي تجذب اهتمامنا في حالات تعدد اللغات الحقيقية. كما يقدّم كتاب 'مارتن جونز' و'بلاكليدج' و'كريس' (2012) حالة مراجعة فنية للأبحاث المتطوّرة التي تلت منهج التعددية اللغوية.

2.4 استطلاعات اللغة وتعداداتها

على الرغم من الصورة الممتلئة التي تمنحها الأساليب النوعية، يبقى الاستطلاع الأسلوب الأساس للتحري عن حالة اللغة في مجتمع أو مجموعة. ويمثل اثنان من التمارين السابقة في هذا الفصل عمليات استطلاع لساني لغوي بمقياس صغير (2.2 و 2.5). لكن المشروع الأكبر بكثير، والذي احتاج إلى أكثر من سنة للتصميم، وسنة أخرى للتنفيذ، كان دراسة أجريتها أنا وزملائي في لغة 'الباسيفيكا' في نيوزيلندا (انظر، تاوموفولو، 2002). تقع 'مانوكاو' جنوب مدينة 'أوكلاند'، وهي موطن ثلث سكان الدولة البولينيزيين الذين أتوا أساساً من جزر الباسيفيك الجنوبية التابعة لـ 'ساموا، تونغا، نايو، وجزر الكوك'. لقد قابلنا هناك مئة وعشرين شخصاً،

مستخدمين استبياناً كان مصوغاً بداية بالإنكليزية بالاتفاق مع مستشاري المشروع ثنائيي اللغة، ثم تمت ترجمته لاحقاً إلى أربع لغات. إنه يتضمّن مزيجاً من أسئلة سوسيولوجية ونفسية اجتماعية، وكان - بالمصطلحات اللسانية العرقية - يتضمن القضايا الذاتية والموضوعية. وقد احتوت النسخة الأخيرة منه على الأقسام الستة الآتية:

1- معلومات ديموغرافية، بما فيها تاريخ الإقامة والتعليم.

2- الطفولة والتربية والتاريخ العائلي، بما فيها تاريخ اللغة.

3- الطلاقة باللغة.

4- استخدام اللغة - في المنزل، مع العائلة والأقرباء، في الكنيسة، في العمل، وما إلى ذلك.

5- مواقف اللغة - هوية، تعبير عن المشاعر، مستقبل اللغة.

6- الحفاظ على اللغة - في المنزل، من قبل الحكومة، في التعليم.

لقد كان، في صفحاته التي بلغت سبعاً وعشرين صفحة، استبياناً نموذجياً من القياس الكبير، وهو مُتاح على صفحات الأنترنت.

كان أكبر الاستبيانات على الإطلاق هو الاستبيان الإحصائي الذي تقوم معظم البلدان بتنفيذه كل خمس سنوات أو عشر؛ إذ تطرح الكثير من الإحصاءات أسئلة لغوية، ومنذ خمسينات القرن العشرين، استخدم علماء اللسانيات الاجتماعية البيانات الناتجة لإعطاء صورة عن توزّع اللغات في بلد ما. وغالباً ما ركّز تحليلهم على مقارنة البيانات مع الإحصاءات المتتالية لتحديد تحوّلات من نوع "مجموعات مهاجرة جديدة جلبت لغات جديدة إلى البلد" على سبيل المثال.

تطرح بلدان مختلفة أسئلة لغوية مختلفة. يسأل بعضها عن اللغة المستخدمة في المنزل، وتسأل أخرى عن الطلاقة، وهناك من

يسأل عن اللغة الأم. لكن هذه الأسئلة المختلفة تجعل من المقارنة بين البلدان مشكلة كبيرة. كأن يسأل الإحصاء السكاني الأسترالي مثلاً ما هي اللغة المستخدمة في المنزل. ويعلّق المحللان الرئيسان، 'كلاين وكيب' (2006) بأن استهداف اللغة المستخدمة في المنزل سوف يقلل من العدد الكليّ لمستخدمي تلك اللغة. فعلى سبيل المثال، قد يستخدم شخص ما في أستراليا لغة كاللغة الإغريقية في وظيفة اجتماعية معيّنة حتى لو لم يكن هناك شخص آخر في المنزل يتحدث هذه اللغة. ويسأل الإحصاء في نيوزيلندا: 'بأية لغة تجري محادثة حول القضايا اليومية؟' يهدف هذا السؤال إلى معرفة المقدرة اللغوية للنيوزيلنديين بدلاً من سلوكهم الفعلي (ستاركس، هارلو وبيل، 2005). وقد يبقى مهاجر عجوز سابق طليق اللسان باللغة الهولندية أو لغة 'الغوجاراتي' التي تعلّمها في الوطن، لكن ربما لا يحظى بفرصة استخدام تلك اللغة في هذه الأيام. أخيراً، وكما سنرى في الفصل الآتي، كان تركيز كندا على اللغة الأم في تعدادها السكاني.

2.5 حالة كندا

يتضمّن كل فصل من فصول هذا الكتاب دراسة حالة معينة. وهو يأخذ جزءاً معيناً من الأبحاث اللسانية اللغوية، ويقدّمها ويفسرها كمثال على موضوع الفصل. مثلاً تعالج الحالة التي تمت دراستها في هذا الفصل النتائج اللغوية في الإحصاء الذي تم في كندا.

جدل حول الأسئلة

سبق أن ذكرنا في هذا الفصل عدة ملاحظات من بحث ثنائي اللغة جرى في كندا، ولم يكن ذلك مجرّد صدفة. فقد كانت كندا موقعاً لعدد كبير من الأبحاث التي عكست القضايا الاجتماعية والسياسية الحادة التي تدخّلت في العلاقة بين اللغتين الفرنسية والإنكليزية اللتين تمثّلان اللغتين الرئيستين في هذا البلد. وهكذا كانت

أهمية اللغة كبيرة في هذا الإحصاء. وكان السؤال الكبير المطروح هو عن اللغة الأم، لكن تعريفها الذي يتغيّر مع الوقت كان يُثير قضية كبيرة. فحتى عام (1941)، كان تعريف اللغة الأم هو 'اللغة التي تم تعلّمها والنطق بها أولاً' (إدوارد، 2007). لكن منذ تلك الفترة حتى عام (1976)، أصبح تعريف اللغة الأم هو 'اللغة التي تم التحدث بها أولاً، ولا تزال مفهومة'، وهو ما حوّل التركيز من الإنتاج الفعّال إلى الفهم. وبعد عام (1981) أصبح تعريف اللغة الأم هو 'اللغة التي تم تعلّمها أولاً، ولا تزال مفهومة'. وعندما يتغيّر التعريف بهذا الشكل من إحصاء إلى إحصاء، يصبح من الصعب التأكد ما إذا كانت الإجابات تعني الشيء نفسه مع الزمن، وهكذا يصبح من الصعب إجراء مقارنات أو تحديد اتجاهات.

أصبحت أسئلة اللغة ذاتها قضية سياسية في إحصاء عام (2011). فقد قررت الحكومة الكندية أن تكون الإجابة طوعية عن أسئلة الاستبيان الإحصائي المكوّن من أربعين صفحة، والذي يتضمّن معظم أسئلة اللغة. لقد اقتنعت المجموعات الناشطة الفرانكوفونية بأن هذا القرار سيضرّ بلغتهم، وهكذا رفعت دعوى قضائية على الحكومة. ورضخت الحكومة للضغط ووافقت على إضافة استبيان قصير يتضمن أسئلة عن اللغة المحليّة والطلاقة واللغة الأم، على أن تكون الإجابة إلزامية. وبالنتيجة، عالجت ثلاثة أسئلة من كل عشرة، موضوع اللغة، وقدّم الإحصاء معلومات عن الطلاقة واللغة المحلية واللغة الأم.

احتاج الأمر سنوات عديدة لمعالجة بيانات الإحصاء، وكان آخر النتائج المُتاحة حتى تأليف هذا الكتاب هي نتائج إحصاء عام (2006). وقد تم تلخيص النتائج في 'تقرير كندا الإحصائي' بعنوان 'الصورة اللغوية المتطوّرة' لكندا، وبشكل خاص، تلك التي ألّفها

'كوربيل وبلاسر' (2007): إذ ركّزت تحاليل الإحصاء على النتائج المتعلّقة باللغة الأم.

مقارنة بين الفرنسية والإنكليزية

يلخّص الجدول (2.1) نتائج كندا اللغوية كلها، والتي تم استخلاصها من جداول 'كوربيل وبلاسر'، بالإضافة إلى جداول أخرى من موقع الإحصاء الكندي على الشبكة الإلكترونية:

- اثنان وعشرون بالمئة من السكان هم 'فرانكوفونيون'، أي ناطقون بالفرنسية، بينما ثمانية وخمسون بالمئة 'أنغلوفونيون'، أي ناطقون بالإنكليزية.
- خمس السكان يتحدثون غالباً بالفرنسية في البيت، وثلثا السكان يتحدثون الإنكليزية.
- يقول الثلث تقريباً إنهم يعرفون الفرنسية، ويقول خمسة أسداس إنهم يعرفون الإنكليزية.
- يدعي ثمن السكان أنهم يعرفون الفرنسية فقط، ويدّعي ثلثا السكان أنهم يعرفون الإنكليزية فقط.

الجدول 2.1 موقع اللغتين الفرنسية والإنكليزية في كندا، إحصاء عام (2006).

	اللغة الفرنسية		اللغة الإنكليزية	
	مليون	النسبة المئوية	مليون	النسبة المئوية
اللغة الأم	6.9	22	18.1	58
اللغة المحلية	6.7	21	20.8	67
يعرف	9.5	30	26.5	85
يعرف فقط	4.1	13	21.1	68
عدد السكان	31.2			

لدينا هنا عدة مقاييس لتحديد مكانة هاتين اللغتين في المجتمع الكندي. ويُحتمل أن الإحصاءات الأقل تفضيلاً للفرنسيين هي تلك التي تبين مقدرة عالية في ثنائية اللغة، وتميل إلى أن تكون موزّعة بشكل تفاضلي بين اثنين من مجتمعات اللغة المحلية. في حين أن اثنين وأربعين بالمئة من الفرانكوفونيين هم ثنائيو اللغة لمعرفتهم باللغة الإنكليزية، فإن تسعة بالمئة من الأنغلوفونيين، هم ثنائيو اللغة لمعرفتهم باللغة الفرنسية. وبينما يعرف ثلاثة عشر بالمئة اللغة الفرنسية فقط، فإن هناك خمسة أضعاف هذه النسبة من 'الأنغلوفونيين' الذين يعرفون الإنكليزية فقط. ومن جهة أخرى، يزداد عدد 'الأنغلوفونيين' الذين يعرفون اللغة الفرنسية قياساً بالإحصاء السابق.

تحوّل اللغة

المقياس الآخر للعلاقة بين الفرنسية والإنكليزية هو ما أطلق عليه الإحصاء اسم 'تحوّل اللغة' – عدم استخدام اللغة الأم حالياً في المنزل. ويمكننا رؤية عملية التحوّل من خلال مقارنة النسق الأول والثاني في عمود اللغة الإنكليزية من الجدول (2.1). فهناك زيادة بمقدار مليونين وسبعمئة ألف، بين الكنديين الذين يقولون إن الإنكليزية هي لغتهم المنزلية وعددهم (20.8) مليوناً، والذين يقولون إنها كانت لغتهم الأم وعددهم (18.1) مليوناً. هذا يعني أن الناس قد 'تحوّلوا' من الفرنسية إلى الإنكليزية. بالتناقض مع ذلك، هناك انخفاض بمقدار مئتي ألف بين الناس الذين يتحدثون الفرنسية في المنزل وعددهم (6.7) مليوناً، والناس الذين يدّعون أنها لغتهم الأم وعددهم (6.9) مليوناً، وهذا يعني أيضاً أن الناس تحوّلوا إلى اللغة الإنكليزية. وهكذا يكون تفسير تقرير التعداد السكاني على الشكل الآتي:

على الرغم من عدم وجود أي تأثير مباشر على حجم الأقليات الفرانكوفونية ونموّها خارج مقاطعة 'كيبك'، فإن تحوّل اللغة الفرانكوفونية إلى الإنكليزية هو غالباً نذيرٌ بتغيّر مستقبلي. فعادة ما تكون اللغة التي يتم التحدث بها في المنزل هي اللغة التي يتم نقلها إلى الأطفال على أنها اللغة الأم. (كوربيل وبلاستر، **2007**: **17**).

التمرين 2.7: تقارير (التعداد الإحصائي)

بسبب نسبة اثنين وأربعين بالمئة، التي صدرت عن إحصاء (**2006**)، حول الفرانكوفونيين ثنائي اللغة (الناطقين باللغة الفرنسية كلغة أم، والذين يعرفون الإنكليزية بالإضافة إلى الفرنسية)، أصبح أمام العاملين بالتقارير الإحصائية لغزٌ مثيرٌ للاهتمام: فقد انخفضت القيمة عن إحصاءات سابقة. حتى عام (**2006**)، كان هناك تزايد في التوجّه نحو الإنكليزية. ولاحظ مترجمو هذا الإحصاء أن من الصعب الاعتماد عليه، فاقترحوا الآتي:

تفسير معقول

قبل الإحصاء بحوالي شهر واحد، تم نشر رسالة إلكترونية مكتوبة باللغة الفرنسية على صفحات الأنترنت من قِبَلِ شخص مجهول. تضمنت الرسالة معلومات زائفة، وأوصت الناطقين ثنائيي اللغة الفرانكوفونيين بألا يُبلغوا، في الإحصاء السكاني القادم، في السادس عشر من 'مايو – أيار'، عن معرفتهم باللغتين الرسميتين، وذلك بحسب زعمه، لضمان عدم مقدرة الحكومة الفيدرالية على قطع الخدمات عن الفرانكوفونيين. وتم تشجيع الفرانكوفونيين على التصريح بمعرفتهم للغة الفرنسية فقط، وليس الإنكليزية. وانتشرت الرسالة الإلكترونية عبر البلد كله. وتم نشر ملاحظة، عبر موقع كندا الإحصائي، تلفت انتباه الكنديين إلى محتويات الرسالة الخاطئة وتطلب إليهم الإجابة عن الأسئلة بدقة (كوربيل وبلاسر، **2007**).

هذا يعني، أن مترجمي الإحصاء يؤمنون بأن التغيير الظاهر لم يكن تغييراً حقيقياً بل كان نتيجة بلاغ كاذب مقصود وتكتيكي قام به أحد الفرانكوفونيين.

1. هل توافق على أن حملة البريد الإلكتروني هذه قد تكون 'تفسيراً معقولاً' للتغيّر غير المنطقي في النتائج؟ هل تستطيع اقتراح أسباب أخرى؟

2. لم يظهر التفسير السابق (تم استرجاعه أصولاً عام 2009) على موقع كندا الإحصائي عندما تمت كتابته. هل تستطيع أن تقترح سبباً لذلك؟

3. حدد نتائج بحث مشابهة في إحصاء عام (2011) على موقع كندا الإحصائي. هل نجح ثنائيو اللغة الفرانكوفونيون أو فشلوا مرة أخرى؟ ما هو التفسير برأيك؟

الجدول (2.2): مكانة اللغتين الفرنسية والإنكليزية في مقاطعة 'كيبك' مقارنة مع باقي مقاطعات كندا في إحصاء عام (2006)، بالنسب المئوية.

	مقاطعة كيبك (%)	باقي المقاطعات الكندية (%)
الفرنسية هي اللغة الأم	80	4
الفرنسية لغة المنزل	82	3
يعرف الفرنسية	95	10
يعرف الفرنسية فقط	54	1
الإنكليزية هي اللغة الأم	8	72
الإنكليزية لغة المنزل	11	84
يعرف الإنكليزية	45	98
يعرف الإنكليزية فقط	4	88
مجموع عدد السكان	7.4 مليون	23.8 مليون

لقد استنتجوا أنه، خارج منطقة 'كيبك'، يتناقص عدد أطفال الأمهات الفرانكوفونيات الذين يتعلّمون اللغة الفرنسية، ويزداد عدد الشباب اليافعين الفرانكوفونيين الذين يتكلمون اللغة الإنكليزية. وهكذا فإن السكان الفرانكوفونيين يكبرون في السنّ بشكل أسرع من الأنغلوفونيين، ويشهد الناطقون باللغة الفرنسية خارج 'كيبك' نسبة ارتفاع طفيفة جداً في الجيل الثاني.

مقاطعة 'كيبك'

4. على الرغم من وجود أقليات كبيرة تتحدث الفرنسية في مقاطعات أخرى، فإن 'كيبك' هي المقاطعة التي تُعتبر فيها اللغة الفرنسية لغة الأكثرية، وذلك يعاكس الوضع الذي تتخذه اللغة الإنكليزية في باقي مقاطعات كندا (الجدول **2.2**). كما تُعتبر اللغة الفرنسية اللغة الأم لثمانين بالمئة من الناس في مقاطعة كيبك، ويستخدمها اثنان وثمانون بالمئة من الناس في المنزل، ويستطيع خمسة وتسعون بالمئة منهم أن يتحادثوا بها. وعلى العكس من ذلك، فإن نسبة استخدام اللغة الفرنسية في باقي المقاطعات الكندية منخفضة جداً (الأنساق العليا من العمود الأيسر) خارج كيبك، إذ يدّعي أقل من واحد بالمئة من الناس أنهم أحاديو اللغة، ويتكلّمون اللغة الإنكليزية، لكن في كيبك، تبقى أهمّ الروافد التي تدعم اللغة الفرنسية هي أن المهاجرين يتكلّمون الفرنسية في منازلهم أكثر مما يتكلّمون الإنكليزية. إن مقاطعة 'مونتريال' جذابة للمهاجرين الذين يتحدثون الإيطالية والإسبانية والفرنسية الكريول، وكذلك البرتغالية والرومانية. وتفترض تقارير الاحصاءات أن تشابه اللسانيات بين هذه اللغات الرومانسية واللغة الفرنسية قد ساهم بجلب الناطقين بها إلى 'مونتريال'.

استخدام الإحصاءات

تزودنا الاستطلاعات والإحصاءات بمعلومات لغوية 'كبرى – ماكرو' لا تقدّر بثمن، ويصعب الحصول عليها بأية طريقة أخرى. لكنها أدوات بحث حادّة نسبياً، وهناك الكثير من المحاذير حول التعامل مع بيانات الإحصاءات والاستطلاعات الخاصة باللغة، منها:

- تحديد المقاييس التي تُعتبر أفضل المؤشرات على توزّع اللغات في المجتمع.
- وضع أفضل الكلمات من أجل طرح الأسئلة، وأفضل الإطارات للأجوبة.
- التعريف الدقيق لبعض المصطلحات مثل 'اللغة الأم' و'التحدث بلغة'

التمرين 2.8: الإحصاءات في كندا وأماكن أخرى

تفحص في هذا القسم جميع البيانات المرتبطة باللغة الفرنسية والإنكليزية، واطلع على موقع كندا الإحصائي للحصول على بيانات أخرى ذات صلة.

1. راجع الجدولين (2.1) و(2.2) للحصول على مزيد من الأدلّة عن العلاقة بين اللغتين. هناك مثلاً نماذج في الجدول (2.2) تشير إلى فوارق أبعد بينهما.

2. كيف يمكنك تقييم مكانة اللغة الفرنسية بالنسبة إلى الإنكليزية في إحصاء كندا عام (2006)، بناءً على هذه البيانات؟

بدأت إحصاءات عام (2011) في كندا في شهر "مايو – أيار" من العام ذاته، وتم نشر التقرير الأولي عن نتائج اللغة في شهر (أوكتوبر – تشرين الأول) عام (2012) على موقعهم على الأنترنت. ويمكن مقارنة معظم الجداول فيه مع إحصاء (2006) (وما قبله).

3. قارن نتائج عامي (2006) و(2011) على الموقع (لاحظ التحذيرات التي نشرها الصحفيون حول المقارنة).

4. ما هي التغيّرات، وما هي التشابهات؟ وبشكل خاص، ما هي اتجاهات العلاقة بين اللغتين الإنكليزية والفرنسية؟

5. ما هي الفكرة التي يمكن تقديمها حول مستقبل اللغتين الإنكليزية والفرنسية في كندا؟

لاحظ ما يأتي: لأن بيانات إحصاء (2006) التي عرضتها في هذا القسم كانت مجمّعة من عدد من الجداول، فربما لا تتطابق تماماً مع أي جدول من الجداول الموجودة في الموقع.

بالنسبة إلى بلدك أنت أو إلى أي بلد آخر يهمّك، تفحّص النتائج اللغوية من آخر إحصاءات هذا البلد.

6. قم بترجمة هذه النتائج بذات الطريقة التي قمنا بها بالنسبة إلى كندا.

7. ماهي الأسئلة التي طُرِحَت، وما هي النتائج؟

8. ما هي الصورة اللسانيّة الاجتماعية التي تعرضها النتائج عن الدولة؟

إن تحليل مجموعة بيانات ضخمة ومعقّدة وتفسيرها كبيانات الإحصاء يُعتبر مليئاً بالمساومات، وهناك احتمالات كبيرة لظهور أخطاء. ويُطبّق هذا الأمر على استخلاص الأرقام من الإحصاءات وتعديلها مهما كان الاهتمام كبيراً. كما يحتاج تفسير العديد من الاتجاهات إلى كثير من الحذر، فالأرقام الإجمالية لكندا كلها في الجدول (2.1) مثلاً، هي أرقام مضللة إذا لم نأخذ التوزع الإقليمي بعين الاعتبار (الجدول 2.2). وهذا يبين مدى التوزّع الجغرافي للغتين الإنكليزية والفرنسية بين مقاطعة كيبك والمقاطعات الأخرى.

على الرغم من هذه المحاذير كلها، هناك معلومات لسانية اجتماعية جديرة بالاهتمام يمكن الحصول عليها من خلال

الإحصاءات والاستطلاعات الأخرى، ولا سيما إذا تم استكمال المسح بمعلومات ظرفية نوعية من النوع الذي سنتعامل معه في فصول لاحقة.

2.6 نشاط البحث: استطلاع ثنائي اللغة

يتضمن التمرين (2.9) استبياناً قصيراً حول استعمال ثنائية اللغة التي أستخدمها مع طلابي في الفصل الدراسي. وهو أشبه بصورة مصغّرة عن مشروع مسح أو استطلاع. إنه يمنح الطلاب فرصة لإجراء مقابلات – وأن تُجرى مقابلات معهم – في بيئة داعمة، كما يتطلّب منهم إجراء تحليل للمعلومات التي حصلوا عليها في الاستبيان، وتفسيرها وعرضها على الآخرين.

كان هذا الاستبيان مصمماً لتلبية احتياجات الطلاب، وخاصة الأجانب، الذين يشكلون الأغلبية عادة في الصفوف التي أعلمها، لكن يمكن تعديله بسهولة ليناسب الطلاب الآخرين ثنائيي اللغة. ويمكن العمل على المقابلات على شكل ثنائيات داخل الصف. إذ يضع من يُجري المقابلة الأسئلة لمن تُجرى المقابلة معه، ويسجّل الإجابات على الورقة. ولا بد أن يكون في الاستبيان صفحتان لترك مساحة كافية للإجابات. كما يجب إجراء النشاط بما يتوافق مع المبادئ الأخلاقية للمؤسسة.

إذا كان نصف طلاب الصف ثنائيي اللغة، يمكن لأحاديي اللغة إجراء مقابلة مع ثنائي اللغة. وإذا كان أكثر من نصف الطلاب ثنائيي اللغة، عندئذٍ، ولبعض الثنائيات على الأقل، يمكن أن تجري المقابلة بالاتجاهين. وإذا لم يكن هناك ما يكفي من ثنائيي اللغة في الصف، يمكن إجراء مقابلات مشتركة مع زوج من أحاديي اللغة. وفي المقابل، يمكن استخدام ذلك كنشاط خارج الصف، وذلك بقيام الطلاب بإجراء مقابلات مع أشخاص ثنائيي اللغة لديهم

روابط تواصل جاهزة معهم. تأكد من إجراء ذلك بما يتوافق مع الإجراءات الأخلاقية للمؤسسة.

تحتاج كل مقابلة من هذه المقابلات إلى ما يقارب العشر دقائق. يقوم بعدها من يجري المقابلة بتلخيص صورة ثنائية اللغة عمّن تُجرى المقابلة معه، ويقدم تقريراً عن النتائج للصف كله. ويمكن لمن تُجرى المقابلة معه أن يعلّق على من يجري المقابلة بخصوص ما إذا كان قد قدّم تقريراً مُنصفاً عن استخدامه.

ما إن تنتهي المقابلة والتقرير النهائي، يمكن للطلاب تقييم الاستبيان بأنفسهم:

- أين كانت بعض الأسئلة زائدة أو غير جيدة بالنسبة إلى بعض من أجريت المقابلات معهم؟
- هل هناك أشياء هامة غير مطروحة في الاستبيان؟
- هل يمكن تحسين بعض العبارات؟ هل كان بعضها غير واضح؟
- هل انحرف الطلاب عن العبارات التي وضعوها، أو هل أضافوا أسئلة بهدف المتابعة، أو هل يوسّعون المصطلحات؟ كيف يمكنهم تعديل الاستبيان ليكون مناسباً؟

التمرين 2.9: استبيان حول ثنائية اللغة

على من يجري المقابلة أن يطلب من ثنائي اللغة الذي تُجرى معه المقابلة الإجابة عن الأسئلة الواردة أدناه، وأن يدوّن المعلومات على الورقة، علماً أنه ليست جميع الأسئلة قابلة للتطبيق على جميع من تُجرى معهم المقابلات. كما أن لدى من تُجرى معه المقابلة الحرية الكاملة في عدم الإجابة على أسئلة معيّنة إذا لم تكن لديه رغبة في ذلك.

آ – الخلفية الاجتماعية واللغوية.

1 – ما هي اللغة التي تحدثتَ بها أولاً؟

2- هل لا زلت تستخدم تلك اللغة باستمرار؟

3- هل يمكنك الشروع بمحادثة عَرَضيّة في تلك اللغة؟

4- هل يمكنك مناقشة عمل يخصّ الجامعة في تلك اللغة؟

5- ما هي اللغات الأخرى التي تتحدث بها بطلاقة؟

6- هل قمت يوماً 'بتحويل الرمز' بين اللغات التي تتحدث بها (استخدمت لغات من اللغتين كلتيهما في جملة واحدة)؟

7- منذ متى وأنت تعيش في هذا البلد؟

8- من أي بلد أنت؟

9- في أي بلد يعيش أهلك؟

10- هل تعيش في هذا البلد بشكل دائم؟ إذا لم يكن الأمر كذلك، هل ستعود إلى البلد الذي أتيت منه بعد أن تُنهي دراستك؟

11- ما هي اللغة التي يتحدث بها أهلك؟

ب – الشخص الذي يجري الحوار معه: ما هي اللغة التي تستخدمها مع الأشخاص الآتيين:

1- الجدّ والجدة.

2- الأهل.

3- الأعمام والعمات.

4- الإخوة والأخوات.

5- أصدقاء في البلد كانت لغتهم الأولى هي لغتك الأولى ذاتها.

6- أصدقاء من البلد لم تكن لغتهم الأولى هي لغتك الأولى ذاتها.

7- المُحاضر في الجامعة.

8- المدراء في الجامعة أو في المكاتب الحكومية الرسمية.

ت – المجالات: ما هي اللغة التي تستخدمها في الأوضاع الآتية:

1- في المنزل، في البلد الذي أتيت منه، ثم في هذا البلد.

2- في محل تجاري في البلد الذي أتيت منه، ثم في هذا البلد.

3- في مركز الخدمات الدينية في البلد الذي أتيت منه، ثم في هذا البلد.

4- في قاعة الدراسة في الجامعة.

5- وأنت جالس في مقهى الجامعة.

6- وأنت تناقش دراساتك مع الطلاب الآخرين، ثم مع المُحاضر.

7- مع أي مجموعة خاصة تنتمي إليها في هذا البلد (نوادٍ رياضية أو أي نوادٍ أخرى) – حددها.

8- في مركز تجمّع عرقي.

2.7 ملخّص

• إن التعددية اللغوية بثلاث لغات أو أكثر هي حقيقة حياة يوم في بلدان مثل سويسرا وغينيا الجديدة. وتُقدّر قيمتها للمزايا المعرف التي أظهرتها الأبحاث التي تقدّمها، ولأهميتها؛ بوصفها هوي ولإمكانيتها في عرض المهارات اللغوية. من الناحية التاريخية، وتنظ التعددية اللغوية عادة بسبب الإرث أو الهجرات أو التغيّر في الحدو وهناك انحياز نحو أحادية اللغة بوصفها معياراً قومياً على الرغم ا الانتشار الواسع لتعددية اللغة حتى في البلدان الأوروبية الغربية.

• يمكننا مقاربة الثنائية اللغوية من خلال عدد من الثنائيات:

➢ ربما تكون ثنائية اللغة اجتماعية أو فردية. وقد تنتج الثنائ الاجتماعية منها عن التداخل بين أفراد أحاديي اللغة.

➢ لدى ثنائي اللغة عادة مستويات مختلفة من المهارات في لغا مختلفة، وغالباً ما تكون فهم اللغتين، وفي التحدث بلغة واحدة.

➢ في ثنائية اللغة الأساسية، يتم تعلّم اللغتين كلتهما 'بشك طبيعي'، لكن في ثنائية اللغة الثانوية، يتم تعلّم إحدى اللغتين رسم

➢ في ثنائية اللغة (التي تضيف معلومات)، يحافظ المتحدث عل لغته الأساسية بالكامل عندما يتعلّم لغة أخرى، بينما في ثنائية اللغ (التي تُنقص معلومات)، تتضاءل المعلومات في اللغة السابقة.

➢ يمكن لثنائية اللغة أن تكون ثابتة أو ديناميكية – تخض للتغيير.

⮘ تتضمن ثنائية اللغة غالباً مجموعة الأكثرية بالإضافة إلى مجموعة أو اثنتين من الأقليات، إما من السكان الأصليين أو من المهاجرين.

• أنا أميّز ثلاثة مناهج رئيسة لدراسة تعددية اللغة. أولاً: ازدهرت اجتماعيات اللغة منذ ستينات القرن العشرين، واستخدمت عادة طريقة الاستبيان أو المسح الاستطلاعي لجمع البيانات. إن تركيزها هو على لغات البلدان كلها أو على المجموعات أو على توزّعها.

• النهج الثاني هو الحيوية اللسانية العرقية الذي تطوّر من علم النفس الاجتماعي في سبعينات القرن العشرين. وتأثرت حيوية لغة الأقليّة بحالتها الديموغرافية والدعم المؤسساتي. كما تركّز الحيوية اللسانية العرقية الذاتية على مفهوم المجموعة لمكانتها.

• أخيراً، هناك مناهج نقدية بنيوية حديثة جداً تفكك فكرة اللغات المتمايزة تحديداً، وترى التعددية اللغوية من ناحية مجموعة المصادر التي يتعامل معها المتحدث. ويثير هذا النهج تحديات أساسية للمقدمات المنطقية التي استند إليها النهجان الأول والثاني.

• الاستبيانات والاستطلاعات هي المنهجية القياسية لأبحاث الاجتماعيات اللغوية، وأبحاث الحيوية اللسانية العرقية. وقد طرحت معظم الإحصاءات القومية أسئلة لغوية، واستخدم علماء اللسانيات الاجتماعية البيانات الناتجة من أجل تصوير الشكل اللغوي في بلدانهم. إذ تسأل الإحصاءات في العادة أسئلة حول أحد الأنواع الثلاثة الآتية: اللغة المستخدمة في المنزل، الطلاقة في اللغة، أو اللغة الأم.

• تركّز دراسة الحالة التفصيلية عن إحصاء كندا في العام (2006) على العلاقة بين الإنكليزية والفرنسية. إنها تُظهر أن اثنين وعشرين بالمئة من السكان هم فرانكوفونيون، ولغتهم الأم هي الفرنسية، بينما ثمان وخمسون بالمئة هم أنغلوفونيون. وبشكل عام،

يقول ثلث السكان تقريباً إنهم يعرفون الفرنسية، وخمسة أسداس يعرفون الإنكليزية. لكن في مقاطعة كيبك، تختلف مواقع اللغتين الإنكليزية والفرنسية اختلافاً جذرياً.

• تعطينا الاستطلاعات والإحصاءات معلومات لغوية لا تقدّر بثمن، ومن الصعب الحصول عليها بطرق أخرى. إنها أدوات بحث حادّة نسبياً، ويمكن أن يكون فيها إشكالات مثلاً في طريقة طرح السؤال وتحديد المصطلحات وتعريفها. لكن هناك معلومات مثيرة للاهتمام عن اللسانيات الاجتماعية، وخاصة إذا تم إكمال الاستطلاع بمزيد من المعلومات النوعية.

2.8 قراءات متقدمة

تم تكريس عدّة مجلّات للثنائية والتعددية اللغوية بشكل خاص – "*المجلة العالمية لثنائية اللغة*"، "*مجلة ثنائية اللغة والتعليم ثنائي اللغة*"، "*تعددية اللغة والمجلّة العالمية للتعددية اللغوية*". وقد ظهر عمل الحيوية اللسانية العرقية غالباً في "*مجلّة التنمية متعددة اللغات ومتعددة الثقافات*"، و"*مجلّة اللغة وعلم النفس الاجتماعي*". "*إثنولوجو*" (لويس، 2009)، وهو ملخّص مُحدّث لمعلومات عن لغات العالم من 'المعهد الصيفي للغات'. والنسخة الحالية منه يمكن البحث عنها على شبكة الأنترنت؛ إذ قام 'ميركاتور سنتر' بتشغيل موقع إلكتروني شامل جداً عن التعددية اللغوية، وخاصة في أوروبا.

منذ أواخر ستينات القرن العشرين تولّى 'جوشوا فيشرمان' برنامج نشرٍ وتحريرٍ يهدف إلى تعريف اجتماعيات اللغة وترسيخها بوصفها مجالاً خاصاً. وفي سلسلة من المؤلّفات الهامة، جمع فيشرمان مقالات كانت مُبعثرة في أماكن من الصعب الوصول إليها غالباً. وقد كان لمجموعة فيشرمان، بالإضافة إلى مجموعة أخرى حررها 'هايمز'، تأثير

كبير في البدايات لتحديد ماهية اللسانيات الاجتماعية، وتابع عمله لينشر الكثير من الأعمال في مطلع القرن الحادي والعشرين. وربما كانت مساهمة 'فيشرمان' الكبرى في عمله في مجال التحرير هي تأسيس ***'المجلة العالمية لاجتماعيات اللغة'*** في عام (1974). وتظهر هذه المجلّة في ستة إصدارات يصل مجموع صفحاتها إلى ألف صفحة سنوياً. وتغطي معظم الإصدارات موضوعاً معيناً، غالباً ما يكون عن اللسانيات اللغوية في لغة خاصة أو منطقة خاصة.

هناك عدة مؤلّفات جيدة – مجموعة محاضرات وفصول أساسية – عن التعددية اللغوية من ستينات القرن العشرين وما بعد. تتضمّن معظم المجلّدات الحديثة عمل 'لي وي' بعنوان 'قراءات ثنائية اللغة' (2000)، التي تحمل بعض المقالات الكلاسيكية الأولى التي اقتبست منها في الفصول الافتتاحية من هذا الكتاب. أما عمل 'أوير' و'لي وي' بعنوان ***'كتاب التعددية اللغوية والتواصل المتعدد اللغات'*** الصادر عام (2007) فيتضمن فصولاً تهتم بجوانب مختلفة من التعددية اللغوية. ويوجد أيضاً كتاب 'بهاتي' و'ريتشي' الصادر عام (2004) بعنوان ***'كتاب ثنائية اللغة'***، وهو يغطي أبعاداً سيكولوجية وعصبية، وكذلك أبعاداً لسانية لغوية. ويختتم بسلسلة مفيدة من مقالات استطلاعية عن الثنائية اللغوية في مناطق العالم الرئيسة مثل وسط آسيا وجنوب أفريقيا. أما المجلّد الرابع من أصل ستة مجلدات لـ 'كوبلاند وجاورسكي' (2009)، والمتضمن مجموعة من المؤلفات الرائدة المجمّعة، فيغطي موضوع ***'اللسانيات اللغوية للتعددية اللغوية'***. وهناك أيضاً أربعة مجلدات عن ***'ثنائية اللغة وتعدديتها'***، وقد صدرت في السلسلة ذاتها (لي وي، 2010). كما يُعتبر كتاب 'رالف فاسولد' (1984) بعنوان ***'اللسانيات الاجتماعية للمجتمع'*** نمطاً قديماً الآن لكنه يقدّم الكثير من التفاصيل عن الدراسات اللسانية اللغوية الكبرى التي كانت سائدة حتى ذلك

الوقت. وتأتي الدفعة المختلفة عن عمد في كتاب 'مارتن جونز، بلاكليدج وكريس' بعنوان "*كتاب روتليدج حول التعددية اللغوية*"(2012)، الذي يعرض عملاً نقدياً بنيوياً حديثاً.

كتاب 'هاوارد غايلز' الصادر عام (1977) بعنوان '*اللغة والعرق والعلاقة بين المجموعات*' هي مجموعة أساسية عن أبحاث الحيوية اللسانية العرقية. وإصدار خاص من '*مجلّة التنمية متعددة اللغات والثقافات*' الذي قام بتحريره 'إهالا ويغمور' عام (2011)، جامعاً بعض الدراسات الحديثة ومقدماتها، ويُبرز وجهة نظر جيدة عن الحيوية اللسانية العرقية. وكتاب 'هيلر' بعنوان 'الثنائية اللغوية: مقاربة اجتماعية (2007)، يقدم مجموعة جيدة من الفصول التي تطرح منظوراً نقدياً للتأثير في قضايا التعددية اللغوية.

هناك تقليد طويل جداً من التحليل اللساني الاجتماعي لبيانات الإحصاءات أو التعداد. لقد عمل 'فيشرمان' على بيانات إحصاء الولايات المتحدة على مدى سنوات طويلة، كما فعل 'كلاين' في أستراليا (كلاين وكيب،2006). وهناك دراسات مبكرة في كندا قام بها 'ليبرسون' (1972)، وتحليلات أكثر حداثة عن إحصاء 'ويلش' قام بها 'أيتشيزن' وكارتر'(2004). كما تشكل المواقع الإلكترونية الآن الطريقة الأفضل للدخول إلى بيانات الإحصاءات الخاصة باللغة، مع أن معظم وكالات الإحصاءات الحكومية لا تضع إلا التحليلات البدائية.

تركيز الأبحاث الكندية على ثنائية اللغة، وبشكل خاص على علاقة اللغة الفرنسية بالإنكليزية، يمكن إيجادها في أعمال لباحثين من أمثال 'لامبرت' (1967)، 'إدوارد' (2004، 2007)، (بورخيس، جيلز وروزنتال، 1981)، و'هيلر' (1988). يوجد في موقع إحصاءات كندا تقارير وجداول ومعلومات أخرى حول النتائج اللغوية للإحصاءات الكندية.

الفصل الثالث

تحوّل اللغة والحفاظ عليها

رأينا في الفصل السابق أنه عندما تتواصل لغتان أو ثلاث في مجتمع ما، يصبح الوضع غير مستقرّ على الأرجح. ويظهر ذلك عادة على شكل تحوّل عن اللغة عندما ينتقل الناطقون بلغة معينة إلى لغة أخرى. وبالمقابل، عندما تعي المجتمعات وقوع هذا التحوّل، يبذلون جهوداً كبيرة للحفاظ على لغتهم الخاصة. سنعرض في هذا الفصل موضوع التواصل بين اللغات، ثم ننتقل إلى معالجة تحوّل اللغة والحفاظ عليها.

3.1 عرض عن التواصل اللغوي

تتواصل اللغات عندما يتواصل الناس. فإذا كانت هذه اللغات مختلفة (أي هناك لغات متعددة)، وإذا كان التواصل أكثر من مجرّد حالة عابرة، يمكن أن تظهر لدينا عدة آثار لغوية ولسانية اجتماعية؛ إذ يوجد في العالم حالات تتعايش فيها اللغات بعلاقة مستقرّة، ولفترة طويلة جداً كما هو الحال مع اللغتين الفنلندية والسويدية في فنلندا مثلاً. لكن حالات الاستقرار هذه أقل شيوعاً بكثير من عدم الاستقرار. يكون تركيز تواصل اللغات إما على حالات تواصل جيد أو على الموقع الذي يبدأ فيه التكوين اللغوي بالتغيّر في حالات التواصل

التي تبدو مستمرة. وهو ما يحدث في شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية حيث يتحوّل الألمان من أبناء طائفة 'الأميش'[1] من النظام القديم في بنسلفانيا، عن لغتهم بعد أن حافظوا على الاستقرار لقرون (جونسون – وينر، **1998**).

يحدث تواصل اللغات أساساً نتيجة لانتقال الناطقين بلغة معينة إلى منطقة أخرى وتواصلهم مع ناطقين بلغة أخرى. وقد يكون هنا الانتقال من زمن ماضٍ أو حديث العهد أو يجري الآن – كأن يضع أسلاف مجموعة مهاجرة، مثلاً، طريقة التواصل مع لغة معاصرة على مدى التاريخ، كان للبشر مبررات كثيرة للسفر، وهو ما كان يؤدي إلى أنواع تواصل مختلفة عادة.

- الاستكشاف – كان ذا أهمية كبيرة في أثناء التوسع الأوروبي في القرن الخامس عشر.
- التجارة والتبادل التجاري، والأعمال – كانت دوماً سبباً أساسياً للتواصل.
- الصراعات – شن الحروب والخدمة العسكرية، واللاجئون بسبب الحرب.
- الهجرة سعياً لحياة أفضل – من الريف إلى المدينة، أو من بلد إلى آخر، كأفراد أو كجماعات.
- الاستعمار – هجرة جماعية عادة ما تسيطر على المنطقة المقصودة.
- العمل – عمال مهاجرون أو عبيد.
- الدين – هروب من الاضطهاد أو العمل بأنشطة تبشيرية، كان لكليهما الأثر الكبير أثناء الاستعمار الأوربي.

---

[1] طائفة مسيحية نشأت في العصور الوسطى، وهي فترة شهدت ظهور حركات إصلاحية مسيحية كثيرة، منها الطائفة التي كانت تُعرف باسم المسيحيين الجدد أو 'الأنابابتيست' التي يُعتبر الأميش جزءاً منها. يبلغ عددهم الآن ربع مليون، موزعين في الولايات المتحدة وكندا. المترجم.

• التعليم – أحد أسباب الانتقال الذي تزداد أهميته دوماً، مع أنه يعود بتاريخه في أوروبا إلى فترة العصور الوسطى على الأقل.

• السياحة – مصدر رئيس معاصر للتواصل اللغوي، مع يعود إلى عدة بلدان تعود بأصولها إلى أوروبا.

تهيّئ الظروف في أوقات وأماكن معيّنة لحدوث التواصل اللغوي. فتستقبل المناطق الحدودية عادة تواصلاً مستمراً بين لغتين أو أكثر بهدف التجارة أو العمل – أو بهدف الصراعات. وأكبر الأمثلة عن هذا النوع منطقة 'الألزاس' بين فرنسا وألمانيا، والحدود الأمريكية مع المكسيك. وكما تكون المدن الكبيرة كنيويورك وشنغهاي أو جوهانسبورغ جذابة للباحثين عن فرصة عمل، أو للسياحة وفرص التعليم والمشاريع التجارية، تكون جذابة للتواصل اللغوي الذي تشمله تلك الحالات. فقد خلقت فترات التوسّع أو الغزو أو الحرب تواصلاً جيداً ومكثفاً بين اللغات. وتميّزت قرون التوسّع الأوروبي الطويلة بكل نماذج التواصل المُدرجة. وقد أدّت فتوحات الإسكندر الكبير وجنكيز خان، والحروب العالمية في القرن العشرين إلى تواصل جديد واسع النطاق بين اللغات المتباينة.

من الملاحظ أن للحالات المختلفة التي تم إدراجها أنواعاً مختلفة من النتائج اللغوية؛ إذ تمحو لغة الاستعمار اللغات المحلية أحياناً كما حدث مع اللغة اللاتينية عندما خلقت لغات مثل الفرنسية والبرتغالية. وقد تخضع اللغة الاستعمارية في حالات أخرى إلى اللغة المحلية، كما كان حال اللغة الفرنسية التي ابتلعتها الإنكليزية بعد الاحتلال النورمندي. وأحياناً تبقى اللغة الاستعمارية هامة محلياً، كما حدث مع اللغة الإنكليزية في الهند، وهناك حالات أخرى ضاعت فيها اللغة دون أن تترك أي أثر، كما حدث مع اللغة الهولندية في إندونيسيا (أوستلر، 2005). في كل ما سبق، يؤدي

التواصل إلى الحفاظ على اللغة أو تحوّلها. وهناك نتائج أخرى أكثر تطرّفاً: كالتحوّل الأقصى للغة، موت اللغة؛ أو خلق لغة جديدة، وذلك عندما يحتاج أعضاء مجموعة بشرية لا تشترك بلغة معينة إلى التواصل فيما بينهم، إذ سيخلقون وسيلة تواصل معينة تُسمى 'لغة التواصل'. وتكون النتيجة إما 'اللغة المُبسّطة' التي تظهر عادة في الحالات التجارية، أو 'لغة الكريول' التي تنتج عن استعباد بشر من خلفيات لغوية مختلفة. وسوف نعالج موضوع ولادة اللغة وموتها في الفصل الرابع.

التمرين 3.1: فرص للتواصل اللغوي

يوجد في القسم (3.1) تسعة أنواع للانتقال من منطقة إلى أخرى، وجميعها تؤدي إلى تواصل لغوي: الاستكشاف، التجارة والأعمال، الصراعات، الهجرة سعياً لتطوير الحياة، الاستعمار، العمل، الأديان، التعليم، والسياحة.

- أي من تلك الحالات تحدث في منطقتك أو بلدك، أو حدثت سابقاً؟
- ماذا كانت آثارها اللغوية؟
- ما هي اللغات الجديدة التي أتى بها القادمون الجدد؟
- كيف استجاب السكان المحليون لذلك؟
- ما هي اللغة أو اللغات التي تم استخدامها للتواصل بين المحليين والقادمين الجدد؟

مثلاً، إذا كان التعليم العالمي صناعة رئيسة في بلدك:

- ما هي اللغات التي يميل الطلاب لاستخدامها؟
- ما هو حجم التفاعل بين الطلاب القادمين والطلاب المحليين؟
- ما هي اللغة المُستخدمة للتواصل مع أولئك الطلاب؟

هل يسافر الطلاب المحليون إلى أماكن أخرى ويتواصلون مع لغات أخرى، من أجل العمل مثلاً، أو من أجل التعليم أو السياحة؟ أي نوع من التواصل؟

السفر والتنقّل ليسا الطريقة الوحيدة لتواصل اللغات. فلطالما كانت وسائل الإعلام وسيلة أساسية أخرى، من المخطوطات في العصور القديمة، مروراً بالصحف في القرن الثامن عشر، إلى الأنترنت في مطلع القرن الحادي والعشرين. كما تستطيع وسائل الإعلام أن تجعل اللغة حاضرة في مكان لا تكون موجودة فيه بشكل مباشر عادة، فعلى مدى آلاف السنين، وضعت النصوص المقدّسة اليهودية والمسيحية والإسلامية لغاتها - العربية الفصحى، والعبرية والإغريقية - في حالة تواصل مع اللغات الأخرى عبر العالم (أوستلر، 2005). وخلال حقبة طويلة من التاريخ كانت هذه العملية أحادية الاتجاه، عبر إرسال وسائل الإعلام رسائل يتلقّاها الجمهور، وقد تغيّر هذا الأمر بالكامل في القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين مع ظهور وسائل الإعلام التفاعلية. إذ أصبح بالإمكان تبادل الأحاديث بين مستخدمي لغات مختلفة مع ظهور الهاتف بداية. وتزايد ذلك مع انتشار وسائل الإعلام الرقمية، وأصبح التواصل بين لغات متباعدة تجربة يومية عبر الأنترنت. وجدير بالذكر أن قابلية تناقل الأشكال الثقافية عالمياً، كموسيقى الهيب هوب مثلاً، حملت لغة الراب حول العالم كله.

عندما تتواصل اللغات، تظهر هناك مجموعة من التداعيات اللغوية واللسانية الاجتماعية. ويعتمد ذلك على نوع التواصل ودرجته، والعلاقة اللسانية والاجتماعية بينها:

- **اختيار اللغة:** عندما يحدث تواصل بين اللغات، على المتحدثين البدء باختيار اللغة أو اللغات التي يستخدمونها، ومتى يستخدمونها.

• تراتبية اللغة اجتماعياً: تصبح اللغات مرتبة إحداها بالنسبة إلى الأخرى على شكل طبقات من الناحية الاجتماعية، عبر 'ازدواجية اللسان – diglossia'[1] مثلاً (انظر الفصل 5.3).

• تغيّر اللغة: تتداخل اللغات إحداها مع الأخرى بطرق ودرجات مختلفة – إنها تستعير كلمات، وتفقد البُنى أو تستعيرها. ويمكن أن تكون هذه التغيّرات بالحدود الدنيا أو بالجملة. كما يركّز مجال التواصل اللغوي على التغيّر الناجم عن التواصل في اللغة.

• انتقال اللغة: أن يتم تبنّي إحدى اللغات بدلاً من الأخرى.

• التعرّض للخطر: تتعرّض إحدى اللغات لخطر الضياع، والإنهاك والتآكل أو الموت (انظر الفصل الرابع).

• تحوّل الرمز. تمتزج لغتان في المحادثة ذاتها أو الجملة ذاتها (انظر الفصل 5.4).

• خلق لغة. (اللغات المُبسّطة، ولغات الكريول) هي لغات يمكن خلقها من خلال التواصل بين اللغات (الفصل الرابع).

• خلق لهجات. بينما يترك الناطقون لغة معيّنة، ويكتسبون لغة أخرى، قد يخلقون نوعاً جديداً متأثراً بسمات متمايزة عن اللغة السابقة (انظر الفصل 7.4). ربما يحدث ذلك بالتزامن مع فقدان لغة.

إن اختيار اللغة وطبقاتها، وانتقالها والحفاظ عليها، وولادتها وموتها، وتآكلها وتحوّل رموزها هي كلّها ثمار التواصل بين اللغات. وسوف نبحث في هذه النتائج في هذا الفصل والفصول اللاحقة، وسنبحث في الفصل التاسع موضوع التواصل بين اللهجات.

---

[1] حالة تُستخدم فيها لغتان (أو نمطان من اللغة ذاتها) في ظل ظروف مختلفة داخل مجتمع، وغالباً من المتحدثين أنفسهم. ويُطبق هذا المصطلح عادة على اللغات ذات الأصناف المتمايزة "علية" و"منخفضة" (العامية)، كما هو الحال في اللغة العربية. المترجم.

3.2 وظائف اللغة

غالباً ما تم استخدام فكرة 'وظيفة اللغة' في مناقشة اتصال اللغة بلغة أخرى والحفاظ عليها وتحوّلها. إنه مبدأ 'كبير – ماركرو' ويُستخدم لتحديد الصورة اللغوية اللسانية لأمة أو مجتمع: فالمفهوم ذو الصلة بالموضوع على المستوى الصغير لخيارات الفرد هو 'المجال' الذي سنتعامل معه في الفصل (6.1). إن سؤال ما هي اللغات التي تُستخدم لوظائف ما في بلد ما هو التركيز الملائم لأبحاث تحوّل اللغة والحفاظ عليها، مع أخذ التنوّع بعين الاعتبار. لذلك فإن نمط استخدام لغة ما في دولة ما كان له دوماً بعد سياسي كبير.

في كل مجتمع أو أمة، يكون هناك نزعة نحو لغات منوّعة تُستخدم لغايات مختلفة، بالإضافة إلى الاستخدامات التي يحرّكها الطابع السياسي الاجتماعي للأمة. ويمكن تصنيف وظائف اللغة بوصفها شعبية جداً أو خاصة، فتتضمن الخاصة التواصل بين أفراد العائلة، والأصدقاء، وفي الحالات الاجتماعية، وفي النشاطات المحلية أحياناً. في معظم المجتمعات، يكون هناك لغة واحدة، أو عدّة لغات تشكّل لغة أكثرية، وتكون منتشرة على نطاق واسع، ويتم استخدامها في الوظائف الخاصة والعامة كلها. وقد يكون هناك لغات أقليّات تُستخدم أيضاً في الوظائف العامة، كما في الوظائف الخاصة. ويكون هناك لغات أقليّات أخرى يتحدث بها عدد قليل من المهمّشين اجتماعياً، لكنها لا تُستخدم إلا في وظائف خاصة.

يعتبر المجتمع المهيمن الوظائف العامة وظائف مرموقة، ويعتبر عدم استخدام لغة معيّنة في هذه الوظائف العامة مؤشّراً على افتقاد تلك اللغة للمكانة الاجتماعية. وتُعتبر الوظائف الاجتماعية العامة النموذجية للغة هي التعليم ووسائل الإعلام والإدارة والقضاء والبرلمان أو ما يساويها من مواضيع الدين والأعمال والتجارة (التمرين 3.2).

المؤسسات الثلاث الرئيسة حاملة اللغة في المجتمع هي التعليم ووسائل الإعلام والحكومة/ القضاء. وتخضع هذه المؤسسات عادة لهيمنة لغات الأكثرية، أو تلك اللغات التي تحظى بدعم قوي كدعم المؤسسات الدولية على سبيل المثال. وكما رأينا في الفصل الثاني، تُعتبر لغة الأقليّة قوية عادة بناءً على مدى استخدامها في الوظائف العامة. لكن عندما تُصبح اللغة سجينة المناخ الخاص بالمنزل، أو في الوظائف الإثنية والطقوس الدينية، فتُعتبر أقل هيبة في المجتمع الواسع، حتى من قِبلِ الناطقين بها أنفسهم.

يكون التعليم دوماً الأكثر أهمية بين هذه الوظائف الثلاث. ومن الشائع جداً أن يرغب الأهل في تعليم أطفالهم اللغة ذات الهيبة في مجتمعهم بدلاً من اللغة السائدة في المجتمع. وغالباً ما يكون الأهل غير مدركين للفائدة التي يحصل عليها أطفالهم من التعلّم بلغة المجتمع، في بداية التعليم الأساسي على الأقل. فقد كانت جدلات 'زنوج' الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر تسعينات القرن العشرين نموذجية جداً لإعطاء صورة عن الاستقطابات التي يمكن أن تحدث حول موضوع استخدام اللغة العامية الأفريقية الأمريكية بشكل رسمي في المدارس (ريكفورد 1999). يعتقد الأهل أن استخدام اللغة العامية في التعليم سيؤدّي إلى بقاء أطفالهم في أوضاع غير مناسبة لأنهم لا يتعلّمون، على الأرجح، اللغة التي تجعلهم يحصلون على وظيفة جيدة.

التمرين 3.2: تصوير وظائف اللغة

ما هي اللغات المستخدمة في كل وظيفة من وظائف مجتمعك؟ خذ خمس لغات أو خذ اللغات الأكثر انتشاراً، وسجّل تخمينات طلاب الصف عن استخدامهم لهذه الوظائف.

- التعليم

- وسائل الإعلام
- الحكومة (الإدارة)
- القانون (كتابة القوانين، وفي المحاكم)
- البرلمان (المناقشات في تجمّع مُنتخب)
- الأعمال والتجارة
- العائلة
- الأصدقاء
- التجمّعات

ضع الإجابات في جدول (اللغات – الوظائف) لتبني صورة وظيفة اللغة للبلد.

1. ما الذي يخبرك به ذلك عن التوزّع الوظيفي للغات المختلفة، وعن المواقف الاجتماعية ذات الصلة؟
2. في أي مجال من مجالات الحياة الاجتماعية لا يمكنك سماع هذه اللغات؟ ضع كل لغة مع ذكر السبب؟

إذا كان في الصف طلاب من مناطق أو بلدان أخرى، يمكنهم إنجاز العمل ذاته بالنسبة إلى بلدهم الأم. قارن النتائج بين البلدان، وفسّر التشابهات والاختلافات.

استخدام اللغة الرسمي في الحكومة والقانون له تأثيره الواضح على مكانتها، مع أنه قد لا يسمح بالتغلغل كثيراً في سلوك الحياة اليومية. وربما تؤمن وسائل الإعلام أوضح صورة عن اللغات، وتحتلّ الإذاعة موقعاً رائداً بين وسائل الإعلام؛ إذ تتخذ اللغات الإذاعية موقعاً موثوقاً لنشر الثقافة المرغوبة، ومن ضمنها اللغة ذات الهيبة والمكانة (بيل **1983**). وهكذا كان الفوز بالحضور في البثّ الإذاعي محط أنظار حركات الأقليات العرقية واللغوية، فنذكر اللغة 'الويلزية' في بريطانيا، ولغة 'الباسك' في فرنسا وإسبانيا أمثلة على ذلك. كما

تهتم الحالة التي سندرسها في هذا الفصل بمساهمة البثّ الإذاعي في إعادة تنشيط لغة من لغات الأقلّيات.

اللغات الرسمية والقومية

يرتبط مفهوم اللغة الرسمية والقومية بفكرة الوظائف اللغوية العامة. فربما تكون اللغة رسمية من خلال التشريع، أو تُستخدم بحكم الواقع في الأعمال الحكومية - ويفضّل أن تكون كليهما. إن مفهوم اللغة الرسمية مفهوم أساسي، وله علاقة بالتدابير العملية للحكم – ما أطلق عليه 'فيشمان' اسم 'الوطنية – nationism' (1972). فما يُسمّى لغات رسمية وغير رسمية في بلدان معيّنة قد يُثير الدهشة؛ إذ ليست اللغة الإنكليزية معيّنة كلغة رسمية في كل من بريطانيا والولايات المتحدة ونيوزيلندا مع أنها اللغة المهيمنة - والوحيدة في الممارسات الرسمية – في الأعمال الحكومية في الدول الثلاث. وهي لغة رسمية في الهند (مع اللغة الهندية)، وكذلك في كينيا وتانزانيا (مع اللغة السواحلية). كما أن اللغة الإيرلندية والإنكليزية لغتان رسميتان في إيرلندا مع أن اللغة الإيرلندية هي لغة فعّالة لعدد قليل من السكان فقط.

التمرين 3.3: تحويل 'وظائف اللغة' إلى مشكلة تتطلّب الحل

تم تطبيق مفهوم 'وظيفة اللغة' كمصطلح وصفي موضوعي، لكن هل يبدو مصطلحاً حيادياً فعلاً؟

1- هل يقسّم اللغات وقضاياها وفقاً لوجهات نظر عملية معيّنة تهمّ المجتمع؟

2- إذا كان الأمر على هذا النحو، لمن تعود كل وجهة نظر؟ وما هو تأثيرها؟

3- ما هي وجهات النظر البديلة، وكيف يمكنها تقييم اللغات بشكل مختلف؟

انظر الفصل العاشر للمزيد من التعمّق في التقييم الاجتماعي للغة، ونتائجها السياسية.

السبب الذي يجعل لغة كاللغة الإيرلندية لغةً رسميةً، يعبر من خلال مفهوم 'اللغة القومية'. ولا يرتبط هذا ببراغماتية 'الوطنية' بل بمصطلح 'فيشمان' المتباين عن 'القومية'، أي مفهوم الهوية القومية والارتباط. فاللغة الإيرلندية، وليس الإنكليزية، هي اللغة القومية في إيرلندا. واللغة القومية في الباراغواي هي لغة 'الغواراني' الخاصة بالسكان الأصليين، وليس اللغة الإسبانية. وربما يتم تشريع لغات قومية مع أنها لا تحتاج إلى ذلك. وربما تكون بعض اللغات قومية ورسمية في آن معاً.

بالنسبة إلى دول أكثر حداثة – وبشكل خاص دول ما بعد الاستعمار التي تشكلت في النصف الثاني من القرن العشرين – ربما يكون هناك صراع بين الأهداف الوطنية العملية والأهداف المرتبطة بالهوية، بين الوطنية والقومية. فربما تخدم اللغات الاستعمارية السابقة (كالإنكليزية والفرنسية والإسبانية) وظائف جوهرية، لكن كما يقول 'فاسولد' (1984)،'عادة ما يكون اختياراً رهيباً' على أسس وطنية. ولأسباب تتعلّق بالهوية تُصبح لغة أو أكثر من لغات السكان الأصليين مرشّحة بقوة لتكون لغة وطنية، مثل اللغة الإيرلندية أو السواحلية أو الهندية، لكن غالباً ما يتم تحديدها لصالح مجموعة بذاتها دون غيرها.

الملاوي

نبحث الآن كيفية توظيف اللغة في بلدٍ محددٍ، دولة 'ملاوي' في شرق أفريقيا (أنا ممتن في هذا البحث لـ 'تشمويمو باتريسيا كاليكوخا' في حصولي على المعلومات المباشرة). أصبحت 'ملاوي' بلداً مستقلاً عام (1964)، ولديها إرث طويل من الدعم الاستعماري البريطاني في

اللغة الإنكليزية لوظائف اجتماعية معينة. ففي 'ملاوي' ثلاث لغات رئيسة هي 'تشيتومبوكا، تشيشيوا، تشياو'، وتُستخدم في شمال البلاد ووسطها وجنوبها. وكما هو الحال مع الدول الأفريقية الجديدة، واجهت ملاوي خياراً يتعلّق باللغة عند استقلالها، وأبرزها خيار استخدامها لغة الاستعمار السابقة كلغة وطنية أو اعتمادها لغة أو اثنتين من اللغات المحلية. اختارت ملاوي ترقية لغة 'تشيشيوا'، وهي لغة معظم المجموعات السياسية صاحبة السلطة، ولغة أول رئيس للدولة، الدكتور 'هاستينغ باندا'، الذي حكم البلاد ثلاثين عاماً. وقد رفعت عملية اختيار هذه اللغة من قيمة إحدى اللغات على حساب اللغات الأخرى، وكان ذلك إلى حد كبير من عمل 'باندا' نفسه (كاموبندو وموووكو، **2006**). كما تمت ترقية اللغة الإنكليزية إلى لغة رسمية أساسية، وتفضيل 'التشيشيوا' على اللغات المحلية الأخرى - إذاً، بمعنى ما، لغة 'وطنية' بحكم الواقع.

على الرغم من ذلك، لم تكن 'تشيشيوا' قوية في الوظائف العامة بشكل خاص، كما يُظهر الجدول (3.1) (لاحظ أن جدولة كهذه تسهّل عملية مقارنة الوظائف، لكن تميل إلى جعل المواقف البسيطة مُطلقة. إن اللغة الإنكليزية هي بشكل ساحق تماماً لغة التعليم في مرحلتي التعليم الثانية والثالثة. وتستخدم 'تشيشيوا' في السنوات الأولى القليلة في مستوى التعليم الابتدائي، وكان هناك بعض التعليمات باللغة الأم في 'تشياو، وتشيتومبوكا' على الرغم من وجود قدر كبير من المعارضة المحلية. كما تؤدي الحكومة عملها باللغة الإنكليزية بنسبة كبيرة جداً، وكذلك الحال بالنسبة إلى المجلس التشريعي. كما يُطلب من المرشحين الحكوميين اجتياز اختبار كفاءة باللغة الإنكليزية قبل الترشّح للانتخابات. وتُهيمن اللغة الإنكليزية على وسائل الإعلام على الرغم من استخدام لغة 'تشيشيوا' أحياناً. ومن

بين الوظائف العامة كلها، الدين هو الوحيد فقط من بين كل الوظائف العامة المسموح بممارسته عموماً بلغات أخرى، في المنشورات الدينية على سبيل المثال.

الجدول 3.1: وظيفة لغتي التشيشيوا والإنكليزية في دولة ملاوي

	تشيشيوا	الإنكليزية
اللغة الرسمية	–	✓
اللغة القومية	(✓)	–
التعليم	(✓)	✓
مشرف الحكومة	(–)	✓
القانون والمحاكم	–	✓
النقاشات البرلمانية	–	✓
وسائل الإعلام	(✓)	✓
الدين	✓	(–)

✓ حاضرة
(✓) حاضرة بشكل محدود
– غائبة
(–) غائبة إلى حد كبير

لماذا لا تكون لغة تشيشيوا أكثر بروزاً في الوظائف العامة في ملاوي؟ ابحث في الإنترنت عن معلومات عن تاريخ البلد ومجتمعها وسياساتها، وعلاقاتها الدولية التي تساعد في تفسير ذلك.

التمرين 3.4: اللغات والمواقع الإلكترونية الرسمية

اختر بلداً – بلدك أو بلداً آخرَ – وابحث عن دور اللغات الرسمية والوطنية في الحضور الذاتي العام، وفي التواصل. قم بذاك العمل

من خلال الدخول على المواقع الحكومية لدول عديدة، وأشر إلى اللغة أو اللغات التي تمت كتابة المواقع بها:

1. ما هي اللغة أو اللغات الوطنية؟
2. هل الموقع مكتوب باللغة الرسمية فقط؟ أو في لغة وطنية؟
3. هل هناك أية معلومات مكتوبة بلغات أخرى، وخاصة بلغة الأقليات؟
4. هل لغات الأقليات هي لغات السكان الأصليين أو لغات مهاجرين؟
5. هل هناك معلومات مكتوبة بلغات دولية ليست رسمية داخل البلد؟
6. هل هناك أي نموذج عن اللغة التي يتم استخدامها في وظائف ومحتويات مختلفة؟
7. إذا كان للدولة سياسة لغوية صريحة، هل يتطابق استخدام اللغة في تلك المواقع مع ذلك أو لا؟
8. هل غياب اللغات الرسمية أو القومية في هذه المواقع يولِّد تساؤلاً عن حقيقة تصنيف اللغات إلى رسمية أو وطنية؟
9. هل يشكل ذلك تحدياً لتعريفاتنا عن ماهية اللغة الرسمية والوطنية؟

3.3 تحوّل اللغات

رأينا في الفصل الثاني أنه ربما يتم تصنيف حالات ثنائية اللغة بوصفها ديناميكية أو مستقرّة. هذا الوضع نسبيّ طبعاً – حتى الحالة المستقرّة لثنائية اللغة قد يكون لها بعض الجوانب التي تخضع للتغيير. لكن يوجد حالات لسانية اجتماعية يتغيّر فيها توزّع اللغات بوضوح. ويُطلق على هذه العملية اسم التحوّل اللغوي، وهي عملية

لسانية اجتماعية يبدأ فيها البشر الناطقون تقليدياً بلغة معيّنة بالتحوّل إلى لغة أخرى.

الآلية الأكثر شيوعاً لتحوّل اللغة هي الناس الذين يهاجرون إلى بلد آخر أو منطقة أخرى. لقد كانت هذه الهجرات دوماً جزءاً من تاريخ البشرية منذ أقدم العصور. وفي القرن العشرين، كان هناك موجات هجرات كثيرة في أجزاء كثيرة من العالم، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وفي تسعينات القرن العشرين. كان لجميع تلك الهجرات نتائج لغوية. يمكننا أن نراقب عملية تحول اللغة في كثير من المجموعات المهاجرة حول العالم – الصينيين في أستراليا، الهنود في موزانبيق، اليابانيين في البيرو، أو البولينيزيين في كاليفورنيا. فعادة ما تكون النتائج اللغوية النهائية لهجرة الأقلية عبارة عن ثنائية لغة متناقصة؛ إذ عاجلاً أو آجلاً، يفقد أعضاء المجموعة المهاجرة إرثهم اللغوي عندما يستوعبون لغة البلد المُضيف.

ثمة سيناريو آخر للهجرة، وهو أقلّ شيوعاً لكنه يتضمن نتائج لسانية اجتماعية كبرى: فقد أدّت الهجرات التاريخية الكبيرة إلى أن يصبح المهاجرون أكثرية في البلد المضيف، كما كان الوضع في المستعمرات الاستيطانية البريطانية – الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، نيوزيلندا. وقد يتضخّم عدد المستوطنين، بشكل نسبي، وبسرعة كبيرة، قياساً بعدد السكان الأصليين، أو يفوقهم عدداً بالحد الأدنى. عندئذٍ تُفسح اللغات السائدة الطريق للغة المهاجرين، مما يعني أن يفقد السكان الأصليون لغتهم بدل أن يفقدها القادمون الجدد. وقد أصبحت الآن الكثير من لغات السكان الأصليين مهددة بالانقراض في هذه البلدان الأربعة، وضاع العديد منها فعلاً.

ربما لا يحتاج المستعمر أحياناً أن يشكّل أغلبية لكي تصبح لغته مهيمنة. فلطالما كانت لغة المُستعمرين هي اللغة المهيمنة في معظم

دول أمريكا اللاتينية – البرتغالية في البرازيل، والإسبانية في بقية الأماكن كلها تقريباً. وعلى أية حال، يحدث أن توجد في بعض البلدان لغات هامة جداً للسكان الأصليين إلى جانب لغة المستعمر؛ إذ لطالما كانت لغة 'الغوارانى' في الباراغواي لغة رسمية، وكانت لغة 'الكيشوا' لغة قوية في الإكوادور وبوليفيا، وكانت رسمية في البيرو منذ عام (1975) (غرينوبل ووالي، 1998). كما كانت لغة 'الكيشوا' لغة مستعمرة الإنكا، وقد اعتمدها الإسبان كناقل للديانة المسيحية.

هناك عوامل كثيرة تساهم في تحوّل اللغة، ومعظمها شائع بالتحول من لغات السكان الأصليين والأقليات المهاجرة. ويمكننا تجميع الكثير منها تحت عنوان 'المتغيرات البنيوية' الثلاثة لنظرية نشاط اللسانيات العرقية الواردة في الفصل الثاني – المكانة، الديموغرافيا، والدعم المؤسساتي (جايلز، بورخيس وتايلور، 1977).

مكانة متدنية

يجد المهاجرون أنفسهم روتينياً وهم يحتلّون مواقع متدنية في مجتمعهم الجديد، إذ يعيشون في مناطق فقيرة، ويعملون بمستويات لا ترقى أبداً إلى مستوى مؤهلاتهم. وسوف تفقد لغتهم المكانة المناسبة مقارنة باللغة الثابتة، أو لغات البلد المضيف. فيتم إقحام أقليّات السكان الأصليين عادة في هذه المواقع المتدنية بطريقة ما وذلك عبر تهميشهم في بلد لطالما كان بلدهم، كما مع سكان أمريكا أو أستراليا الأصليين. وسيشعر بهذا الوضع المتدني جداً المهاجرون الجدد، والأقليّة من السكان الأصليين، وبناءً عليه، يتخذون مواقف من مجموعات الأكثرية التي تفضّل تحويلهم إلى اللغة المهيمنة. ويبدو أن لغة المهاجرين الجدد، كلغة البولنديين أو التونغا، والتي كانت تُستخدم بشكل طبيعي في موطنهم في الوظائف العامة كلها، تتراجع لتصبح محددة بوظائف خاصة فقط. وغالباً ما يعارض مجتمع

الأكثرية حتى أن يستمع إلى لغات الأقليات في الأماكن العامة (راجع التمرين 2.1 في الفصل السابق، المتعلق بمنع اللغات الإيطالية في صالات الطعام في أماكن العمل). وهذا يخلق ضغطاً على الناطقين باللغة لأنهم لا يتحدثون لغتهم في أثناء وجود آخرين لا يفهمونها.

ديموغرافيا غير مرغوبة

يلعب عدد أفراد الأقلية وتركيبتها وموقعها، مقارنة بالسكان الموجودين، دوراً حاسماً في تعزيز التحوّل اللغوي. فإذا كان المهاجرون من خلفية لغوية واحدة يعيشون متقاربين أحدهم من الآخر، ربما يشكّلون جزيرة أو 'مقاطعة' يمكنهم فيها استخدام لغتهم في بعض الوظائف العامة على الأقل. وعلى النقيض من ذلك، إذا كان المهاجرون منتشرين على نطاق واسع بين الأكثرية، سيكون لديهم فرص أقل للالتحام كمجتمع، والتحدث بلغتهم الخاصة. وهذا ما نجده في تجمعات الصينيين في مدن كاليفورنيا، واليونانيين في أستراليا، التي تخلق إمكانية لوجود كتلة كبيرة من الناطقين القادرين على التفاعل بشكل علني مع تلك اللغات. فالتوزع الجغرافي هو أحد العوامل التي تضع أقليات السكان الأصليين تدريجياً في مواقع أقوى من المهاجرين لمقاومة التحوّل اللغوي. لقد كانوا تاريخياً متمركزين في مناطق خاصة، بعيدة عن المراكز السكنية الأساسية التي تعمل بسهولة عمل مقاطعات لغوية.

التمرين 3.5: نقاشات المهاجرين بين الأهل والطفل

من الشائع جداً بين المهاجرين أن يحثّوا أطفالهم على التحدث بلغة البلد المضيف بدلاً من لغتهم الموروثة. وفي الفترة المناسبة، لكن هذا الاتجاه الذي يتلاءم مع مصلحة الأطفال الخالصة عاطفياً، يعود بعد دورة كاملة لمضايقة الأهل وتهديدهم. فهؤلاء الأطفال الذين يرفضون هم أنفسهم أن يتحدثوا بلغة مجتمعهم عندما يكبرون، أو

حتى أن يستمعوا إليها، غالباً ما يتحوّلون بعد عقد أو اثنين، إلى توجيه الاتهام للأهل لحرمانهم من لغة مجتمعهم ومن إرثهم العرقي.

أسّسْ مناقشة بين أهل أحد المهاجرين وابنهم الراشد الآن حول سبب عدم تعليم الأهل أطفالهم لغة مجتمعهم بشكل فعّال:

- لماذا قام الأهل فعلاً بتشجيع لغة الأكثرية، والابتعاد عن لغة المجتمع؟
- لماذا يتمنّى الولد البالغ الآن لو أنه تعلّم لغته الموروثة؟
- ما الذي تغيّر؟
- ما الذي يمكن أن نفعله حيال ذلك؟

المثال 3.1: تحوّل لغة الباسيفيكا

قدّمت نتائج دراسة رئيسة عن لغة 'الباسيفيكا' في 'مانوكاوا - نيوزيلندا' بين عامي (2000 – 2002) العديد من الأدلة على التحوّل من لغة الباسيفيكا إلى الإنكليزية. فقد أظهر استخدام اللغة علاقة بالعمر كاستخدام اللغة الإنكليزية من قِبَلِ الشباب في العائلات. وهناك علاقة للعمر أيضاً في الطلاقة بلغات المجتمع. في حين يكون الجيل الأقدم ومعظم من هم في منتصف العمر طليقين باللغة، فإن باقي الشباب من المجتمع لا يكونون كذلك. وعلاقة العمر هذه إشارة نموذجية على ابتعاد اللغة عبر الأجيال عن لغة المجتمع نحو اللغة المهيمنة.

يقدّم الكثير من الأفراد تعليقات مُدهشة حول تصوّرهم عن الابتعاد عن لغة المجتمع:

-أنا أتحدث لغة 'النيوان' مع أطفالي،وهم يستجيبون باللغة الإنكليزية.

- يحتاج الأولاد إلى اللغة الإنكليزية للحصول على وظيفة جيدة. ولا يمكنهم الحصول على وظيفة جيدة إذا كانوا يعرفون فقط لغة 'الماوري' الخاصة بجزر الكوك.

- تعلّم لغة 'الساموان' وثقافتهم هامة جداً. لكن في نيوزيلندا، الإنكليزية هامة أيضاً، للحصول على وظيفة.
- إذا لم تستطع أن تتحدث بلغة 'تونغان' فأنت لست من 'التونغان'. فاللغة تخبرنا من أنت.

1. طبق هذه التصريحات على لغات الأقليات حيث تعيش، وناقش الديناميكيات والنتائج التي تراها.

المعارضة المؤسساتية

يعمل النظام التعليمي دوماً باللغة أو اللغات الوطنية للبلد المضيف. وتتدرّج مواقف المدارس من لغات الأقلية عادة من الإهمال اللطيف، إلى السخرية، إلى الحظر الصريح من تداول اللغة في المدرسة. إنها حالة لسانية اجتماعية كونية موضّحة بقصص مؤثرة من جميع أنحاء العالم حول أطفال تعرّضوا للعقوبة بسبب تحدثهم بلغتهم الأصلية حيث تكون اللغة المهيمنة هي لغة التعليم. وربما كان شعار "لا للويلزية – Welsh Not" أكثر مثال سيئ السمعة في هذا المجال، وهي عبارة عن بطاقة تُعلّق حول أعناق الطلاب الذين يُكتشف أنهم يتحدثون اللغة الويلزية. ولا يمكن إزالتها حتى يُعثر على طالب آخر يقوم بالتصرّف ذاته، وتتم معاقبة حامل اللوحة في نهاية اليوم. كما أن المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالحكومة ووسائل الإعلام لا تميل إلى إظهار اهتمام كبير بلغة الأقليّة ما لم يُصبح، مثلاً، عدد أفراد المجموعة المهاجرة كبيراً بما يكفي. في بعض المجتمعات، تصل المبالغة حدها الأقصى حيث يتم حظر لغة السكان الأصليين عن الاستخدام العام، كما حدث مع الأكراد في تركيا لفترة من الوقت (سكوتناب – كانجاز، وبوكاك، **1994**).

هناك دروب مطروقة جداً تتحوّل من خلالها مجتمعات المهاجرين من لغتهم الخاصة إلى لغة البلد المضيف. وفي لحظات معينة، لا تعود

اللغة تصل بشكل كامل إلى الجيل الثاني، وغالباً ما يحدث ذلك عبر ثلاثة أجيال. يصل أول جيل من المهاجرين إلى البلد المضيف وهم راشدون لا يعرفون سوى لغتهم الأصلية. يأتي الجيل الثاني كأطفال، ويكونون ثنائيي اللغة مع أن ذلك قد يقلل مهاراته في التحدث. أما الجيل الثالث فربما لا يتحدث لغة آبائه كثيراً، ويكون استيعابه لها ضعيفاً. في هذه المرحلة، قد يواجه الأجداد والأحفاد صعوبات في التواصل. لكن بعض المجتمعات تختلف كثيراً. فقد أثبت الهولنديون براعة خاصة في التحوّل نحو الإنكليزية بشكل خاص (كلاتر- فولمر، وكروون، 1997)، وأحياناً ضمن فترة قصيرة لا تتجاوز جيلين. كما اتجهت مجتمعات أخرى للتمسّك بلغاتها فترة أطول – فقد استمرّت الكانتونية لأجيال في المجتمعات الصينية في الخارج.

كثيراً ما حدثت عملية تحوّل لغة مشابهة عندما تغلّب المستوطنون الجدد على أقلية محلية من السكان الأصليين. في هذه الحالة، قد يستغرق التحوّل اللغوي فترة أطول، وغالباً ما يُبدي المجتمع مقاومة شديدة، وتكون الرهانات اللغوية أعلى بكثير: بينما تترك لغة المهاجرين خلفها مجموعة آمنة من المتحدثين في الوطن الأم السابق، نستطيع أن نجد لغاتهم الأصلية في أماكنهم الخاصة فقط وإذا توقف النطق بهذه اللغة في ذلك المكان، فسوف يتوقف النطق بها بأي مكان آخر. إن تعرّض اللغة للخطر وموتها هو عنوان الفصل الرابع. ومن هذه النقطة الحديّة في انتقال اللغة، نتحوّل الآن إلى نقيض هذه الحالة، إنه بحث الحفاظ على اللغة.

3.4 الحفاظ على اللغات وإعادة إحيائها

تقاوم معظم المجتمعات تحوّلها من لغتها الخاصة إلى لغة الأكثرية. ويعتبر معظم أفراد المجتمع لغتهم جزءاً جوهرياً من ثقافتهم وهويتهم، ويرغبون في الحفاظ على هذا التميز ضد الضغط المطبّق من المجتمع

المحيط. كما تلعب القوى النفسية الاجتماعية، إضافة إلى القوى السوسيولوجية، دوراً هاماً مابين تحوّل اللغة والحفاظ عليها. فالمواقف والدوافع، وقوة المجتمع والعلاقات، جميعها تلعب دوراً في هذه القضية. وتختلف مواقف المجتمعات من لغاتها بشكل كبير، فقد يؤمن بعضهم أن عليك أن تتحدث اللغة لتكون عضواً حقيقياً في المجتمع، بينما يعتقد آخرون بأن عليك أن تتحدث لغة الأكثرية. وقد تتغير السلوكيات الفعلية أيضاً بشكل كبير من المواقف التي يتم التعبير عنها: إن تصريحات دعم اللغة ليست مشابهة لاتخاذ قرارات وإجراءات لدعم قضايا اللغة. فمثلاً يعلن الأهل في الإكوادور عن التزامات قوية تجاه لغة 'الكيشوا' الخاصة بالسكان الأصليين بالمقارنة مع اللغة الإسبانية، لكنهم يحافظون على عدم تعليمها لأطفالهم (ريندستيدت وأرونسون، 2002).

عكس تحوّل اللغة (الحفاظ على اللغة)

كانت معظم الأبحاث الضخمة الخاصة بتحوّل اللغة خلال الأعوام الخمسين الماضية مدفوعة بالرغبة في الحفاظ عليها. حتى عندما يقوم بالبحث أكاديميون ليس لديهم مصلحة مباشرة في اللغات أو المجتمعات التي تتحدث هذه اللغة، وغالباً ما يكون دافع النشطاء جزءاً من دوافعهم. أوضح 'جوشوا فيشمان'، المدافع الرائد عن الحفاظ على لغة الأقليات لعقود طويلة، بأن ذلك كان القوة الدافعة الرئيسة لمشروعه الأكاديمي الخاص (فيشمان، 1991). لقد ارتكز نشاطه بشكل مباشر على دعم لغة 'اليديش'[1] في الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى اعتقاد بأن "تدمير لغة هو تدمير هوية متجذّرة" (فيشمان، 1991). وبغية تعزيز الحفاظ على "هوية لغوية"

[1] لغة كان يستخدمها اليهود في أوروبا الوسطى والشرقية قبل الهولوكوست. كانت في الأصل لهجة ألمانية مع بعض الكلمات العبرية والعديد من اللغات الحديثة. المترجم.

كهذه، اقترح نموذج "عكس تحوّل اللغة" الذي يسعى إلى كشف خيوط تحوّل اللغة ووضع مخطط لعمليات الحفاظ عليها.

يقع مصطلح 'فيشمان' "مقياس الاضطراب المتدرّج بين الأجيال" في جوهر نموذج "عكس تحوّل اللغة"، وقد قام على مقدمات منطقية تعتبر أن المفتاح الأساسي للحفاظ على لغة ما هو استمرار تناقلها بين الأجيال. ومقياس الاضطراب، كما يقول 'فيشمان'، هو الوجه الآخر لمقاييس حيوية اللسانيات العرقية، أي: المكانة المنخفضة، والديموغرافيات غير المفضّلة والاعتراض المؤسساتي. الفرق أن "مقياس الاضطراب المتدرّج بين الأجيال" هو أيضاً مقياس ضمني. وكل مستوى من مستويات القوة المتزايدة (من الأضعف في الدرجة الثامنة إلى الأقوى في الدرجة الأولى) يتضمن المستويات التي تسبقه. والعكس، يمكن لكل مرحلة أن تؤدي إلى المرحلة الأخرى في السلسلة. يبين الجدول (3.2) المراحل الثمانية.

الجدول 3.2: مقياس فيشرمان للتشوش المتدرج بين الأجيال، يشير الرمز (أ) في هذا المصطلح الغامض إلى مجموعة الأقلية ويشير (ب) إلى مجموعة الأكثرية ولغتها. المقياس ضمني، مما يعني أن كل مرحلة لاحقة تفترض مسبقاً وجود المراحل السابقة

8- إعادة بناء (أ) من المستخدمين المتبقين؛ تعليم الراشدين

▼

7- التفاعل الثقافي في (أ) غالباً ما يتم بين الجيل الأكبر سناً

▼

6- التواصل الشفهي بين الأجيال في (أ)، مع التركيز ديموغرافياً على البيت والعائلة والحي - هذه المرحلة هي أساس نقل اللغة الأم

▼

5- محو أمية (أ) في البيت والمدرسة والمجتمع، لكن دون دعم إضافي

▼

4 ب- مدارس عامة لأطفال (أ) مع بعض التعليمات من خلال (أ)، لكن مع مناهج وطاقم عمل من (ب)

▼

4 آ - المدارس التي تلبي متطلبات التعليم الأساسي لكن مع مناهج وطاقم عمل من (أ)

▼

3- في مجال عمل محلي وإقليمي يتجاوز مجتمع (أ) ويشرك أعضاء مجتمع (ب)

▼

2- (أ) في حكومة محلية وإقليمية وخدمة وسائل الإعلام

▼

1- (أ) في العمليات التعليمية والمهنية والحكومية والإعلامية على المستويات الوطنية

يُعتبر إطار العمل هذا في الوقت ذاته توصيفاً لإجراءات الحفاظ على اللغة في حالات معينة، وتوصيفاً عملياً، خطوة خطوة، حول كيفية تحقيق ذلك. وقد تأسس البرنامج على قناعة 'فيشمان' بأن البيت والعائلة هما أساس الحفاظ على اللغة، وعلى استخدام المجتمع لمصادره الخاصة بدلاً من الاعتماد على مجتمع آخر أو دولة أخرى. فصعوبة التخطيط على مستوى المجتمع من أجل وحدة لا مركزية مثل العائلة، يمثل التحدي الأساسي للحفاظ على اللغة. وإلى حد كبير، تبقى المراحل من المرحلة الثامنة إلى الخامسة في الجدول (3.2) ضمن المجال الخاص بالمجتمع وجهوده. أما من المرحلة الرابعة إلى الأولى فتتطلّب مستويات متزايدة من مشاركة مجتمع الأغلبية. وبحسب 'فيشمان'، فإن عدداً قليلاً نسبياً من الحركات يدعم لغة الأقليات يصل إلى المرحلة الثانية والأولى. إن مراعاته التفصيلية لممارسات الحفاظ على اللغة تحدد بعض أكثر الأمثلة المعروفة في ضوء إطاره: الإيرلندية، الباسك، الفارسية والموري (التي سنعود إليها لاحقاً). وقد كان استنتاجه، على أية حال، أن حالات الفشل تتفوّق على حالات النجاح (انظر التمرين 3.7).

لقد دعم منهج "عكس تحوّل اللغة" الكثير من الأبحاث والنشاطات اللاحقة، وتم وضع بعض تقنيات التنشيط الخلاقة مثل معتزلات اللغة الغارقة التي تم تطبيقها على لغة 'تلينغيت' في ألاسكا (ميشيل، 2005). لكنها تعرّضت للانتقادات أيضاً (بعضها موجود في كتاب قام فيشمان بتحريره عام 2001):

1. هناك 'جوهرية'[1] مبالغ فيها في نظرة فيشمان التي تقوم على ترسيخ اللغات ككيانات محددة بوضوح. وكما ناقش 'هيلر' عام

[1] "Essentialism": تعني الاعتقاد بأن الأشياء لها مجموعة من الخصائص التي تجعل منها ما هي عليه، وأن مهمة العلم والفلسفة اكتشافها والتعبير عنها؛ نذكر مثلاً عقيدة أن الجوهر سابق للوجود. المترجم.

(2007)، فإن اللغات ليست منفصلة كما يعتقد الناس غالباً (انظر الفصل الثاني).

2. النقد الحليف بطريقة ما هو تعريف رومانسي للرومانسية مع الأصل العرقي (كاناغاراجا، 2008) – مشيراً إلى عنوان أحد كتب 'فيشمان' "في مديح اللغة المحبوبة" المنشور عام (1996). فنحن نعرف الاختلاف بين المجتمعات في تعلّقها بلغتها المجتمعيّة. لكن القول إن اللغة والأصل العرقي يقبلان الانفصال أحدهما عن الآخر لا يعني التغاضي عن أن الشغف الهائل بالالتزام بلغة ما قد يُثيره الناطقون بهذه اللغة (ماي، 2005).

3. يعكس موقف اللغة الظروف التي يعيش بها المتحدثون إلى حد كبير. ومن المرجّح أن تزدهر فقط في سياق العمل على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تحتاج عادة إلى رعاية في مجموعة الأقلية (سبولسكي، 2004).

4. ربما يحدّ الالتزام بالحفاظ على لغة الأقلية الخيارات اللغوية لمجموعات الأقلية ذاتها. وربما يكون لديهم أسبابهم الخاصة، الاقتصادية والتعليمية بشكل خاص، في الواقع العملي لحياتهم، لرغبتهم في الابتعاد عن لغة مجتمعهم. كما يمكننا أن نندب العوامل التي أدّت إلى هذا القرار، والمرتبطة بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي بشكل كبير، لكننا لسنا مخوّلين بالحكم على الخيارات الفورية للمتحدثين أنفسهم.

5. العائلة، التي تُعتبر الجزء الحيوي من عمل "عكس انتقال اللغة"، لا يمكن معاملتها كوحدة مستقلة قادرة على العمل بشكل مستقل عن العوامل الاجتماعية الأخرى. إنها معرّضة بالأحرى لتأثيرات المجتمع والمجموعات الأكبر وحدودها (كاناغاراجا، 2008).

التمرين 3.6: تطبيق مقياس التدرّج بين الأجيال

هل هناك لغات في منطقتك أو بلدك تستهدف إجراءات الحفاظ على اللغة؟ قم بتطبيق "مقياس فيشمان للاضطراب المتدرّج بين الأجيال (الجدول 3.2) لتقييم لغتين من لغات الأقليات، ويفضّل أن تكون إحداهما معرضة لنشاط ملحوظ للحفاظ على اللغة، والأخرى لا.

- ما هي المراحل التي تقف عندها اللغتان الآن؟
- قارن مواقعهما النسبية الآن مع تاريخهما.
- ما مدى فاعلية إجراءات الحفاظ على اللغة – بالنسبة إلى اللغة الأولى - من وجهة نظرك؟
- ما مدى خطورة عدم وجود إجراءات الحفاظ على اللغة – بالنسبة إلى اللغة الثانية – من وجهة نظرك؟
- بحسب رأيك الشخصي، ما هي الاقتراحات للحفاظ على هذه اللغات في المستقبل؟

حاول تقييم المقياس نفسه في ضوء الحالات التي بحثت فيها:

- هل وجدت مقياساً مفيداً ومضيئاً لفهم هذه الحالات؟
- هل وجدت أياً من هذه الخطوات غير قابل للتطبيق في مجتمعك؟
- هل تعتقد أن خطوات المقياس بالترتيب المناسب لمجتمعك؟
- هل توافق على أن نقل اللغة ضمن العائلة (6) هو الخطوة الحاسمة لإحياء اللغة؟
- هل تقترح تعديلات على المقياس؟

التمرين 3.7: مع إحياء اللغة وضدّها

مع أنه المدافع الرائد عن الحفاظ على اللغة، أعطى فيشمان هذه القيمة البائسة لمعدّل النجاح:

معظم الجهود المبذولة لعكس تحوّل اللغة هي، في أفضل الحالات، مجرّد نجاح عادي معتدل، أما في أسوأ الحالات فهي عبارة عن فشل صريح أو حتى مشاريع ضارة وباطلة **(1991)**.

ناقش إيجابيات الحفاظ على اللغة وسلبياته، والجهود المبذولة لتنشيطها، آخذاً الأوجه الأخرى ووجهات النظر المعاكسة بعين الاعتبار:

1- ما هي المبررات لمحاولة "عكس تحوّل اللغة"؟

2- ما هي مبررات عدم القيام بأي شيء حيال ذلك؟

حقوق الإنسان اللغوية

النهج الآخر الذي كان يهتم بشكل أساسي بقضايا الحفاظ على اللغة هو حركة "حقوق الإنسان اللغوية". فعلى الرغم من أن عمل 'فيشمان' يأخذ في الحسبان الأبعاد السياسية عالية المستوى، إلا أنّ تركيزه كان على اهتمامات القاعدة الشعبية المحلية وأنشطتها. وبالتناقض مع ذلك، تعمل "حقوق الإنسان اللغوية" على مستوى عالٍ من السياسات الوطنية والعالمية في كثير من الأحيان، مع أنها تهتم أيضاً بالعمل الظاهري المحليّ. وقد ظهر هذا النهج في تسعينات القرن الماضي في حملة قادها 'توف، سكوتنيب – كانجاز، وروبرت فيليبسون' **(1994)**.

التمرين 3.8: حقوق الإنسان اللغوية

في مقدمة لكتابهم حول حقوق الإنسان اللغوية، جادل 'سكوتنيب – كانجاز' و'فيليبسون' بأنه "يجب اعتبار الحقوق اللغوية من حقوق الإنسان الأساسية" **(1994)**.

1- ما هي حقوق الإنسان اللغوية فعلياً؟

2- هل يجب اعتبارها أساسية؟ ولماذا؟

3- ما الذي يعنيه ذلك في المبدأ والممارسة؟

ابحث في شبكة الأنترنت عن وثائق حقوق الإنسان الرئيسة، مثل ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والميثاق الأوروبي الصادر عام (1992) حول اللغات الإقليمية أو لغات الأقليات:

4- ما الذي تقوله هذه المواثيق حول اللغات بشكل مباشر؟

5- ما هي الحقوق اللغوية التي يمكن الإشارة إليها أو يمكن أن نستمدها مما تقوله هذه المواثيق؟

6- هل لها أي تأثير مباشر في اللغة؟

أخيراً، ابحث الوضع في بلدك:

7- هل الحقوق اللغوية مُصانة في بلدك – من الدستور مثلاً أو قانون الحقوق؟

8- هل لهذه الحقوق أي تأثير عملي، أو هل تبدو وكأنها مداهنة إلى حد كبير؟

9- هل تقدم أدنى فائدة للغات الأقليات في بلدك؟

تعتمد حقوق الإنسان اللغوية، كقضية، على خطابات حقوق الإنسان التي ظهرت في القرن العشرين، ولا سيما ميثاق الأمم المتحدة عام (1945)، والبيان العالمي لحقوق الإنسان عام (1948). وتهدف هذه الاتفاقيات، إضافة إلى اتفاقيات أخرى كثيرة، إلى القضاء على التمييز بين المجموعات والأفراد. إن اللغة عادة عاملٌ ثانوي في الاتفاقيات العامة من هذا النوع، كما أن تغطيتها ضعيفة بشكل عام، باستثناء البيانات المرتبطة بالتعليم. لكن مؤخراً جداً، وفّرت تدابير اللغة بشكل خاص في أوروبا إمكانية دعم اللغات المُتدنّية هناك، وخاصة خلال العام (1992) في الميثاق الأوروبي الخاص باللغات الإقليمية ولغات الأقليات (سبولسكي، 2004).

يجادل 'سكوتنيب – كانجاز، وفيليبسون' بأنه، بينما يميل المتحدثون بلغة الأكثرية للوصول إلى مدخل للمجال الكامل للحقوق اللغوية، فإن الأقليّات لا تفعل ذلك في كثير من الأحيان. وغالباً ما تعتبر الأكثريةُ الأقليّة ولغتها تهديداً لها، لأن الأكثرية لا تستوعب حالة أحادية اللغة. قد لا يكون مسموحاً للأقليات أن يتعلّموا بلغتهم الخاصة، بل يتلقّون التعليم بلغة لا يفهمونها حتى، على الأقل في المرحلة الأولى. وربما لا يُسمح لهم باستخدام لغتهم الخاصة في المحكمة. وقد لا يُسمح لهم بالحصول على 'اسم شخصي' بلغتهم الخاصة. إذاً إن التركيز هنا ضعيف على الإجراءات الخاصة التي تهدف إلى الحفاظ على التنوّع في اللغة، وقوي على المواقف من اللغة، ومن الحق باستخدامها في مجال الوظائف العامة.

إذاً، كان ولا يزال هناك من ينتقد الحقوق الإنسانية اللغوية، وليس أقلّها بسبب خطاب الناشطين والمتدخّلين. فالانتقادات الأربعة الأولى "لعكس تحوّل اللغة" المذكورة مؤخراً تمت مساواتها مع "الحقوق الإنسانية اللغوية" – النزعة نحو الاختزال (ماي، **2005**)، الرومانسية، لغة مجرّدة من السياق السياسي الاجتماعي الفوري (دونا باتريك، **2007**)، وتحديد خيارات المتحدثين. ومن الجدير بالملاحظة أيضاً أن لغات الأقليات ليست فقط ذات قيمة عاطفية (ماي، **2005**)، بل لديها أيضاً، أو ربما تكتسب لاحقاً، قيمة الوسيط عندما تُستخدم لغايات تتعلق بالسياحة على سبيل المثال.

تذكّرنا "الحقوق الإنسانية اللغوية" بأن مأزق لغات الأقلية ناتج عن المساوئ الاجتماعية في أفضل الحالات، وهو عبارة عن ظلم في أسوأ الحالات، وهكذا ليس هناك قضية حيادية أخلاقياً. وكما اتضح من العمل في عدة بلدان على مدى السنوات العشرين الماضية، نجد أن من الممكن علاج القضايا الاجتماعية واللغوية. فقد أعطت

النرويج شيئاً من الحكم الذاتي للشعب 'السامای – 'Sámi في منطقة إقليمية من 'فينمارك'، بما فيها الحكومة والقضاء والتعليم. وبشكل مشابه، أصبح لدى مقاطعة نونافيك' القطبية الشمالية، في الشمال الشرقي من كندا، لغة 'الأنويت' المحلية الخاصة بـ 'إنوكتيتوت' بوصفها لغة رسمية مشتركة – مع أن نتائج تلك الخطوة تبدو مُلتبسة (دونا باتريك، 2005).

للحفاظ على اللغة وتناقلها أبعاد سياسية لا مفرّ منها؛ إذ يتضمّن تحوّل اللغة دوماً قضايا تتعلق بالسلطة والهيمنة، والتهميش والتمييز، التي تعكس الوقائع السياسية الخاصة بزمان ومكان معينين. وسيتطلّب الحفاظ على اللغة مبادرات سياسية لغوية لتشكيل أي أثر على وضع لغات الأقلية. فقد تطوّرت السياسة اللغوية والتخطيط كمجال فرعي تطبيقي رئيس للسانيات الاجتماعية في ستينات القرن الماضي عندما كانت الدول الاستعمارية السابقة بحاجة لاتخاذ قرارات حول لغة البلد وتنوّعه. هذا النهج الذي قاده كلٌّ من 'فيشمان، فيرغسون، هاوغن' وآخرين، كان مرتبطاً بقوة بالحاجة المُدركة 'للتطوّر'. وفي الوقت المناسب، تم الاعتراض على هذا الأمر بوصفه تبسيطياً، وأصبحت المناهج تتضمن الانتقادات 'المحيطية الوسيطية' منذ تسعينات القرن العشرين (كاناغاراجا، 1999)، وتتحرّى عن الدور العالمي للغة الإنكليزية (بينيكوك، 2001). انظر الفصل (10.5) حول تحديد مقاييس اللغة كسياسة وتخطيط.

3.5 حالة ماوري

تاريخ قصير لتحوّل اللغة

رأينا سابقاً كيف أثّر الاستعمار في لغات السكان الأصليين، وساعد على تحوّل الناطقين باللغة من لغتهم الخاصة إلى لغة الاستعمار.

حدث ذلك مع مئات اللغات في القرون الأخيرة، ولا سيما في الأمريكيتين ومناطق المحيط الهادي وحدوده. وقد كانت إحدى هذه الحالات هي لغة 'تي ريو ماوري'، اللغة البولينيزية التي ينطق بها شعب الماوري المقيم في منطقة 'أوتياروا' في نيوزيلندا، منذ آلاف السنين؛ إذ يبلغ عدد سكان شعب الماوري حالياً أكثر من نصف مليون نسمة، ويشكّل خمسة عشر بالمئة من سكان نيوزيلندا. لكن على أية حال، لا ينطق بهذه اللغة الآن، بطلاقة، سوى بضعة آلاف من شعب الماوري، أما الباقي منهم فهم أحاديّو اللغة، إذ يتقنون اللغة الإنكليزية فقط. إن حالة هذه اللغة بانتقالها من لغة وحيدة للبلد، قبل الاتصال الأول مع الأوروبيين عام (1769)، إلى تعريضها للخطر خلال قرنين، يجعل منها حالة مؤثرة محزنة عن تحوّل اللغة.

في عام (1840)، بعد نصف قرن من زوال الاستيطان الأوروبي، وقّع الحاكم البريطاني معاهدة 'وايتانجي' مع قبائل الماوري. وقد أصبحت هذه وثيقة أساسية للبلد – وبعد مئة وخمسين عاماً أيضاً تُعتبر لاعباً هاماً في حركات تنشيط اللغة؛ إذ بدأ التحوّل عن لغة الماوري في منتصف القرن التاسع عشر، وكان أكثر وضوحاً في التعليم. في البداية، وغالباً ما تعلّم مدارس البعثات بلغة الماوري، وأدى ذلك إلى وجود تعليم في نيوزيلندا أكثر من إنكلترا – لكن بلغة الماوري وليس بالإنكليزية. ومع قدوم المزيد من المستوطنين، أصبحت لغة الماوري لغة أقليّة في ستينات القرن التاسع عشر، وتم طرح اللغة الإنكليزية لغة التعليم في المدارس. وبعد عقد من الزمن، بعد الحروب بين شعب الماوري وبريطانيا، سادت حالة تخفيض لقيمة لغة شعب الماوري وكان ذلك كافياً ليجعل بعض قادة الماوري يقدّمون التماساً بأنه "لا يجب السماح بنطق كلمة واحدة من لغة

الماوري في المدارس". لكن استيعاب وصمة عار من هذا النوع، ربما تمثّل أسوأ مراحل تحوّل اللغة، وذلك لأن الشعب الخاضع للاستعمار يقود حملة لإلغاء لغته الخاصة. مع مطلع القرن العشرين، كان استخدام لغة الماوري محظوراً نهائياً في المدارس، وكان الأطفال يتعرّضون للضرب إذا تحدثوا بها.

انتشر تحوّل اللغة من الوظائف العامة إلى الخاصة، حتى ضمن المنزل. وبالنسبة إلى الماوري، كانت الهجرة إلى المدن، في أواسط القرن العشرين، العامل الأساسي للتحوّل عن هذه اللغة، وفي سبعينات القرن العشرين، لم يتم نقلها بشكل طبيعي إلى جيلين متتاليين في معظم المناطق. بل كانت اللغة تحوم حول المستويين الأخيرين (السابع والثامن) من مقياس فيشمان لانتقال اللغة بين الأجيال.

مع انتشار حركات الإحياء العرقية وحقوق الأقليات عالمياً، بدأت أولى الإجراءات الأساسية لإحياء لغة الماوري في ثمانينات القرن العشرين مع حركة 'كوانغاريو' (عش اللغة)، والتي أصبحت نموذجاً لجهود إحياء وتنشيط أخرى، ولا سيما في المحيط الهادئ. لقد سعت إلى إعادة ترسيخ نقل اللغة عبر الأجيال من خلال التقارب بين أجيال الأحفاد والأجداد في مدارس خاصة. وتبع ذلك ترسيخ ثنائية لغة بشكل رسمي، وتأسيس مدراس خاصة. وفي عام (1987)، أصبحت لغة الماوري اللغة الرسمية في نيوزيلندا – ولها مكانة تشريعية لم تحصل عليها اللغة الإنكليزية – وتم تأسيس "لجنة لغة الماوري" (تي تاورا وايري).

المعاهدة، لغة "تي ريو" والتلفاز

عند هذا الحد، بدأت معاهدة 'وايتانجي' بالظهور في تاريخ لغة 'تي ريو'. وفي عام (1985) رفعت منظّمة لغة ماوري دعوى قضائية تقول

إن المعاهدة تقتضي من الدولة أن تضمن النشاطات، وتدعم لغة الماوري. كانت نسخة لغة الماوري عن المعاهدة تقول (بالترجمة الإنكليزية الحديثة):

توافق ملكة إنكلترا على حماية الرؤساء، والقبائل الفرعية وجميع الناس في نيوزيلندا، في الممارسة المطلقة لرؤساء قبائلهم على أرضهم وقراهم وجميع ثرواتهم.

ساد الجدل بأن اللغة هي 'ثروة' وهذا يتطلّب من الدولة أن تدعمها عبر محطات الراديو والتلفاز التي تملكها. وبما أنني مُختصّ بقضايا اللغة والإذاعة، فقد تمت دعوتي كشاهد خبير لدعم مجموعات الدفاع عن لغة الماوري التي واجهت القضايا القانونية. فناقشتُ بأن زيادة التعرّض للغة الماوري في التلفاز يمكن أن يكون حاسماً لمستقبل هذه اللغة، لأنها سوف تعزز هيبة اللغة بالنسبة إلى المتحدثين بها والمستمعين إليها (بيل، **2010**).

على مدى عقد من الزمن، ظهرت سلسلة من الدعاوى القضائية أمام محكمة نيوزيلندا. كانت هذه المعارك خاسرة في نهاية المطاف، لكن الحرب بدت في الواقع وكأنها نصر لأن صياغة الأحكام الصادرة كانت تتطلّب من الحكومة اتخاذ إجراء يخص اللغة. يظهر اثنان من التصريحات الأساسية في المثال (**3.2**).

كانت النتيجة النهائية تأسيس قناة تلفزيونية شعبية قائمة بذاتها، بلغة الماوري، وقد بدأت البث عام (**2004**). وخلال بضع سنوات، جعلت نفسها جزءاً من المناخ العام للبيئة التلفزيونية في نيوزيلندا مع أنها بقيت قناة أقليّة. وفي عام (**2006**) أصبح ثلثا برامجها بلغة الماوري، ودعم تأسيسها سبعون بالمئة من غير شعب الماوري، وكان ذلك تحوّلاً ملحوظاً في المواقف السابقة.

المثال 3.2: تصريحات قانونية حول حماية لغة 'تي ريو ماوري'

كلمة 'ضمان' (في معاهدة 'وايتانجي') تعني أكثر من مجرّد ترك شعب الماوري من دون أية عوائق في استمتاعهم بلغتهم وثقافتهم. لقد تطلّب الأمر اتخاذ خطوات فعّالة لإثبات أن شعب الماوري يمتلك الحق الكامل بحيازة لغته وثقافته والحفاظ عليها دون أي عائق. (وايتانجي تريبونال، **1986**، ممهورة من محكمة الاستئناف، **1992**).

كان أهم هذه المبادئ هو الالتزام الذي تعهّد به التاج الملكي بحماية الممتلكات الماورية والحفاظ عليها، بما فيها لغة الماوري كجزء من 'التاونغا' أو الثروة، مقابل الاعتراف به كحكومة شرعية على الأمة كلها من قِبَلِ شعب الماوري. (لورد وولف، مجلس الملكة الخاص، **1995**).

التمرين 3.9: اللغة "كثروة"

أيدت محكمة نيوزيلندا مطالبة اللغة الماورية بدعم الحكومة لأنها اعترفت بأنها 'ثروة' من الناحية القانونية (انظر المثال **3.2**). وعلى أية حال، جادلت السنيورة الأمريكية الأنثروبولوجية 'جين هيل' في مقدّمتها لمجموعة من المقالات حول اللغويين والدفاع عن اللغات المهددة بالانقراض بأن خطاب الثروة خطاب إشكالي:

إن خطاب التثمين المتسم بالغلو، يحوّل اللغة المهددة بالانقراض إلى مواد مناسبة لحفظها في المتحف تحت رعاية نخبة مميزة أكثر مما هي مناسبة للاستخدام العادي في الحياة اليومية على يد بشر عاديين.... تتعدّى عملية فرض تعابير مثل 'ثروة عديمة الفائدة' أن تكون مجرّد تسليع لتحويل اللغات المهددة بالانقراض إلى نوع خاص من رأس المال الرمزي الذي يتم استبداله ضمن مجال لا يمكن أن يشارك فيه إلا نوع محدد من الناس.

أعط تقييماً لاستخدام خطاب 'الثروة' للدفاع عن لغة مهددة بالانقراض.

1- أي المجموعات أو المستمعين يُرجّح كونهم الأكثر تأثراً بالتعامل مع اللغة كثروة؟

2- ما هي الفوائد التي تقدّمها هذه المصطلحات في سعيها لدعم اللغة؟ ولمن؟

3- هل هناك أية مساوئ؟ ولمن؟

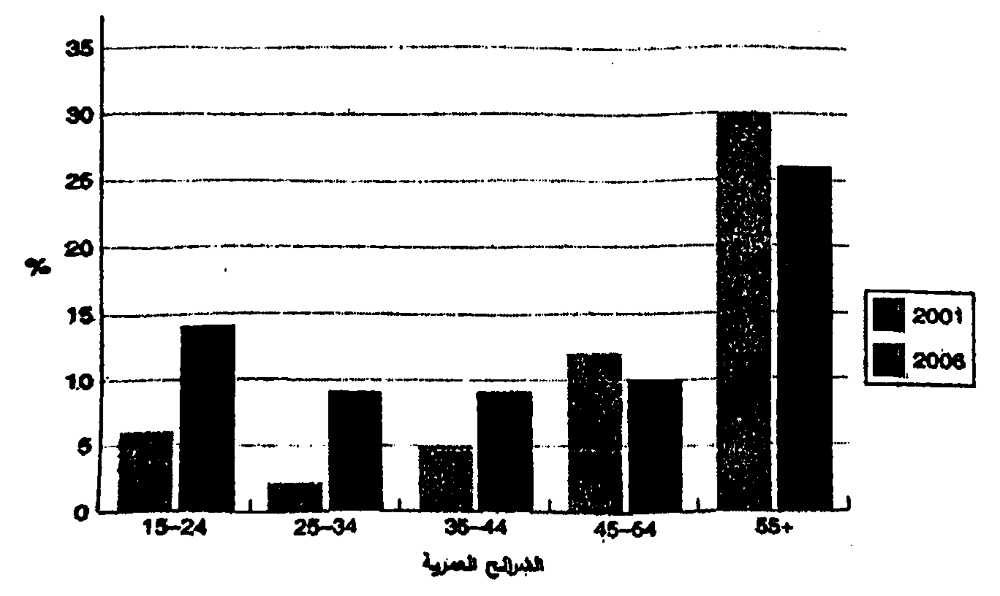
4- كيف يمكن مواجهة التأثيرات السلبية لهذا المصطلح؟

5- ما هي، برأيك' الالتزامات الناتجة عن الحكم على اللغة بأنها 'ثروة' بموجب قانون الدولة؟

6- هل تعتقد أن تحذير 'هيل' ينطبق على قضية ماوري؟

ومع ذلك، بقيت محطات التلفاز الرسمية تعارض تقديم كثير من البرامج الماورية. فقد قال الرئيس التنفيذي لتلفزيون نيوزيلندا:

نحن، في نهاية اليوم، مذيعون تجاريون. دعونا نكُنْ واقعيين حيال ذلك – أقل من أربعة بالمئة من النيوزيلنديين يتحدثون لغة الماوري، وهكذا فإن تقديم برامج بلغة الماوري في الأوقات الأساسية... ببساطة لن يتم تقييمه. (هيرالد، 24 'ماي – أيار' عام 2007).



الشكل (3.1): تغير النسبة المئوية للبالغين الذين يتحدثون اللغة الماورية بشكل جيد، أو جيد جداً حسب الفئة العمرية، وذلك في العامين 2001 و 2006 .

تنشيط لغة الماوري

تجاوزت لغة الماوري الآن أكثر من ثلاثين عاماً من جهود التنشيط التي قادتها حركة 'كوهانغا ريو' لمرحلة ما قبل المدرسة (الحضانة)، مدعومة بالاعتراف الرسمي والمؤسساتي، وإنشاء قناة تلفزيونية مخصصة مؤخراً. إذاً ما هو موقع اللغة الآن؟ كان هناك عدة استطلاعات منذ سبعينات القرن العشرين، بما فيها بيانات التعداد السكاني منذ العام (1996). وليس من السهل تفسير النتائج ومقارنتها، لكن يبدو أنه كان هناك انخفاضٌ مستمرٌّ حتى إحصاء عام (2006).

البحث الأكثر حداثة وشمولاً كان استطلاعاً حول "سلامة لغة الماوري" قام به 'تي بوني كوكيري' (وزارة التنمية في ماوري، 2008). فقد أظهر مسح (2006) زيادة كبيرة في دعم استخدام لغة الماوري مقارنة باستطلاع عام (2001)، بما فيها زيادة في القبول من غير شعب الماوري. وتبيّن أن استخدام اللغة في المنزل مع الأطفال قد تزايد على الرغم من أن اللغة تبقى، إلى حد كبير، حصرية في المجموعة. كما أظهر استطلاع سلامة اللغة ارتفاعاً ملحوظاً في المهارة. يعرض الشكل (3.1) التضاعف بين عامي (2001) و(2006) في عدد الناس الذين تتراوح أعمارهم بين (15 – 44)، والذين يقولون إنهم يستطيعون التحدث بلغة الماورية بشكل جيد، أو جيد جداً. إنها إحصائية مميزة يعزوها التقرير إلى المشاركة التعليمية، وإلى التعلّم المنزلي غير الرسمي.

إن نتائج الاستطلاع مشجعة بالتأكيد بالنسبة إلى اللغة، لكن ليس للأسباب السطحية الواضحة كما أعتقد. فهذا الازدياد السريع بالطلاقة، والمُشار إليه في التقرير، يدعو إلى التساؤل، ولا سيما أن الجميع باستثناء الشبان اليافعين في تلك المجموعات (15 – 24

سنة)، هم أكبر سناً من أن يكون بالإمكان تعليمهم من خلال إجراءات الإحياء التي بدأت في ثمانينات القرن العشرين. فقد كانت هذه أرقام تقرير ذاتي، وهي أكثر من أن نعتبرها ارتفاعاً في نسبة الماوريين الناطقين باللغة فعلياً. إنها تمثّل ارتفاعاً مزعوماً بعدد الناطقين. وهذه الرغبة المتزايدة في التسجيل كمتحدث، هي بحد ذاتها إشارة قوية على المكانة المدعومة للغة. وهكذا فإن الإحصاءات مشجعة حتى لو كانت تزيد في تقدير الارتفاع الفعلي في الطلاقة.

التمرين 3.10: وسائل الإعلام وإحياء اللغة

إن 'فيشمان' لاذع بخصوص دور وسائل الإعلام في إحياء اللغات:

ليس هناك أي دليل على أن وسائل الإعلام الشعبية يمكن أن تتغلّب على نقاط الضعف الأساسية في المرحلة السادسة، أو تعوّضها (التناقل العائلي للغة، انظر الجدول 3.2).

1- هل توافق على وجهة نظره؟ ناقش موقع وسائل الإعلام في الحفاظ على اللغة وإحيائها.

2- انظر إلى الاقتباس الصادر عن المدير التنفيذي لتلفزيون نيوزيلندا في الجزء (3.5)، الذي يناقش فيه أن لغة الماوري لا يمكن أن تُبث في الأوقات الأساسية لأن عدداً قليلاً من الناس يتحدثون بها. ورتّب الأدلة لجانبي هذه القضية كليهما، وضع القضية لصالحه ثم بعكس وجهة نظره.

3- تفحّص ملف لغات الأقلية في وسائل الإعلام في منطقتك، من خلال استطلاع وسائل الإعلام تلك بشكل مباشر، واستطلاع معلومات الأنترنت الخاصة بها.

- ما هو حجم برامج التلفاز المعروضة في تلك اللغات؟
- ماذا عن وسائل الإعلام الأخرى كالراديو والصحافة؟

4- باستخدام أساليب مشابهة عبر الأنترنت، تفحّص ملف بعض لغات الأقليات المعروفة في وسائل الإعلام في تلك البلدان – في إيرلندا مثلاً، وويلز، وإقليم كاتالونيا في إسبانيا.

5- ناقش حضور وسائل الإعلام لأي لغتين أو أكثر من تلك اللغات، بما في ذلك تقييم الوجود الحالي للغة الماوري. وأعط تقييماً حول ما تُظهره المقارنة، وتشكيل وجهة نظر عما يعنيه ذلك لتلك اللغات.

إن تقرير الاستطلاع نفسه يختتم بملاحظة محسوبة ورصينة (تي بوني كوكيري، 2008: 35).

لا بدّ من الانتباه إلى أن لغة الماوري تبقى في حالة خطر. على الرغم من أنها اللغة الأولى في نيوزيلندا، فهي لغة 'أقلية' بكل ما في الكلمة من معنى. وهذا يعني أن لغة الماوري يتم التحدث بها غالباً بشكل حصري من خلال أقلية من السكان لا تزيد نسبتهم عن الأربعة بالمئة في نيوزيلندا كلها (الماوري وغير الماوري معاً). والأكثر من ذلك، يتم التحدث بها من خلال أقلية من سكان الماوري أنفسهم... إن هذه اللغة تُستخدم بوضوح في تواصل الأقليات من قِبَلِ الناس الذين يتكلّمون هذه اللغة. ومع أن هناك أدلّة على عودة ظهور تناقل اللغة بين الأجيال، فإن ذلك لا يحدث إلا في مرحلة النمو الأولى، وهي ليست قاعدة في بيوت الماوري ومجتمعاتهم.

يستنتج 'سبولسكي' (2003) في عرضه العام أن بنية إعادة إحياء الماوري ليست من النوع الذي سيضمن الانتقال 'الطبيعي' بين الأجيال. وبدلاً من ذلك، يزودنا هذا الإحياء بنوع من البنية التحتية المؤسساتية التي تمكننا من النجاة، وبشكل مشابه للغة الإيرلندية أو الكاتالونية. وبحسب رأيه، على الرغم من أن التناقل بين الأجيال لم يتم ترميمه بعد، فقد تم تفحّص خسارة اللغة.

يعيدنا هذا الأمر إلى دور البث الإذاعي الذي شكك به 'فيشمان' (التمرين **3.10**). وكما جادلتُ سابقاً، أرى أن الأمر الحاسم بالنسبة إلى اللغة هو رفع مكانتها الذي من شأنه أن يشجّع ناطقين مُحتملين على استخدامها. إن العمل على تعزيز لغات كلغة الماوري لم ينعكس إلا مع بداية الألفية الجديدة. وكما هو الحال مع اللغة الويلزية، لغة السكان الأصليين التي كانت محط ازدراء يوماً، أصبحت الآن ذات هيبة في بعض الوظائف اللغوية العامة، ومن ضمنها وسائل الإعلام (كوبلاند وألدريدج، **2009**). كان إعلان تلفزيون الماوري عام (**2004**) هو التطور الأساسي الجديد في تلك الفترة، ويبدو أنه يُساهم في رفع مكانة اللغة.

3.6 نشاط البحث

القيام بمشروع (1) - الإعداد

أنا مقتنع أن أفضل طريقة لتعلّم اللسانيات الاجتماعية هي عبر ممارستها. إنه مشروع يصممه الطلاب وينفذونه بأنفسهم بشكل مثالي. ففي هذا الفصل والفصول السابقة، تمت دعوة الطلاب للقيام بأبحاث من خلال التدرّب على جمع المعلومات حول التعددية اللغوية في منطقتهم، بما فيها مقابلات مع طلاب الصف بما يخص خياراتهم اللغوية. وقد حان الوقت الآن للنظر بشكل عام إلى عملية القيام بمشروع بحثي. حتى ضمن دورة قصيرة مُبكرة، في فترة ما قبل التخرج، فهناك مجال للطلاب للقيام بمشروع صغير، ربما ضمن وقت الفصل الدراسي (مثل الاستطلاع ثنائي اللغة في الفصل **2.6**).

يتبع ذلك خطوط عريضة لكيفية البدء بمشروع. هذه مرحلة الإعداد – الخطوات الثلاث الأولى مما ذكرته سابقاً على أنه الخطوات التسع (الجدول **3.3**). سيتم تغطية الخطوات الأخرى في الفصلين السابع والعاشر. هذا العرض هو بالضرورة خارجي تماماً.

وغير مسموح به لمستويات المشاريع كلها بل هو متخصص في الاستبيانات والمقابلات والنصوص. ويَفترِض أن يحصل الطلاب على نصيحة حول اختصاصات مشاريعهم.

يمكن لإطار العمل العام أن يكون مفيداً في أي مقياس بحث بالتساوي سواء أكانت المشاريع فردية صغيرة أم دراسة تخصصية. ويعتمد المقياس على طول المدّة، ومستوى الصف الدراسي، وعمل الفرد مقابل المجموعة، وما إلى ذلك. وإذا لم يكن عملياً بالنسبة إلى الطلاب أن يصمموا مشاريعهم الخاصة، فهناك بدائل مصممة مُسبقاً يمكن التزوّد بها، وهي تغطّي فعلياً المرحلة الأولى والثالثة، ويُحتمل أن تغطي الثانية أيضاً.

الجدول 3.3: الخطوات التسع لمشروع بحثي

الخطوة			الفصل
الإعداد			
1	أهداف ومتغيرات منطقية		هذا الفصل
2	مراجعات أدبية		
3	التصميم والوسيلة		
جمع البيانات			
4	الحصول على البيانات		الفصل السابع
5	معالجة البيانات		
النتائج والتقرير			
6	ترميز البيانات		الفصل العاشر
7	تحليل البيانات		
8	تفسير البيانات		
9	التدوين		

الدليل العملي الممتاز للقيام ببحث لغوي، من ضمنه أفكار عن عدة مئات من المشاريع، هو عمل 'واري' و'بلوومر' (2012). ومن أجل دليل تفصيلي عن أبحاث الاختلافات اللغوية، راجع كتاب

'تاغلياامونت' (2012). إذ يقدم النشاط البحثي في الفصل الحادي عشر معلومات وإرشادات لتنفيذ مشروع في لغة الأداء، كفيلم مثلاً أو مسرحية.

الخطوة الأولى: أهداف ومبررات منطقية

إعداد أهداف المشروع هي الخطوة الأولى الهامة؛ إذ لا تبدأ بعض المشاريع عملياً بهدف بحثي بل بالاهتمام، مثلاً، ببيانات إحدى اللغات الخاصة مثل 'فيديو كليب'. لكن هناك حاجة لأهداف واضحة قبل أن يذهب المشروع إلى أي اتجاه – وإلا من المرجّح ألا يتحرك إلى أي مكان. كما أن هناك ثلاثة أسئلة 'بسيطة' لطلب فكرة مشروع بحثي:

1- هل هو مثير للاهتمام؟

2- هل يستحقّ العمل عليه؟

3- هل يمكن إنجازه؟

توضح هذه العملية ماهية قضية البحث، أو السؤال الذي تطرحه، وما هو المبرر أو الأساس المنطقي للقيام بهذا المشروع، وما هي التطبيقات أو الفائدة التي يمكن أن تأتي بها النتائج. فربما تصوغ هذا المشروع على شكل فرضية، أو يكون لديك شعور خاص حول ما تبحث عنه. ويتناول البند الثالث أساساً ما إذا كان المشروع ممكناً. فهناك دوماً إغواء لأن تبذل الكثير من الجهد، والمشورة من قبل الباحث الخبير أساسية لتأكيد أن هذا لا يحدث.

الخطوة الثانية: مراجعة أدبية

تستفيد الأبحاث من معرفة ما حدث سابقاً – النظرية الخاصة بالدراسات السابقة والوسائل المتبعة والنتائج الصادرة.

• اقرأ في المجال العام الخاص بمشروعك، إضافة إلى الدراسات ذات الصلة بما تفعله بشكل خاص. إذا كنت تدرس ثنائية اللغة في جزء من لوس أنجلوس، فاقرأ عن ثنائية اللغة بشكل عام، وعن

ثنائية اللغة الإنكليزية الإسبانية في الولايات المتحدة، وأي شيء تعثر عليه وبشكل خاص عن اللغة الإسبانية في المنطقة المحددة.

- لا تقم بإدراج محتويات قراءة واحدة بعد الأخرى، بل قم بتجميع النقاط والعناوين العامة حول ما قرأته.
- قيّم القراءات وباشر عملية نقدها، ولا تقم بتسجيل ما تقوله فقط.
- استخلص الفائدة من القراءات من أجل مشروعك.

أما بالنسبة إلى مشروع صغير فإن القاعدة الأساسية المبنية على الخبرة هي أنك تحتاج إلى عشر مقالات علمية على الأقل أو ما يعادلها (عشرة فصول من كتاب) كأساس للمراجعة الأدبية. وبالنسبة إلى مشروع كبير، تحتاج إلى ما هو أكثر بما يتناسب مع حجم المشروع.

الخطوة الثالثة: التصميم والوسيلة

يعني التصميم أن تعرف كيف تنتقل من الأهداف إلى النتائج: ما الذي ستفعله في المشروع وكيف؟ فالقضية الأساسية هي تحديد بياناتك بشكل دقيق، ومن أين ستحصل عليها؛ إذ سيعطيك إعداد أهدافك (الخطوة الأولى) عادة مؤشراً عاماً، على الأقل، حول نوع البيانات التي ستحتاجها، لكن ذلك يصبح محدداً بدقّة في مرحلة التصميم.

هناك بعض الحدود لما يمكن اعتباره بيانات لسانيات اجتماعية؛ إذ يحصل علماء اللسانيات الاجتماعية أحياناً على بياناتهم من التجارب، لكن ذلك ليس غالباً لأن اهتمامهم في الأساس هو دراسة اللغة باستخدامها الفعلي. والأكثر شيوعاً أنهم سيعمدون إلى المراقبة وتسجيل ملاحظات حول السلوكيات اللغوية التي يلاحظونها. والأكثر تواتراً أيضاً هو البحث عن لغة بدلاً من البحث في لغة، مستخدمين المسح الاجتماعي وتحليل الوسائل - كالعمل مثلاً على بيانات

الإحصاءات حول استخدام لغة، أو استطلاع المواقف حول لغة (انظر الفصل 10.2). فاستبيان استخدام اللغة في التمرين (2.9) هو نوع من الأدوات.

وبطبيعة الحال، تتضمن معظم الأبحاث اللسانية الاجتماعية جمع عيّنات من اللغة ذاتها، وتحليل بعض جوانبها. وهذا يعني أن من المفترض تسجيل اللغة لكي تصبح قابلة للتحليل. فتسجيل الكلام هو أساس البحث اللساني الاجتماعي – وليس من قبيل المصادفة أن هذا العلم جاء بعد اختراع تكنولوجيا تسجيل الصوت وإمكانية العودة إليه ومراجعته. إن دراسة الاختلاف اللغوي، بشكل خاص، تفترض مُسبقاً أنه أصبح بالإمكان إعادة الاستماع للكلام عدة مرات، وإعادة تشفيره. كما أصبحت المقابلة تقنية أساسية للحصول على كلام مسجّل، بعد تطوير 'ويليام لابوف' تقنيات شاملة للمقابلات اللسانية الاجتماعية، وهو ما سنراه في الفصل السابع.

لكنْ هناك أنواع أخرى من البيانات المسجّلة الجاهزة. فقد كانت النصوص المكتوبة مُتاحة دوماً في الكتب، لكن شبكة الأنترنت فتحت المجال للوصول الجاهز إلى مجال واسع من المواد المكتوبة في المدوّنات ومواقع التواصل الاجتماعي، والصحف الإلكترونية، وما إلى ذلك. يوجد كما على شبكة الأنترنت مجموعات ضخمة باللغة الإنكليزية (انظر 'راي و بلومر، 2012). ولا يزال من المفيد جداً لعلماء اللسانيات الاجتماعية وجود ثروة كبيرة من الكلام المُسجّل صوتياً وعبر قنوات الفيديو، وخاصة موقع اليوتيوب. فإذا أردت مثلاً أن تبحث عن لهجة باللغة الإنكليزية، ستكون العروض المسجّلة مُسبقاً متاحة أمامك:

- كلمات أغانٍ أو تسجيلاتها (في أي نوع من الموسيقى – كلاسيكية، شعبية، الريفي، الهيب هوب، الفلكلور، وما إلى ذلك).

• مقتطفات من البرامج التلفزيونية، بأي لهجة وبأي نوع من الأنواع (الكوميدية، المسلسلات الطويلة، برامج الألعاب، وما إلى ذلك).
• مقتطفات من الأفلام الروائية.
• مقتطفات من الروايات مع تمثيلات للخطاب المحلي.
• مقتطفات من الصحف والمجلات المحليّة.
• حوارات على الراديو.
• إعلانات من الصحافة والراديو والتلفزيون.

سوف تختار، لمشروع من هذا النوع، 'كاسيتات، أشرطة معيّنة في هذه اللغة التي تعتقد أنها تحتوي ميزات لغوية مثيرة من أجل التحليل، وتلقي الضوء على اللهجة التي يتم تداولها، وتحمل معانٍ اجتماعية يمكن تفسيرها.

التمرين 3.11: أخلاقيات البحث اللساني الاجتماعي

في مشروع لغات 'المنانوكاوا باسيفيكا' المبيّن في الفصل الثاني، تعلّم فريق البحث بعض الحقائق الرئيسة حول أخلاقيات العمل اللساني الاجتماعي. فالمعلومات الآتية من مقابلة أعضاء المجتمع قد جعلت من الواضح جداً أن البحث يتطلّب مشاركة فعّالة من عناصر المجتمع أكثر مما سمح لنا به. وقد بدأنا مشاورات مجتمعية مكثّفة أعادت توجيه تصميم المشروع وسلوكه وأفراده ونتائجه. ويمتد ذلك إلى كيفية تسمية المشروع، بالإشارة إلى المنطقة مثل 'مانوكاو'[1] بدلاً من 'جنوب أوكلاند'، الذي ضم إيحاءات سلبية. لقد كانت مثالاً عملياً مُدهشاً – وكان آخرون قد تعلّموه قبلنا (وولفرام، 1998) – في المشاركة المناسبةِ في الموضوع قيد البحث، وعملية البحث، ويمكن تطبيقها أيضاً على المشاريع الصغيرة.

---

[1] مانوكاو عبارة عن ضاحية تقع جنوب أوكلاند في نيوزيلندا. المترجم.

في كتابه الرائع، ميّز 'كاميرون' والآخرون ثلاثة مستويات من العلاقة بين الباحثين والموضوع قيد البحث:

1- ابحث في – "البحث الأخلاقي".

2- ابحث في، ومن أجل –'أبحاث مدعومة وتم تأييدها'.

3- ابحث في، ومن أجل، ومع – 'أبحاث ممنوحة سلطة، لديها سلطات واسعة'.

• ناقش المقصودَ بهذه المفاهيم المختلفة عن العلاقة مع البحث، وكيف تعمل الاختلافات من الناحية العملية.

• إذا كنت تعمل على مشروع، ارسم ثلاثة تصاميم بديلة بالتوازي مع ثلاثة مناهج مختلفة.

• حدد الفروق بين هذه التصاميم الثلاثة: وأي تصميم تتبنّاه، ولماذا؟

بمجرّد اتخاذ قرار بشأن بيانات مشروعك، وكيفية الوصول إليها وجمعها، سوف تحتاج إلى:

• وضع مخطط لمراحل المشروع، بما فيها طريقة معالجتك للبيانات وتحليلها (انظر الفصل السابع والعاشر).

• حدد فترات زمنية لهذه المراحل، لكي تستطيع إنجازها قبل الوقت النهائي للمشروع.

• حدد المصادر التي تحتاجها – بحث في الأنترنت وتحميل ملفات؟ آلة تسجيل رقمية؟ استبيانات مطبوعة ورقياً؟ برامج كمبيوتر؟

• ما هي القضايا الأخلاقية التي ينطوي عليها المشروع، وكيف ستتم معالجتها (التمرين **3.11**)؟ في كثير من البلدان، يُطلب تصريح من اللجنة الأخلاقية في الجامعة للبدء في أي بحث يتناول موضوعاً بشرياً. وغالباً ما يكون هناك تصريح عام للطلاب في فترة معينة للقيام بالمشاريع تحت الإشراف.

3.7 ملخّص

- يحدث التواصل اللغوي أساساً عبر التنقّل، عندما يواجه الناطقون بلغة معينة ناطقين بلغة أخرى. وقد يكون السفر لأسباب متنوعة منها الاستكشاف، التجارة، الصراعات، الهجرة، الاستعمار، العمل، الدين، التعليم أو السياحة. فيسود التواصل اللغوي في أماكن محددة كالمدن الكبيرة، وفي فترات محددة كالغزو مثلاً.
- لطالما كانت وسائل الإعلام الوسيلة الرئيسة الثانية للتواصل، من المخطوطات القديمة في الأزمنة الغابرة إلى البث الإعلامي في القرن العشرين. فوسائل الإعلام التفاعلية الخاصة بالقرن العشرين والقرن الحادي والعشرين، زادت من فرص التواصل اللغوي بشكل كبير.
- تتضمن التداعيات اللغوية، واللسانية الاجتماعية الخاصة بالتواصل، خيارات اللغة وطبقاتها ومستوياتها وتحوّلها والحفاظ عليها وولادتها وموتها وتغيّرها وتآكلها وتحويل رموزها.
- في بلد ما، يمكن ملءُ 'الوظائف' الاجتماعية المختلفة، بلغات مختلفة. كما يمكن تصنيف وظائف اللغة بوصفها عامة وخاصة. وتُعتبر الوظائف العامة كالحكومة والتعليم أو وسائل الإعلام ذات قيمة عالية بالنسبة إلى اللغة. واللغة الرسمية هي اللغة التي تُستخدم في عمل الحكومة، بينما اللغة الوطنية هي رمز للبلد وتمثيل لهويته. وفي حالة لغة 'الماوري' الإنكليزية مثلاً حققت هذه اللغة معظم الوظائف العامة بدلاً من لغة 'تشيشوا'.
- إن تحوّل اللغة عبارة عن عملية ديناميكية يبدأ فيها الناس الذين تحدّثوا تقليدياً لغة واحدة فقط بالتحدّث بلغة أخرى، وعادة ما يكون ذلك بسبب الهجرة أو الاستعمار؛ إذ تفقد معظم الأقليات المهاجرة لغة مجتمعاتها وتتماهى مع لغة البلد المضيف، وتجد الأقليات من السكان الأصليين أن لغتها تتعرّض للضغط. فالمكانة

المتدنّية، والديموغرافيا غير المرغوب فيها، والمعارضة المؤسساتية، هي عوامل تساهم في تحوّل اللغة؛ لذا تقاوم معظم المجتمعات التحوّل من لغتها الخاصة، وتعتبرها جزءاً جوهرياً من هويتها الخاصة.

• يعمل نموذج "عكس تحوّل اللغة" الخاص بـ 'فيشمان' على جدولة الحفاظ على اللغة. كما يقيس "مقياس الاضطراب المتدرّج بين الأجيال" الخاص به زيادة قوة اللغة، ويركّز على استمرارية النقل من خلال العائلة.

• المنهج الثاني للحفاظ على اللغة هو من خلال 'حقوق الإنسان اللغوية'. وكلاهما تعرّضا للنقد بسبب جعل اللغات جوهرية، عبر التعريف الرومانسي المُبالغ به للهوية اللغوية والعرقية، وإهمال الحالة الاجتماعية العامة لمجتمع الأقلية، والحد من الخيارات اللغوية للمجموعة.

• كحالة عن تحوّل اللغة والحفاظ عليها، لدى لغة الماوري الخاصة بـ 'أوتياروا' في نيوزيلندا قلّ عدد الناطقين بها بطلاقة. فقد تضاءلت اللغة خلال السنوات المئة والخمسين الماضية من الاستعمار إلى مستوى منخفض في سبعينات القرن العشرين.

• بدأت إعادة إحياء لغة الماوري في ثمانينات القرن العشرين مع حركة "كوانغو ريو – عش اللغة"، وتبع ذلك صفوف ثنائية اللغة ومدارس خاصة. وفي عام (1987) تم تثبيت لغة الماوري كلغة رسمية. بعد دعاوى قضائية بدأت في ثمانينات القرن العشرين، وتم الطلب من الحكومة أن تتخذ إجراءات بخصوص اللغة، وانتهى الأمر بتأسيس إذاعة الماوري التلفزيونية عام (2004). وقد أظهرت الاستطلاعات اللاحقة ارتفاعاً ملحوظاً بعدد الناس الذين يدّعون أنهم يتحدّثون لغة الماوري، مما عكس مكانة متزايدة يمكن أن نعزوها إلى تأثير إذاعة الماوري التلفزيونية.

3.8 قراءات متقدمة

هناك عدد من النصوص التمهيدية التي تخدم مجال الاتصال اللغوي؛ إذ يقدّم 'دونالد وينفورد، 2003' تغطية شاملة، مع أنها متواضعة إلى حد ما، في مواضيع التحوّل والحفاظ على اللغة، والاستعارة والانتشار البنيوي وتحوّل الرمز، واللغة المُبسّطة والكريول. كما أن مقدّمة 'توماسون' (2001) مقدّمةٌ شخصيةٌ وسريعة تعرض وجهات نظر رائعة، ومجموعة واسعة من الأمثلة. وهي جديرة بالملاحظة لإرشادات القراءة المتقدمة الموجودة في نهاية كل فصل. فقد لجأ كتاب 'توماسون' الذي اشترك به مع 'كوفمان' (1988) إلى تجميع إطارٍ للتواصل اللغوي القائم على اللغة وتحويلها، واللسانيات التاريخية، ودراسات اللغات المُبسّطة والكريول. أما كتاب 'أوستلر' بعنوان "إمبراطوريات الكلمة" الصادر عام (2005)، فهو عبارة عن خلاصة معلومات سهلة القراءة حول التأثيرات الإمبريالية على اللغة منذ أقدم العصور حتى الآن.

هناك نسبة كبيرة من محتويات مجلّة ثنائية اللغة، ومجلّة التعددية اللغوية، المُدرجة في نهاية الفصل الثاني، والتي تتناول دراسات وقضايا تحوّل اللغة والحفاظ عليها. فقد اختصّ ناشر مجلّة 'قضايا تعددية اللغة' في نشر مواضيع تتعلّق بتحوّل اللغة والحفاظ عليها بما في ذلك موارد لأولئك الذين يعملون للحفاظ على اللغات – راجع المواقع الإلكترونية.

يُعتبر كتاب 'فيشمان' الخاص بـ 'عكس تحوّل اللغة'، والمجموعة التي قام بتحريرها، أعمالاً أساسية في ممارسة الحفاظ على اللغة. أما المنشور الأساسي بعنوان "حقوق الإنسان اللغوية" فهو مجموعة قام بتحريرها المبادرون في هذا المجال 'سكوتناب – كانجاز' و'فيليبسون' (1994)؛ إذ يجمع هذا المنشور فصولاً حول قضايا

حقوق الإنسان اللغوية، بالإضافة إلى دراسة حالات في دول معينة. ويستعرض 'أرزوز' (2008) الكثير من المعلومات حول تنوّع اللغات عبر أوروبا.

يغطي كتاب 'برنارد سبولسكي' حول سياسة اللغة (2004) الجوانب السياسية للحفاظ على لغة الأقليات، ويقيّم منهج 'فيشمان' حول "عكس تحوّل اللغة". كما يعرض 'ريسينتو' (2005) مناهج أساسية حول نظرية سياسة اللغة ووسائلها، بالإضافة إلى عناوين أساسية مثل سياسة اللغة والهوية الوطنية. علماً أن لهذا المجال مجلّته الخاصة (سياسة اللغة ومشاكلها & تخطيط لغوي). كما يقدّم كتاب 'سبولسكي' الدراسي في جامعة كامبريدج تغطية شاملة. ويقدّم موقع "شبكة أبحاث السياسة اللغوية" معلومات وروابط كثيرة.

من أجل معلومات عن لغة الماوري في نيوزيلندا، راجع التقارير الكثيرة الموجودة على موقع 'تي بوني كوكيري'، وزارة التنمية في ماوري. إنه يتضمن دراسات استطلاعية، وتاريخ بث إذاعة لغة الماوري وسياستها. كما يقدّم 'باوير' إعادة تحليل ونقد للاستطلاعات. انظر أيضاً موقع لجنة لغة الماوري، 'تي تاورا ويري'. وقد قام كلٌّ من 'ريتشارد بنتون' و'برنارد سبولسكي' بإجراء بحث طويل الأمد عن حالة الماوري ثم نشراه. وعالج 'كريسب' قضايا التناقل اللغوي بين الأجيال. وكرّس 'فيشمان' فصلاً للغة الماوري كدراسة لحالة. وغطّى 'هولينغ' و'بيل' قضايا البث الإذاعي والتطورات.

الفصل الرابع

ولادة اللغة وموتها

أكثر تداعيات التواصل اللغوي حدّة هي ولادة اللغة وموتها. سنبدأ مع قضية موت اللغة: رأينا في الفصل الثالث أنه يمكن للناطقين بلغة معيّنة أن يتحوّلوا من لغة إلى لغة أخرى عندما تكون اللغة الأخرى هي المهيمنة، كما في حالات الهجرة والاستعمار. إلا أن الهجرة لا تشكّل عادة أي تهديد على لغة المهاجرين لأنها تترك خلفها مجتمعاً من الناطقين بها في البلد الذي انطلقت الهجرة منه. حتى لو توقّف جميع الإغريق المهاجرين إلى أستراليا، وأحفادهم أيضاً عن النطق بهذه اللغة، ستبقى اللغة قوية في الوطن الأم. لكن في بلد خاضع للاستعمار، لا يتم النطق بهذه اللغة إلا في هذا البلد، وإذا ضاعت اللغة هناك، فسوف تنتهي إلى الأبد. فعلى سبيل المثال عندما يتحوّل الشعب البدائي (أو شعب الأبوريجينال) الذي يتحدث لغة 'الدايربال' بالكامل إلى اللغة الإنكليزية، فسوف تموت لغة 'الدايربال'. وهو ما يبحثه الجزء الأخير من هذا الفصل في تناوله موضوع اللسانيات الاجتماعية لموت لغة، وحقيقة ما يحدث لبنية اللغات التي توشك أن تموت.

لكن يمكن للغة أيضاً أن تولد. عندما تلتقي مجموعات من البشر، وليس لديهم لغة مشتركة، فسوف يسرعون بصياغة لغة بدائية جديدة بغية التواصل. وإذا عدنا إلى الفصل (3.1)، نجد أن هذا يحدث عادة في حالات الاستكشاف والتجارة والاستعمار، وخاصة في حالة العمل القسري، وتكون النتيجة دوماً هي لغة 'مبسّطة - pidgin'. علماً أنه في الكلام اليومي تكون اللغة 'المبسّطة' مصطلحاً سلبياً، ويُستخدم بمعنى اللغة أو الكلام الذي يعتبره أحدهم متخلّفاً وفاسداً. لكن في اللسانيات، يكون مصطلح اللغة المُبسّطة مُصطلحاً تقنياً وتفسيرياً للتواصل اللغوي؛ إذ يكون للغة المُبسّطة حياة قصيرة، لكن إذا ثابر المرء عليها فقد تتطوّر مع الوقت لتصبح لغة متكاملة. ثم يبدأ الأطفال بتعلّمها وكأنها لغتهم الأم مما يؤدي إلى نشوء ما يُسمّى لغة 'الكريول - creole' (مصطلح آخر يكون استخدامه في الحياة اليومية سلبياً). إن هذا التواصل بين اللغات ساحر جداً من الناحية اللغوية، لأنه يمكّننا من مراقبة اللغة التي تتم صناعتها الآن وهي على خط الإنتاج.

تُحافظ بعض أقسام هذا الفصل على المستوى 'الكبير - ماكرو'، وتتفحّص الموقع الاجتماعي لهذه اللغات. لكن هناك أقسام أخرى - وخاصة بعض الأمثلة والتمارين ونشاطات البحث - تبحث في التفاصيل 'الصغيرة - ميكرو'، أي الطريقة التي تتطور فيها بنية اللغة أو تضيع. وقد يتطلّب هذا الأمر استخدام بعض المصطلحات اللغوية غير المألوفة، ويكون من الأفضل حينها مراجعة أحد قواميس اللسانيات مثل قاموس 'كريستال' (2008)

4.1 المبسّطة والكريول

مصطلحات خاصة[1]

أدى أوّل تواصل بين بشر ليس بينهم لغة مشتركة إلى مصطلح أطلق عليه اللغويون اسم 'مصطلحات خاصة – jargon'. وهي لا تعني هنا مفردات غامضة أو اختصاصية، بل تعني وسائل تواصل مؤقّتة قصيرة المدى. تُطرح هذه الكلمات أو المفردات الصغيرة في لحظات معيّنة، ولا يتم تثبيتها لتكون وسيلة تواصل عامة أو دائمة؛ إذ تبدأ 'المصطلحات الخاصة' بتبادل كلمات يتواصل بها التجار أو السياح في كل مكان مع الناس العاديين الذين يرغبون في التعامل معهم. إنها كلمات قليلة ذات بُنية بسيطة، ومما لا شكّ فيه أن معظم الحالات لم يتم توثيقها لأنها كانت حالات عابرة.

لكن مع استمرار عملية التواصل، تتصلّب بعض هذه المصطلحات خلف المعاني المقابلة اللحظية التي كانت السبب بإطلاقها. وهكذا ظهرت لدينا مصطلحات لغة 'تشينوك' في الشمال الغربي لأمريكا الشمالية ما قبل الأوروبية دوّنها للمرة الأولى 'كابتن كوك' عام (1778). وكان من الواضح، مع المفردات الأساسية التي اقترب عددها من خمسمئة كلمة، أنها ستتطوّر نحو شيء أكثر تعقيداً. وكانت مصطلحات لغة 'روسينورسك – Russenorsk' تُستخدم أيضاً للتواصل بين الصيادين النرويجيين الروس خلال القرن التاسع عشر. من خلال الأمثلة المطروحة عن لغة 'روسينورسك'، نجد إنها تفتقد لوجود الفعل المساعد الموجود في اللغة الإنكليزية:

tvoja		grot"	grot"
you	are	very	rich

[1] "jargon" كلمات او تعابير خاصة يتم استخدامها في مهنة معيّنة او من قِبَل جماعة معينة، ويصعب على الآخرين فهمها. اما في اللغات فيشير إلى شكل من اشكال اللغة الذي يُعتبر هجيناً، او علمياً او غير متمدن. المترجم.

لاحظ أن بناء الجملة الثانية في الجدول السابق يتضمّن الفعل المساعد (are): (بروش وجاهر، 1984).

وصل عدد الكلمات، في اللغة التي كانت سائدة في دول جنوب المحيط الهادئ، إلى أكثر من مئتي كلمة، وقد تلاشت كلها في منطقة المحيط الهادئ أو ماتت بعد توقّف صيد الحيتان في ستينات القرن التاسع عشر. لكن في الجنوب الشرقي من المحيط، تنمو مفردات هذه اللغة وتستمرّ لتصبح جزءاً من شيء أكبر – اللغة الماليزية 'المبسّطة' التي ينطق بها الآن عدة ملايين من البشر، وهي الحالة التي سنقوم بدراستها في هذا الفصل.

اللغة المُبسّطة

هناك سبب وجيه للاعتقاد بأن اللغة 'المبسّطة' كانت موجودة خلال فترة طويلة من تاريخ الإنسان بعد أن أصبح التواصل موجوداً، لكن لم يتم توثيقها في الكثير من الحالات. لكن النزوح الجماعي للشعوب التي خضعت للإمبراطوريات القديمة، كمملكة آشور، كان على الأرجح محفّزاً لإطلاق اللغة المبسّطة. وقد كانت إحدى أقدم اللغات المعروفة من هذا النوع تتضمّن أساس لغة رومانسية، دُعيت 'لينغوا فرانكا – Lingua Franca'[1]. واستُخدِمَت حول حوض البحر الأبيض المتوسط منذ القرن الثاني عشر، ويعتقد بعض الباحثين أنها شكّلت الأساس لجميع اللغات المُبسّطة والكريول اللاحقة. ومع أن أقدم لغة 'مبسّطة' تم العثور عليها تعود بتاريخها إلى ألف سنة مضت، إلا أنه لم يتم اكتشافها حتى عام (1982)؛ إذ وثّق جغرافي عربي في القرن الثاني عشر ما يبدو بوضوح أنه لغة 'مبسطة' عربية

[1] لغة تم تعديلها لتكون لغة مشتركة بين متحدثين لديهم لغات أصلية مختلفة. هي مزيج من اللغات الإيطالية والفرنسية والإغريقية والعربية، والإسبانية، وتُستخدم عادةً في 'ليفانت'، وتعني الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط مع الجزر والدول المحيطة. المترجم.

الأساس، في مدينة تقع شمال ووسط أفريقيا. فتقييمه الذي يقول فيه إن "السود قد شوّهوا لغتنا الجميلة، وأفسدوا بلاغتها وفصاحتها بألسنتهم الملتوية"[1]، قد يشكّل قالباً لتعليق عام بأن اللغة المُبسّطة، منذ ذلك الحين، تتضمّن إيحاءات عنصرية.

بدأ اختراع اللغات المُبسّطة الشهيرة مع التوسعات الأوروبية الاستكشافية بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر. ومع اكتشاف البرتغاليين للطريق نحو الشاطئ الغربي لأفريقيا، حذت الدول الاستعمارية الأوروبية حذو البرتغال، فتوسّعت إسبانيا وإنكلترا وفرنسا وهولندا، وأدّى امتدادها على طول الشواطئ العالمية إلى ظهور العديد من اللغات المُبسّطة التجارية.

الكريول

كان الاتجار بالبشر الطريقة الرئيسة لصناعة لغات 'الكريول' التي تعيش لزمن طويل. فقد استعبد الغرب، بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر، ما يقارب عشرة ملايين من السود الأفارقة، ونقلوهم عبر المحيط الأطلسي للعمل في مزارع الأمريكيين التي كان معظمها في منطقة البحر الكاريبي. باجتماعهم معاً من خلفيات لغوية مختلفة، بالإضافة إلى الأسياد الأوروبيين البيض، وقد أسست تلك المجتمعات وسائل التواصل الخاصة بها مما هو مُتاح لديها، وهذا ما جعل من منطقة البحر الكاريبي نقطة تواصل بين لغات العالم. أما المنطقة الأساسية الثانية للاقتصاد الزراعي، واللغات المُبسّطة، فكانت منطقة جنوب غرب الباسيفيك في أواخر القرن التاسع عشر؛ إذ يوجد في العالم أكثر من مئة لغة مبسّطة ولغة كريول، ويحمل بعضها أسماء تشهد على أصولها:

---

[1] يعود هذا القول للجغرافي العربي الأندلسي 'أبي عبيد الله البكري' الذي عاش بين عامي (1030 - 1094)، وقد كان جغرافياً وموسوعياً وأديباً ونباتياً. المترجم.

كويوول - Kweyòl	مستمدة من الفرنسية	سانت لوسيا
كريل - Kreyòl	مستمدة من الفرنسية	هاييتي
كريول - Creolese	مستمدة من الإنكليزية	غويانيا
كريو - Krio	مستمدة من الإنكليزية	سيراليون
كرايول - Kriyol	مستمدة من الإنكليزية	شمال أستراليا

محاولات تعريف

يقول 'توماسون' إن أي تعميم في دراسة اللغات المُبسطة ولغات الكريول يكون مثيراً للجدل من الناحية العلمية، بما في ذلك بعض ما أوردته في هذا البحث. إنه حقل مليء بشخصيات استثنائية تناقش هذا المجال بقوة. لقد بدأ اختلاف الآراء مع محاولات وضع تعاريف، ويبدو أن كل باحث وكل منشور أراد أن يكون في المقدّمة. ويعود هذا جزئياً إلى أن كل تعريف من التعاريف سيستثني لغة ما نريده أن يشملها سواء أكانت لغة مُبسّطة أم كريول. لكن دعنا نحاول:

- اللغة 'المبسّطة' عبارة عن لغة نشأت عندما اضطرّت مجموعة من البشر إلى التواصل فيما بينها دون أن يكون لديها لغة مشتركة. ويكون لهذا النوع مفردات محدودة، وبنية بسيطة، وليس لديها ناطقون أصليون بها، أي إنها لا تكون اللغة الأم لأي شخص.
- تنشأ لغة الكريول عندما تكون المجموعة التي لا تمتلك لغة مشتركة في حالة تواصل طويل الأمد. ولدى هذا النوع من اللغات مفردات كاملة، وقواعد معقّدة، وهناك ناطقون أصليون تعلّموها كلغة أم.

تُسمّى اللغة القوية في هذا المزيج اللغة 'المهيمنة – superstrate'، واللغة الأخرى 'الضعيفة – substrate'. تساهم اللغة المهيمنة (كالبرتغالية مثلاً) بمعظم المُفردات، وهكذا تُسمّى اللغة

'المُسيطرة – lexifier'، بينما تساهم اللغات الضعيفة (كاللغات الأفريقية) بالقواعد أكثر مما تساهم بالمفردات. كما تشترك العديد من اللغات المُبسطة، ومعظم لغات الكريول، بتاريخ اجتماعي مشترك من استيراد العمال المُستعبدين أو المهجّرين من خلفيات إثنوغرافية منوّعة جداً عبر مسافات طويلة، وجمعهم معاً تحت سيطرة عدد قليل من المستعمرين. وهذا يعني، استناداً إلى ملاحظات 'أريندز، مويسكين وسميث' (1995)، أن لغات الكريول تبدو وكأنها نتاج عنف لغوي واجتماعي. فقد ساهمت الظروف الديموغرافية والاجتماعية الاقتصادية المحلية، مثل متطلّبات حصاد محصول خاص، بظهور نتائج لغوية مختلفة. ويكون لدى لغات الكريول المختلفة قواعد مختلفة تكون أقرب أو أبعد عن لغتها 'المهيمنة المُسيطرة' كاللغة الإنكليزية والفرنسية.

التمرين 4.1: ما هي اللغة 'المبسّطة' أو 'الكريول'؟

لا يوافق الباحثون على كيفية تعريف اللغات المُبسّطة والكريول. وقد أوردنا بعض هذه التعاريف أدناه.

1. أوضح أي التعاريف الواردة تعطي معنى هذه اللغات وتقيّمها.
2. حدد النقاط المشتركة المتفق عليها، وما هو تقييمك لها.
3. حدد الفوارق وما هو تقييمك لها. ما الذي تعنيه؟ ما مدى أهمية هذه الفوارق؟
4. هل يمكن المحافظة على التمايز بين النوعين؟
5. ضع تعريفك الخاص على أساس ما ورد أعلاه.

توماسون (2001)

تظهر اللغة المُبسطة عادة في حالات التواصل الجديد، وتتضمّن أكثر من مجموعتين لغويتين. وليس للمجموعتين لغة مشتركة... ولم يتعلّم أحدهم لغة الآخر، لكنهم قاموا بتطوير لغة مُبسّطة... بمفردات

مستمدّة عادة.... من إحدى اللغتين؛ إذ لا تأتي قواعد اللغة المُبسّطة الجديدة من لغة واحدة فقط؛ إنها نوع من لغة متقاطعة مشكّلة من قواعد اللغات المتفاعلة، مع تأثير أكبر أو أقل (وعادة أكبر) من تعلّم لغة عالمية أو لغة ثانية.... أما الكريول، فهي على النقيض من ذلك؛ لغة أمّ لمجتمع يتكلّم.

هايمز (1971)

تظهر اللغة المبسّطة كحالة تكيّف مؤقتة، مخففة في بنيتها واستخدامها، وليست اللغة الأولى لأي شخص؛ أما الكريول فهي لغة مبسّطة وأساسية.

مولم (1988)

اللغة المبسّطة لغة تنتج عن تواصل طويل الأمد بين مجموعات بشرية ليس لديها لغة مشتركة.... أما الكريول فلها في أصولها لغة مُبسطة أو 'مصطلحات خاصة'؛ ويتم التحدث بها كلغة أصلية في المجتمع.

موفوين (2001)

لغة الكريول عبارة عن تنوّع من لغات 'مهيمنة ومُسيطرة' تمت إعادة تشكيلها.

مويسكن وسميث (1995)

اللغات المبسّطة... تمثّل نمطاً من الكلام ليس له ناطقون.... وتعتمد درجة التطور والتعقيد التي تبلغها هذه اللغة المُبسّطة على نمط التفاعل والتواصل وكثافته بين المستخدمين. وليس للغات المُبسّطة ناطقون أصليون، في حين يكون للغات الكريول ناطقون أصليون... فيمكن تعريف لغة الكريول بأنها لغة أتت إلى الوجود في زمان ومكان يمكن تثبيتهما بشكل محدد.

4.2 من أين أتت اللغات المُبسطة ولغات الكريول؟

تهتم القضايا الأساسية لتواصل اللسانيات بالموقع الذي أتت منه المكوّنات المختلفة للغات الجديدة، وكيف حدث ذلك، وما هي المبادئ المشتركة الكامنة خلف هذه العمليات. لماذا يكون للغات المبسطة والكريول، المنتشرة على نطاق واسع، الكثير من الأمور المشتركة لغوياً؟ هناك أقصى حالات التوافق في المعجم. وتتضمن الحالات التي ظهرت بها اللغات المُبسّطة عادة عدم مساواة اجتماعية، ولهذا تميل الأضعف منها للإذعان إلى الأقوى وتبنّي مفرداتها. وتأخذ معظم اللغات المُبسّطة والكريول مفرداتها بنسبة كبيرة من لغة 'مهيمنة' واحدة، أي لغة مُسيطرة. ولهذا فغالباً ما يستطيع الناطقون بلغة الاستعمار، (كالإنكليزية مثلاً)، أن يفهموا لغة الكريول المشتقّ (مع أن معاني الكلمات قد تكون مختلفة في اللغة الجديدة)، ويعتبرونها شكلاً منقوصاً من لغتهم الخاصة، لغتهم 'المهيمنة'. فغالباً ما يكون هناك معطيات معجمية أساسية، وبعضها من أماكن مختلفة (هولم، 1988). وبما أن المستعمرين الأوروبيين كانوا مسيطرين على المواقف التي نشأت منها اللغات المُبسّطة والكريول المعروفة، فقد تأسست معظم معاجمها على أساس اللغات الإنكليزية والفرنسية والبرتغالية، والهولندية والإسبانية (بترتيب تنازلي تقريباً). بعضها مشتقّ من لغات أخرى مثل 'بازار مالاي' في شمال شرق آسيا، و'هايري موتو' في بابوا، غينيا الجديدة.

في حين أن مصدر المعجم واضح تماماً عادة، ولا يزال مصدر قواعد اللغات 'المبسّطة والكريول' محل نزاع. حيث يمكن عادة للغة واحدة أن تُسمّى لغة 'مُسيطرة' أساسية، لكن يكون هناك العديد من المرشحين للمعطيات الخاصة بالقواعد، وذلك بسبب تنوّع معطيات لغات الناطقين. بالإضافة إلى هذه التأثيرات، هناك أيضاً

مبادئ عامة للقواعد العالمية، وعمليات مكتسبة من لغة ثانية، في مزيد لا يمكن توقعه.

المثال 4.1: تشكيل الكلمات في لغة 'السرانان' (Sranan)

لغة 'السرانان' لغة وطنية، وهي لغة 'لينغوا فرانكا' من 'سورينام' (ميغ وسميث، 2007). إنها لغة الكريول التي ظهرت أواخر القرن السابع عشر، وأخذت معظم مفرداتها من اللغة الإنكليزية. العمليتان المُستخدمتان عادة لتشكيل كلمات جديدة في لغات 'الكريول' هي 'المضاعفة أو التشديد' (تكرار الحرف أو التشديد عليه) و'الدمج' (أي الجمع بين حرفين أو أكثر)؛ إذ تُستخدم في لغة 'سرانان' طريقة المضاعفة لتحديد عدة معانٍ. وقد وصلتنا الأمثلة الآتية من 'آدموسون' و'سميث' (1995) – تشير اللهجة إلى مقطع مشدد.

صيغة التصغير - التحقير

'fattish'	fát(u)fátu	'fat'	fatu

قابل للازدياد (زيادة)

ferfiférfi	ferfiférfi	'to paint'	ferfri

تكراري (التكرار)

'to build in different places	bówbow	'to build'	bow

تستخدم لغة 'السرانان' التضاعف أيضاً كأسلوب مفضّل لتوسيع

المعجم:

'dizziness'	turn-eye	dray-ay
'prison'	dark-house	dungru-oso
'pork'	pig-meat	agu-meti

يعتمد علم الأصوات في اللغات المُبسّطة عادة على اللغات المُدخلة، لكنه يميل إلى البساطة؛ إذ تكون المفردات أبسط بكثير (بضع مئات من الكلمات بالحد الأقصى)، ويكون ′تصريف الأفعال′ أقلّ بكثير أو غير موجود. فترتيب الكلمات هو الأسلوب الأساسي في بناء الجملة، وهناك القليل من التبعية. لكن على العكس من ذلك، يكون لدى لغة الكريول معجم يساعد على التواصل في المجتمع. ويميل علم الأصوات في لغة الكريول إلى الخلط ما بين تأثير اللغة ′المهيمنة′ واللغة ′الضعيفة′، وتقدم لنا تركيبة الجملة مجالاً واسعاً للبناء مثل ′جعل الكلمة منسوبة′، وأنواع التبعية الأخرى.

هناك أمثلة مقابلة لكل هذه التعميمات على أية حال. فلا تحتاج اللغة ′المبسّطة لاكتساب ناطقين أصليين لتعقيد مكانة اللغة كلها. في ′بابوا′، غينيا الجديدة، وسّعت لغة ′توك بيسين′ بنيتها ووظائفها قبل أن يكون لديها متحدثون أصليون، وأصبحت واحدة من "اللغات المبسّطة الموسّعة′ التي تبدو مختلفة قليلاً لغوياً عن لغة الكريول. وربما يكون العامل الحاسم لجعل اللغة المبسّطة لغة كريول هو انتشار استخدامها ضمن نطاق واسع من الوظائف، وهو ما يحدث عادة مع اكتسابها متحدثين أصليين، لكن هذا ليس بالضرورة.

نظريات مقارنة

أدّت محاولات علماء ′الكريول′ للوصول إلى مصطلحات للبيانات المعقدة جداً إلى طيف واسع جداً من النظريات والتفسيرات التي يتناقض بعضها، وتتداخل إحداها مع الأخرى، وتكون كلها محلّ نزاع شديد. وقد ركّزت الفروقات بين النظريات إلى حد كبير على الأهمية النسبية التي أعطاها باحثون مختلفون إلى لغات مُهيمنة أو ضعيفة، إلى عمليات اللسانيات الاجتماعية التي يعتبرونها ذات صلة، وإلى الأهمية النسبية للسياقات الاجتماعية التاريخية والاقتصادية؛ إذ

تمثّل قائمتي المدرجة أدناه طيفاً واسعاً من الآراء لكنها ليست شاملة أبداً، ولا تحاول أن تضع نظريات لعلاقة إحداها مع الأخرى.

1- ترى نظرية ’أحادية النسل – **Monogenesis**‘ أن جميع لغات الكريول مُشتقّة من لغة مبسّطة ذات أساس برتغالي في غرب أفريقيا، وربما أخيراً من لغة ’لينغوا فرانكا‘ في البحر المتوسط في العصور الوسطى. هذه النظرية بشكلها القوي، ربما تتعامل بدقّة مع أوجه التشابه لكنها لا تلبّي التنوّع الذي يظهر بشكل واضح بين اللغات المتواصلة. وعلى أية حال، هناك نسخ تم تعديلها بوضوح، وتتضمّن ’آلية تغيّر اللغة‘، وهي عملية يتم من خلالها استبدال مفردات اللغة الموجودة بمفردات لغة أخرى مع المحافظة على قواعد اللغة الأولى.

2- نهج ’فرضية اللغة الحيوية – **Language Bioprogram Hypothesis**‘[1] هو نهج شمولي طرحه عالم لغات الكريول المثير للجدل ’ديريك بيكرتون‘ (**1981**)، وقد تأسس هذا النهج إلى حد كبير على لغة الكريول الإنكليزية التي يتحدث بها سكان هاواي؛ إذ ادعى ’بيكرتون‘ أن الأطفال يبنون قواعد لغة الكريول من فترة ما ’قبل اللغة المُبسّطة‘ التي يستخدمها البالغون من حولهم. إنهم يفعلون ذلك على أساس المبادئ العامة في اكتساب لغتهم الأولى، وليس الثانية. ومع أن معظم علماء الكريول يرفضون هذه النظرية، فقد كان لها تأثير كبير على النقاشات في هذا المجال، وهذا إلى حد كبير لأن العديد من الباحثين – في عمليات تفنيد ودحض مطوّلتين – مستمرّون في تحديد مواقفهم ضدّه (انظر مثال ’سيغل‘ **2008**؛ فينسترا **2008**). ومع ذلك، أدرك معظم الباحثين أن الأوساط

[1] تقول هذه النظرية إن التشابه البنيوي بين لغات الكريول المختلفة لا يمكن أن نعزوه إلى لغاتها المهيمنة والضعيفة. المترجم.

اللغوية – كالاعتماد الجاهز على الأشكال غير المميزة – تلعب دورها في عملية صناعة لغات الكريول.

3- تُصرّ فرضية 'آلية تغيّر اللغة' – Relexification Hypothesis' على دور اللغة الضعيفة. وتستند على أن لغات الكريول تظهر عبر تجميع مفردات من اللغة 'المهيمنة' مع قواعد من اللغة 'الضعيفة' عبر عملية 'تغيير اللغة' (انظر البند 1). وهكذا، ففي الحالة التي درسها 'ليفيبفر' (1998)، ظهرت لغة الكريول الهاييتية من خلال تطعيم مفردات فرنسية بقواعد من لغة 'الفون، أو الفونغاب' في غرب أفريقيا. كما يقبل بعض الباحثين أن إصداراً قوياً من هذه النظرية يمكن اعتماده في العديد من لغات الكريول.

4- بينما المناهج الثلاثة السابقة تتضمن عملية صناعة لغة كريول 'سريعة'، تتخذ الأخرى مساراً 'تدريجياً' يشدد على استمرارية تناقل اللغة داخل المستعمرة. فقد جادل باحثون مثل 'سينغلر'، استناداً على أدلّة ديموغرافية، أن لغات الكريول الكاريبية قد تطوّرت خلال زمن يصل إلى قرن كامل، وليس ضمن جيل واحد. وفي لحظة معينة حدث تحوّل اقتصادي اجتماعي كبير عندما تطلّب الانتقال، من الملكيات الصغيرة إلى مزارع السكّر الكبيرة، عدداً هائلاً من العمال العبيد، مما أدّى إلى قدح شرارة عملية صناعة لغات الكريول السريعة.

5 – لايزال بعض علماء لغات الكريول يعطون الأولوية للغة 'الضعيفة'، والعملية التدريجية. بالتركيز على لغة الكريول الفرنسية 'المُسيطرة' في المحيط الهندي، فقد آمن 'تشاودينسون (2001) بأن أوائل العبيد الواصلين تعلّموا الفرنسية من أسيادهم، ولو كان بشكل غير جيد. وبعد ذلك، تعلّمت موجات العبيد اللاحقة الشكل الحالي للغة، وساهمت بدورها في صوغ النسخة اللاحقة التي ازدادت

تشعّباً. وأخيراً كانت النتائج مختلفة عن اللغة الفرنسية بما يكفي ليتم اعتبارها لغة كريول منفصلة؛ إذ عمم 'موفوين' هذه العملية على 'مبدئه التأسيسي' الذي ينصّ على أن الجيل الأول من المستوطنين لم يكن لديه اهتمام متجانس في ترسيخ الأجندة اللغوية للقادمين الجدد.

6- أخيراً، شدد بعض الباحثين (مثل وينفورد، 2003) على أن عملية صناعة لغة الكريول واللغة المُبسّطة يمكن اعتبارها إلى حد كبير عملية اكتساب لغة تسلسلية ثانية لمجموعة. يعتمد هذا النهج على كثرة الأبحاث في مجال تعلّم الناس للغات أخرى (ليفيبفر، وايت، جوردان، 2006؛ سيغل، 2008). مع انتقال العبيد إلى موقع جديد يتطلّب منهم اكتساب لغة ثانية بغية التواصل، فقد حاولوا فهم اللغة الجديدة التي كانت مُتاحة أمامهم (كانت في البداية لغة 'مهيمنة). فأنتجوا خلال هذه العملية أنماطاً متداخلة بين لغتهم الأصلية، لغة المصدر، واللغة المُستهدفة الجديدة، مما أدى إلى تداخل لغوي، أي تسوية لغوية. إنها العمليات ذاتها التي تحدث أثناء اكتساب لغة ثانية، حيث يُنتج المتعلّمون لغة متداخلة تُظهر عيوباً في تعلّم اللغة المستهدفة الجديدة بسبب تأثرهم بلغتهم الأصلية. ومرة أخرى، يحدث الأمر نفسه عندما تتعلم مجموعة مهاجرة جديدة لغة البلد المضيف بشكل غير سليم، وهكذا تخلق تنوعات مميزة من تلك اللغات (انظر الفصل '7.4' حول الاختلافات العرقية).

لا يوجد بين كل هذه المناهج منهج واحد يمكن تفضيله أو يمكن اعتباره مهيمناً بوضوح. ونظراً لتعقيد اللسانيات المعنيّة، والاعتماد على شظايا أدلّة في أغلب الأحيان، من غير المرجح الحصول على توافق سريع في الآراء حول اللغات المُبسّطة والكريول.

التمرين 4.2: مناقشة نشأة الكريول

لاحظ النظريات أو الفرضيات أو التفسيرات الستة السابقة المدرجة أعلاه حول أصل لغات الكريول. وتذكر أن هناك تداخلاً بينها وبين نظريات أخرى لم تتم مناقشتها هنا، أما الخلاصات التي وضعتها فهي عبارة عن تقديم مختصر جداً لاقتراحات كانت غالباً معقّدة للغاية.

1. قسّم الصف الدراسي إلى ست مجموعات، واجعل كل مجموعة تتبنى إحدى النظريات.
2. تبحث المجموعة في تلك النظرية التي تبنتها بدءاً من الدلائل الموجودة في النص.
3. ثم يقومون بتلخيص النظرية، ويوضحون أي نظرية من النظريات تم وضعها في المقدّمة، ويشرحون بعض اللغات والبيانات الاجتماعية التي تم وضعها كأدلّة، وكيف لها أن تدعم تفسير النظرية.
4. تقدّم كل مجموعة نتائجها بشكل مُقتضب أمام طلاب الصف - بما في ذلك تقييم مدى ملاءمة الملخص الذي قدّمته في النص.
5. أثناء تقديم العروض، يلاحظ طلاب الصف النقاط المشتركة والفروق بين النظريات.
6. في النهاية، يناقش الطلاب التطابقات والاختلافات، ونقاط القوة والضعف بين المناهج الستة. هل هناك نقاط مشتركة بين النظريات التي تم دعمها بقوة؟
7. يضع الطلاب نتائجهم المتعلّقة بالنظرية التي وجدوها أكثر إقناعاً.

4.3 استمرارية لغة الكريول[1]

تستمر لغات الكريول بالتعايش مع اللغة المُسيطرة، ومع مرور الوقت يصبح لهذا التعايش نتائجه على شكل الكريول. فعادة ما تكون اللغة المُسيطرة (ولتكن الفرنسية مثلاً) قد حافظت على موقفها من اللغة المُهيمنة مقارنة مع لغة الكريول. وستكون لغة قياسية ذات هيبة اجتماعية، وربما بمكانة عالمية. وغالباً ما ستكون اللغة المُسيطرة، بدلاً من لغة الكريول، لغة مستهدفة للتعليم. وهذا ما يشكّل ضغطاً اجتماعياً على الناطقين للانتقال نحو اللغة القياسية في بعض الحالات. وهكذا، في دول مثل جامايكا وغويانا، وجدت لغة الكريول نفسها تشترك في الفضاء اللساني الاجتماعي مع الإنكليزية القياسية، وحدث الأمر نفسه مع الفرنسية القياسية في هاييتي. قد يؤدي ذلك إلى عملية تتقارب عبرها لغة الكريول من اللغة المُسيطرة. لكن ما يرشح عن هذه العملية ليس رابطاً نقياً بين لغة الكريول واللغة القياسية بل استمرارية لها. ففي إحدى نهايتي هذه الاستمرارية خطاب الكريول الأعمق الذي يُسمّى **'اللهجة الرديئة - basilect'**. ومن الجهة الأخرى كلام قياسي في حدّه الأقصى الذي يُسمّى **'اللهجة الفخمة - acrolect'**. ويظهر بينهما تدرّج واسع جداً فيه الكثير من المستويات المتتالية التي تُسمّى **'اللهجات الوسطية – mesolects'**.

كما كتب 'بيتر باتريك': "بين 'اللهجة الرديئة – basilect' و'اللهجة الفخمة – acrolect'.... تقبع هذه الشبكة الناعمة ظاهرياً من أصناف تتباين بالحد الأدنى" (2008). ومثل كل شيء في دراسات الكريول، الاستمرارية مُتنازع عليها – أوضح العديد من الباحثين إلى

[1] تشير الاستمرارية هنا إلى تسلسل مستمر لعناصر متجاورة لا تكون الفوارق بينها ملموسة. ويمكن أن تعني هنا التدرّج الناعم. المترجم.

أن هذا يمكن أن يأخذ أشكالاً مختلفة استجابة لتأثيرات مختلفة. فإحدى النظريات عن أصول اللغة الإنكليزية العامية الخاصة بالأفارقة الأمريكيين هي فرضية 'كريولية' تعود في نشأتها إلى لغة كريول مُبكّرة قديمة.

التمرين 4.3: من'اللهجة الفخمة' إلى 'اللهجة الرديئة'

المثال الآتي معدّل من 'ألين' (**1980: 192**)، ويُظهر مجالاً في استمرارية سلسلة لغة الكريول الجامايكية، مع تغيّرات لغوية متعددة حدثت في معظم المستويات. معظم هذه التغيرات نموذجية لقواعد الكريول.

		المعنى هو ذاته "إنه يتناول طعام الغداء" لكن التغيّر بطريقة استخدام الكلمات.
'اللهجة الفخمة'	1	He is eating his dinner
'اللهجة الوسطية'	2	(h)im is eatin' (h)im dinner
	3	(h)im eantin' (h)im dina
	4	Im a eat im dina
	5	Im a nyam im dina
'اللهجة الرديئة'	6	~ a nyam ~ dina

حدد التغيرات اللغوية التي حدثت في كل مستوى من 'اللهجة الفخمة' إلى 'اللهجة الرديئة'، ومن أي اختصاص من اختصاصات اللغة أتى ذلك (أي من الفونولوجيا – علم الأصوات الكلامية، أو من مورفولوجيا – علم التشكّل، أو من بنية الجملة). كمثال على ذلك، من المستوى الأول إلى المستوى الثاني هناك ثلاثة متغيرات:

الضمير (He) أصبح (h)im بنية الجملة (يتم لفظها مع الحرف (h) أو بدونه)

الضمير (his) أصبح (h)im بنية الجملة
كلمة (eating) أصبحت (eatin') علم الأصوات الكلامية

- أي بنية أصبحت مفقودة في المستوى الثالث؟
- ما هو التغير الرئيس في نظام الفعل في البند الرابع؟
- في البند الخامس، (nyam) هي كلمة من أصل غرب أفريقي.
- في البند السادس، المدّة (~) لا تشير إلى الجندر: ويمكن أن تعني (هو) أو (هي) أو حتى إلى الجماد.

المثال 4.2: مواقف من لغات الكريول

غالباً ما تحمل المجتمعات، أو الناطقون باللغة ذاتها مواقفَ سلبية من لغات الكريول. لكن تظهر أمامنا مجموعة متناقضة من الاستخدامات والمواقف بين لغتي كريول من الباسفيك – لغة كريول هاواي (HC)، واللغة 'المبسّطة' الماليزية (MP) التي يتم التحدث بها في 'فانواتو'، 'بابوا'، غينيا الجديدة، وجزر سليمان. فلدى كلهما قيمة هوية محلية قوية لكنها تختلف بطرق مختلفة، إلى الحد الذي يُنظر إليها كلهجة، وإلى الأخرى كلغة وطنية متميزة. بحسب عالِم الكريول الخاص بالباسيفيك 'جيف سيغل' (**2008: 267**):

في حين أن معظم الناطقين بلغة (MP) يعتبرونها لغة منفصلة عن اللغة الإنكليزية، فإن معظم الناطقين بلغة (HC) يرونها شكلاً غير صحيح من اللغة الإنكليزية. فلدى لغة (MP) أسلوبها الخاص في التهجئة والإملاء منذ سنوات طويلة، وتُستخدم عادة لكتابة اللغة. أما لغة (HC) فلم تكتسب نظام الكتابة الخاص بها إلا مؤخراً... لكن من النادر أن.... تُستخدم لغة (MP) في وظائف متنوعة جداً – ومن ضمنها النقاشات البرلمانية، الصحف، البث الإذاعي والدين. أما (HC) فمن النادر أن تُستخدم إلا في المحادثات غير الرسمية.

لا تحوي جميع لغات الكريول تدرّجاً من 'اللهجة الفخمة' إلى 'اللهجة الرديئة'. وقد رأى 'سيغل' (2008) أن لغات الميلانيزيين المُبسّطة لا يمكن أن تتحول إلى لغة 'كريول' مع أنها تكون في ظروف مثالية لذلك. إنها تحافظ على تمايزها عن اللغة الإنكليزية. وهذا لأن لغة مثل 'توك بيسين' يعتبرها الناطقون بها منفصلة عن الإنكليزية، وهي بحد ذاتها لغة وطنية لـ 'بابوا'، غينيا الجديدة، وتُستخدم على نطاق واسع في الوظائف الاجتماعية. فغالباً ما تكون المواقف من لغات الكريول مترددة. وغالباً ما يؤدي رأي المجتمع المفتوح إلى تخفيض لغة الكريول 'الرديئة' إلى شكل منكسر من اللغة، مُقارنة بلغة الكريول 'الفخمة'، لكن تميل المواقف الأكثر انفتاحاً إلى تقييمها كشعار أو رمز للهوية المحلية (انظر الفصل العاشر حول مواقف اللغات وإيديولوجياتها). هذه هي العمليات التي يمكن من خلالها أن تولد اللغات. لكن الأكثر تكراراً في عصرنا هو ظواهر موت اللغة التي سننتقل إليها الآن.

4.4 المخاطر على اللغة وموتها

في الفصل الثاني، لامست موضوع حدوث 'ثنائية اللغة المنقوصة' حيث يكتسب ناطقون بلغة معيّنة، مثل أولاد السكان الأصليين، لغة جديدة مهيمنة على حساب خسارتهم للغتهم السابقة. وعندها لن تبقى تلك اللغة الأولى، ولن يحدث عكس لهذا التحول اللغوي، وستكون النتيجة خسارة كاملة لهذه اللغة إذا كان هذا المجتمع هو الوحيد الناطق بها. للوصول إلى هذه المرحلة من التهديد بخسارة اللغة، يجب أن يكون هناك انقطاع في تناقل اللغة بين الأجيال – يكبر المزيد من الأطفال دون أن يتعلّموا لغة الآباء. نتذكر هنا تشديد 'فيشمان' (الفصل الثالث سابقاً) على أهمية هذا التناقل في اللغة، وكيف ساهم انهياره في تناقص عدد الماوريين. فالعوامل التي تقلل

من تناقل اللغة هي الضغط المستمر من تلك العوامل التي أدرجتها في الفصل (3.3) على أنها تشجّع على المراحل السابقة من تحوّل اللغة:

- المكانة المنخفضة والضغط الاقتصادي هما، من وجهة نظر 'هال' (1998)، الدافعان الأكثر إلحاحاً على موت اللغة.
- الحالات الديموغرافية السيئة التي تضمّنت غالباً نزوحاً أو هلاكاً للسكان الأصليين الخاضعين للاستعمار.
- إهمال مؤسساتي أو معارضة، وخاصة في التعليم.

إن مواقف أحاديي اللغة، وممارساتهم التي أدرجناها في الفصل الثاني، أدّت إلى عدم الثقة في ثنائية اللغة، وازدراء للغات الثانوية. والنتيجة أن لغات الأقلية كانت – في عبارة 'نانسي دوريان' التي لا يمكن نسيانها – 'مُحتقرة بشكل كبير' (1998: 3)، وتحطّم معنويات الناطقين بها إلى حد إهمالهم وهجرانهم. فقد كانت لغات 'بيكتش، إتروسكان، والقوطية' هي الضحايا الأوروبية المبكرة. وكانت اللغات السلتية أكثر حداثة، مع موت آخر الناطقين بلغة 'كورنيش' عام (1777)، وموت آخر الناطقين بلغة 'مانكس' عام (1974). أما اللغات السلتية التي بقيت – إيرلندية، غايلية، بريتونية، والويلزية – فكانت على درجات مختلفة من الخطورة. وعلى الرغم من الإشارة إلى اللغة اللاتينية على أنها لغة 'ميتة'، فهي ليست كذلك بحسب هذا التعريف: لقد تطوّرت إلى اللغة الإيطالية وبعض اللغات الرومانسية الأخرى.

اعتبار اللغات في حالة خطر

على مدى القرنين الماضيين، أصبح اللغويون مدركين لقضية تعرّض اللغات للخطر. فقد أصبح لديهم خبرة طويلة بالخطر المحيط بلغات معيّنة، أو حتى بحالة اللغات كلها في مناطق معيّنة. لكن مقياس الخطورة، وأهميته بالنسبة إلى أولئك الذين يقوم عملهم على

دراسة اللغات، فقد تم تسليط الضوء عليه من خلال منشورات لعناوين مناسبة في عام (1992)، قام بها 'كين هال' وآخرون في مجلّة 'اللغة' الرائدة. وقد وضعت هذه العناوين، للمرة الأولى، تقديرات علنية لحالة اللغات حول العالم، وقام بحسابها 'ميشيل كراوس' من 'مركز ألاسكا للغات الأم'؛ إذ اعتمد بشكل كبير على النسخة الحالية من ملخّص لغات العالم بعنوان 'إثنولوجو – Ethnologue'[1] (غريمز، 1988). كما جمع 'كراوس' لغات العالم ضمن ثلاث فئات:

- لغات 'آمنة' وهي التي تمتلك عدداً كبيراً من الناطقين بها، و/ أو لديها دعم رسمي.
- لغات مهددة بالانقراض، وهي اللغات التي يُرجّح أن يتوقف الأطفال عن تعلّمها خلال القرن الحادي والعشرين.
- لغات تحتضر، وهي اللغات التي وصلت سلفاً إلى حالة تدهور متقدمة.

باتخاذه مئة ألف ناطق باللغة كحد أدنى، قدّر 'كراوس' أن هناك ستمئة لغة، من أصل ستة آلاف لغة تقريباً، يمكن اعتبارها لغات في حالة آمنة. وقد خلص عام (1992) إلى ما يأتي:

وهكذا، أنا أعتبره حساباً معقولاً – بالمعدل الذي تسير به الأمور – أن القرن القادم سيشهد نهاية أو موت تسعين بالمئة من لغات البشر.

التمرين 4.4: لغات تحتضر قربك

لدى معظم الأمم في العالم لغات تحتضر داخل حدودها، ولدى بعضها عشرات أو حتى مئات من هذه اللغات. حدد أية لغة تحتضر في بلدك.

---

[1] منشور سنوي حول لغات العالم موجود بشكل مطبوع أو على شبكة الأنترنت، وهو يوفّر إحصاءات ومعلومات أخرى عن اللغات الحية في العالم. المترجم.

1. من هم الناطقون بهذه اللغات؟ أين يعيشون؟ ما هو موقعهم في المجتمع؟

2. هل يستخدمون لغاتهم بشكل مكثف في منازلهم أو في مجتمعاتهم؟ هل جميع أفراد مجتمعاتهم يتكلمون لغتهم، أو بعضهم فقط؟ هل الشباب منهم يتحدثون تلك اللغات مثل العجائز؟

3. هل تستخدم هذه اللغات في أية وظيفة عامة؟ هل تسمعهم يتحدثون بها وهم في الشارع؟

4. هل تُستخدم هذه اللغات في السياق الديني؟

5. هل هي مُستخدمة في التعليم؟ هل يُمنع الأطفال من التحدث بهذه اللغات في المدرسة؟

6. هل رأيتها أو سمعتها في وسائل الإعلام أو على شبكة الأنترنت؟ أو في الوثائق الحكومية؟

7. هل هناك أية سياسة حكومية حول هذه اللغات؟ ما هي؟ هل يتم تنفيذ هذه السياسة فعلياً؟

8. هل تم اتخاذ أية خطوات للحفاظ على هذه اللغات أو إعادة إحيائها، من قِبَلِ المجتمع ذاته أو من قِبَلِ الحكومة؟ وعلى من تقع المسؤولية؟

9. إذا لم يتم فعل أي شيء حالياً لدعم هذه اللغات، هل يمكن القيام بأي شيء؟ ما هو؟ ولماذا؟ وإذا كانت الإجابة هي النفي، فأيضاً لماذا؟

10. ما هي الآثار التي ستترتب على الناطقين إذا ضاعت تلك اللغات؟

استمرّت هذه الأرقام بوصفها الأكثر شيوعاً، ثم أعاد 'كراوس' تأكيدها عام (2007). بغض النظر عن تفاصيل هذه النتائج وقساوتها، أصبح موت اللغات المنتشر بوضوح حقيقة توشك أن

تحدث، ويتفق المعلّقون على أنها تسير بسرعة أعلى مما كانت عليه في السابق. فبالنسبة إلى منطقة تكون الأرقام فيها أكثر موثوقية، شمال أمريكا، تشير تقديرات 'كراوس' إلى أن مئةً وتسعاً وأربعين من أصل مئة وسبع وثمانين لغة من لغات السكان الأصليين لا يتعلّمها الأطفال، وهكذا فإن ثمانين بالمئة منها تحتضر. كما أن ما يقارب التسعين بالمئة من مجموع مئتين وخمسين لغة أصلية في أستراليا تحتضر أيضاً. وتجدر الإشارة إلى أنه ضمن تعريف 'كراوس'، يتم افتراض أن لغة 'الماوري' لغة في حالة أمان لأنها لغة رسمية، مع أننا أظهرنا في الفصل (3.5) أن وضعها لا يُشير أبداً إلى أنها آمنة.

حوارات حول موت اللغة

نحن نفهم أننا مصدومون بهذه الإحصاءات الخاصة بموت اللغة، لكن الأمر يستحقّ أن نفكّر بما يمكن أن يضيع عندما تموت اللغة؛ إذ يحدد لغويون من أمثال 'هال' العديد من الخسارات ذات الصلة، والتي تم إدراجها في التمرين (4.5). فالشيء المشترك هو أن اللغات المختلفة تتضمن أبعاداً فريدة من نوعها، وهكذا تكون خسارتها من النوع الذي لا يمكن تعويضه.

التمرين 4.5: ما الذي يضيع بضياع لغة؟

اقترح اللغويون المدافعون عن اللغات المُهددة بالانقراض البنود الآتية كنوع من التداعيات الناتجة عن خسارة لغة:

- خسارة ثقافة: تعمل كل لغة كناقل مناسب فريد من نوعه للثقافة التي نشأت اللغة منها. في حالات الشعر والقصة، ولا يمكن أن توجد المنتجات الثقافية إلا من خلال اللغة.
- خسارة وجهات نظر وأفكار عالمية: تجسّد كل لغة طريقة فريدة في النظر إلى العالم.
- فقدان هوية: تمثل كل لغة تواصلاً فريداً مع الإرث الثقافي لمجموعة، وإحساسها بنفسها.

• خسارة التنوّع اللغوي: هناك تنوّع كبير في البنى اللغوية الموجودة في اللغات المُهددة بالانقراض، بعضها لا يحدث في لغات أخرى.

حلل تفاصيل هذه الخسارات وابدأ بتقييمها:

1. هل تعتقد أن هذه الخسائر ستقع إذا ماتت اللغة؟

2. ما هي ضخامة الخسارة التي ستنتج عن كل بند من البنود الأربعة السابقة برأيك؟

3. ما هو مفعول هذه الآثار على بلدك إذا ضاعت إحدى اللغات المُهددة بالانقراض بشكل كامل؟

وهكذا، ما الذي يجب أن يفعله اللغويون حيال ذلك؟ أو ماذا يستطيعون أن يفعلوا؟ لقد التزم بعضهم بالدفاع، كما فعل 'هال'. وقدّم آخرون، من أمثال 'دوريان' دعماً طويل الأمد للغات المتعثّرة. كما يدرس علماء البيئة الأنواع الحيّة المهددة بالانقراض، يكون من الطبيعي أيضاً، بالنسبة إليك كباحث، أن تلتزم بالحفاظ على اللغة التي أنت مهتم بها. وربما يكون ذلك، أو ربما يُصبح، جزءاً من التزام وضعَهُ مجتمعُ هذه اللغة على الباحث، بحسب ما يقوله 'إنغلاند' (1992). كما أنه مع ظروف واقعية ملموسة لاحتمال انقراض لغة، قد يصبح من المستحيل على أي لغوي، من حيث المبدأ أو الممارسة، أن يتنحّى جانباً عن المجتمع الذي أصبح متورّطاً معه. وقد تؤدي قرارات كهذه إلى تورّط عاطفي. فقد بحث 'روب بنسيلفانيا' لغة تحتضر على الحدود الشمالية لأستراليا. وبدأ بالتفكير في "أي لغوي أنا؟" على الشكل الآتي: "أنا مستاء من سؤال حول من الذي يستفيد من العمل اللغوي على لغات تحتضر؟ (2004). وفكّر بمسألة إجراء البحث، من أجل شعب، أو مع شعب، وهو ما تم اختباره في التمرين (3.11).

في مناقشة الدفاع عن لغة الماوري في الفصل (3.5)، رأينا الطبيعة الإشكالية المحتملة لمجاز مصطلح 'ثروة' المطبق على اللغات المُهددة بالانقراض. وربما يكون النقاش الأكثر استخداماً في هذا المجال هو مقارنة موت اللغة بخسارة نوع بيولوجي، وهو قابل للفهم بهذا الشكل. ومن الصعب مقاومة أوجه التشابه، والاعتماد على تقاليد إيكولوجيا اللغة (علم بيئة اللغة) الذي يرجع إلى 'إينار هاوجين' منذ عقود مضت (1972). ففي حالات كهذه، يبدو النقاش عن الأنواع المُحتضرة، و'موت اللغة' وكأنه يخرج من الشفاه بشكل طبيعي (انظر 'بيل' 1991، واستخدامي الخاص لهذا النقاش في دفاعي عن لغة الماوري).

مع أن الخطاب الحيوي استراتيجية مفيدة، بل قوية وفعّالة، بالنسبة إلى السكان الأصليين لتأكيد استحقاقهم، إلا أن له جانباً سلبياً أيضاً (دونا باتريك، 2007). فهو يرتبط بسهولة بصور تنطوي على خطر المُبالغة – لغات 'مفترسة' ترتكب جرائم 'قتل لغات أخرى'. إن عملية الربط مع البيولوجيا لها حدود حتى لو مارسها أفضل المدافعين البارزين ('هال' وآخرون، 1992؛ 'نيتل' و'روماني'، 2000). فاللغات لا تختفي بالطريقة التي تنقرض بها بعض أنواع الكائنات الحيّة، ونحن نعرف أن اللغة العبرية، على سبيل المثال، قد تم استرجاعها من حافّة الهاوية.

النقاش الأساسي الآخر هو ذاك الذي يقوم على 'صحة' اللغات، والذي يتضمّن حالات تتوافق فيها حال اللغة مع حالة مَرَضيّة، ويدعو إلى مقارنات شبه طبيّة. فمفهوم صحّة اللغة يفترض مُسبقاً فكرة 'موت' اللغة بحد ذاته. وقد رأى العديد من المساهمين في مجلّد 'دوريان'، حول موضوع 'التقادم اللغوي' (1989)، مشكلة في مصطلح 'الموت'، وفضّلوا عليه مصطلح 'الانكماش'. كما تحرّى 'هيلر' و'دوشين'

(2007) عن إمكانية تحدد اللغات كلها، ومن ثم إحصائها. أما من جهتي الشخصية، فأنا أعترف بالحدود والتواريخ والإيديولوجيات التي تضمنتها تلك المناقشات، ولدي ريبة في استخدامي الخاص لها (بيل، 1991). وأعرف من جهة أخرى أننا سنحتاج دوماً إلى صور للتحدث عن أمور كهذه. كما تؤسفني الخسارة المحتملة للغات حول العالم، وخاصة بالنسبة إلى الناطقين بها، وسوف نستمر بالدفاع عن تلك اللغات التي تحتضر في بلدي.

الأهميّة الكبرى هنا هي للناطقين باللغة وليس للغة بحد ذاتها. لكن في أثناء التركيز على اللغة بحد ذاتها، يمكن للنقاشات حول التنوّع البيولوجي أو الصحّة أن تنحّي الناطقين باللغة ذاتهم. فالناطقون باللغة واسعو الحيلة جداً في خلق أشكال جديدة لخدمة حاجاتهم، وقد يتضمّن ذلك بنى لغوية متمازجة أو 'ملوّثة' لا تتناسب تماماً مع الحدود التقليدية للغة. وإذا أدّت الظروف الاجتماعية إلى جعل الناطقين باللغة أو أفراد المجتمع يتحوّلون إلى لغة أخرى، فإنه لا يمكننا معالجة خسارة اللغة دون أخذ الظروف الاجتماعية التي أدّت إليها بعين الاعتبار.

التمرين 4.6: نقاش حول احتضار اللغات

هناك مجال واسع للنقاشات - طرق كلام - حول احتضار اللغة وموتها. كما يوجد أدناه النقاط الأكثر بروزاً، مع الإضافة على بعض الإشارات التي تم الدفاع عنها أو معالجتها. وقد تضمّن الكتاب الذي حرره 'دوتشن' و'هيلر' (2007) تقييماً تفصيلياً للعديد من النقاشات ومواقعها الاجتماعية السياسية. راجع أيضاً مجموعة المقالات التي تتضمن 'هيل' (2002)، و مجموعة 'أوستن وسالابانكس' (2011). وابحث عن مراجع أخرى، وكذلك عن مواقع

إلكترونية مكرّسة للغات المُهددة بالانقراض (انظر إلى قسم القراءات المتقدمة في نهاية هذا الفصل).

التنوّع البيولوجي	'هال' وآخرون، (1992)؛ 'نيتل' و'روماني'، (2000)؛ 'موهلمان' (2007)؛ 'دونا باتريك' (2007)
تعداد (اللغات المهددة)	'كراوس'، (1992)؛ 'نيتل' و'روماني' (2000)؛ 'هيل' (2000)
ملكية عالمية (للتنوّع اللغوي)	'هيل' (2000)
الصحة والمرض	'هامب'، (1989)؛ 'تي بوني كوكيري' (2008).
الاحتضار	'هيلر' و'دوتشين' (2007)؛ 'جيف' (2007)
الموت	عدة مقالات في 'دوريان' (1989)
موت اللغة	'سكوتناب – كانجاز' و'فيليبسون' (1994)

أسئلة:

1. لخّص كل نقاش في جملة.
2. من يستخدم هذا النقاش؟ ولمن هو موجّه؟
3. ما هي الآثار الناجمة عن طريقة الكلام هذه بالنسبة إلى اللغات، وإلى الناطقين بها؟
4. ما هي الفائدة من هذه النقاشات؟ ومن هو المستفيد؟
5. ما هي مضار هذه النقاشات؟ وعلى من تقع؟
6. هل تؤمن بأن من المفترض استخدام هذه النقاشات في الدفاع عن اللغات المهددة بالانقراض؟

عملية موت اللغة

ضمن نظرة عامة هامة على اللسانيات واللسانيات الاجتماعية المرتبطة بموت اللغة ميّز 'كامبل' و'مونتزيل' (1989) أربعة نماذج:

1- موت اللغة المفاجئ: تموت اللغات عادة نتيجة لتحوّل اللغة، أي عندما يتخلّى الناطقون الأصليون باللغة عن لغتهم ويفضّلون غيرها. لكن هناك حالات ضاعت بها اللغة لأن جميع الناطقين بها هلكوا خلال فترة قصيرة من الزمن. وهو ما يمكن أن يحدث بسبب كارثة طبيعية: جميع الناطقين بلغة 'تامبوران' في ما يُسمى الآن إندونيسيا، ماتوا في أثناء ثوران بركان عام (1815)، وهكذا ماتت لغتهم معهم ('نيتل وروماني'، 2000). ومن المعروف أن الكوارث التي يرتكبها الإنسان أيضاً قد تصل إلى النتائج ذاتها تقريباً، كحدوث مجزرة مفاجئة، أو وباء صحي. ففي عام (1857)، تم قتل قبيلة 'ييمان' بكاملها في 'كوينزلاند' في أستراليا على يد المستوطنين البيض، ولم يعد لدينا أية معلومات عن لغتهم. كما تمت إبادة شعب 'الياهي' ولغتهم في شمال كاليفورنيا أثناء الاندفاع للبحث عن الذهب هناك.

2- موت اللغة الموصوف على نحو غريب بـ 'الراديكالي': إنه مفاجئ بنسبة أقل من النوع السابق؛ إذ ينجو الناطقون باللغة من حدث صادم، لكنهم يتخلّون عن لغتهم. فقد أدّت مذبحة الشعب الهندي في 'السيلفادور' عام (1932) إلى تخلّي الناجين منهم عن لغتهم الخاصة خوفاً من التعرّف عليهم (كامبل ومونتزيل، 1989).

3- موت اللغة تدريجياً: الحالتان السابقتان غير اعتياديتين؛ إذ تتخذ معظم حالات موت اللغة طريقاً أبطأ على الرغم من أنه يتضمن غالباً حالات للعوامل ذاتها لكنها أقلّ "راديكالية"، ونذكر مثلاً انخفاض عدد السكان الأصليين بسبب وباء ما. إنه يحدث على مدى عدّة عقود أو أجيال، ويتميّز بكفاءة متباينة في اللغة بحسب العمر. وعادة ما يتضمن تراجعاً في سياق الاستخدام من العام إلى الخاص. إن هذه العمليات مشابهة بشكل واضح لتلك العمليات المرتبطة بتحوّل اللغة العادي.

٤- موت اللغة من القاعدة إلى القمة معاكس لما سبق؛ إذ تضيع اللغة هنا من السياق غير الرسمي، لكنها تستمرّ كلغة طقسية، ونذكر هنا على سبيل المثال اللغة اللاتينية الكَنَسيّة، أو اللغة السنسكريتية الفيدية في الهند.

ليست اللغات الإمبراطورية الأوروبية هي المجرمة الوحيدة التي تساهم في موت اللغات الأخرى. فغالباً ما تخضع بعض اللغات المحليّة الصغيرة لتهديد 'اللينغوا فرانكا' الإقليمية والقومية مثل لغة 'وولوف' في السِّنغال، ولغة 'هاوسا' في شمال غينيا – التي يُقال إنها تشكل تهديداً للغات المحلية أكثر من الإنكليزية (إيغبوانوسي ولوثر، 2004). كما تُعتبر لغة 'كور'، التي كانت سائدة على ساحل كينيا، حالة من حالات موت اللغة 'الراديكالي' التي طرحها 'كامبل ومونتزيل' (ديماندال، 1992). فقد تم استبدالها خلال جيل واحد باللغة الصومالية ولغة 'لينغوا فرانكا' الإقليمية التي تُسمّى 'السواحلية'، والتي امتد تأثيرها اليوم إلى العديد من لغات شرق أفريقيا.

4.5 اللسانيات الصغرى للغات المُحتضرة

بينما تضيع اللغة، تتغيّر وتتعرّض للاستنزاف. فتتلاشى الميزات والبُنى، وتضعف وظائفها، ويقلّ مدى تنوّعها. وعندما نقارن هذا مع المعلومات التي ذكرناها عن تواصل اللغات في مطلع هذا الفصل، تبدو هذه التغيرات بأنها متناقضة بشكل كبير مع ما خضعت له اللغات عندما تم تشكيلها. هذا صحيح، لكن أوجه التشابه لا تكون إلا على المستوى الأكثر عمومية، وهذا بشكل أساسي لأن الحالات الفردية لكل من ولادة اللغة وموتها تختلف بشكل كبير في الخصائص. وربما يختبر الناطقون أيضاً 'موت' لغتهم الخاصة على الرغم من أن اللغة ذاتها لا تزال حيّة. يُعرف هذا الأمر بـ 'الاستنزاف'، أي فَقْدُ الناطقين الأفراد تدريجياً مقدرتهم في اللغة كنتيجة للتواصل طويل

الأمد مع لغة أخرى، كما يحدث الأمر نفسه بعد الهجرة على سبيل المثال (شمايد ودي بوت، 2004).

المثال 4.3: 'النساء والنار وأشياء خطيرة'

كانت لغة 'الديربال' الأسترالية إحدى أهم الحالات التي تم توثيقها عن اللغة المُحتضرة. وقد وضع 'شميد' (1985) تسجيلات لأطفال وأحفاد الناطقين بها الذين عمل عليهم 'ديكسون' (1972) في ستينات القرن العشرين. ومع حلول العام (1982) لم يكن باستطاعة أي شخص تحت الخامسة عشرة من عمره أن يصوغ جملة بلغة 'الديربال'. فقد أصابت التغيرات جميع مستويات اللغة، لكن بأشكال مختلفة:

- القاموس - خسارة الكثير من المفردات.
- بناء الجملة - تحوّل نظام الكلمة الحرة التقليدي إلى النمط الإنكليزي، نموذج 'فعل وفاعل ومفعول به'.
- تشكّل الكلمة - تغيرات أساسية في أنظمة إضافة مقاطع إلى الكلمة أو جذر الكلمة لتغيير معناها.
- الأصوات - مجرّد تغيرات بسيطة.

استنتج 'شميد' أن لغة الديربال تحمل جميع الأعراض التي تشير إلى اقتراب موتها (1985). فقد كان هناك تغيرات جذرية في طريقة تصنيف الأسماء بلغة الديربال. وكان النظام يعتمد على المعرفة الثقافية العاطفية الودّية:

المستوى الأول: أسماء ذكورية مُفعمة بالحيوية.

المستوى الثاني: أسماء أنثوية لها علاقة بالماء والنار والصراعات.

المستوى الثالث: أغذية ونباتات صالحة للأكل.

المستوى الرابع: أي شيء آخر.

يفقد الناطقون الشباب بلغة الدايربال المعرفة المطلوبة لتشكيل التصنيفات التقليدية، ويتحوّلون إلى نظام مُبسّط يعتمد فقط على الحيوية (يشير إلى الأشخاص أو الحيوانات) والجنس. هذا يعني أن العالم يفقد النظام الفريد المُدهش الذي جمع 'النساء والنار والأشياء الخطيرة' في فئة واحدة، وهو العنوان الملتوي الذي وضعه اللغوي الأمريكي 'جورج لاكوف' لكتابه الكلاسيكي حول 'ما الذي تكشفه التصنيفات اللغوية في عقل الإنسان (1987).

إلى حد علمي، لم تظهر أية دراسة حديثة عن لغة 'الدايربال' منذ ذلك الحين.

يقترح 'كامبل ومونتزيل' بعض التعميمات 'للاستنزاف' اللغوي في اللغات المُحتضرة، مثل فقدان التباين الصوتي، وتعميم النماذج غير المتمايزة، وجعل المميزات الإلزامية لفظية، وتضييق نطاق الأنماط. ومن أكثر التغيرات وضوحاً وانتشاراً تخفيض مستوى المورفولوجيا (علم التشكّل). لدى الصين كثير من لغات الأقليات التي أصبحت مهددة بالخطر بسبب إهمالها أو اضطهادها تحت النفوذ الهائل للغة 'الماندرين' الوطنية (برادلي، 2005). وإحدى هذه اللغات هي لغة 'أوروكين' التي يتحدث بها عدة آلاف من الصيادين السابقين في منطقة كان يتعذّر الوصول إليها في شمال شرق الصين. ومع وقوعهم تحت سيطرة 'شعب الهان' الصيني، فقد الناطقون بلغة 'أوروكين' التعقيدات المورفولوجية في لغتهم (لي فينجيكس يانغ). وقد كانت إحدى أوائل التغيّرات خسارة 'التضاعف التأكيدي' في صفات اللون، أي من خلال نسخ المقطع الأول من الصفة ومضاعفته ليدل على التشديد على لون معيّن.

الكلمة بلغة الأوركين	المعنى	التضاعف التأكيدي	المعنى
bagdar in	white	Bag-bagdarin	Very whitem white as snow
أبيض	أبيض	ناصع البياض، أبيض كالثلج	
shinga rin	yellow	Shib-singarin	Very yellow, golden yellow
أصفر	أصفر	شديد الاصفرار، أصفر كالذهب	
kara	Dark, gloosy	Kab-kara	Very dark, glossy black
أسود، لامع		أسود لامع جداً	

لقد ضاعت هذه الأمور الدقيقة الآن من لغة 'الأوركين'، وهي تفقد أيضاً علامات الجمع واستعارة المفردات، وتتغيّر فيها الصوتيات. وتأتي الضغوط الخارجية غالباً من لغة الماندرين التي تمّ الترويج لها كثيراً في العقود الأخيرة. كما تترافق التحوّلات اللغوية مع طيف واسع من التغيرات الاجتماعية كإنشاء مستوطنة ثابتة (بدلاً من حياة البدو الرحّل)، ووجود مهن ذات صلة بالموارد الجديدة، والزواج المتداخل، وطرق التواصل الحديث، والتعلّم بلغة الأكثرية.

يمكننا رؤية الاستعارات في العديد من حالات التواصل بين اللغات، وهو شائع جداً في اللغات المُحتضرة؛ إذ يؤكد 'توماسون' (2001) أنه في حالات كثيرة، يمكن أن ينتهي الأمر باللغة إلى استعارة كل شيء من لغة أخرى مُهيمنة. وهو ما نجده في لغة 'الأنغلورومانى'،

التي يستخدمها 'شعب الروماني' (الغجر) في إنكلترا، والتي تعتمد على القاموس والقواعد الإنكليزية، لكن تبقى هناك بضع مئات من الكلمات من لغة 'الروماني' الأصلية. مع الوقت، وقد اشتهر المتحدثون باستعارة كامل القاموس والقواعد من لغة أخرى، وهكذا تموت اللغة بسبب نقلها إلى لغة أخرى (كما حدث مع لغة 'الفوتيك' الفنلندية).

لكن قد لا تخضع اللغة المُحتضرة لهذا النوع من 'الاستنزاف'. ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، كانت لغة 'مونتانا ساليش' الخاصة بالسكان الأصليين، تخضع لضغوط كثيفة من اللغة الإنكليزية منذ القرن التاسع عشر، وكانت في خطر حقيقي. ومع ذلك، لم تستعر سوى القليل من الكلمات من اللغة الإنكليزية، ولم تستعر أية بنية (توماسون **2001**).

4.6 حالة اللغة 'الغاليكية' الإسكوتلندية، ولغة 'الميلانيزيا' غرب المحيط الهادي

نورد في هذا الفصل دراسة حالتين لغويتين وليس حالة واحدة، الأولى حالة موت لغة في اسكوتلندا، والأخرى، ولادة لغة في الجنوب الغربي من المحيط الهادي.

اللغة 'الغاليكية' في شرق 'سوثرلاند' في اسكوتلندا

عندما ذهبت عالمة اللسانيات اللغوية الأمريكية 'نانسي دوريان' للمرة الأولى إلى منطقة شرق 'سوثرلاند' في شمال اسكوتلندا عام (**1963**)، وجدت مئتين من الناطقين باللغة 'الغاليكية' في ثلاث قرى ساحلية تعتمد على الصيد في شمال 'إنفرنيس'. وعندما انتهت من عملها الميداني هناك بعد خمس عشرة سنة، كان نصف هؤلاء قد ماتوا (دوريان، **1981**). وبعد عشرين سنة أخرى، كان جميع الناطقين البارعين بهذه اللغة موتى أو فاقدي الأهلية (دوريان،

2002). ولم يتم استبدال أولئك الناطقين العجائز بجيل جديد لأن الأطفال الجدد كانوا أحاديي اللغة، ويعرفون اللغة الإنكليزية فقط، مما قتل اللغة 'الغاليكية'، التي كانت من بين اللغات المهددة بالانقراض، في شرق 'سوثرلاند'.

اللغة الغاليكية هي لغة 'سلتية' تابعة لجزر اسكتلندا، وقد أتت من إيرلندا منذ أكثر من ألف سنة. وكانت هذه اللغة، ومنذ قرون عديدة، تخضع لضغوط اللغة الإنكليزية. فقد بلغ الاستعمار الإنكليزي في المنطقة ذروته في 'التصفيات' في أوائل القرن التاسع عشر، حيث قام ملاك الأراضي بإخراج المستأجرين الإسكوتلنديين من أراضيهم لإفساح الطرق للأغنام. وإلى الشرق من سوثرلاند، تمت إعادة توطين العديد من 'المزارعين' على السواحل، وتشكّلت القرى التي قامت 'دوريان' بدراستها لاحقاً، وتميّزت بهوية صياديها ومظاهر اللباس فيها، وبالغذاء واللغة.

تجمع دراسة 'دوريان' (1981) ما بين البصيرة الإثنوغرافية والدقّة اللغوية. وبالإضافة إلى دراستها للناطقين باللغة بطلاقة، فقد ركّزت على أولئك الذين لم تكن لديهم الطلاقة الكافية، ووصفت التفاصيل اللغوية لتأثيرهم. وقد ميّزت ثلاثَ مجموعات من الناطقين المصنّفين بحسب العمر والكفاءة هم:

- الناطقون بطلاقة من العجائز: الناطقون المحافظين جداً على الرغم من إظهار بعض الفروقات عن القواعد 'الغاليكية' التقليدية.
- الناطقون بطلاقة من الشباب: الخلافات القواعدية كثيرة لكنها دقيقة جداً، وتصعب ملاحظتها إلى حد كبير.
- الناطقون جزئياً: ضعف تحكم بالقواعد (وذلك بسبب عدم المعرفة الكاملة باللغة غالباً) والذي يمكن للمجتمع ملاحظته تماماً.

هناك أيضاً مجموعة رابعة: "ثنائيو اللغة المُنفعلون أو السلبيون' الذين قد يفهمون كل شيء، ويعرفون الكثير من المفردات لكنهم غير قادرين على صياغة الجمل.

التمرين 4.7: حول أنصاف الناطقين

عندما يتحدث 'الناطقون جزئياً" باللغة 'الغاليكية' في شرق سوثرلاند بلغة يتضح فيها القصور بشكل كبير، تكون قدرتهم على التلقّي مميزة جداً. إنهم مطلعون بالكامل على جميع المحادثات العادية في هذه اللغة: إذ يضحكون على النكات والقصص، ويلتقطون الهمسات، ويستمتعون بسرعة البديهة والإجابات البارعة، ويفهمون الرسائل في ظروف الضوضاء الشديدة. وليس من الصعب على لغوي يزور هذه المنطقة أن يتعلم هذه اللغة بشكل صحيح أكثر من 'الناطقين جزئياً'، وحتى أن يتحدث بها بسهولة ودقّة أفضل من الكثير منهم. لكن ليس من المرجّح أبداً أن يُمَاثل الناطقين جزئياً في الاستيعاب الكامل الخالي من الجهد عندما يتم الحديث بهذه اللغة بشكل سريع. بسبب مهاراتهم البارزة في تلقّي اللغة 'الغاليكية' في شرق سوثرلاند، إذ يكون لدى الناطقين جزئياً بهذه اللغة إحساس قوي بالاندماج بالنشاطات الكلامية في المجتمع مهما قلّت نسبة ما ينطقون به هم أنفسهم. ويحدث أيضاً أن يخفي ناطق ضعيف، عن نفسه وعن الآخرين، مدى عدم اكتمال تحكمه بإنتاج القواعد، وذلك ببقائه مستمعاً بشكل أساسي، والاستفادة الحكيمة من مقدرته على الكلام باللغة الغاليكية أثناء التفاعل اللفظي. مع المهارات الكاملة في التلقّي، كما يمكن زيادة النشاط باستخدام اللغة بشكل بسيط لاجتياز شوط طويل نحو تفاعل اجتماعي كامل (دوريان، **1981**).

- ما الذي تستنتجه من التباين القوي بين مقدرة الكلام لدى الناطقين جزئياً بلغة الغاليكية في شرق سوثرلاند ومقدرتهم على الاستماع؟ ماذا يعني ذلك اجتماعياً بالنسبة إلى المجتمع، ولغوياً بالنسبة إلى اللغة والناطقين بها؟
- ما هو الدور النسبي للقدرات القواعدية بالمقارنة مع المقدرات التواصلية في مشاركاتهم في المحادثات؟
- ماذا يعني أداء هؤلاء الناطقين جزئياً بالنسبة إلى فهمنا عما تعنيه اللغة؟

الناطقون جزئياً هم مجموعة ساحرة من الناحية اللسانية الاجتماعية (التمرين **4.7**). من ناحية أبعاد الثنائية اللغوية التي تم تعريفها في الفصل الثاني، ومهاراتهم في الاستقبال تفوق إنتاجيتهم بشكل كبير. إنهم غير قادرين على صياغة الجمل، لكن بإمكانهم أن يتابعوا كل شيء، ويشاركوا بشكل كبير في التفاعلات الغاليكية. إنهم يميلون لأن يكونوا أشخاصاً ربما من أصغر أطفال العائلة، ولديهم تعلّق قوي مبكر بالأقرباء الأكبر سناً كالجد والجدة، ولديهم إخلاص محلي متزايد من خلال تمضية الوقت في الخارج، أو بالبقاء ضمن التجمّعات بشكل خاص.

من الناحية اللغوية، وجدت 'دوريان' صورة متغيرة جداً للمميزات التي تتفسّخ في اللغة الغاليكية في شرق سوثرلاند، وكم هو مقدار التفسّخ. فقد لاحظت أن التغييرات كانت مشابهة لتلك التي تحدث أثناء تغيّر اللغة العادي، لكن مقدار التغيير أكبر وأسرع. في موت اللغة، إذ لا يمكن أن نتوقع أبداً ما هي البُنى التي تضيع أو تبقى، وما هو السبب. وليس هناك من ميزات أو عمليات لغوية خاصة يمكن أن تُنذر بالتأكيد بموت اللغة – كما يمكن لمعظم هذه التغيرات أن تقع أيضاً في حالات التواصل التي لا تؤدي إلى موت اللغة. كل ما نستطيع

قوله عموماً هو: إن موت اللغة يتضمن غالباً تبسيطاً، وخاصة في المورفولوجيا (التشكّل).

لغات الكريول في الباسيفيك

اللغةِ المُبسطة الميلانيزية هي لغة فريدة: فقد انتقلت من حالة الولادة إلى حالة لغة عالمية في أقل من قرن واحد. وتمت مناقشة أصولها وتطورها كثيراً بين لغات الكريول في الباسيفيك، وهكذا فإن أي سيناريو وأي جدول زمني يكون مفتوحاً للتحديات. لقد قمت هنا بدراسة تقرير حصلت عليه أساساً من عمل ′سيغل′ (2008)، و′ترايون′ و′تشاربنتر′ (2004).

المثال 4.4: الوصايا العشر في لغة مُبسّطة

يوجد أدناه ترجمة الوصايا العشر إلى اللغة المُبسطة، والتي قامت بها بعثة ′كوينزلاند′ عام (1871)، وهي مُقتَبَسة عن ′دوتون و′موهلهاسلر′ (1984). لاحظ مقدار التقارب بينها وبين اللغة الإنكليزية المُسيطرة، ومن ثم مقدار وضوحها للناطقين بالإنكليزية (قارنها مع التمرين 4.8).

بعد الترجمة إلى اللغة المُبسطة	اللغة الإنكليزية
Man take one fellow God; no more.	**you shall have no other gods but me**
لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي	
Man like him God first time, everything else behind.	**You shall not make for yourself any idol, nor bow down to it or worship it.**
لا تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتاً، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ	
Man no swear	**You shall not misuse the**

<table>
<tr><td></td><td>name of the Lord your God.</td></tr>
<tr><td colspan="2">لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلًا</td></tr>
<tr><td>Man keep Sunday good fellow day belong big fellow master</td><td>You shall remember and keep the Sabbath day holy.</td></tr>
<tr><td colspan="2">أُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ</td></tr>
<tr><td>Man be good fellow longa father mother belonga him.</td><td>Respect your father and mother.</td></tr>
<tr><td colspan="2">أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ</td></tr>
<tr><td>Man no kill.</td><td>You must not commit murder.</td></tr>
<tr><td colspan="2">لاَ تَقْتُلْ</td></tr>
<tr><td>Man no take him Mary [wife/ woman] belong another fellow man.</td><td>You must not commit adultery.</td></tr>
<tr><td colspan="2">لاَ تَزْنِ</td></tr>
<tr><td>Man no steal.</td><td>You must not steal.</td></tr>
<tr><td colspan="2">لاَ تَسْرِقْ</td></tr>
<tr><td>Man no tell lie bout another fellow man.</td><td>You must not give false evidence against your neighbour.</td></tr>
<tr><td colspan="2">لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ</td></tr>
<tr><td>Spose man see good fellow something belong another fellow</td><td>You must not be envious of your neighbour's goods. You shall not be envious of</td></tr>
</table>

man, he no want him all the time.	his house nor his wife, nor anything that belongs to your neighbour.
لا تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ	

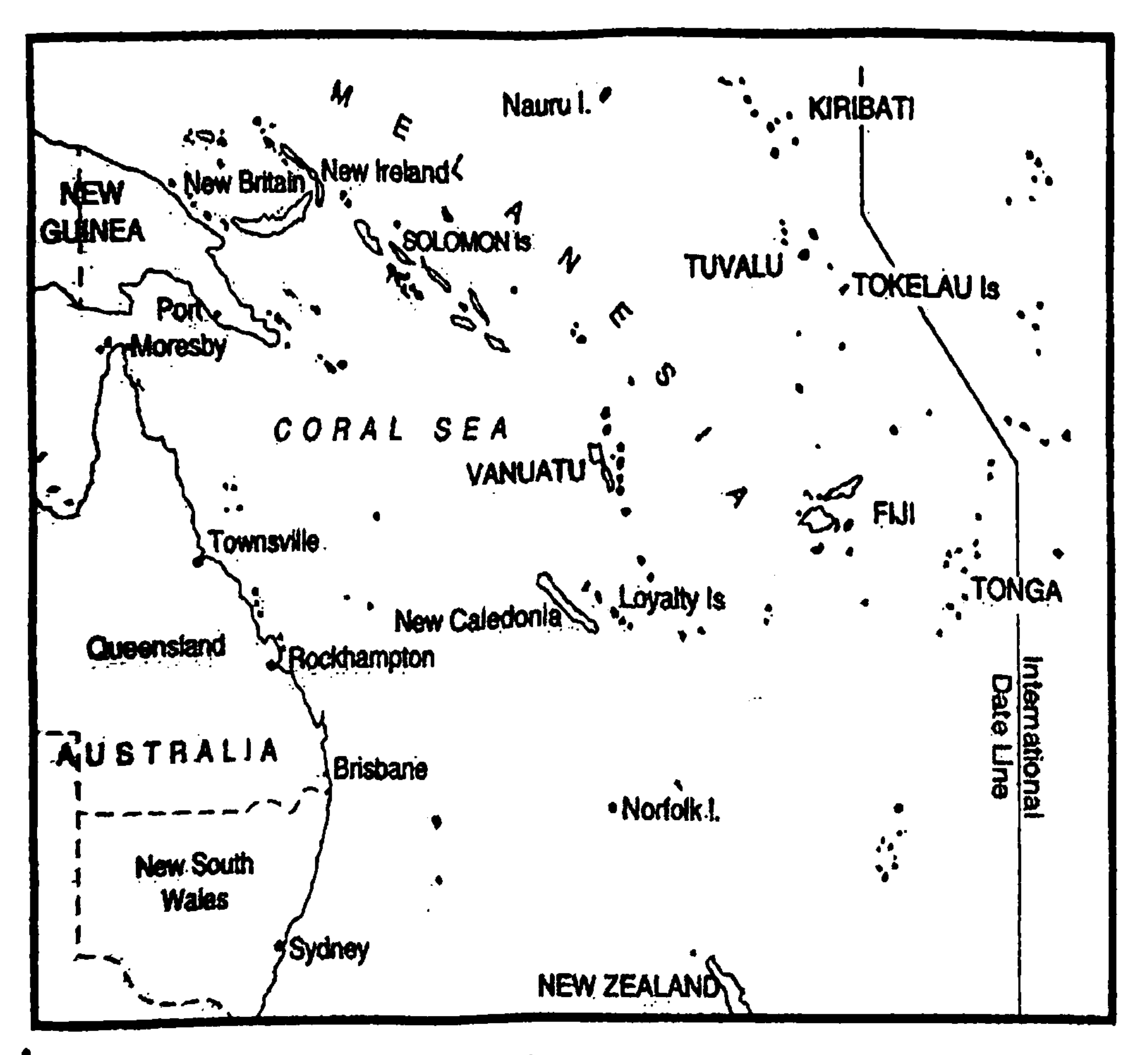
إن للغة 'الميلانيزيين' المُبسّطة جذورها في لغة "المصطلحات الخاصة" المرتبط بعصر صيد الحيتان منذ عام (**1800**)، ولها جذورها أيضاً في اللغات المُبسطة للأستراليين القاطنين على السواحل الشرقية لأستراليا. فبعد انتهاء فترة صيد الحيتان، كان هناك حاجة إلى لغة مشتركة، لغة 'لينغوا فرانكا'، من أجل تجارة "خيار البحر" المُثير للشهوة الجنسية، والذي سيعطي في النهاية اسمه للغة جديدة في 'فانواتو'[1] – 'بيسلاما'. إذ أصبحت لغة 'لينغوا فرانكا' مُستخدمة على نطاق واسع، حيث استقرّت في ستينات القرن التاسع عشر، مع أنها لاتزال محدودة في البنية والقاموس (المثال **4.4**).

ما حوّل "المصطلحات الخاصة – jargon" إلى لغة مُبسّطة مزدهرة منذ ستينات القرن الماضي كان إنشاء المزارع في 'كوينزلاند' (أستراليا)، وغينيا الجديدة، وبعض الجزر الميلانيزية والبولينيزية، بما فيها فيجي وساموا (الشكل **4.1**). بعد أربعين سنة تقريباً، ففي العام (**1907**)، تم تجنيد أكثر من مئة ألف رجل من الباسيفيك، لديهم أكثر من مئة لغة، ونقلهم من أماكنهم مما أدى إلى اضطرابات اجتماعية واقتصادية في جزرهم الأصلية. لقد جاؤوا أساساً من 'فانواتو' (نيو هيبريدز)، جزر سليمان، بابوا في غينيا الجديدة،

---

[1] فانواتو: دولة تقع في جنوب المحيط الهادى، وتتكون من ثمانين جزيرة تمتد على طول 1300 كيلومتر. المترجم؟

وكيريباتي (جزر جيلبرت تُلفظ 'كيريباس'). وتم نقلهم بواسطة 'بلاكبيردرز' – سفن تدور في المحيط الهادئ وتلتقط الرجال للعمل في المزارع. لقد أتى بعض المجنّدين طوعاً من دون شك، لكن الآخرين خُدِعوا، وبعضهم أُجبِر بالقوة – فتم اختطافهم واستعبادهم. لكن كان يُطلق عليهم اسم 'العمال بالسخرة'، منذ أن تم إلغاء العبودية رسمياً في بريطانيا الإمبراطورية.



الشكل 4.1

استمرّت لغة الميلانيزيين المُبسطة الأولى لتستقر وتنمو خلال القرن التاسع عشر. وأصبحت موحّدة تماماً، وثابتة بشدّة في بنائها

ومورفولوجيتها (تشكّلها) على الرغم من الاختلافات في المفردات. وفي الوقت المناسب، ساهمت عودة العمال إلى جزرهم الأصلية بالتحضير لترقيتها إلى 'لغة مبسّطة موسّعة'. ومع مطلع القرن العشرين، كان هناك "تجمّع مشترك للغة الباسيفيك المُبسّطة، بأشكال مختلفة.... والتي تمايزت تدريجياً إلى ثلاث لهجات شقيقة هي 'بيسلاما'، 'بيجين سولومونز' و'توك بيسين' في نهاية فترة التجنيد" (ترايون وتشاربنتر، **2004**). وقد كانت تلك العملية أبطأ بكثير مما يعتقده الكثير من الباحثين أنه حدث مع لغات الكريول في المحيط الأطلسي، والتي حظيت بصعوبة بالوقت الكافي لتعبر من مرحلة اللغة المُبسطة، وتُصبح لغات وطنية مثل لغات الكريول. وفي أواسط القرن العشرين، دخلت اللغات المُبسطة الميلانيزية مرحلة "اكتساب متحدثين أصليين"، بحسب عنوان 'سانكوف ولابيرجي' اللافت للنظر عام (**1980**): إذ كان الأطفال يولدون في بيئة اللغة، ويتعلّمونها وكأنها لغتهم الأم. فأصبحت اللغات الآن لغات 'كريول' كاملة، ولديها ناطقون أصليون على مدى عقود، مع أن الكثير من الناس يتحدثون بها بالتأكيد كلغات ثانية وليس كلغات أولى. فلديها أكثر من ثلاثة ملايين ناطق رسمي بها، وتعمل بمثابة لغة 'لينغوا فرانكا' لثلاثة بلدان حيث يتم التحدث بأكثر من ألف لغة مختلفة – 'توك بيسين' في بابوا، غينيا الجديدة، 'بيسلاما' في فانواتو، و'بيجين سولومونز' في جزر سليمان. إنها تُستخدم على نطاق واسع لوظائف اجتماعية رسمية مع أن الإنكليزية مُهيمنة في مجال التعليم.

التمرين 4.8: كونستيتيوسن بلونغ، ريبابليك بلونغ فانواتو

مواصفات موقع اللغة هو أحد البنود الأولى في دستور 'فانوتاو' لعام (**1980**). ولغة 'البيسلاما' هي اللغة الوطنية، والإنكليزية

والفرنسية هما لغتا التعليم. واللغات الثلاثة هي لغات رسمية. ونذكر هنا البند المتعلّق بلغة 'البيسلاما':

Lanwis blong Ripablik blong Nyuhebredis, hemia Bislama. Trifala lanwis blong mekem ol wok long kantri ya, i gat Bislama mo Inglis mo Franis. Tufala big lanwis blong edukesen long kantri ya, i gat Inglis mo Franis. (reproduced in Tryon and Charpentier 2004: 487)

قارن هذا النص الجديد مع المثال (**4.4**)، من 'كوينزلاند' قبل قرن من الزمن، ولاحظ المسافات النسبية المختلفة للنصين عن الإنكليزية.

1. ما هي هي الخصائص غير الإنكليزية التي يمكن رؤيتها مشتركة بين هذا المُقتطف ولغة عام (**1871**) المُبسطة؟
2. حدد معاني كلمات 'البيسلاما' الأساسية.
3. ضع ترجمة إنكليزية لنص 'البيسلاما'.
4. حدد بعض مميزات قواعد 'البيسلاما' التي تستطيع رؤيتها، حروف الجرّ والأرقام مثلاً.
5. ما هي أهمية القانون المكتوب بلغة 'البيسلاما'؟

4.7 نشاطات البحث

تأسيس لغة الميلانيزيين المُبسطة

من الواضح أن لغات الميلانيزيين المُبسطة تخضع للغة الإنكليزية بوصفها 'لغة مُسيطرة'. وعلى أية حال، إن التشكّل وبناء الجمل لديهم (المورفولوجيا والسينتاكس) معقّد ومُتنازع عليه كما هو الحال مع معظم لغات الكريول؛ إذ يبحث نشاط البحث هذا في عدة بُنى موجودة في لغات الكريول هذه، آخذين بعين الاعتبار أصولها ونتائجها المختلفة في أنواعها الثلاثة.

اعتبر 'سيغل' أن بعض بنى اللغات المُبسطة الميلانيزية تُظهر أثر 'ركائز متفاعلة' يمكن تمييزها (2008). وهذا يعني أنه، بينما كانت اللغة الإنكليزية توفّر قاموساً 'من الأعلى'، تأثرت اللغات المحلية بقواعد اللغة الجديدة 'من الأسفل'. فجميع اللغات الميلانيزية المُبسّطة الثلاثة مشتقّة من الأساس الإنكليزي القاموسي، لكنها، وكما يقول 'سيغل'، تختلف في قواعدها بطرق تعكس الفروقات قواعد اللغات المحلية، وتعكس هيمنتها في مناطقها المعيّنة. كما يفصّل كتابه الصادر عام (2008) مجموعة من البنى القواعدية النحوية في صناعة هذه الحالة ويحللها.

في اللغة المبسطة الواردة في المثال (4.4)، نرى كلمة "رفيق أو زميل – fellow" تظهر بشكل متكرر.

1- تفحّص طريقة حدوثها في المثال، وحاول تحديد نوع العنصر، ما الذي يرافقه، وماذا يعني.

في لغات الكريول الناتجة، استمرّت كلمة "رفيق، زميل - fellow" وتطوّرت إلى كلمة أخرى "pela-" في لغة 'توك بيسين'، وإلى لاحقة "-fala" في لغة 'بيسلاما' ولغة 'بيجين سولومونز'.

2- ماذا حدث لكلمة 'fellow' من الناحية القواعدية والصوتية، في اللغات المُبسطة الثلاث؟

تُستخدم هذه اللواحق لإيجاد عدد من الفئات التركيبية النحوية، وكمثال توضيحي نجد أن كلمة 'dispela' في لغة 'توك بيسين'، وكلمة 'desfala' في لغة 'بيجين سولومونز'، قد تم اشتقاقها بشكل واضح من كلمة "رفيق – fellow" الإنكليزية. وفي اللغة الميلانيزية المُبسّطة الحديثة، ترتبط اللاحقة ذاتها بالأرقام والصفات (التي تسبق الاسم مباشرة) كما في الأمثلة الآتية:

Mi lukim	tripela	bikpela	kar	لغة 'توك بيسين' في غينيا الجديدة
Mi luk	Tri (fala)	Big (fala)	trak	لغة 'بيسلاما' في فانواتو
Mi lukem	trifala	Big (fala)	ka	لغة 'بيجين سولومونز'
I saw	three	big	cars	الإنكليزية
رأيت ثلاث سيارات كبيرة. (سيغل، 2008)				المعنى

لاحظ الكلمات المختلفة المُستخدمة للتعبير عن كلمة 'سيارة' في الأنواع الثلاثة السابقة، والتهجئة المختلفة عندما تُستخدم الكلمة ذاتها.

3- أوضح كيف تختلف الكلمات الثلاثة في امتصاص لاحقة '-pela/ -fala'. وأين تكون هذه اللاحقة إلزامية وأين تكون اختيارية؟

حجّة 'سيغل' هي أن لغة الميلانيزيين المبسّطة في القرن التاسع عشر بقيت متغيّرة تماماً، ولم تستقر البنية المورفولوجية أبداً حتى عاد العمال إلى جزرهم الأصلية خلال القرن العشرين. فهو يعتقد أن حضور النموذج في اللغات المهيمنة المحلية كان يخفي خلقةَ تنوعاً خاصاً عزز اختيارها من مجموعة المميزات الموجودة بالنسبة إلى تنوع اللغات المُبسّطة الميلانيزية. حيث لا يكون هناك تعزيز من 'الركيزة الفاعلة' يبقى الاستخدام متغيراً.

المثال الثاني والأصعب يكمن في العمليات النسبية للأنواع الثلاثة:

Mi save wanpela meri	0	(em) I get twenty pikinini	لغة 'توك بيسين'
Mi save wan woman	we	I get twenty pikinini	لغة 'بيسلاما'
Mi save wan woman	0/ wea	Hem I garem twenty pikinini	'بيجين سولومونز'.
I know a woman	who	Has twenty children	الإنكليزية
أنا أعرف امرأة أنجبت عشرين طفلاً			المعنى

الكلمات في الجانبين المرتبطين كليهما بقيت ذاتها إلى حد كبير، لكن أداة الربط اختلفت كثيراً. فالرمز '0' يعني أداة الربط غائبة، كما يمكن أن يحدث في اللغة الإنكليزية " the dog 0/ that I saw" وتعني "الكلب الذي رأيته". إن الضمير "we" في لغة 'البيسلاما' يُلفظ (وي - we) من الناحية الصوتية، والضمير 'it' والضمير 'wea' في لغة 'بيجين سولومونز' كلاهما مشتق من "where - أين" في اللغة الإنكليزية.

4- حدد ما هو دور الرابط في هذه الأنواع الثلاثة. ما هو إلزامي وما هو اختياري؟

يستنتج 'سيغل' مرة أخرى أن الطريقة التي تستخدم فيها الأشكال الثلاثة عناصر الربط أو النسب تعود أساساً للأسس القواعدية النحوية المختلفة في لغات 'الركيزة المتفاعلة' المختلفة. وإحدى الجوانب الساحرة لهذه اللغات الجديدة أنها تمكننا من رؤية الطريقة التي تنشأ بها لغة وهي على خط الإنتاج. ونرى أيضاً كيف تستطيع

العمليات اللغوية لولادة اللغة وموتها أن تعكس إحداها الأخرى في شروط واسعة، وخاصة في اكتساب المورفولوجيا أو فقدانها.

4.8 الملخّص

• أهم التداعيات الأساسية المرتبطة بتواصل اللغات هي ولادة لغة أو موتها. فعندما تجتمع مجموعات بشرية ليس لديها لغة مشتركة، يخلقون مجموعة بدائية من الكلمات بهدف التواصل، وتدعى هذه الكلمات "مصطلحات خاصة – jargon". وإذا استمرّ هذا التواصل لفترة طويلة، يخلقون ما يُسمّى 'لغة مُبسطة' – لغة لديها مفردات محدودة وبنية قواعدية بسيطة. وإذا ترسّخت هذه اللغة المُبسطة وانتشرت، فقد تطوّر خصائص لغة كاملة يتعلّمها الأطفال كلغة أم، وتصبح لغة كريول.

• ازدادت اللغات المُبسطّة كثيراً مع التوسع الأوروبي، وخاصة مع تجارة العبيد في المحيط الأطلسي، والتي ضمت مجموعات من الأفارقة المنحدرين من خلفيات لغوية مختلفة. غالباً ما تساهم اللغات 'المُهيمنة'، كاللغة الإنكليزية مثلاً، بمعظم مفرداتها في اللغة الجديدة، ولهذا تُسمى اللغة 'المُسيطرة'. أما اللغة 'الضعيفة'، كاللغات الأفريقية، فتساهم بالقواعد بنسبة أكبر.

• هناك نزاعات على معظم القضايا في اللغات المتواصلة. من بين نظريات لغات الكريول نظرية 'أحادية النسل' التي تعتبر لغات الكريول كلها منحدرة من أصل واحد؛ وفرضية 'اللغة الحيوية' التي تقول إن الأطفال يؤسسون قواعد لغة الكريول؛ وفرضية 'آلية تغيّر اللغة' التي تدّعي بأن لغات الكريول تجمع مفردات من لغات 'مهيمنة' وقواعد من لغات 'ضعيفة'؛ وهناك المنهج التدريجي الذي يشدد على المدة الزمنية التي تحتاجها اللغة لتتطوّر إلى لغة 'كريول'، و'منهج الإضافة التدريجية' الذي تتعلّم فيه كل موجة عبيد جديدة تلك

اللغة، ثم تعيد تشكيلها؛ وأخيراً، يمكن رؤية المنشأ بوصفه اكتساباً جماعياً للغة تسلسلية ثانية.

• عادة ما تستمرّ لغات الكريول بالتعايش مع لغاتها 'المُسيطرة'. وقد يؤدي ذلك إلى ما يُسمّى 'التخلّص من صناعة الكريول' الذي تعيد فيه لغة الكريول تقاربها مع لغتها 'المُسيطرة'، وتخلق استمرارية من أعماق كلام الكريول، أي 'اللهجة الرديئة' إلى المعيار الأقصى، أي 'اللهجة الفخمة'.

• أصبح موت اللغة، في زمننا هذا، شائعاً أكثر من ولادتها. إذ تقول التقديرات إن عشرة بالمئة من لغات العالم البالغ عددها ستة آلاف، تُعتبر في حالة أمان، بينما تُعتبر باقي اللغات مُهددة بالانقراض أو تحتضر. وغالباً ما تتشابه نقاشات تعرّض اللغة للخطر بنقاشات انقراض أنواع من الكائنات الحيّة، أو التحدث عن 'صحّة' اللغة. كما يمكن لهذه النقاشات أن تخلق إشكاليات، وخاصة بسبب التركيز على اللغة بدلاً من التركيز على اهتمام الناطقين بها.

• تم اقتراح أربعة أنواع لموت اللغة: الموت المفاجئ، الراديكالي، التدريجي، ومن القاعدة إلى القمة. التغيير الأكثر شيوعاً، والذي يحدث خلال موت اللغة هو الضعف في مورفولوجيتها. وكدراسة عن حالة لغة تحتضر، بحثت 'دوريان' اللغة الغاليكية الموجودة في شرق 'سوثرلاند'، وحددت مجموعات من 'الناطقين جزئياً' بها، أي أولئك الذين لديهم مهارات تفاعلية قوية فيها، ويستطيعون فهمها لكنهم لا يستطيعون صياغة العبارات فيها بالشكل المطلوب.

• أما حالة ولادة اللغة فكانت حالة 'اللغة المُبسّطة الميلانيزية' التي انطلقت من الولادة إلى موقع لغة عالمية خلال قرن تقريباً. فقد تطوّرت بسبب المزارع في جنوب شرق الباسيفيك، ثم تمايزت إلى ثلاث لهجات: 'البيسلاما' في فانواتو، 'بيجين سولومونز' في جزر سليمان،

و’توك بيسين’ في بابوا، غينيا الجديدة. وفي أواسط القرن العشرين، أصبح الأطفال يتعلّمونها كلغة أم، وأصبح هناك أكثر من ثلاثة ملايين ناطق بها. لقد أظهرت اللغة الميلانيزية المُبسطة أثراً ’مسيطراً’ يمكن تمييزه حيث أدّت إلى ظهور لغات محلية مختلفة لديها مميزات قواعدية مختلفة في ثلاث مناطق مختلفة.

4.9 قراءات متقدمة

يُعتبر كتاب ’كوينبيرغ’ و’سينغلر’ المنشور عام (2008) خلاصة وافية حول موضوع اللغات المبسّطة والكريول، مع فصول ألّفها باحثون بارزون. وقام ’أريندز’ و’موسكين’ و’سميث’ بتحرير مجموعة أعمال عام (1995)، وهي تتضمن فصولاً تمهيدية أساسية، وقسماً حول نظريات أصول اللغة المُبسّطة والكريول، ومجموعة من المميزات القواعدية النحوية في اللغات، وفصولاً مفيدة عن ثماني لغات كريول فردية. كما قدّم ’سيغل’ (2008) و’هولم’ (2000) تغطية مفصّلة جداً، مع إصرار ’سيغل’ على لغات الكريول في الباسيفيك.

للمزيد من المعلومات، جمع المجلد الثاني من مراجعة ’هولم’ عام (1989) رسومات مُختصرة عن عدد من اللغات المتواصلة في العالم. ويُعتبر المجلّد الخامس لـ ’هولم’ و’ميشيل’ (2009) عبارة عن مجموعة محاضرات بارزة تقدّم مدخلاً إلى الكثير من المنشورات غير المُتاحة. يسبق كل فصلٍ من الفصول ملخّصٌ لا يُقدّر بثمن. وقد نشرت مكتبة لغة الكريول (جون بينامين) ما يقارب الأربعين كتاباً حول الكثير من قضايا تواصل اللغات. وهناك مجلّة مُعتبرة بعنوان "مجلّة دراسات اللغات المُبسطة والكريول"، ونشرة بعنوان "اللغة المُبسّطة الناقلة". أما العناوين التي تظهر في مجلة اللسانيات الاجتماعية، ومجلّة ثنائية اللغة، فقد أدرجناها في فصول سابقة. انظر أيضاً الموقع الإلكتروني حول مجتمع اللسانيات الكاريبية.

إن أبحاث ’هال‘ والآخرين عام (1992) أساسية جداً بالنسبة إلى المخاطر التي تتعرض لها اللغات، وموت اللغات. ويعتبر كتاب ’نيتل‘ و’روماني‘ بعنوان "أصوات متلاشية" المنشور عام (2002) مقدّمة جيدة في هذا المجال. لمزيج من البحث والمنحة الدراسية، ويُعتبر عمل ’نانسي دوريان‘ لا نظير له على الإطلاق، وهو يتضمّن كتاباً محورياً مؤلّفاً تم نشره عام (1981) ومجموعة محررة عام (1989). كما أن المجموعة التي حررها ’بريتزينغر‘ عام (1992) و’غرينوبل‘ و’والي‘ عام (1989) تجمع معلومات خاصة جداً عن ضياع اللغة وتضميناتها الاجتماعية. وتظهر مقالات حول تعرض اللغة للخطر وموتها في مجلّة ثنائية اللغة ومجلّة اللسانيات الاجتماعية. انظر أيضاً السلسلة الطويلة لمقالات حررتها ’دوريان‘ في "المجلة العالمية للمجتمع واللغة" عن اللغات الصغيرة ومجتمعاتها، حيث إن الكثير منها في حالة خطر. إن عمل ’أوستين‘ و’سالابانك‘ عام (2011) هو خلاصة كافية حديثة من معلومات حول المخاطر التي تتعرض لها اللغة، مع التركيز على مشاركة اللغويين.

يحمل موقع "ذا فاونديشن فور إندانجريد لانغويج" رسالة إخبارية، ومعلومات اتصال وتفاصيل ربط مع مواقع أخرى. ولدى الجمعية اللغوية الأمريكية لجنة حول اللغات المهددة بالخطر والحفاظ عليها، وهناك معلومات مُتاحة على موقعها. انظر أيضاً الإصدار الحالي لمجلة ’إثنولوجي‘ على الأنترنت (لويس 2009). فمنظمة اليونسكو تدعم الكثير من الأعمال والخطابات حول اللغات المهددة – انظر موقعها، بما في ذلك "الكتاب الأحمر للغات المعرّضة لخطر الانقراض" و"الأطلس التفاعلي للغات العالم المهددة بالانقراض". وقد حرر ’هينتون وهال‘ كتاباً بعنوان: "الكتاب الأخضر لتنشيط اللغة في الممارسة". وحرر ’دوشن وهيللر‘ مجلّداً يقدّم وجهات نظر متناقضة جداً حول اللغات المعرضة للخطر في سياق سياسي اجتماعي.

الفصل الخامس

الرموز والخيارات

عالج الفصلان الثاني والرابع من هذا الكتاب بشكل أساسي موضوع اللغات في المجتمع بشكل عام – مع سيناريوهات ترتبط بثنائية اللغة، وطبيعة تحول اللغة وتداعياتها، والحماسة للحفاظ على اللغة، وصناعة اللغات وتفكيكها كنتيجة للتغيرات الاجتماعية القوية. وننتقل في هذا الفصل والفصل الآتي إلى مستوى أصغر من الاستفسار، إلى البحث عن الطريقة التي يختار بها المتحدثون مصادر لغوية مختلفة في ظروف مختلفة. وهذا لا يتضمّن فقط ما يمكن اعتباره لغات منفصلة بل يشمل التنوّعات داخل كلٍ من هذه اللغات. يتطور هذا الأمر في الفصل السادس للاهتمام بعوامل مختلفة من التفاعل بين المتحدثين والمستمعين في المحادثات.

5.1 التنوّع والرموز والذخيرة اللغوية

أساس اللسانيات الاجتماعية كلها هو أن للناطقين خياراً يكمن في: متى يتحدثون. ويكون مجال خياراتهم من المستوى الكبير إلى الصغير، من خيارات بالجملة بين لغات متعددة وحتى طريقة مختلفة يصعب تمييزها للحرف الساكن ذاته. فقد يكون الخيار من المستوى الكبير بين لغات أساسية مثل 'زوسا' أو 'أفريكانا' أو الإنكليزية الموجودة في

جنوب أفريقيا، وأما الخيار من المستوى الصغير فقد يكون بالتوقف عند الحرف الساكن، ولفظ حرف (تي – t) في وسط الكلمة الإنكليزية (زبدة – butter) العائدة إلى لهجة 'الكوكني' في لندن؛ إذ يشير 'اختيار اللغة' عادة إلى الاختيار بين لغتين مختلفتين بدلاً من الاختيار الصغير داخل اللغات ذاتها.

تستخدم اللسانيات الاجتماعية مصطلح 'التنوّع – variety' لتغطي جميع أنواع الفروقات ضمن لغة واحدة. فالتنوّع شكلٌ من أشكال اللغة الذي يمكن تمييزه نسبياً، وغالباً ما يقوم على فروقات جغرافية أو اجتماعية – التشيلية مقابل الإسبانية القشتالية، الأمريكية الأفريقية مقابل الإنكليزية الأوروبية الأمريكية. ويُذكر أن التنوّع مُصطلح أقلّ وزناً من 'اللهجة' التي يميل استخدامها العادي إلى مساواته مع الأشكال اللغوية الغريبة، أو التي هي دون المستوى. كما أنه يمكننا من تضمين مفاهيم جديدة مثل 'أجناس – genres' اللغة أو 'سجلاتها – registers' دون أن نُلزم أنفسنا بتعريفها بدقّة. وهي تظلّ علامة مفيدة لنا مع أن لهذا 'التنوّع' حدوداً نفوذة كما سنرى لاحقاً.

يمكن أن نطلق على اللغات كلها والتنوّع الموجود ضمنها صفة 'رموز – codes' لغوية؛ إذ يُعتبر مصطلح 'الرمز' مفيداً في اللسانيات الاجتماعية لأنه يضم المجموعة الكاملة من مصادر اللغة التي يستخدمها الناطقون بها، سواء أكانت تُعتبر لغات متمايزة أو تنوّعاً للغة ذاتها. لقد استخدمت في هذا الكتاب كلمة 'رمز' كمصطلح (غطاء واقٍ – cover) عندما ينطبق التعميم بالتساوي على اللغات بشكل كامل، أو على التنوّعات التي تشملها اللغات. وتُستخدم الكلمة بشكل خاص في مصطلح 'تحوّل الرمز' أو 'مزج الرمز'، حيث تتشابك

لغتان أو أكثر، أو تتشابك تنوّعاتها ضمن اللغة ذاتها (انظر ما سيأتي لاحقاً في هذا الفصل). تذكّر أيضاً، من نقاشات الفصل، الأول أنه على الرغم من أن تمييز اللغات عن تنوّعاتها مفيد لغايات معيّنة، فليس هناك شيء مُطلق في هذا التمييز.

تشكّل مجموعة الرموز 'المخزون اللغوي' الذي يمكن للمتحدث الاعتماد عليه. وربما يُستخدم هذا المصطلح لتوصيف المجال اللغوي للفرد أو لمجموعة صغيرة، لكن ليس لكيانات كبيرة واسعة الانتشار كدولة أو مجموعة عرقية. فإذا كانت الرموز تنوّعات من اللغة ذاتها - كلهجات لغة الأوردو أو اللغة اليابانية - قيل عن المخزون اللغوي للمتحدث إنه مخزون 'أحادي اللغة'. وإذا كانت الرموز من لغتين منفصلتين، كالكازاخستانية أو الروسية الكازاخستانية، يكون المخزون اللغوي ثنائي اللغة. وإذا تضمنت الرموز ثلاث لغات أو أكثر، كلغة الماندرين، والإنكليزية و'الهوكين' في سِنغافورة، يُعتبر المخزون اللغوي متعدد اللغات. وعلى أية حال، من خلال التركيز على المصادر اللغوية التي يعتمد عليها المتحدث، يميل مفهوم المخزون إلى تحطيم محاولات التمييز بين الرموز. كما تستخدم اللسانيات الاجتماعية المعاصرة فكرة المخزون لتغطي المزيج اللغوي المتدفق الذي يستخدمه الناطقون الشباب في الأوضاع الحضرية المتنوّعة عرقياً، والموصوفة بمصطلحات من نوع 'translanguaging'[1] و'metrolingualism'[2] (باخ، 2012).

---

[1] هي عملية يمارسها ثنائيو اللغة للوصول إلى ميزات لغوية مختلفة، أو أنماط مختلفة، لما يوصف بلغات مستقلة بغية تحقيق أقصى إمكانيات التواصل. المترجم.

[2] ممارسة معاصرة للاستخدام الإبداعي، أو لعملية المزج، لرموز لغوية مختلفة في السياقات الحضرية غالباً بحيث تتجاوز الحدود الاجتماعية والثقافية والسياسية والتاريخية، والهويات والايديولوجيات القائمة. المترجم.

التمرين 5.1: صورة التنوّع اللغوي في الصف الدراسي

رأينا في التمرين (2.2) إجراء استطلاع لطلاب الصف عن الذخيرة اللغوية التي لديهم، وتركيزاً على اللغات المختلفة التي يتحدثون بها. والآن، مع أخذ جميع الرموز التي تشكّل ذخيرتهم اللغوية بعين الاعتبار – بما في ذلك اختلاف اللغات التي يتحدثون بها، والتنوّع داخل اللغات ذاتها. أدرج قائمة بتلك اللغات مرّة أخرى، ثم أطرح الأسئلة الآتية:

1- ما هو التنوّع الموجود في اللغات التي يتحدثون بها؟

2- كيف يمكن تمييز التنوّع ضمن اللغة ذاتها من الناحية الاجتماعية –هل يرتبط هذا التنوّع بمناطق مختلفة، أو بمجموعات اجتماعية أو عرقية مثلاً؟

3- كيف يميّزون نوعاً من الآخر من الناحية اللغوية؟ هل الأنواع مختلفة جداً؟ هل تكمن الفروقات في المفردات أو اللفظ أو القواعد؟

4- ما هي التسميات المستخدمة لتوصيف هذه الأنواع؟

5- ما هي مواقف الناس الآخرين منها؟

6- بالنسبة إلى بعض تلك التنوعات، هل من الصعب الخروج بقرار حول ما إذا كان بالإمكان توصيفها كلغة منفصلة أم كتنوّع للغة؟ ولماذا؟

ضع الإجابات في جدول (لغات x تنوعات اللغة) لبناء صورة التنوّع اللغوي للغات طلاب الصف.

في بعض الحالات، قد يتم تكوين الموارد بطرق غير اعتيادية من خلال استخدام المشاركين، بسعادة، لغة أحدهم الآخر في التفاعل ذاته. ففي الحالة الريفية لـ 'ميسون دي لاباز' في شمال الأرجنتين، يتم التحدث بثلاث لغات أصلية، وعادة ما يتم التزاوج بين ناطقين بلغتين مختلفتين؛ إذ يتحدث كل شخص من سكان المنزل بلغته الخاصة،

وكلٌّ يفهم لغة الآخر لكنه يُجيب بلغته الخاصة (المختلفة)، مما يخلق وضعاً لغوياً يعتبره الباحثون فريداً من نوعه.

تحتوي اللغات كلها على مجموعة من التنوّعات، ويستطيع جميع الناطقين البالغين العاديين التعاملَ مع أكثر من نوع واحد ضمن لغتهم. ومن بين أكثر الأنماط إثارة للانتباه بما يخصّ التنوعات في اللغة هناك ما يُسمّى رموز 'الحماة، والدة الزوج أو الزوجة' التي هي سمة العديد من لغات السكان الأصليين في أستراليا، لكنها معروفة أيضاً في لغات أمريكا الشمالية ولغات 'البانتو' الأفريقية. في لغة 'الديربال' في شمال كونسلاند (انظر المثال **4.3** في الفصل السابق)، فقد تم استبدال نمط الكلام اليومي 'الغوال – Guwal' بنمط 'التجنّب أو المُداراة'، أو 'جانغاي – jalnguy' عندما يحضر بعض الأقارب من الجنس الآخر، ولا سيما أقرباء الزوجة أو الزوج. ويُستخدم كلام 'المُداراة أو التجنّب' لأن اللغة اليومية الاعتيادية تُعتبر محرّمة أو محظورة بحضور أولئك الأقارب (ديكسون، **1983**)؛ إذ يميل رمز 'التجنّب أو المداراة' إلى الحفاظ على الصوت أو بناء الجملة الخاص باللغة اليومية، لكنه يستخدم مصطلحات قاموسية بديلة.

5.2 مجتمع الخطاب، أو المجتمع الناطق بلغة واحدة

لا يمكنك المضي قدماً في اللسانيات الاجتماعية - أو حتى في اللسانيات ذاتها - دون مواجهة فكرة 'مجتمع اللغة الواحدة - speech community'، الذي أصبح هاماً الآن في نقاشاتنا. فقد كان مطبقاً على كل مستويات التجمعات البشرية، من كيانات صغيرة بحجم مكان إقامة لقبيلة واحدة، إلى مدن كبيرة كاملة، أو حتى لمجموعة النساء. وليس مستغرباً أن العديد من علماء اللسانيات الاجتماعية قاموا بتعريفه، وبطرق مختلفة أيضاً - يُظهر التمرين (**5.2**) شيئاً من ذلك. ويكمن الإغراء في التخلّي عن مصطلح يحتوي

على طيف واسع من التعريفات غير المُقنعة (أو غير الحاسمة). ومع ذلك، يبدأ العديد من عناوين البحث بوضع فكرة المؤلّفين حول تحديد 'مجتمع اللغة الواحدة' في دراستهم الخاصة. وعلى الرغم من عدم إمكانية تعريفه بشكل دقيق، إلا أنه يبقى هو المصطلح المنتشر على نطاق واسع، والذي يبدو أن اللسانيات الاجتماعية بحاجة له. وقد تم اقتراح المفاهيم البديلة أيضاً، وبشكل خاص الشبكات الاجتماعية ومجتمع الممارسة، وهو ما سنعالجه في الفصل الثامن.

ترجع فكرة 'مجتمع اللغة الواحدة على الأقل إلى 'ليونارد بلومفيلد' الذي يُعتبر كتابه الصادر عام (1933) بعنوان 'اللغة' نصاً أساسياً للسانيات الأمريكية. إذ تم اختيار هذا المفهوم في اللسانيات الاجتماعية في ستينات القرن العشرين من قِبَل ثلاثة من مؤسسي هذا المجال وهم 'هايمز'، 'غومبيرز' و'لابوف'. وكما يقول 'بيتر باتريك' بإيجاز في مقالة له عام (2002) فقد كان لكل منهم تأثيره الخاص على المفهوم، مما يعكس اهتمامه البحثي الخاص – ثنائية اللغة لدى 'غومبيرز'، التقييم اللغوي وتحوّل النمط لدى 'لابوف'، طرق التحدث والكفاءة التواصلية لدى 'هايمز'.

ربما كانت القضية الأساسية والأكثر استعصاء هي ما إذا كان 'مجتمع اللغة الواحدة، يقوم على معايير اجتماعية أو لغوية، أو كلهما معاً. فقد كانت معايير 'غومبيرز' التعريف الأساسي وكان اجتماعياً إلى حد كبير (1962). لقد افترضت معاييره بعض التماسك بين الأعضاء، بالإضافة إلى مخزونات لغوية مشتركة، مع أنها ليست لغة واحدة. وأضاف لاحقاً المعيار اللغوي القائل إن 'مجتمع اللغة الواحدة' يختلف عن التجمّعات المجاورة من خلال استخدام اللغة (غومبيرز، 1986).

التمرين 5.2: تعريف 'مجتمع اللغة الواحدة'

نورد هنا بعض التعريفات التي وضعها علماء اللسانيات الاجتماعية لـ 'مجتمع اللغة الواحدة'. وما الذي يعنيه كلٌّ منهم تحديداً، بمقارنة التشابهات والفروقات التي لديه، وتقييم قوتها وضعفها، والوصول إلى تعريفك الشخصي.

- بلومفيلد **1933**

مجموعة من الناس الذين يستخدمون نظام مؤشرات الكلام نفسها هم 'مجتمع اللغة الواحدة'. فمن الواضح أن قيمة اللغة تعتمد على استخدام الناس لها بالطريقة ذاتها..... 'مجتمع اللغة الواحدة' هو مجموعة الناس الذين يتفاعلون بواسطة الكلام.

- غومبيرز **1962**

مجموعة اجتماعية قد تكون أحادية اللغة أو ثنائية اللغة، تجتمع معاً بشكل متكرر من خلال أنماط تفاعل اجتماعي، وتنطلق من المناطق المحيطة من خلال نقاط الضعف في مسارات التواصل.

- غومبيرز **1968**

يتصف أي تجمّع بشري بتفاعل منتظم متكرر عبر مشاركة مجموعة من الإشارات اللفظية، وينطلق من تجمعات مماثلة عبر فروقات هامة في استخدام اللغة.

- هايمز **1974**

كيان اجتماعي وليس لغوياً. يبدأ المرء بمجموعة اجتماعية، ويهتم بالتنظيم الكامل للوسائل اللغوية الموجودة فيه.

- هايمز **1972**

تتشارك المجموعة قواعد لأداء الكلام وتفسيره، وقواعد لتفسير تنوّع لغوي واحد على الأقل.

• لابوف 1972

مجتمع الكلام هو.... يمكن تعريفه.... بالمشاركة في مجموعة من القواعد المشتركة.

• لابوف 1966

مدينة نيويورك سيتي ′مجتمع لغة واحدة′ مفرد، توحّده مجموعة مشتركة من المعايير التقييمية، على الرغم من الاختلاف في تطبيق هذه المعايير.

• كاشرو 2001

مجتمع اللغة الواحدة يتجاوز الحدود السياسية.... ولا يمثّل بالضرورة منطقة أو ثقافة... ويشمل طرق نطق فردية ولهجات.

• بولينغر 1975

ليس هناك حدود للتنوعات في مجتمعات اللغة الواحدة التي يمكن العثور عليها في المجتمعات.

استخدم ′هايمز′ (1962) هذا المصطلح، لكنه لم يعرّفه في البداية، بل أشار إليه بعبارة ′اقتصاد الكلام في المجتمع - the speech economy of a community′. لقد انحرف صراحة باتجاه أن أساس ′مجتمع اللغة الواحدة′ هو أساسٌ اجتماعي وليس لغوياً (1974): يبدأ الباحث بالمجموعات الاجتماعية، ثم يستقصي عن مخزونهم اللغوي. وعلى أية حال، في أي موقع آخر أوحى ′هايمز′ بفكرة ′مجتمع اللغة الواحدة′، فعل ذلك بمعايير تتعلّق باللغة (1972).

كانت مشاركة المعايير اللغوية أساسية بالنسبة إلى ′لابوف′ (1972)، مع أن عمله كان في منطقة محددة جغرافياً - الجانب الشرقي الأدنى من مدينة نيويورك. وقد وجد أن جميع أعضاء المجتمع يقيّمون الخصائص اللغوية بالطريقة ذاتها، ويستخدمونها

وفقاً لذلك. (انظر مراجعتي لدراسة 'لابوف' لمدينة نيويورك سيتي في الفصل **7.1**).

إذاً، يبدو أن المعيار اللغوي والاجتماعي ضروري بالنسبة إلى هؤلاء الباحثين الثلاثة، لكن المعيار الاجتماعي يأتي أولاً بشكل عام. والصحيح أنه في الممارسة البحثية الفعلية، يميل علماء اللسانيات الاجتماعية للبدء من الأساس الاجتماعي، ثم يضيفون الخصائص اللغوية. إنهم يحددون بعض التجمعات - مجموعة شباب أو عصابة، مهنة، قرية، غرف محادثة، حي، دولة - ويبحثون في مخزونها اللغوي وسلوكها. لكن في مناقشة أكثر مرونة حول القواسم المشتركة الواسعة النطاق بين اللغات، سيكونون أكثر عرضة لاستخدام مخزون لغوي مشترك كمعيار لمعالجة شيء من نوع 'مجتمع اللغة الواحدة' - المجتمع الناطق بالفرنسية في كندا، المجتمع الناطق بالألمانية في أستراليا، أو حتى "'مجتمع اللغة الواحدة' المكون من الناس الناطقين بالإنكليزية" (بلومفيلد، **1933**). ففي هذه الحالات، يكون الناسُ ذوو الصلة متفرّقين ومتناثرين جداً لدرجة أن معظم المعايير الاجتماعية، لرؤيتهم كمجتمع، تبوء بالفشل (انظر أيضاً التعريف الواسع جداً من كاشرو، **2001**؛ وانظر التمرين **5.2**). لكن بشكل عام، يبدو تلخيص 'باتريك' ملائماً إذ يعتبر أن 'مجتمع اللغة الواحدة' هو "وحدة للتحليل اللغوي على أساس اجتماعي" (**2002**).

يجب أن يسمح مفهوم 'مجتمع اللغة الواحدة' بالاختلاف والتباين، وبالقواسم المشتركة أيضاً أو سيصبح غير صالح للعمل (أنظر تعريف لابوف عام **1966**). لكن يبقى السؤال المُعقّد هو: ما الفرق المسموح به قبل أن تتلاشى الحدود (تعريف 'بولينغر'، **1975**). أما القضية الثانية ذات الصلة فهي: ما مدى ارتباط 'مجتمعات اللغات الواحدة'

أحدها مع الآخر. يقترح 'باتريك' (2002) أن هناك على الأقل نوعين من العلاقات بين 'مجتمعات اللغات الواحدة':

• التعشيش، عندما تقيم مجموعة معينة داخل مجموعة أخرى. ربما تشكّل مجموعة شباب نيويورك (أو عصابة نيويورك) 'مجتمع لغة واحدة' بحد ذاتها، لكنها تعشعش أيضاً داخل مجتمع محدد مثل كل (عصابات نيويورك)، التي تعشعش داخل 'مجتمع اللغة الواحدة' الخاص بالمدينة ككل.

• التداخل، حيث تتقاطع 'مجموعات لغات واحدة' مختلفة إحداها مع الأخرى بشكل جزئي. ففي لندن المعاصرة، يكون الشباب المهاجرون، من أكثر من عشرين خلفية عرقية، أعضاء في مجموعاتهم المنفصلة الخاصة بأصولهم، وفي الشبكات العرقية الأوسع، كما تُظهر دراسات اللغة الإنكليزية متعددة الثقافات (تشيشر وآخرون، 2011).

خلافاً للمبادئ اللسانية الاجتماعية المبكرة، لم تتطوّر فكرة 'مجتمع اللغة الواحدة' كثيراً منذ أن تم طرحها. لقد تعرّض مفهومها لانتقادات كثيرة بسبب عدم إمكانية تعريفه، وبسبب تفككه وتنحّيه جانباً على أسس نظرية (رامبتون، 2009)، لكنه غالباً ما يعود إلى النقاشات كمفهوم عمل لا يمكن للباحثين العمل من دونه. كما تم الاعتراض عليه أيضاً على أسس أيديولوجية. فتعريف 'لابوف' للمعايير المشتركة في مدينة نيويورك تم اعتباره كافتراض وجود اتفاق بين مجموعات اجتماعية تم تصنيفها بشكل متفاوت. وقد جادل 'ميلروي' (1992) بأن نمط المجتمع الذي يهتم بالصراع بين مجموعات نمط مناسب أكثر من النمط الذي فيه إجماع بالرأي. ونظراً لهذا المستوى من النقاش، تحول التركيز نحو مفاهيم بديلة تم اقتراحها للتعامل مع طبيعة المجتمع اللغوي. يتضمن ذلك نموذج شبكة 'ميلروي' الاجتماعية (ليسلي ميلروي، 1987)، وإطار مجتمع

الممارسة المرتبط باللسانيات الاجتماعية لدى 'بينلوبي إكرت'. سنعود إلى تلك المناهج في الفصل الثامن.

التمرين 5.3: مجتمعات اللغة الواحدة قربك

ما هو مجتمع، أو مجتمعات، اللغة الواحدة التي تنتمي إليها؟

1- ما هي المميزات الاجتماعية لمجتمع اللغة الواحدة خاصتك؟ ما هي المميزات اللغوية؟

2- هل وجدت أن المعيار الأساسي اجتماعي أو لغوي؟

3- ما هو مقدار التنوّع الموجود ضمن مجتمع اللغة الواحدة خاصتك؟

4- إذا كنت تنتمي إلى أكثر من مجتمع لغة واحدة، ما هي الأنواع المختلفة من التركيبات أو التكوينات الموجودة هناك؟ - أحادي/ ثنائي اللغة، كبير/ صغير، فترة دائمة أو مؤقتة، قائم على الجغرافيا أو العمر، وما إلى ذلك.

5- كيف تنتسب مجتمعات اللغة الواحدة أحدها إلى الآخر؟ هل تتداخل أم تعشعش على سبيل المثال؟

6- اجمع صور مجتمع اللغة الواحدة لجميع طلاب الصف الدراسي، وقيّم المفاهيم والتعاريف التي تدلّ عليها.

7- هل صفوف اللسانيات الاجتماعية بحد ذاتها مجتمعات لغة واحدة؟ لماذا؟

8- فكّر في السؤال الآتي: ما هو الذي لا يشكّل مجتمع اللغة الواحدة؟

9- في ضوء النقاشات الموجودة أعلاه، راجع التعاريف الموجودة في التمرين (5.2) – ما هو تعريف 'مجتمع اللغة الواحدة' الذي يبرز من اهتماماتك؟

5.3 ازدواجية اللسان أو (Diglossia)

لمفهوم ازدواجية اللسان علاقة بالطريقة التي تميل بها رموز لغات مختلفة للخضوع لتراتبية اجتماعية ضمن مجتمع. ويعود تاريخ هذا المصطلح إلى الأيام الأولى للسانيات الاجتماعية. إنه مُشتقّ من كلمة 'diglossie' الفرنسية (وهي ذاتها مأخوذة عن كلمة إغريقية تعني 'ثنائية اللغة')، وقام الأمريكي 'تشارلز فيرغسون' بتعديلها إلى اللغة الإنكليزية، وانتشرت لاحقاً على يد 'جوشوا فيشرمان' و'رالف فاسولد'.

نشر 'فيرغسون'، في عام (1959)، مقالة عنوانها كلمة واحدة هي 'ازدواجية اللسان'. لقد أصبحت المقالة الوحيدة الأكثر تأثيراً في تاريخ اللسانيات الاجتماعية. حتى المراجع الأكثر قدماً، أي البيبلوغرافيات أو المراجع، (مثل فرنانديز، 1993)، تُظهرُ حرفياً آلاف الإصدارات التي تشير إلى المبدأ الذي تم تطبيقه على الحالات اللغوية في جميع أنحاء العالم. من الأمور المحورية في ازدواجية اللسان مفهوم الوظائف اللغوية الذي صادفناه أولاً في الفصل (3.2) في العلاقة مع تنوّع اللغات المستخدم في مجموعات مختلفة تماماً من الوظائف. يمكن تصنيف هذه الأنواع والوظائف إلى 'دنيا' و'عليا' وفي توزيع متكامل. يُستخدم التنوّع الأدنى في الوظائف اليومية كما في المنزل والسوق، وفي المحادثات بين الأصدقاء. وتستخدم اللغة الأعلى في الوظائف المرموقة كما في التعليم ووسائل الإعلام وفي الحكمة. ومن الواضح أن اللغتين مرتبطتان من الناحية اللغوية، لكنهما بعيدتان.

ازدواجية اللسان الكلاسيكية

قدّم 'فيرغسون' تعريفاً موسّعاً لازدواجية اللسان إضافة إلى أربع حالات تعريف أخرى:

• لدى اليونانيين 'ديموتيكي – Demotiki' كشكل متدنٍ يومي محلي، بالإضافة إلى 'كاثاريفوسا – Katharevousa' اليونانية الكلاسيكية التي تمثّل شكلاً مرتفعاً مرموقاً وعالمياً.

• لدى دولة هاييتي الكاريبية لغة الكريول الهاييتية المحلية التي تطوّرت هناك، وتأسست جزئياً على اللغة الفرنسية، وجزئياً على اللغات الأفريقية، بالإضافة إلى المقاييس الفرنسية الأوروبية.

• يوجد في سويسرا 'شوايزر داتش'، السويسرية الألمانية التي تشكّل تجميعاً للهجات المحليّة. فالتراكب هو معيار عموم الجرمانية، "هوك داتش"، أو الألمانية العالية.

• يوجد في العالم العربي تشكيلة واسعة من اللغات العامية العربية بالإضافة إلى اللغة العربية الفصحى أو الرسمية. فاللغات العامية العربية ليست بحد ذاتها تشكيلة واحدة بل تتغير بشكل كبير من مكان إلى آخر، بين الأردن والمغرب مثلاً. والعربية الفصحى هي لغة القرآن وهي ثابتة. وعلى الرغم من الفروقات بين تنوعات اللغات العربية العامية، تقف اللغة العربية العامية والفصحى في علاقة ثابتة إحداهما مع الأخرى.

المثال 5.1: تحديد الازدواجية اللسانية الكلاسيكية

ازدواجية اللسان هي حالة لغة مستقرّة نسبياً، بالإضافة إلى اللهجات الأساسية للغة (التي ربما تتضمّن معياراً أو معايير إقليمية)، فهناك تنوّع متشعّب ومتراكب جداً، ومنظّم للغاية (غالباً ما يكون معقداً قواعدياً ونحوياً)، وناقل للكتلة الكبيرة المرموقة للأدب المكتوب، إما من فترة سابقة، أو لمجتمع لغة واحدة آخر، وهو ما يتم تعلّمه بنسبة كبيرة من خلال التعليم الرسمي، ويُستخدم للغايات المكتوبة والمنطوقة، لكن لا يستخدمه أي قطاع من المجتمع في المحادثات العادية (فيرغسون، 1959).

المميزات:

- اللغات العليا والدنيا مترابطة.
- هناك مجموعات تكميلية من الوظائف والمجالات للغات العليا والدنيا.
- للغة العليا مكانة مرموقة.
- للغة العليا إرث أدبي مُعتبر.
- يتم اكتساب اللغة الدنيا بشكل طبيعي من البداية.
- اللغة العليا كتاب يتم تعلّمه لاحقاً.
- اللغة العليا قياسية في القواعد/ القواميس.
- اللغة العليا معقدة لغوياً أكثر من الدنيا.

في الحالات الأربع السابقة، يكون الرمزان متمايزين بما يكفي ليعرّضا للخطر رمزاً واحداً لمستمع يعرف فقط الرمز الآخر. إنه يميل لأن يتم تصنيفه وكأنه اللغة ذاتها لكنه متشعّب بما يكفي ليكون لديه خصائص لغات مختلفة.

أوضح 'فيرغسون' المميزات التي رآها في حالات ازدواجية اللسان (المثال **5.1**). فلدى اللغة العليا مكانة مرموقة، وتُعتبر علانية لغة جيدة. بل ربما تُعتبر اللغة الدنيا – حتى بين الناطقين بها – لغة أدنى منزلة. ويمكن حتى للمجتمعات أن تُنكر وجود اللغة الدنيا. فيكون لدى اللغة العليا، في المناطق ذاتها، قواعد أكثر صعوبة وتعقيداً من اللغة الدنيا. ويكون لديها إرث أدبي من الأعمال الكلاسيكية التي تشكّل وديعة ثقافية، وتعمل كمواصفات قياسية للغة ككل. وغالباً ما يكون مثال الإرث الثقافي عبارة عن نصّ ديني أساسي للمجتمع. فالمعيار الأول في اللغة العربية هو القرآن الكريم، وفي ألمانيا هو إنجيل لوثر، إشارة إلى ترجمة 'مارتن لوثر' للإنجيل عام (**1534**).

تمتلك اللغة العليا نصوص ترميز إلزامية كالقواميس والقواعد. في حين لا تمتلك اللغة الدنيا شيئاً كهذا، أو ربما تكتسبها بعد فترة طويلة، وربما لا تكون التهجئة فيها ثابتة. وهكذا ربما يكون في سويسرا لائحة كاملة من الأعمال المرجعية للغة الألمانية العليا، لكن هناك القليل نسبياً على لغة 'شوايزر داتش'. وفي حين يكبر الأطفال طبيعياً مع اللغة الدنيا، ويتعلّمونها كلغة أم، كما يتم تعليم اللغة العليا عادة كموضوع في المدرسة. إنها متداخلة وخارجية غالباً. فربما تكون قاعدتها الأساسية أو المنزلية خارج المجتمع نفسه من الناحية الجغرافية (مثال، في فرنسا وليس في هاييتي) أو تكون محددة بفترة تاريخية سابقة (مثال، اليونانية الكلاسيكية). ربما تكون ازدواجية اللسان ثابتة أيضاً على مدى فترة طويلة جداً. في سويسرا مثلاً، تعايشت لغة 'هوك دوتش' و'شوايزر داتش' في علاقة ازدواجية اللسان لقرون - مع أنه في الفترة التي تلت مقالة 'فيرغسون'، حققت لغة 'شوايزر داتش' تقدماً كبيراً في المجالات البارزة.

التمرين 5.4: ازدواجية اللسان في القرن الحادي والعشرين

في نهاية مقالته (1959)، جاذف 'فيرغسون' بالتنبؤ بكل حالة من الحالات الأربع خلال فترة قرنين من الزمن (حتى العام 2150):

الألمانية السويسرية	مستقرّة نسبياً
العربية	تطوّر بسيط نحو عدة لغات قياسية مستندة إلى أنواع متدنية إقليمية
الكريول الهاييتي	تطوّر بسيط نحو معيار موحّد يستند على لغة العاصمة المتدنية، (بورت أو برينس)
اليونانية	معيار موحد يستند على لغة أثينا المتدنيّة.

بعد مرور نصف قرن على عمل 'بيرغسون'، ما هو مقدار التغيير، وهل كان التغيير في الاتجاه الذي توقّعه؟

1- ابحث عن المعلومات الحديثة في حالة من هذه الحالات (مثلاً، فرانغوداكي **2000**، بالنسبة إلى اللغة اليونانية).

2- قارنها مع دراسة 'فيرغسون' الأصلية.

3- مع افتراض صحّة توصيف 'فيرغسون' الأصلي لهذه الحالة، هل لا تزال ازدواجية اللسان تعمل هناك بالطريقة ذاتها في هذه الأيام؟ هل تغيّر أي شيء، وكيف؟

4- هل لا تزال الحالة حالة ازدواجية لسان من وجهة نظر 'فيرغسون'؟

5- قارن النتائج بعد خمسين سنة مع تشخيص 'فيرغسون' طويل الأمد الموجود أعلاه. هل تطوّرت الحالة بالاتجاه الذي توقّعه 'فيرغسون' أم لا؟

6- هل يوجد أي اختلافات في الوضع الحالي للمفهوم الأساسي لازدواجية اللسان؟

'فيشرمان' و'فاسولد' يوسّعان ازدواجية اللسان

في ستينات القرن العشرين، جمع 'فيشرمان' مفهوم ازدواجية اللسان مع مفهومه الخاص عن اجتماعيات اللغة. وأشار إلى أن تراتبية وظائف اللغات العليا والدنيا في طبقات يحدث أيضاً في مجتمعات تتعايش فيها لغات غير مترابطة. وهذا يعني أن اللغات التي لا تكون مرتبطة تماماً لغوياً قد تبقى في علاقة ازدواجية لسانية بين اللغة العليا واللغة الدنيا. وكان أحد أمثلته على ذلك هو اللغة الإسبانية ولغة الغوراني في الباراغواي. هذا من دون شك ترتيب طبقي اجتماعي لعلاقة "عالٍ/ منخفض" على الرغم من أن إحداهما لغة السكان الأصليين في أمريكا الجنوبية، والأخرى أوروبية. وهكذا

جادل 'فيشرمان' من أجل توسيع مفهوم ازدواجية اللسان إلى حالات ثنائية لغوية تكون فيها أية لغتين في حالة تراتبية اجتماعية.

لاحقاً، لايزال عالِم اللسانيات الاجتماعية الأمريكي 'رالف فاسولد' (1984) يطبّق مصطلح التراتبية الذي يحدث أيضاً داخل اللغة الواحدة. وحتى عندما تكون الرموز اللغوية المتضمنة في اللغات عبارة عن تنوّعات متشابهة جداً من اللغة ذاتها، قد يكون هناك علاقة ازدواجية لسان (عليا/ دنيا) بينهما. إن المثال النموذجي هو عن نسخة قياسية للعديد من اللغات الأوروبية الأساسية عندما يتم استخدامها في الحديث أمام الجمهور، بالإضافة إلى النوع العادي المُستخدم في المحادثات. وهكذا اقترح 'فاسولد' توسيع مفهوم ازدواجية اللسان أكثر ليتضمن كل الأوضاع التي تكون فيها رموز اللغات متراصفة اجتماعياً، بغض النظر عن العلاقة اللغوية بين الرموز. وهكذا فإن الذخيرة اللغوية التي تكون أحادية اللغة عند 'فاسولد'، وثنائية اللغة عند 'فيشرمان' أو تكون في الوسط بينهما عند 'فيرغسون' يمكن أن يتم تصنيفها بالازدواجية اللسانية إذا كانت تناسب معايير التراتبية الاجتماعية، مشكّلة استمرارية من النوع الآتي:

|-----------------------------|-----------------------------|

التحويل ثنائي اللغة	ازدواجية اللسان الكلاسيكية	النمط أحادي اللغة
فيشرمان	فيرغسون	فاسولد

لكن وجهة نظري بهذا التوسّع هي أنه بما أنني أوافق على القواسم المشتركة بين الحالات الثلاث، فهي تشكّل تخفيفاً غير مفيد لمفهوم 'فيرغسون' المميز، والأكثر حدة بالأصل. أنا أفضّل الاحتفاظ بمصطلح 'الازدواجية اللسانية' بالنسبة إلى حالة اللغات الكلاسيكية التي

حددها ’فيرغسون. وعندما تكون العمليات واضحة في حالات أحادية اللغة وثنائية اللغة، فأنا أفضل الإشارة إلى تلك الحالات ’بعلاقة ازدواجية اللسان‘ بدلاً من ’ازدواجية اللسان‘ الفعلية.

ازدواجية اللسان: تحذيرات وانتقادات

ازدواجية اللسان مبدأ إنتاجي جداً للسانيات الاجتماعية. ومقالة ’فيرغسون‘ الأصلية مليئة بالتعميمات الواضحة الثاقبة وقد تم نشرها عدة مرات (كوبلاند وجاورسكي، المجلد الرابع). على أية حال، إن مفهوم ازدواجية اللسان، وتعريفها وتطبيقها أيضاً قد أظهر قضايا خطيرة، وتعرّض للانتقادات:

- تساءل العلماء المختصّون بتعاريف ’فيرغسون‘ الأربعة، عن طريقة توصيفه لها (سأل ’كاي‘ (1972) عن مدى ثبات ازدواجية اللسان العربية).
- لقد تغيّرت المواقف في الحالات الأربع بمرور الزمن (وهو ما توقّعه فيرغسون). فقد مرّ على توصيفه الآن أكثر من خمسين عاماً، وربما لم يعد مطبّقاً (انظر التمرين 5.4).
- الأمر الأكثر جوهرية أن الانقسام الموجود في ازدواجية اللسان أمر مشكوك فيه (دوريان، 2002). فمواقف اللسانيات الاجتماعية لا تكاد تكون واضحة بهذه الطريقة، ويعني التصنيف المتضمن في اللسانيات الاجتماعية وضعاً ثابتاً ومتجانساً جداً لا يمكن أن يتناسب مع الواقع على الأرض.
- يمثل النموذج مصطلح "عالٍ/ منخفض" بوصفه وجهة نظر سليمة منطقياً وغير قابلة للنقض، لكن التصنيفات ليست طبيعية (التمرين 5.5).
- يعكس تصنيف ازدواجية اللسان بشكل عام توجّهاً لهذه المواقف اللسانية الاجتماعية التي تعكس الوضع الراهن وتخدمه

(وليام، **1992**). ولا يمكن أن نفصل تحديد رموز اللغة وتقييمها عن تقييم الناطقين بها وموقفهم الاجتماعي، وهم يعالجون وضعاً سياسياً جداً على أنه غير سياسي.

إنها اعتراضات حقيقية ومبدئية من النوع الذي تم توجهه في بعض التمارين المرفقة، والتي سنعود إليها لاحقاً في مناقشة إيديولوجيات اللغة (الفصل العاشر). وعلى الرغم من الإشكالات، أجد أن 'ازدواجية اللسان' تُطبق على تعميم لساني اجتماعي يخص العلاقة شبه الكونية بين الرموز اللغوية في المجتمعات. وعلى أية حال، نحتاج إلى أن نكون حذرين باستمرار، ونتحرى عن المواقف والسلطة الاجتماعية والسياسية التي تكمن خلف هذه الحالات، ولا نعتمد فقط على العبارات الوصفية التي تؤيد عدم المساواة اللغوية.

التمرين 5.5: تطبيق ازدواجية اللسان ونقدها

طبق مبدأ ازدواجية اللسان في مجتمعك:

1- هل يوجد في مجتمعك أية رموز لغوية في علاقة مع ازدواجية اللسان؟

2- مع أي (تعريف، أو تحديد) من (تعريفات) فيرغسون تلتقي هذه الرموز؟

3- أي نوع من ازدواجية اللسان هي؟ أو هل يوجد أكثر من نوع واحد؟ أو ألا تتناسب مع أي من الأنواع الثلاثة الآتية؟

- ازدواجية اللسان الكلاسيكية الخاصة بـ 'فيرغسون'.
- ازدواجية اللسان ثنائية اللغة الخاصة بـ 'فيشرمان'.
- ازدواجية اللسان المرتبطة بالتنوّع والخاصة بـ 'فاسولد'.

نقد ازدواجية اللسان كمبدأ:

4- إلى أي مدى تعزز 'ازدواجية اللسان' فهمنا للطريقة التي ترتبط بها اللغات بالمجتمع؟

5- ما هي الخسائر والمكاسب الناتجة عن توسيع 'فيشرمان' و'فاسولد' لمبدأ 'فيرغسون' الأصلي؟

6- وجد بعض الباحثين اللاحقين أن تصنيف 'فيرغسون' لـ "العالي" و"المنخفض" "*'يدعو للأسف'*" (وليام، 1992)، *و'غير عادل'* (دوريان، 2002). لماذا؟ هل لك أن تقترح تصنيفاً بديلاً لا يخلق مشاكل كهذه؟

7- قيّم المميزات التي عرضها 'فيرغسون' و(حددها أو عرّفها) (التمرين 5.1). متذكّراً النقد الموجود في النص حول الموقف من الوضع الراهن، الذي تضمّنته ازدواجية اللسان، ما هي الطرق البديلة المتاحة للتفكير في العلاقة بين هذا النوع من الرموز اللغوية في المجتمع؟

لا يزال يُشار إلى ازدواجية اللسان بشكل متكرر، وتشكّل الأساس لبعض من عمل في اللسانيات الاجتماعية في القرن الحادي والعشرين (سنة 2010)، لكن بنسبة أقل من السابق. لقد كان في الأصل مبدأً بنيوياً ووظيفياً جداً وفقاً للعلم الاجتماعي الأمريكي في زمانه، وكان أقل تجانساً مع مناهج ما بعد الحداثة. فقضايا اختيار اللغة التي تسعى الذخيرة اللغوية وازدواجية اللسان لمعالجتها تخفي خلفها جزءاً كبيراً من المسألة في القسم الباقي من هذا الفصل – وفي الفصول اللاحقة من هذا الكتاب بالتأكيد. إن فهم التضمين الاجتماعي وأهمية اختيار اللغة هو إلى حد كبير السؤال الأساسي في اللسانيات الاجتماعية، وسوف نعالجها بعدة طرق في هذا الكتاب، بما فيها العلاقة مع مبدأ 'النمط' (الفصل الحادي عشر) الذي يتداخل مع ازدواجية لسان أحادي اللغة الخاص بـ 'فاسولد'.

5.4 تحوّل الرمز

تحوّل الرمز هو أحد الخيارات المُتاحة للناطقين ثنائيي اللغات ومتعددي اللغات. ويحدث عندما يتنقّل الناطقون بين رموز ذخيرتهم اللغوية المتمايزة، وغالباً ضمن الجملة الواحدة أو القول الواحد. إنه نمط ماهر ومعقّد لاختيار اللغة، ويتضمن معالجة تامة للغتين أو أكثر في الوقت ذاته - بنيوياً وسيكولوجياً واجتماعياً. إذ يحمل تحوّل الرمز غالباً الكثير من المعاني الاجتماعية، وربما تكون محاولة شرحها وتفسيرها تحدياً كبيراً.

تحوّل الرمز هو في الوقت ذاته أحد أكثر المجالات الملحّة وأكثرها إثارة للاهتمام في الوقت ذاته وذلك بسبب التعقيد الذي تخلقه في البنى اللغوية؛ إذ يبدأ التحدي مع عدم الموافقة الجذري على ما يمكن اعتباره تحوّلاً في الرمز. وسوف تختلف التعاريف غالباً حتى بين مؤلّفين اثنين مختلفين للمنشور ذاته. فكما يذكر 'ميلروي' و'مويسكن' أن هناك تعاوناً بحثياً أوربياً رئيساً اضطر إلى التخلي عن محاولة إيجاد توافق حول مصطلح تحوّل الرمز. فهناك فارق وحيد يتفق عليه الباحثون وهو التحوّل بين لغتين ضمن الجملة، وضمن المحادثة - ما يحدث بين الجمل مقابل ما يحدث ضمن الجملة ذاتها؛ إذ يُشار أحياناً إلى التحويل داخل الجملة ذاته باسم 'مزج الرموز'. فعالمة اللسانيات الاجتماعية 'شانا بوبلاك'، التي درست التحوّل بين اللغتين الإسبانية والإنكليزية في نيويورك (1980)، حددت فئة ثالثة أسمتها 'تحوّل نهاية الجملة'، حيث التحوّل في نهاية الجملة، كأن نختتم الكلام في اللغة الإنكليزية بعبارة 'كما تعرف - you know'. فالقضية الأساسية هي الامتداد الباقي الذي يجب أن نأخذه بالحسبان - هل هو جملة، كلام، تحوّل الدور في الحديث، أو محادثة؟

تركّز معظم أبحاث تحوّل الرمز على لسانيات التحوّل الإنشائية. وتأتي إحدى المقاربات من عالمة اللسانيات الأمريكية 'كارول مايرز سكوتن'، التي طرحت نموذج 'إطار لغة القالب' في كتابها الصادر عام (1993) بعنوان 'لغات متبارزة'، وتطوّر في إصدارات لاحقة، وبشكل خاص مع 'جانيس جاك' (2009). نزاع 'مايرز سكوتن' الأساسي في تحوّل الرمز أن هناك لغة أو أخرى ستكون مهيمنة دوماً. وهذا ما يُسمى 'لغة القالب'، وهو يضع الإطار البنيوي للجملة التي تم تحويل الرمز إليها: فسيكون نظام العناصر من 'لغة القالب'، التي تؤمّن أيضاً كل المادة البنيوية الضرورية. واللغة الأخرى هي 'اللغة المتضمنة'، التي لا تؤمّن إلا مادة المحتوى. وعلى الرغم من الاستخدام الواسع النطاق، تعرّض نمط 'إطار لغة القالب' للكثير من الاعتراضات من باحثين آخرين (أوير، 2007 مثلاً). لقد أوضحوا أن لغة القالب يمكن أن تتغير من جملة إلى جملة، وقد لا يكون من السهل معرفة أي لغة هي القالب في الواقع، أو كيف يمكن تصنيف الوحدة المورفولوجية التي لا يمكن تقسيمها. فالمثال 5.2 يُظْهر جملة تتضمن أربعة تحويلات بالرمز، وهي مُشتقة من بحث مكثّف لـ 'مايرز سكوتن' حول اللغة الإنكليزية – السواحلية في كينيا. التحويل الممتد بين عدة لغات في الوقت ذاته هو أمر غير اعتيادي أبداً كما يتضح من بحث لـ 'ميغ' (2007) حول لغات الغابات المطيرة في سورينام وغويان في شمال أمريكا الجنوبية.

المثال 5.2: تحوّل الرمز في كينيا

يأتي هذا المثال من طالبين في نيروبي يناقشان واجباتهما المدرسية في اللغة السواحلية والإنكليزية (مايرز سكوتن، 1993)، إذ تحدد 'شريطة الوصل' الأجزاء المورفولوجية المترابطة، التي لا يمكن فصلها.

leo	Si-	-ku-	-come	na	books	z-	angu
today	1s/neg	Past/neg	come	with	books	Cl 10	my
Today I didn't come with my books							
لم آتِ بكتبي اليوم							

عالجت 'مايرز سكوتن' اللغة السواحلية هنا كـ 'لغة قالب'، واللغة الإنكليزية كـ 'لغة متضمنة'. لقد بدأ المتحدث جملته بكلمة 'سواحلية' ثم انتقل بين اللغتين في الكلمات الباقية من الجملة. فوفّرت الإنكليزية كلمتين من المحتوى - الفعل الأساسي 'أتى - come'، والاسم 'كتب - books'. وجاءت المادة البنيوية من اللغة السواحلية: الاسم المفرد للشخص الأول '-Si'، دلالة الفعل الماضي '-ku-' علامة النفي، حرف الجر 'na'، وعلامة '-z' على صيغة الملكية (تحديد الاسم الإنكليزي 'كتب' على أنه ينتمي إلى المستوى العاشر من أصل خمسة عشر مستوى في السواحلية).

5.5 اللسانيات الاجتماعية المتعلّقة بتحويل الرمز

غالباً ما يكون تحوّلُ الرمز ذا معنى اجتماعي، ومعظم علماء اللسانيات الاجتماعية قد اختبروا كيفية سير هذا الأمر. وهو يُطلق ردود أفعال قوية من قِبَلِ المستمعين. كما يميل الرأي العام إلى تشويهه من داخل المجتمعات الناطقة باللغة، ومن خارجها أيضاً، وغالباً ما يُعتبر شبه لغة مشوّهة فاسدة. وهذا ما يؤدي إلى ظهور توصيفات مُسيئة مثل "إسبانغليزي، فرنسغليزي، أو صينغليزي"، بسبب مزجها الكبير بين لغاتها الأصلية واللغة الإنكليزية. وعلى أية حال، ويُظهر البحث أن تحوّل الرمز سلوك روتيني لدى جميع المجتمعات ثنائية اللغة أو متعددة اللغات. يُظهر التمرين (5.6)

رسالة مطوّلة للتحويل كان عنوانها، بشكل ساخر، 'ممارس التحويل بحد ذاته'.

التمرين 5.6: مواقف تحويل الرمز

لدينا هنا حالة ثنائية لغة (بنجابي – إنكليزي) من دراسة أعدها 'روماني' (1995)، وهي تناقض موضوع تحوّل الرمز:

النص في أثناء المزج بين اللغتين:

I mean I'm guilty in that sense ke ziada ωsi English i bolde fer ode nal eda hωnda ke tωhadi jeri zəban ε, na? Odec hər ik sentence ic je do tin͂ English de word honde ... but I think that's wrong. I mean, mə khəd cˇ ana mə ke, nα, jədo Panjabi bolda ε, pure Panjabi˜ bola ωsi mix kərde rε̃ ne ã. I mean, unconsciously, sub-consciously, kəri jane ε, you know,˜ pər I wish, you know ke mə pure Panjabi bol səkα.

النص باللغة الإنكليزية:

I mean I'm guilty as well in the sense <u>that we speak</u> English <u>more and more, and then what happens is that when you speak your own language, you get two or three English words in each sentence</u> ... but I think that's wrong. I mean, <u>I myself would like to speak pure Panjabi whenever I speak Panjabi. We keep</u> mixing. I mean unconsciously, subconsciously, we keep doing it, you know, but I wish, you know, <u>that I could speak pure Panjabi.</u>

أعني أنني أشعر بالذنب أيضاً، بمعنى أننا نتحدث الإنكليزية كثيراً، وما يحدث هو أنه عندما تتحدث أنت لغتك الخاصة، تحتاج إلى كلمتين أو ثلاث كلمات إنكليزية في كل جملة... لكن أعتقد أن هذا خاطئ. أعني، أنا نفسي أحب أن أتحدث لغة البنجاب الصرفة متى كنت أتحدث مع شخص من البنجاب. فأنت مستمر بالمزج بين اللغتين. أعني من دون وعي، أو بحالة نصف وعي، نستمر بفعل ذلك، لكن أتمنى لو كنت أستطيع أن أتحدث لغة البنجاب الصرفة.

1. في النص السابق، حدد ثلاثة أنواع من تحويل الرمز، تم ذكرها في بداية النص:

- في جملة، أو على حدود الجملة.
- ضمن الجملة ذاتها.
- كما في قول 'أنا أعني – I mean'.

2. قم باستنباط الوصف الذي يعطيه المتحدّث لتحويل الرمز، والمواقف التي يعبّر عنها، أعطِ تقييماً لذلك.

3. تأمّل موقف المتحدث من تحويل الرمز في ضوء مقدار 'تحويل الرمز' الذي يستخدمه في المقطع ذاته.

'غومبيرز': تحوّل الرمز التفاعلي

كانت الطريقة التي يعمل فيها تحوّل الرمز في محادثة محور تركيز الأنثروبولوجي اللغوي الأمريكي 'جون غومبيرز'، وهو أحد الشخصيات الأساسية في علم اللسانيات الاجتماعية. ومؤسس 'اللسانيات الاجتماعية التفاعلية' التي سنتعامل معها بشيء من التفصيل في الفصل (6.6). لقد درس حالات ثنائية اللغة في مواقع يكثر فيها التنوّع كالهند وأستراليا والنرويج وكاليفورنيا، ولخّص معظم عمله في كتابه الصادر عام (1980). وكان اهتمامه الأساسي منصبّاً على طريقة عمل

التحويل أثناء حدوث محادثة ما بغضّ النظر عما إذا كانت الرموز المُدخلة من لغات متغايرة، أو كانت إحدى تنوّعات اللغة ذاتها.

لاحظ 'غومبيرز' أن تحوّل الرمز في المحادثة قد وقع في تفاعلات كانت طليقة وموحّدة كما لو أنها عملية تبديل أحادية اللغة - باستثناء أنهم يدخلون لغتين وليس لغة واحدة. وربما تكون التحوّلات ملحوظة بالنسبة إلى الغرباء أو اللغويين، لكن من النادر أن يلاحظها المشاركون كونهم منغمسين في معنى المحادثة، وليس بشكلها اللغوي. ومن خلال سعيه لتعريف المشغّلات الأساسية لهذا التحويل، وجد 'غومبيرز' (1982) أنها تتضمن الآتي:

- تقديم اقتباس مباشر أو نقل كلام مذكور مُسبقاً.
- اختيار من تتم مُخاطبته بشكل مباشر.
- مداخلات.
- تأكيدات.
- رسائل معترف بها رسمياً.

خذ هذا التحوّل (الهندي/ الإنكليزي) من طالب في جامعة ثنائية اللغة في دلهي:

I went to Agra,	to maine əpne bhaiko bola ki,	If you come to Delhi you must by some lunch
	Then I said to my brother that	
ذهبت إلى 'أغرا'، ثم قلت لأخي، إذا أتيت إلى دلهي عليك أن تشتري طعام الغداء.		

وجد 'غومبيرز' أن التحويل يعرض اقتباساً - شائع الاستخدام. ربما يتم تكرار الرسالة في أحد الرموز، أو يتم تعديلها

إلى رمز آخر، وذلك لتوضيح ما قيل، أو تضخيمه والإصرار عليه. ويتضمن هذا التحويل تكراراً من قِبَلِ متخصص في لغة 'تشيكانو' في كاليفورنيا، وهو يتحدث عادة اللغة الإسبانية في المنزل، والإنكليزية في باقي الأماكن:

I got to thinking	Vacilando el punto ese	You know? I got to thinking well this and that reason
	Mulling over that point	
عليّ التفكير ملياً بهذه النقطة، أتعرف؟ عليّ التفكير جيداً بهذا السبب وذاك.		

اقترح 'غومبيرز' أنه في الحالات ثنائية اللغة، هناك ميل لوجود ('رمز - نحن - We' و'رمز - هم - they') - فإحدى اللغات ستكون مرتبطة عادة بالأقلية، وحياة الناطقين بها من داخلها، والأخرى مع من هم خارج المجموعة، أي المجتمع الأكثر اتساعاً (مشابه لازدواجية اللسان). وللتحري عما يعنيه تحوّل الرمز في المجتمع المتحدث، أعاد 'غومبيرز' تشغيل شريط تسجيل عن تحول الرمز وطلب من الأعضاء تفسيرها. فصرّح المستمعون بأن قلب نظام اللغات في تحوّل الرمز يمكن أن يشكّل فرقاً بسبب انعكاس رمز 'هم/ نحن'. وقد تم الاستماع إلى والدة 'روبيرتو ريكان' وهي تنادي ابنها في 'نيويورك':

Ven acá.	Ven acá.	Come here, you.
Come here,	Come here,	Come here, you.
تعال، تعال، تعال، هيه أنت.		

فسّر المستمعون التحوّل إلى ('رمز - هم - 'they) الإنكليزي كتحذير للطفل. لكن عندما انعكس النظام، وأصبحت الإنكليزية أولاً، وتبعها 'رمز - نحن'، الإسباني، بدا وكأنه مناشدة:

Come here.	Come here.	Ven acá.
تعال، تعال، تعال إلى هنا.		

كانت إحدى أهم أفكار 'غومبيرز' المثمرة هي التمييز ما بين تحوّل الرمز الظرفي والمجازي الذي قام على بحث في مستوطنة 'هيمنسبيرغيت' في شمال النرويج ('بلوم' و'غومبيرز'، **1972**). في التحوّل الظرفي، فهناك ترابط دوري بين اللغة والحالة الاجتماعية، ويبقى التحوّل طوال فترة بقاء الحالة؛ إذ لاحظ الباحثون أن ولوج الدخلاء إلى المجموعة المحليّة في هيمنسبيرغيت قد أطلق شرارة التحوّل من لهجة 'الرونامال' إلى طريقة الكلام الرسمية القياسية 'البوكمال'. كما أدّى الانتقال من الأعمال إلى المواضيع الاجتماعية تحوّلاً من الكلام الرسمي القياسي إلى استخدام اللهجة. ويعكس هذا التحوّل الظرفي القواعدَ المقبولة من ناحية اختيار اللغة المناسبة لجمهور معيّن أو مواضيع معيّنة. فتداول التحوّلات المجازية في هذه الارتباطات الدورية يستخدم اللغة بشكل نشيط لإدخال نكهة الإعدادات الغريبة إحداها في سياق الأخرى. وهكذا، ففي محادثة بلغة قياسية معيارية، يتم تقديم الأشكال المحلية لإنتاج لون قصصي (يأخذ شكل الحكاية). وبالتناقض مع ذلك، ظهرت الأشكال المعيارية القياسية كادعاء للسلطة الفكرية خلال محادثة أُجريت باستخدام اللهجة. إن تفريق 'غومبيرز' الظرفي المجازي قد تم تطبيقه على نطاق واسع في دراسة نمط اللسانيات الاجتماعية التي سنبحثها بشكل أعمق في الفصل الحادي عشر.

مایر – سکوتن: النموذج البارز

طوّرت 'مايرز سكوتن' نهجاً للعمل الاجتماعي لتحويل الرمز، والذي كان مشابهاً لنهج 'غومبيرز'. ظهر هذا النموذج بشكل مفصل في كتابها الصادر عام (1993) بعنوان "الدوافع الاجتماعية لتحويل الرمز"، واتضح فيه تصنيف التحوّل ضمن فئتين هما 'الخيارات البارزة' و'الخيارات غير البارزة، أو العادية'. الخيارات غير البارزة هي الخيارات التي تكون متوقعة واعتيادية ومتكررة. وهي تتناقض مع الخيارات البارزة التي تكون غير متوقعة ولا اعتيادية، وهي نادرة الحدوث. وقد يكون من الصعب تقييد 'البروز' وتحديده، لكنه مبدأ يُمسك بما هو هام بشأن الأهمية الاجتماعية للخيارات اللغوية.

يحافظ 'النموذج البارز' على أن العديد من التفاعلات تحمل توقعات عن 'حقوق وواجبات' معينة تعني أن أحد خيارات الرمز 'غير بارز'. كما تكون الخيارات الأخرى في الحالة أكثر بروزاً لأنها لا تتوافق مع تلك الحقوق والواجبات. وقد جاءت الكثير من أمثلة 'مايرز سكوتن' من التبادلات ثلاثية اللغات في كينيا حيث تتفاعل اللغة الإنكليزية مع اللغة السواحلية (اللينغوا فرانكا) مع الكثير من اللغات المحلية. تكون اللغة السواحلية عادة خياراً غير بارز في أثناء توجيه الكلام إلى أفريقي آخر محلي بشكل واضح. وإذا تبين أن هذا الشخص من المجموعة الإثنية نفسها، تكون اللغة الاثنية المشتركة هي المتوقعة. لكن إذا كان الوضع يسير في مكتب الياقات البيضاء في العاصمة نيروبي، فإن الخيار غير البارز هو اللغة الإنكليزية. لاحظ التشابه بالنهج أيضاً من خلال المجالات وازدواجية اللسان.

يشدد النموذج على الموقف الاستباقي (أو ردّ الفعل) للمتحدثين، وعلى مناقشة الخيارات الاستراتيجية القائمة على أهدافهم التفاعلية الخاصة، والمواقف الاجتماعية التي يكونون فيها، والبيئة

اللسانية الاجتماعية الواسعة المحيطة بهم؛ إذ يعمل هذا 'البروز' لأن لدى المجتمعات معايير تؤطّر النتائج التفاعلية والاجتماعية لهذه الخيارات، مع أنها لا تتحكم بخيارات المتحدث. كما تشير جميع الخيارات إلى وجود توازن شخصي معين بين المشاركين. وتعيد التحوّلات البارزة تعريف هوية المتحدث ومسافته الاجتماعية عن الشخص الذي يوجّه إليه الخطاب. وربما تستثني، على سبيل المثال، الدخلاء على مجموعة معينة من خلال التحوّل إلى لغة لا يفهمها الدخلاء.

بالإضافة إلى التشابه مع التمييز المجازي الوضعي الخاص بـ 'بلوم' و'غومبيرز'، يتشابه 'نموذج البروز' مع أنماط لسانية لغوية سنعالجها في الفصل (11.3). وتجادل 'مايرز – سكوتن' بأن هناك حالات يمكن فيها لتحوّل الرمز أن يعمل كخيار غير بارز. ويُعتبر استمرار تحوّل الرمز في هذه الحالة هو القاعدة، دون أي معنى اجتماعي خاص يلتزم بالتحوّلات الفردية. إنه تفاعل بين لغتين يشير إلى اعتراف المتحدثين بالانتماء مثلاً إلى هوية اللغتين الوطنية والمحلية. وهكذا فإن الشباب في هيرارا، عاصمة زيمبابوي، يحافظون على التحوّل بين اللغة الإنكليزية واللغة الوطنية 'الشونا'، لأنهم يرغبون في التبعية لمكانة اللغة الإنكليزية وهيبتها بالإضافة إلى تبعيتهم للغة أسلافهم، لغة الشونا (مايرز سكوتن، 1993).

أوير: تحوّل الرمز كممارسة

لقد التقط باحثون، من أمثال محلل المحادثات الألمانية 'بيتر أوير' تركيز، 'غومبيرز' على كيفية دمج تحوّل الرمز في تدفق التفاعل ثنائي اللغة، وما يعنيه لأفراد المجتمع. فتحليل المحادثات عبارة عن منهج لدراسة محادثة (أحادية اللغة عادة) لا أستطيع تخصيص مساحة خاصة بها في هذا الكتاب. ويكفي القول إنها تركّز على التفاصيل

البسيطة في المحادثات اليومية من خلال تحليل دقيق لكيفية حدوث الانعطاف مثلاً.

قام بحث 'أوير' الأصلي مع مجموعة ثنائية اللغة من المهاجرين الإيطاليين الأطفال في مدينة 'كونستانز' الألمانية على بحيرة جينيف، وقد أوردنا المثال (5.3) من تلك الدراسة؛ إذ وجد 'أوير' أن تناوب لغتهم كان بين الجمل وليس ضمن الجملة ذاتها، وافترض أربعة أصناف لكيفية عملها، وقمت أنا بجدولتها كما يلي:

	نقل	تحويل الرمز
علاقة المشارك	x	x
علاقة الحوار	x	x

أولاً، يكون التبديل إما نقلاً (والذي كان في معظمه معجمياً) أو تحوّلاً للرمز. ويميل النقل لأن يكون متبوعاً بانتقال إلى اللغة السابقة، بينما يبقى التحوّل مع الخيار الجديد للغة. بالنسبة إلى هؤلاء الطلاب، كانت اللغة الألمانية مهيمنة. وكانت تحوّلات الرمز غالباً من الإيطالية إلى الألمانية، وأدخل النقل كلمات ألمانية في محاورة إيطالية. ثانياً، كان أساس التبديل إما منسوباً للمشارك (بسبب تفضيل المتحدث للغة أو تمكّنه منها) أو منسوباً للحوار، وهذا يعني وضع إشارات على ما يفعله المتحدث أثناء التفاعل كتبديل الموضوع مثلاً. وهكذا فإن تحويل الرمز هو ما أسماه غومبيرز (1982) 'contextualization cue' – إحدى الوسائل التي من خلالها يشير المتحدثون، ويفسّر المستمعون، تفاعلهم ومحتواه.

المثال 5.3: انتظر يا 'بينو'

يعود هذا المثال إلى 'أوير' (1988). 'حرف 'm' هو رمز الباحث الميداني في هذا المشروع، مع ولدين أخذا جزءاً من هذه الدراسة.

((أخذ 'm' كلاً من 'لوزيانو' و'بينو' في سيّارته إلى منزله. توقفت السيارة، وأوشك الثلاثة على الخروج))

là là si apre, là sotto	m:	06	70:
ah là	Lz.:	07	
Pino – – willscht rau:s – wart mal		01	71:
wart mal Pino		02	

الترجمة (الإيطالية بالخط العادي، والألمانية بالخط العريض).

هنا، هنا، يمكنك أن تفتحه، هناك	m:	06	70:
أوه، هنا؟	Lz.:	07	
بينو – هل تريد أن تخرج - انتظر		01	71:
انتظر يا بينو		02	

يذكر 'أوير' أن تحوّل 'لوزيانو' في السطر (**71:01**) هو جزء من إحداث تغيير في 'مجموعة المشاركين'. فكلمته 'ah là' كانت موجّهة إلى العامل في الميدان، مقرّاً بتوجيهاته حول كيفية فتح باب السيارة. فقد تحوّل 'لوزيانو' حينها إلى اللغة الألمانية ليعطي الأوامر إلى الشاب الأكبر، بينو.

تبدأ عملية التحول في الرمز في المحادثة من افتراضات تختلف جذرياً كمناهج بنيوية من نوع 'إطار لغة القالب' الخاص بـ مايرز سكوتن؛ إذ لا ينبغي بثنائية اللغة أن تكون مقدرة بل سلوكاً، وأن يوصف المتحدث بأنه ثنائي اللغة يعني أن يمارس ثنائية اللغة لا أن يكون ثنائي اللغة (أوير، **1988**). لأن الوحدة التي ستخضع للتحليل هي الحوار بحد ذاته، ويمكن لتحوّل الرمز أن يُفهم فقط في ضوء

الخيارات التي تم اتخاذها واتباعها. فلهذا الأمر ميزة التأكيد على أنه في تحوّل الرمز، يؤدي أحد الخيارات إلى خيار آخر.

تساءل 'أوير' ما إذا كان بالإمكان تخفيض المحادثة ثنائية اللغة إلى 'حديث أحادي اللغة ثنائي الجانب' (**2007**)، إذ يعود هذا جزئياً إلى صعوبات معرفة أين تتوقّف إحدى اللغات في محادثة ممتزجة، وأين تبدأ الأخرى. والأهم من ذلك أنه يُمكن للمتحدثين أن يستخدموا، عن سابق إصرار، غموض عنصر معيّن من لغات ذات صلة للبدء بعملية التحوّل. يقدّم هذا المثال الذي طرحته 'كاثرين وولارد' (**1999**) المناورة الافتتاحية القياسية التي استخدمتها الكوميدية الكاتالونية 'إيوجينو' في ثمانينات القرن العشرين، تلك الفترة التي كان فيها الخيار بين اللغتين الإسبانية والكاتالونية بارزاً بشكل مميز:

el	saben	Aquel...
him	know	This- one....
Do you know this one...		
هل تعرف هذا الشخص....		

الكلمة الأولى كاتالونية والثالثة من اللغة الإسبانية القشتالية، لكن كلمة 'saben' التي تعني 'تعرف'، هي إما من إحداهما – أو من كليهما. وصفت 'وولارد' كلمة 'saben' بأنها 'ثنائية التكافؤ'، أي إنها تنتمي إلى الرمزين كليهما. إن تهجينها هو مصدر الفكاهة، وهو يجعل من المستحيل التحديد بدقّة أين يحدث الانتقال بين اللغتين. وقد نظرت دراسة 'وولارد' اللاحقة في النصوص الكاملة التي تُعتبر 'ثنائية التكافؤ': يمكن قراءتها إما كإسبانية أو كلاتينية، وهي مصوغة عمداً كاستراتيجية لتعزيز مكانة اللغة الإسبانية من القرن السادس عشر

(وولارد وجينوفز، 2007). تذكّر تشديد 'هيلارد' (في الفصل الثاني) على طلاقة اللغات وحدودها.

5.6 حالة 'أوبرفارت'

دراسات 'سوزان غال' عن مجتمع 'أوبرفارت' ثنائي اللغة هي إحدى طرق البحث الكلاسيكية في اختيار الرمز الفردي والمجتمعي. فقد بدأت اللغوية الأنثروبولوجية الأمريكية بحثها لنيل شهادة الدكتوراه في هذه المدينة على الحدود النمساوية المجرية في سبعينات القرن العشرين. وهي تقع أيضاً على الحدود اللغوية الألمانية المجرية التي كانت ثنائية اللغة لقرون طويلة. يأتي الاسم من الترجمة الألمانية عن المجرية 'Felsöör'، وهو يعني 'الحارس الأعلى أو الخفير الموجود في الأعلى'. فقد انتقلت المنطقة سياسياً بين النمسا والمجر مع تغيّر الحدود الدولية، لكنها بقيت جزءاً من النمسا منذ العام (1921).

'لا يستطيع الفلاحون اتخاذ زوجات لهم'

استقبلت 'أوبرفارت'، منذ الحرب العالمية الثانية، العديد من المهاجرين الناطقين بالألمانية، وخضعت للتوسّع والتحضر والتطوّر الصناعي على النمط النموذجي لأوروبا ما بعد الحرب. وقد حوّلها هذا الأمر من مجتمع ريفي يركّز على الزراعة إلى بيئة تشبه بيئة المدن. كما قدمت دراسة 'غال' الصادرة عام (1979) توصيفاً ثرياً وفريداً للسمات الاجتماعية للبلدة وسكانها، وأخبرتنا قصصاً عن الاختلافات الاجتماعية التي تجلّت في التاريخ والعمارة والخطط المدنية ونمط الحياة – واللغة أيضاً. وعلى الرغم من سيطرة ثنائيي اللغة في 'أوبرفارت' على مجموعة أنماط في اللغتين كلتيهما، واستخدامهم هذه المجموعة لوظائف اجتماعية متعددة، فإن خيارهم اللغوي الأساسي هو بين تلك اللغتين: 'الاختيار بين اللغتين هو أكثر تميّزاً لغوياً، وأكثر

أهمية اجتماعياً من الاختلافات في الأسلوب ضمن كل لغة على حدة' (غال، **1979**).

في سبعينات القرن العشرين، أعطى المجريون في 'أوبرفارت' رمزية لحالة الفلاحين، وتم إهمالها لأن حالة الفلاحين ذاتها لم تعد محترمة. وقد ميّزت 'غال' صفة أو علامة 'فلاحين' وكأنها 'فئة ثقافية أصلية' – إنها علامة بأن الناس اعتادوا على توصيف أنفسهم أو الآخرين، كـ 'مزارعين - Bauer' باللغة الألمانية. كما يريد الناس من جيل الشباب أن يُتاح لهم الحصول على وضع جديد ليكونوا عمالاً موظّفين وليس فلاحين، وعالم العمل يتحدّث اللغة الألمانية. ولهذا السبب، تحمل اللغة الألمانية هيبة أكبر من اللغة المجرية؛ إذ أصبحت عبارة: 'لا يمكنك المضي قدماً دون اللغة الألمانية' أشبه بقول محلي شائع قابل للتطبيق جغرافياً واجتماعياً واقتصادياً. أما في مصطلحات ازدواجية اللسان، فاللغة الألمانية هي العليا والمجرية هي الدنيا. وظهرت إحدى النتائج المترتبة على تزايد الانقسام الاجتماعي اللغوي في العنوان الواضح لمقالة نشرتها 'غال' عام (**1978**) "لا يستطيع الفلاحون اتخاذ زوجات لهم'. فلا تريد الشابات في 'أوبرفارت' 'جرف روث البقرة'، وهذا يؤثر في قراراتهنّ في الزواج. والنتيجة الأخرى هي أطفال يأتون من زواج بين طرف ألماني أحادي اللغة، وطرف ثنائي لغة تعلّم الألمانية فقط، وليس المجرية.

خيار اللغة في 'أوبرفارت - Felsöör'

ضمن هذا السياق، يكون الاختيارُ بين لغتين ذاتّي معنىً اجتماعي. ويوضح الجدول (**5.1**) الخيارات التي لاحظتها 'غال' لأربع عشرة امرأة ثنائية اللغة (في الأنساق) أثناء تفاعلهن مع أحد عشر صنفاً ممن تتم محاورتهم (الأعمدة) – في مقالتها الصادرة عام (**1978**)، ركّزت 'غال' جزئياً على النساء ودورهن في انتقال اللغة. والجدول عبارة عن

مقياس 'ضمني'، وهو تقنية قد لا تُستخدم كثيراً في الوقت الحاضر، لكنها في الأيدي الماهرة كأيدي 'غال'، تُقدّم طريقة تنويرية لعرض السلوك اللغوي الاجتماعي الفردي في سلسلة متصلة (1979). كما تمثل كل خلية مجموعة واحدة مكوّنة من علاقات متحدث وشخص تتم محاورته، والخيار اللغوي المفضّل لهما. مثلاً، الخلية الناتجة عن تقاطع النسق الثاني عشر مع العمود التاسع، تمثل الخيار اللغوي لامرأة في عامها الرابع والستين عندما تتحدث مع ولدها - باللغة المجرية. فكلمة 'ضمني' تعني أن وقوع اللغات في الخلايا من المتوقّع أن يتشكّل بحيث إنه إذا وقعت اللغة 'H' (المجرية)، مثلاً، في خلية معيّنة، فإن كل الخلايا أسفلها وإلى اليسار منها ستكون 'H' أيضاً (كما حدث بالنسبة إلى الخلية الناتجة عن النسق الثاني عشر والعمود التاسع). وإذا وقعت اللغة 'G' (الألمانية) في خلية، فإن جميع الخلايا فوقها وإلى اليمين منها سوف تكون 'G' (كما في الخلية الناتجة عن تقاطع النسق الثاني مع العمود الخامس). وبالنتيجة فإن زاوية من الجدول ستكون فيها اللغة المجرية فقط (هنا، الأسفل واليسار)، والزاوية المقابلة ستكون فيها للغة الألمانية فقط (الأعلى والأيمن). إذا كان المقياس مثالياً، فإن رموز 'G' ورموز 'H' ستلتقي في الوسط. وربما يقع كلاهما في الخلايا ذاتها حيث تلتقيان، لكن في مقياس مثالي، لن يحدث التقاطع أبداً. لقد تم تنظيم المقياس لإنتاج أفضل تطابق، أي مع أقل عدد من الخلايا المتقاطعة التي تُظهر رمز 'H' ضمن 'منطقة' الرمز 'G' (كما في النسق الثالث والعمود التاسع) أو العكس. فعدد الخلايا التي تخرج عن الترتيب تخبرنا عن جودة التطابق. في الجدول (5.1)، والتطابق جيد بوجود ثلاث خلايا منحرفة فقط (لا تدخل الخلايا الفارغة في الحساب).

الجدول 5.1: اختيار النساء ما بين الألمانية والمجرية أثناء الحديث إلى محاورين مختلفين بناء على ملاحظة الباحث.

المتحدث		المحاورون										
No.	العمر	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11
1	25	H	HG	HG	G	G	G	G	G	G	-	
2	15	H	HG		HG	G	G	G			-	
3	23	-	H	HG	HG	-	HG	G		HG	-	
4	27	-	H		HG	G	G	-			-	
5	39		H		HG	-	HG	G	G	G	-	
6	52	H	H	-	HG	HG	-	-	HG	G	-	G
7	17	H	H		HG	-	HG	-			-	
8	59	H		H	H	H	H	H	H	HG	-	HG
9	43	H			H	-	-	-	HG	HG	-	
10	54	H		H	H	H	H	-	H	HG	-	-
11	63	H				H	H	H	H	H	-	HG
12	64	H				H	-	-	H	H	-	HG
13	66	H				H	H	-		H	-	HG
14	71	H				H		H		H	-	H

المحاورون

1- الإله
2- الجد والجدة وجيلهم
3- عملاء السوق السوداء
4- الأهل وجيلهم
5- الأقران
6- الأقرباء
7- البائعون
8- شريك الزواج
9- الأطفال مع جيلهم
10- مسؤولون حكوميون
11- الأحفاد مع جيلهم

ملاحظات:

الخلية الفارغة: لا يوجد بيانات، غير قابلة للتطبيق

إشارة (-): لا يوجد بيانات كافية

المصدر: مقتبس عن (غال، 1979)، الجدول (4.1)

بالنظر إلى الأعمار الواردة في الجدول، لاحظ أن المقياس قد قدّم ترتيباً تقريبياً للمتحدثين من الأصغر سناً إلى الأكبر، من الأعلى إلى الأسفل. والترتيب عبر الصفحة بالنسبة إلى المحاورين الذين لديهم صلة قرابة هو بوضوح من الأكبر سناً من الجهة اليسار (العمود الثاني) إلى الأصغر من جهة اليمين (العمود الحادي عشر). لقد تم ترتيب المتحدثين بهذه الطريقة لتقديم النموذج الأكثر تناسقاً بين رمزي 'G' و'H'، وليس بشكل مباشر بسبب العمر. وهذا يعني أن الترتيب العمري الظاهر في الجدول ناتج في الواقع عن البيانات، وليس قراراً مُسبقاً. أي إن الجدول يعطي أدلة على أنه كلما كنت أكثر شباباً، كان مرجّحاً أن تستخدم الألمانية أكثر، وكلما كان المُخاطب أكثر شباباً، كان من المرجح أكثر استخدام اللغة الألمانية معهم - والعكس صحيح بالنسبة إلى اللغة المجرية.

بالإضافة إلى نمط العمر، هناك أيضاً تدرّج من اليسار إلى اليمين عبر الجدول، من السياقات الأكثر ألفة وحميمية إلى السياقات الأكثر شعبية. ويمكن اختصار هذا الترتيب الأفقي إلى ارتباط مُفرد، بحسب 'غال' (1979) - ذلك المتعلّق بـ 'الحضريين' أو 'النمساويين' كمعاكس لـ فلاحين/ مجريين - على الرغم من أن ذلك يرتبط بالعمر بشدّة. إلا أن النتيجة التي وصلت إليها 'غال' - وهي التي سيكون لدينا سبب للعودة إليها عندما نعالج نمط اللغة في الفصل الحادي عشر - هي أنه 'لا يحدد خيار اللغة سوى هويّة المشاركين' (1979). ففي معظم الحالات اللسانية الاجتماعية من هذا النوع، يكون العامل الهام جداً في تحديد خيار الرمز معرفة من هو المتحدث ومن هو الشخص الذي يتم الحوار معه.

هناك قضية أخرى أيضاً وهي ما إذا كانت 'أوبرفارت' تمثّل حالة ازدواجية لسان (انظر التمرين **5.7**). من ناحية موقفها الاجتماعي، فلدى اللغة المجرية الكثير من خصائص اللغة العليا - قواميس، قواعد، أدب وما إلى ذلك (لقد عالجت 'غال' السياسات الاجتماعية للغة المجرية في عملها اللاحق، 'غال' و'وولارد'). إنها تُعتبر داخل 'المجر' لغة عالية بالنسبة إلى لغة الأقلية التي تُعتبر لغات متدنية. لكن هل يمكن في الوقت نفسه أن تكون لغة 'متدنية' أمام اللغة الألمانية العالية في مدينة 'أوبرفارت' في النمسا؟ تذكّرنا الحالة بأن المواقف الاجتماعية من اللغات ليست ثابتة بعلاقتها بالمكان والزمان. وربما تُعتبر اللغة ذاتها لغة ذات مكانة عالية في مكان معيّن، ولغة متدنّية في مكان آخر. ففي المكسيك مثلاً، اللغة الإسبانية لغة ذات مكانة عالية قياساً بالعديد من اللغات الأخرى؛ بينما في الولايات المتحدة المجاورة لها، تصبح اللغة الإسبانية لغة متدنية أمام اللغة الإنكليزية ذات المكانة العالية.

يمكن أن يختلف التقييم الاجتماعي للغات بمرور الزمن أيضاً؛ إذ يبقى استخدام اللغة المجرية في الكنيسة (المُحاور الأول) كحالة تذكير بالمعايير اللسانية الاجتماعية السابقة للمجتمع. وقد بقيت 'أوبرفارت' جزءاً من المجر إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت اللغة المجرية هي اللغة الوطنية، وليست الألمانية. كما كانت اللغة الأكثر أهمية في مجالات الحكومة والتعليم ووسائل الإعلام والكنيسة حتى عام (**1921**) (غال، **1979**)، حيث تم انتقال هذه المدينة إلى ضمن حدود النمسا، وأصبحت الألمانية هي اللغة الوطنية. ويبدو الموقف الديني من اللغة المجريّة أنها تُعتبر من بقايا المكانة السابقة للغة. لذا سيركّز الفصل العاشر على إيديولوجيات لغوية من هذا النوع، بما فيها عمل 'غال' اللاحق.

التمرين 5.7: تفسير اختيار اللغة في 'أوبرفارت'

حدد في الجدول (5.1) نماذج اختيار اللغة وفسّره، مثلاً:

1. يُشير اسم'الإله'، بوصفه مُخاطباً، إلى لغة تُستخدم في خدمات الكنيسة العامة (غال، 1979)؛ إذ يقول الجميع إنهم يستخدمون اللغة المجرية في الكنيسة. لماذا يكون الوضع على هذا النحو من وجهة نظرك؟

2. فسّر استخدام هذه اللغات مع 'عملاء السوق السوداء' (3). تقول 'غال': هؤلاء هم الناس الذين جاؤوا إلى بلد المتحدثين باللغة لتقديم خدمات كالإصلاح والتجديد، وهي خدمات هم غير مخوّلين بإنجازها.

3. انظر في الأعمدة التي تتضمن العمر/ الجيل بالنسبة إلى الأقارب، من الأجداد إلى الأحفاد (2، 4، 6، 8، 9، 11). تفحّص نماذج الاختيار، واقترح مبررات لما تجده. فسّر، على سبيل المثال، لماذا يكون استخدام اللغة مع الأحفاد (11) ثنائي اللغة في الغالب في جميع الأعمدة.

4. يُظهر الجدول أن اختيار اللغة يهتم بالعمر بشدة بحسب المتحدثين والمُحاورين. ما الذي تعنيه برأيك هذه التدرّجات بالنسبة إلى مستقبل العلاقة بين اللغات؟

5. هل تجزم بأن مدينة 'أوبرفارت' هي حالة ازدواجية لسان (بحسب تعريف 'فيشرمان')؟ حاول تقييم العلاقة بين اللغة الألمانية والمجرية بحسب المعايير الموجودة في (5.3). هل من الممكن للغة المجرية أن تكون لغة 'متدنية' في النمسا، ولغة 'عالية' في المجر؟

6. ما هي النماذج الأخرى التي لفتت نظرك في الجدول، وما هي المبررات؟

أخيراً، لاحظت 'غال' أن تحويل الرمز في المجتمع الناطق بلغة معينة نادر جداً (1979)، بالتناقض مع المستوى المتطرّف للتحوّل الظاهر في التمرين (5.6) مثلاً. إن تحوّل الرمز ليس منتشراً في جميع الحالات ثنائية اللغة.

5.7 نشاطات البحث

المراقبة مقابل التقارير المُعدّة ذاتياً

كما رأينا في الفصل الثاني، فإن الطريقة القياسية لجمع معلومات عن خيارات اللغة في التقاليد اللغوية والاجتماعية والنفسية هي استطلاعات المسح الميداني. وفي كل الأحوال، إن البيانات الموجودة في الجدول (5.1) هي نتائج مراقبات 'غال' لاختيار الناس للغة في مدينة 'أوبرفارت'. لقد احتاجت من أجل ذلك أن تعيش سنة كاملة في المجتمع، وتجلس في مطابخ المزارع مثلاً، وتلاحظ السلوك اللغوي الذي يجري. وقد مكّنتها مشاركتها الطويلة في المجتمع من تحقيق ذلك الأمر، وكان هذا مثالياً بالنسبة إلى منهج بحث أنثروبولوجي، كما سنرى في الفصل الآتي. لكنها في منتصف تلك السنة من مراقبة المشاركين، نفّذت 'غال' مسحاً ميدانياً مع أولئك الناس أنفسهم، واستخدمت لتحقيق هدفها استبياناً يملؤه المشاركون بطريقتهم الخاصة (1979). تظهر هذه النتائج في الجدول (5.2).

الجدول 5.2: اختيار النساء للغة الألمانية أو المجرية لدى حديثهم مع مُحاوَرين مختلفين، وذلك بحسب استبيان تم إعداده ذاتياً.

المتحدث		المُحاوَر										
No.	العمر	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11
1	25	H	HG	HG	HG	G	G	G	G	G	G	
2	15	H	HG		G	G	G	G			G	
3	23	H	H		H	HG	H	G		HG	G	
4	27	H	H		HG	G	G	G			G	
5	39	H	H		H	HG	HG	G	G	G	G	
6	52	H	H	H	HG	H		H	HG	G	G	G
7	17	H	H		H	HG	G	G			G	
8	59	H	H	H	H	H	H	H	H	H	H	
9	43	H	H		HG	HG		G	HG	HG	G	
10	54	H	H	H	H	H	H	H	H	H	H	
11	63	H	H		H	H	H	H	H	H	H	HG
12	64	H	H		H	H	H	H	H	H	H	H
13	66	H	H		H	H	H	H	H	H	H	HG
14	71	H	H		H	H	H	H	H	H	H	H

يضعنا استخدام 'غال' لهذين النوعين من الوسائل أمام فرصة لنشاطات بحث نادر جداً؛ إذ يمكننا 'إيجاد منهج ثالث' بين المنهجين السابقين، أي النتائج التي تم جمعها بوسائل مختلفة؛ فنحن نركّز هنا على تحديد وفهم أية فروقات بين نتائج المراقبة المباشرة والتقارير المعدّة ذاتياً. ولم تقم 'غال' بنفسها بتطبيق هذه المقارنة بل استخلصت أنا بنفسي من جدولها أولئك المتحدثين الأربع عشر الذين يمكن تحديدهم بوضوح في الطريقتين (بناءً على عمرهم المميز). مع أن طريقة 'التقرير المعد ذاتياً' هي المورد الأساسي لمعلومات اختيار اللغة، ويعرف الباحثون أن هذه الطريقة تحتاج إلى الكثير من العناية والحرص والتحفّظ. فإذا عدنا بالذاكرة إلى الفصل (3.1) نرى أنه قد أظهر ذلك الأمر ارتفاعاً حاداً في الطلاقة باللغة الماورية خلال فترة

قصيرة، وهو ما فسّرته بأنه دافع متزايد لإثبات الطلاقة باللغة أكثر مما كان زيادة في الطلاقة بحد ذاتها. كما تمكننا المقارنة في 'أوبرفارت' من تفحّص نتائج التقارير المعدة ذاتياً أمام نتائج المراقبات التي قامت بها الباحثة.

يظهر الفرق الواضح جداً بين الجدولين في لمحة؛ إذ يتضمّن جدول التقارير المعدّة ذاتياً خلايا ممتلئة أكثر مما هو موجود في جدول المراقبات. ويمكنك إحصاء عدد الخلايا التي تم ملؤها في كل جدول، وطرحها من العدد الكلي للخلايا البالغ مئة وأربعة وخمسين خلية (14 متحدثاً x 11 مُحاوَراً). إن سبب هذا الفرق واضح جداً لكنه يستحقّ أن نصرّح عنه، ففي حين يمكنك أن تسأل المشارك حول ما يفعله في أي حالة، فإنه لن يكون مرجّحاً أن تستطيع مراقبته في الحالات كلها. وبالتالي فإن 'غال' لم تراقب المتحدثين الأربعة عشر في الكنيسة، لكن تم توثيق أنهم جميعاً يذهبون إلى الكنيسة. وهناك أيضاً حالات أخرى تحدث الأمور فيها خلف أبواب مغلقة (ما يحصل في الدوائر الحكومية مثلاً، أو مع عملاء السوق السوداء). وهناك حالات أخرى قد لا يكون بالإمكان مراقبتها – مثلاً يمكن للباحثة أن تسأل أحدهم عن عدد زياراته لجدّيه عندما كانا على قيد الحياة، لكن لا يمكنها مراقبة ذلك بنفسها. لذلك كانت تغطية الاستبيان مكتملة أكثر من تغطية المراقبة.

السؤال الأساسي الذي علينا أن نطرحه حول نتائج الطريقتين هو الآتي:

- هل ثمة فروق بين المعلومات التي حصلت عليها 'غال' حول خيار اللغة، من خلال المراقبة المُباشرة (الجدول 5.1)، مقارنة مع الخيارات التي دوّنها المتحدث بنفسه عندما خضع للمقابلة (الجدول

5.2)؟ إذا كان الوضع كذلك، ما الذي يعنيه ذلك، وكيف يمكن تفسيره؟

يعالج التمرين (5.8) هذه القضية كلها من خلال عدد من الأسئلة الفرعية المحددة، بعد إتمام المقارنة بين الجدولين.

بعد اكتمال تمرين المقارنة، وتوثيق نتائجك فيه، يمكننا إنهاء العمل من خلال مقارنة إيجابيات الطريقتين وسلبياتهما. فالقضية الأساسية بينهما هي المقايضة بين الوقت والموثوقية. لأن سرعة إنجاز الاستبيان أكبر بكثير من الجلوس والمراقبة. ونحن نفترض أن المراقبة أكثر موثوقية من التقارير المعدّة ذاتياً بمعنى أن الناس ربما يقدّمون تقارير غير صحيحة، إما لأنهم غير واعين لسلوكهم، أو لإساءتهم الفهم. لكن تذكّر أن المراقبة جزئية بحد ذاتها، بالمعنيين كليهما للكلمة - إنها غير مكتملة، وتمثّل وجهة نظر واحدة للمراقب.

تبيّن المقارنة التي نجريها هنا الفروقات بين الطريقتين - لكن الأكثر لفتاً للانتباه هو حالة التقارب بينهما. حوالي خمس وثمانون بالمئة من الخلايا الممتلئة في الجدولين تحمل القيمة ذاتها في الطريقتين المُستخدمتين. وعندما تأخذ بعين الاعتبار الوقت الذي تحتاجه الطريقتان - تكريس سنة للمجتمع مقابل مدة أقصر وأسهل بكثير لإجراء المسح - يصبح مفهوماً أن الباحثين يميلون لاستخدام التقارير المعدّة ذاتياً. إنها سريعة، وتبدو دقيقة للغاية، على الأقل في دراسة 'غال'. كما تقدّم وسائل جاهزة للمنهج الأول لاختيار اللغة في مجتمع يتحدث. ما بقي مفقوداً في هذا الأمر، ويجادل معظم الباحثين بأنه أساسي جداً وليس سطحياً من أجل الفهم، فهو بنية السياق الإثنوغرافي، والتفاصيل التي يجمعها المشاركون، والتي عرضتها 'غال' في كتابها بشكل كبير جداً.

التمرين 5.8: مقارنة بين المراقبة والتقرير المعدّ ذاتياً

لتقوم بمقارنة دقيقة بين الجدولين، استخدم الجدول (5.2) (جدول التقرير المعدّ ذاتياً) كأساس. وقم بإهمال الخلايا الفارغة في الجدولين كليهما، وحدد الخلايا المليئة. وتنقّل بعناية في خلايا كل نسق في الجدول (5.2)، محدداً الخلية التي تختلف عن نظيرتها في الجدول (5.1). مثلاً، المتحدث (1) مع المُحاوَر (4)، إزالة رمز (H) للذهاب من رمز (HG) في الجدول (5.2) إلى رمز (G) فقط في الجدول (5.1)، وكذلك المتحدث (10) مع المُحاوَر (9)، إضافة الرمز (G) إلى الرمز (H) الموجود للتوصل إلى خلية تحوي الرمز (HG). على الرغم من أن التمرين يبدو معقداً، فهو في واقع الأمر بسيط جداً، ويمكن للطلاب إنجازه بسهولة في الصف سواء أكانوا أفراداً أم مجموعات.

يجب أن تحدد هذه المقارنة اثنتي عشرة خلية مختلفة بين الجدولين فقط. انظر إلى هذه الفروقات، وناقش الأسئلة الآتية:

1. أية لغة خضعت للملاحظة أكثر مما خضعت لتقارير الإعداد الذاتي؟ أي، كم عدد رموز (G) التي أضفتها لدى المقارنة بين الجدولين، وكم عدد رموز (H) أيضاً؟ هل هناك نموذج؟ إذا كان الأمر كذلك، فما هو التفسير برأيك؟

2. وبشكل معاكس، ما هي اللغة التي تمت مراقبتها أقلّ مما تم إعداد تقارير ذاتية عنها؟ أي كم عدد رموز (G) التي نقصت خلال مقارنتك، وكم عدد رموز (H) أيضاً؟ هل هناك نموذج؟ فسّر ذلك.

3. هل كان استخدام اللغة المختلطة بطريقة المراقبة أكثر أو أقل منه في طريقة التقارير المعدّة ذاتياً؟ أي هل وجدت في مقارنتك خلايا تتضمن الرمز (GH) في الجدول (5.1) أكثر مما وجدته في الجدول الثاني، أو أقل؟ يمكنك اكتشاف ذلك من خلال إحصاء عدد الخلايا التي تحتوي الرمز (HG) من بين الخلايا المليئة كلها. هل يعني ذلك أن

تقارير الناس مختلفة أكثر أو أن سلوكهم الفعلي هو كذلك؟ لماذا فكّرت بهذه الطريقة؟

4. خذ تلك المقارنات، وانسبها إلى المُحاورين. بالنسبة إلى أي محاور هل هناك اختلافات كثيرة بين طريقة المراقبة وطريقة التقرير المعدّ ذاتياً؟ فسّر الأمر.

5. بشكل عام، ما هو التعميم الأساسي الذي يمكن وضعه بالنسبة إلى اختيار اللغة في 'أوبرفارت' من المقارنات السابقة بين طريقتي المراقبة والتقارير المعدّة ذاتياً؟ وما هي المبررات التي تعتقد بوجودها وراء هذه الاختلافات؟

6. ما الذي يمكن أن تخبرنا به هذه المقارنات بخصوص المراقبة والتقارير المعدّة ذاتياً بوصفهما طريقتي البحث، وما هي العلاقة بين النتائج التي ظهرت منها؟

5.8 الملخّص

• إن الاختيار اللغوي أساسي جداً لجميع اللسانيات الاجتماعية: إذ يشير 'اختيار اللغة' عادة إلى خيار بين لغات مختلفة وليس بين تنوّعات اللغة ذاتها – يستخدم علماء اللسانيات الاجتماعية هذا المصطلح بدلاً من 'اللهجة' لتغطية أنواع الاختلافات كلها ضمن اللغة ذاتها. كما أن التنوّعات واللغات كلتيهما يمكن تغطيتهما بمصطلح 'الرمز'. ومجال الرموز التي يكون المتحدثون قادرين على وضعه يشكّل المخزون اللغوي الخاص بهم.

• تُعتبر فكرة مجتمع اللغة فكرةً متنازعاً عليها، بوجود ثلاثة علماء لسانيات اجتماعية مؤسسين يقترحون تعاريف مختلفة. من جهة أولى، اشتمل المصطلح على المجموعات الصغيرة الخاصة؛ ومن الجهة الأخرى، اشتمل على فئات واسعة جداً مثل 'الناطقين باللغة الإنكليزية'؛ إذ يظل هذا المفهوم واسع الانتشار، ويبدو أن اللسانيات

الاجتماعية بحاجة إليه، وكان ’بيتر باتريك’ قد قدّم أفضل تعريف له بأنه وحدة اجتماعية للتحليل اللغوي.

• يشرح مفهوم ’فيرغسون’ عن ’ازدواجية اللسان’ حالات يُستخدم فيها رمزان مرتبطان اجتماعياً في وظيفتين اجتماعيتين مختلفتين، يتم تصنيفهما بين ’العالي’ و’المنخفض’. في ازدواجية اللسان الكلاسيكية، ويكون الرمزان مرتبطين من الناحية اللسانية الاجتماعية، كما هو الحال بالنسبة إلى اللغة العربية واليونانية، والسويسرية الألمانية ولغة الكريول الهايتية. وقد قام ’فيشرمان’ بتوسيع فكرة ’الطبقات’ للغات مختلفة بشكل واضح، وقام ’فاسولد’ بتوسيعها أكثر لتشمل تنوّعات الحالات أحادية اللغة. كما كانت ازدواجية اللسان فكرة إنتاجية جداً، مع أنه من الممكن نقدها بسبب آثارها على الوضع الراهن.

• يحدث تحوّل الرمز عندما يقوم المتحدثون بالتحوّل بين رمزين متمايزين تماماً في مخزونهم اللغوي، وغالباً ضمن الجملة ذاتها أو القول ذاته، وغالباً ما يحمل ذلك معنى اجتماعياً. فقد صاغت ’ماير سكوتن’ فكرة ’النموذج البارز’ لتفسير اللسانيات الاجتماعية لتحوّل الرمز، وجادلت بأنه في بعض المواقف، يكون تحوّل الرمز بحد ذاته خياراً ’غير بارز’ اجتماعياً. واقترح ’غومبيرز’ نهجاً تفاعلياً للتمييز ’رمزنا - we code’ عن ’رمزهم they code’ وكذلك لتمييز التحوّل الظرفي عن المجازي. ويرى ’أوير’ تحوّل الرمز على أنه ممارسة حوارية منظّمة يكون ارتباطها إما بالمشاركين أو بالحوار نفسه.

• تُظهر دراسة ’غال’ لمدينة ’أوبرفارت’ النمساوية كيف أن الاختيار بين اللغتين الألمانية والمجرية يتم بحسب عمر المتحدثين وانتمائهم الحضري، وكذلك تأثير الأشخاص المختلفين الذين يتم التحاور معهم. فاستخدامها لطريقتي البحث، الأولى بالمراقبة، والثانية بالتقرير

المعدّ ذاتياً، مكّننا من دراسة الفرق بين الطريقتين، وإظهار أن طريقة التقرير المعدّ ذاتياً يعطينا نتائج مطابقة كثيراً لنتائج طريقة المراقبة.

5.9 قراءات متقدّمة

تعاملت الأعمال الأولى لـ 'غومبيرز' (1962)، و'هايمز' (1962)، وخاصة 'لابوف' (1972) مع فكرة 'مجتمع الكلام'، وتم نقد وجهة نظر 'لابوف' في ('ميلوري' و'ميلوري'، 1992). كما تقدّم مقالة 'بيتر باتريك' العامة (2002) أفضل تغطية ممكنة عن هذا الموضوع؛ انظر أيضاً 'رامبتون' (2009) التي تحلل هذا المبدأ.

تمت إعادة نشر مقالة 'فيرغسون' الأساسية عن 'ازدواجية اللسان' (1959)، بما في ذلك قراءة 'لي وي' (2000) بالإضافة إلى محاضرة 'فيشرمان' (1967) التي توسّع المفهوم. فأصبح 'فيرغسون' مؤسس مركز 'مركز اللسانيات التطبيقية، CAL' في واشنطن، الذي كان المظلة الأساسية لإجراء بعض أهم الأبحاث اللسانية الاجتماعية المبكّرة ذات الأهمية الكبيرة ونشرها (لابوف، 1966؛ شوي؛ وولفارم ورايلي، 1968). وبقي هذا المركز أساسياً جداً للأبحاث اللغوية الاجتماعية التطبيقية في القرن الحادي والعشرين، ولديه موقع إلكتروني مفيد جداً.'هادسون' (1992) هو موقع بيبلوغرافي يمكن الوصول إليه بسهولة، بوجود أكثر من ألف إشارة إلى العمل القائم على ازدواجية اللسان حتى ذلك الوقت. فالقضية (157) من 'المجلة العالمية لسوسيولوجيا اللغة (2002) مكرّسة تماماً لازدواجية اللسان، مع مقدّمة طويلة قدّمها 'هادسون' (2002). التقييم المفصّل لازدواجية اللسان، والتي قدّمها 'غالاين وليام' جاءت كجزء من نقده السوسيولوجي العام للسانيات الاجتماعية (1992). إذ إن الكتاب عبارة عن عرض مفيد للأسس الإيديولوجية للمفاهيم والمناهج التي تعامل معها علماء اللسانيات الاجتماعية كمسلمات.

في تحويل الرمز، أفضل عرض يمكن الوصول إليه لمنهج 'مايرز سكوتن' هو في كتابيها الصادرين عام (1993)؛ إذ يتعامل أولهما مع الجانب البنيوي، والثاني مع الجانب اللساني الاجتماعي. ويمكن العثور على التطوّرات اللاحقة لدى ('مايرز سكوتن' و'جاك'، 2009). كما أن نص 'غومبيرز' (1982) هو نص أساسي حول العمل التفاعلي، بالإضافة إلى مجموعته المحررة عام (1982). قام 'بيتر أوير' بتحليل تحوّل الرمز وتعدد اللغات في مقالته المكثّفة الصادرة عام (2007)، وقد لخّص 'أوير' (1988) أبحاثه حول التنقّل بين اللغتين الإيطالية والألمانية في مدينة 'كونستانز'. ويقدّم 'غافارانج' (2007) وجهة نظر جديرة بالاهتمام حول المناهج الثلاثة لتحوّل الرمز التي تم تمييزها سابقاً، وهي مبنية أساساً على عمل 'أوير' للتأكيد على أن تحوّل الرمز هو تحويل منظّم. مقالة 'غاردنر - كلوروس' (2009) عبارة عن مقدّمة مفيدة. وهناك مجموعات تتضمن عمل 'أوير' (1998)، 'ميلروي' و'مويسكن' (1995)، 'بولوك' و'توريبيو' (2009)، ومجموعتان قامت بتحريرهما 'مونيكا هيلر' (1988، 2007). كما أعد المجلد الثالث من أعمال 'لي وي' تحرير مقالات رائدة في موضوع اللسانيات الاجتماعية الخاصة بتحويل الرمز، بالإضافة إلى التغطية اللغوية الموجودة في المجلد الأول. فإن المجموعة التي تتضمن ثنائية اللغة بشكل عام، والتي تمت الإشارة إليها في الفصول السابقة، مثل 'لي وي' (2000)، و'بهاتيا' و'ريتشي' (2004)، تتضمن فصولاً عن تحوّل الرمز. وقد ظهرت عدة مقالات عن الموضوع في المجلات المعروفة المختصة باللسانيات الاجتماعية وثنائية اللغة (مثلاً، 'دي فاينا' 2007).

إن بحث 'غال' حول مدينة 'أوبرفارت' مفصّل في كتابها الصادر عام (**1979**)، مع أجزاء منه في مقالة تم نشرها عام (**1978**) في مجلة 'اللغة والمجتمع'. وكما سنرى في الفصل العاشر، كان عملها اللاحق أساسياً في التحري عن إيديولوجيات اللغة (مثلاً، 'غال' و'إيرفين'؛ 'غال' و'وولارد'، **2001**).

الفصل السادس

اللغة والموقف

لا تحدث اللغة في فراغ. إنها تحدث في وضع معيّن ويكون لها سياقها الخاص. فهناك مُتحدّث ومُستمع، وهناك زمان ومكان، وموضوع وغاية. يطرح هذا الفصل الطرق الرئيسة التي حاول من خلالها علماء اللسانيات الاجتماعية أن يشرحوا ويفسّروا الطريقة التي تتشكّل بها اللغة اليومية الاعتيادية من خلال المتحدّثين بها، وكيف تشكّلهم أيضاً.

ثم نتابع لتفحّص عدة مناهج حول كيفية عمل اللغة كجزء من التفاعل. يعالج هذا الفصل استخدام اللغة للقيام بأشياء معيّنة من خلال أداء الكلام، والطرق التي يؤثر فيها 'التهذيب' (أو قلّة التهذيب) في التعامل مع شخص آخر. إنه يبحث بالتفصيل في اللسانيات الاجتماعية الخاصة بالتفاعل، وكيف يمكن أن يؤدي ذلك إلى سوء التواصل بين الناس، والطرق التي تؤثر بها ديناميات الجندر على أنواع التخاطب كأخذ الدور في الكلام على سبيل المثال؛ إذ يكمن أساس ذلك بالاهتمام بالتفاصيل 'الصغرى - ميكرو' التي نراها في أحاديث الحياة اليومية التي نعرفها من أساليب الأنثروبولوجيا ونظرياتها، والمناهج الإثنوغرافية بشكل خاص.

6.1 مواقف وسياقات ومجالات

الموقف عبارة عن فرصة اجتماعية طويلة يحدث خلالها الكلام (هايمز، 1972)؛ إذ تتنوّع المواقف بمقدار تنوّع الناس الموجودين في تلك المواقف سواء أكانت 'لعبة ورق، أم مجموعات في غرف الرقص، أم طواقم طبية أثناء أداء عمليات جراحية، أم مباراة ملاكمة' كما صاغها 'إيرفينغ غوفمان' في محاضرته المختصرة حول 'المواقف المُهملة' (1964). فتكون اللغة اللاعبَ الأول في الموقف مع أن معظم المواقف لا تتحدد أساساً من خلال اللغة بل من النشاط المشترك. وقد تتضمّن، على أية حال، عناصر لغة خطابية، وربما يكون الكلام هو النشاط الرئيس أو المطلب الأساسي المُسبق لما يحدث. إن اجتماع لجنة ما أو جلسة محاكمة في محكمة، أو الصف في المدرسة، كلها مواقف للكلام، ولا يمكن أن تحدث في الواقع دون كلام، ويجب أن يكون الكلام مناسباً لموقف معين.

التمرين 6.1: تقييم السياق

يُستخدم مصطلح 'السياق' بشكل واسع في اللسانيات الاجتماعية حتى عندما يستفسر العلماء عن مدى ملاءمته.

- كيف يمكن تبرير التعامل مع اللغة والسياق ككيانين منفصلين؟
- كم هو عملي ألا تتعامل معهما ككيانين قابلين للفصل؟

انظر، على سبيل المثال، في مقالات لدى 'ديورانت' و'غودواين' (1992).

ترتبط فكرة السياق بشكل وثيق جداً بالموقف. وهذا يفترض أن الموقف مؤلّف من عنصرين: الحدث المحوري أو النشاط، ومجال الفعل الذي يتم تضمينه فيه، أي السياق. وقد تم التعامل تقليدياً مع هاتين الحالتين على أنهما عنصران منفصلان نسبياً ('غودواين' و'ديورانت'، 1992)، وتم اعتبار التفاعل بينهما جوهرياً كطريق

باتجاه واحد، من السياق إلى اللغة. لكن علماء اللسانيات الاجتماعية أخذوا يدركون بشكل متزايد أن اللغة بحد ذاتها تشكّل السياق وتعيد تشكيله، وهكذا، تشكّل الموقف العام لاستخدامه الخاص. حتى على المستوى الأساسي جداً، والمتعلّق بمن هم الأشخاص الذين يُعتبرون مشاركين في موقف معين، كما يُحدد اختيار اللغة الناسَ الموجودين داخل الإطار أو خارجه. وفي عبارة سابقة يمكنها أن تمثّل الكثير من العمل اللساني الاجتماعي لمطلع القرن الحادي والعشرين، كتب 'جون غومبيرز': "المتغيّرات اللسانية الاجتماعية هي نفسها المكوّنة للواقع الاجتماعي" (1982).

قدّم 'فيشرمان' (1965) سلسلة أسئلة حول استخدام اللغة في مجتمع، وكيف تم استخدامها على نطاق واسع كطريقة مختصرة لتوصيف المواقف اللسانية الاجتماعية:

- من يستخدمها؟
- ما هي الأنواع؟
- بأية لغة؟
- لمن تُستخدم؟
- متى؟
- أين؟
- حول ماذا؟
- ما الغاية؟

يمكن السعي إلى عدد كبير من الاستفسارات اللسانية الاجتماعية من خلال هذه الأسئلة، وسنعالج في هذا الكتاب القضايا التي يثيرونها بمظهر مختلف (انظر دراسة 'غال' في الفصل '5.6' كمثال على ذلك)؛ إذ تسعى أسئلة كهذه للتحري عن 'معايير استخدام اللغة - بمعنى، النماذج المقبولة اجتماعياً عادة من استخدام اللغة،

والسلوك، والموقف من اللغة' (فيشرمان، **1971**). كما يمكن استخدام هذه الأسئلة مثلاً للتحري عن الاختيار ما بين ضمائر (المُخاطب) التي تشترك بها الكثير من اللغات. فما يُسمى ضمائر 'T/V' في اللغات الأوروبية (مثلاً، 'tu' الفرنسية مقابل 'vous')[1] كانت محط تركيز دراسة رائدة قام بها 'براون' و'غيلمان' (**1960**) والتي تم توصيفها على أنها ترمز للصلابة مقابل السلطة.

التمرين **6.2**: أنظمة المخاطبة

اقترحت 'سوزان إرفين تريب' (**1972**) في مقالة كلاسيكية إطاراً لل 'التناوب والمشاركة في الحدوث - alternation and co-occurrence'. وقد أسست هذه الفكرة على عمل 'براون' و'فورد' (**1964**) الخاص بمصطلحات المخاطبة في اللغة الإنكليزية الأمريكية. وتتضمن هذه المصطلحات الاختيار ما بين مخاطبة مُحاورك باسمه الأول، أو باللقب إضافة إلى الاسم الأخير (الكنية)، وما إلى ذلك - 'جوليا' مقابل 'السيدة تشايلد'. رسمت 'إرفين تريب' مخططاً انسيابياً يطرح سلسلة من البدائل الثنائية بناء على جندر المُخاطب وعمره النسبي وما إلى ذلك.

تختلف أنظمة المخاطبة بين اللغات، وبين اللهجات المختلفة في اللغة الإنكليزية. بعد قراءة القسم ذي الصلة في بداية مقالة 'إرفين تريب'، يجري الطلاب مقابلات أحدهم مع الآخر حول مصطلحات المخاطبة في اللغة الخاصة بكل منكم ولهجاته:

---

[1] ضمائر (t/v) أو بالفرنسية (tu – vous) تعني باللغة الإنكليزية (you) بمعنى أنت (وهي ضمير المخاطب بالمفرد أو الجمع، أي تعني (أنت، أنتم). في اللغة الإنكليزية يمكن استخدام هذه الضمائر لتوجيه الخطاب لشخص واحد أو عدة أشخاص بغض النظر عن العمر أو المكانة الاجتماعية لذلك الشخص. لكن في اللغة الفرنسية يعتمد استخدام الضمير على الشخص المُخاطب. المترجم.

1. ما هو المصطلح الموجود في نظام المخاطبة في لغة الناطق الأصلي باللغة، أو في لهجته (مثلاً، الاسم الأول، اللقب، وما إلى ذلك)؟

2. اطرح أمثلة عن كيفية اندماج هذه المصطلحات لتكوين أشكال مُخاطبة مختلفة.

3. ما هي العوامل التي تؤثر في اختيار مصطلح المخاطبة في لغتك أو لهجتك، بوصفك ناطقاً أصلياً باللغة.

4. ضع قائمة بالعوامل، وصنفها في جدول مشابه لجدول 'إرفين تريب'. إذا كان هناك الكثير من العوامل أو النتائج، ضع المخطط فقط للأجزاء الرئيسة من النظام.

5. ضع تقريراً بالتعميمات والاستنتاجات على أساس نتائج هذا الفصل.

مجالات الاستخدام

وضع 'فيشرمان' سياقاً خاصاً من خلال مفهومه عن '**المجالات**' (**1972**). فاختيار الرمز المُستخدم في الحالات الاعتيادية في المجتمعات ثنائية اللغة ومتعددة اللغات ليس خياراً عشوائياً. كما يخبرنا 'فيشرمان' عن المسؤول البلجيكي الذي يستخدم (الفرنسية الرسمية) في المكتب، واللغة (الهولندية الرسمية) في ناديه، ولغة أخرى (للتنوّعات المحلية في لغة فلاندرز) في المنزل؛ إذ يهدف اقتراح المجال إلى الإحاطة بضبط هذه الاستخدامات دون فقدان الاختيار الفردي والتقلّب بينها. وربما يمثّل التوصيف هنا الخيارات الرمزية النموذجية الرسمية، لكنه سوف يستخدم بين الحين والآخر اللغة (الفلاندرية) في المكتب، والفرنسية في النادي، والهولندية الرسمية في المنزل.

لاحظ الربط بين المجالات و'وظائف اللغة' التي طرحتها في الفصل الثالث. فالوظائف مفهوم 'عالي المستوى - ماكرو'، ويركّز على كيفية

عمل اللغات ضمن البلد كله أو المجتمع كله. والمجال فكرة موازية 'منخفضة المستوى - ميكرو'، تهتمّ بخيارات الرمز التي يستخدمها الأفراد أو المجموعات الصغيرة في تفاعلاتهم الخاصة. وتتكامل المجموعات الثلاث المكوّنة من ثلاثة عناصر رئيسة لتكوين مجال، وهو موضوع الكلام، والموقع الفعلي المحلي، وعلاقات الأدوار المتوقّعة بين المشاركين (الجدول **6.1**): إذ تدعم العوامل المختلفة إحداها الأخرى، وتصبح أرجحيّة حدوث رمز لغوي معين أقوى. في المجال التعليمي مثلاً، يوجد عادة جمع للمشاركين في علاقات أدوار محددة (معلّمين وطلاب)، وهم يجتمعون في مؤسسة تعليمية، ويناقشون محتوى دورة دراسية. لكن في مجتمع ثنائي اللغة، سيفضّل هذا المجال التعليمي لغة على لغة أخرى بشكل كبير – مثلاً، الإنكليزية في ماوري (الفصل الثالث)، أو الإسبانية في المكسيك.

الجدول 6.1: توصيف المجالات			
المجال	**المشاركون**	**الموقع**	**العنوان**
التعليم	**معلّم**	**مدرسة**	**دورة دراسية**
الدين	**القس**	**كنيسة**	**ممارسات دينية**
التوظيف	**رب العمل**	**موقع العمل**	**مهن تتم ممارستها**
العائلة	**الأهل**	**المنزل**	**قضايا عائلية**
علاقات صداقة	**صديق**	**مقهى**	**اهتمامات مشتركة**

التمرين 6.3: تطبيق المجال وتقييمه

طبق مفهوم مجالات اللسانيات الاجتماعية في موقعك:

1. إلى أي مدى تنطبق المجالات الخمسة الواردة في الجدول (6.1) على التفاعلات في مجتمعك؟ هل تتضمن قائمة بالمشاركين والمواقع والعناوين، أو أشياء مختلفة؟

2. ما هي المجالات الأخرى التي تستطيع تحديدها؟ كيف يمكن تحديدها من ناحية المشاركين والمواقع والعناوين؟

3. قم بتحليل المجال لحدث واحد في ثقافتك، كالتفاعل في موقع العمل، أو الخدمات الدينية.

قيّم المجال كمفهوم.

4. هل يخدم 'المجال' فهمك لطريقة استخدام الناس والمجموعات للغات في مجتمعك؟ كيف ذلك؟

5. هل هناك أية طرق تحدّ من فهمنا أو تضعفه؟ مثلاً، هل ترى أنه من الثابت جداً الاهتمام بموقف واحد – أو عدّة مواقف؟ هل هي طرق بديلة مغلقة للنظر إلى خيارات لغة الأفراد وسلوكهم؟

يميل البحث إلى التأكيد على هذه المجالات المرتبطة بمناطق الجمهور التابع لمؤسسات معيّنة كالدين والتعليم ووسائل الإعلام. لكن المواقف الأكثر خصوصية، كالمواقف مع العائلة والأصدقاء، هي أيضاً متضمنة كما يُظهر الجدول (6.1). ويستمرّ استخدام المجالات كمبدأ منظّم، كما في دراسة 'كيلي هولمز' (2010) عن اللغة التسويقية.

6.2 إثنوغرافيات التواصل

لطالما كانت اللغة المرتبطة بالموقف محط اهتمام مناهج اللسانيات الاجتماعية الإثنوغرافية التي توفّر معظم مضمون مواد هذا الفصل. وقد وردت الاقتراحات المبكرة الأكثر شمولاً من 'ديل هايمز'، مع بدايته بمقالة رائدة عام (1962)، إذ طوّر إطاراً أطلق عليه أولاً اسم 'إثنوغرافيا الكلام'. والإثنوغرافيا هي الوسيلة الأساسية للأنثروبولوجيا الاجتماعية؛ إنها تتضمن توصيفاً قريباً جداً من طريقة حياة المجتمع - ما الذي يفعلونه معاً، كيف يتفاعل أحدهم مع الآخر، كيف يرون أنفسهم، وكيف يرون العالم- إنها

بشكل أسامي ثمرة مراقبات المشاركين: إذ يراقب الباحث الحياة اليومية لمجموعة معيّنة من خلال المشاركة والتجربة لوقت طويل، سواء أكان ذلك في قرية على هضبة في مدغشقر (كينان، **1989**) أم بين مجموعة من المراهقات اللاتينيات في شمال كاليفورنيا (ميندوزا - دينتون، **2008**). لقد تعلّمت الإثنوغرافيا لغة المجموعة وممارساتها، وغالباً خلال عام أو أكثر، بالإضافة إلى زيارات لاحقة. إنها تحتفظ بملاحظات ميدانية مفصّلة عما تراه أو تسمعه، وتحتفظ بتسجيلات صوتية أو مصوّرة، وتسأل أسئلة، وتُجري مقابلات. هي تهدف إلى وضع أفكارها المُسبقة جانباً لتفهم المجموعة بمصطلحاتها الخاصة، بل لتحافظ أيضاً على وجهة نظر مستقلّة حول ما تجده. والنتيجة هي وصف 'مكثّف' يؤدي إلى فهم المجموعة وممارساتها - بما في ذلك توضيح "بأيِّ معنى تُعتبر هذه المجموعة مجموعة".

كان مزج الإثنوغرافيا في دراسة اللغة، وصياغة 'هايمز' لإثنوغرافيا التواصل، نموذجياً جداً للمراحل الأولى من الاختصاص الأكاديمي. فقد دافع عن قيمة تطوير التصنيف - قائمة بنيوية تراتبية لعناصر حالة تواصل، كتلك المستخدمة لتصنيف النباتات إلى مجموعات وعائلات وأنواع وما إلى ذلك. إذ يهدف هذا التصنيف إلى مساعدة الإثنوغرافي على مراقبة التواصل، وتحديد نماذج السلوك التواصلي للمجموعة وتفسيرها.

قدّم 'هايمز' في سلسلة من منشوراته قوائمَ ذات صلة 'لمكوّنات' المواقف المرتبطة بالكلام مع أنها لم تكن مطابقة. وكانت القائمة الأكثر شهرة، والأكثر اكتمالاً، تتضمن ستة عشر مصطلحاً (هايمز، **1972**)، وأدرج تحتها ثمانية عناوين رئيسة يبدأ كل عنوان منها بحرف من حروف كلمة (كلام - SPEAKING) (الجدول، **6.2**). وقد تمت الإشارة إلى العديد من هذه المكونات في فصول سابقة، وسوف نشرح

المكونات الأخرى لاحقاً. فهذا ليس مفاجئاً طالما أنها تتضمن معظم البارامترات الأساسية المحيطة باستخدام اللغة. وسوف نطبّق نشاط البحث في نهاية هذا الفصل على تصنيف (SPEAKING) لتحليل موقف الفصل الدراسي.

يتكوّن **الموقف** من الظروف التي يحدث فيها تواصل معين. ويعني **الموقع** (**1** في الجدول **6.2**) البارامترات الفعلية للزمان والمكان - مثلاً، الساعة السادسة مساءً في محطة الركاب في مدينة نيويورك. أما **المشهد** (**2**) فهو مناسبة محددة ثقافياً، وتتضمن أن اللغة المُشتركة أثناء حفلة 'روك' مختلفة تماماً عنها في حفلة 'كوكتيل'.

المشاركون هم الناس الذين يأخذون جزءاً من الموقف الذي تُستخدم فيه اللغة. إن تصنيف دور المشاركين وتوضيحه، والجزء الذي يلعبونه في مواقف اللغة قد جذب اهتمام علماء لسانيات اجتماعية متتاليين لأنه يمكن القول. إن المشاركين هم المكوّن الأساسي لأي تفاعل. وقد درستُ نسخة 'هايمز' لهذه الأدوار بشكل مختصر فقط، وعدت لاحقاً في هذا الفصل للبحث في صيغ أكثر تفصيلاً. اثنتان من فئات 'هايمز' الأربعة تحددان الأشخاص الذين يُنتجون اللغة. **المتحدث/ المرسل** (**3**) هو القوة خلف شيء يتم إيصاله، الشخص المسؤول عن الرسالة. **المُخاطِب** (**4**) هو المُنتج الفعلي للكلام، وصندوق الصوت. أما الفئتان اللتان تميزان أنماط المُستقبل - **المستمعون/ الجمهور** (**5**)، فهم الذين لا يتم استهدافهم بشكل مباشر، و**المُخاطَبون** (**6**) الذين يُستهدفون بشكل مباشر. (**النتائج أو النهايات – ends**) هم الهدف من تواصل معيّن. يقسّم 'هايمز' هذه النتائج إلى قسمين: **النتائج العامة** (**7**) وهي الأهداف العامة لنشاط معين ضمن ثقافة. مثلاً، احتفال التخرج في جامعة يتضمن الطاقم الإداري والطلاب يمرّون من أمام جمهور داعم.

والأهداف، (8) من جهة أخرى هي نوايا المشاركين الفرديين في علاقتهم مع الحدث بشكل عام، مثلاً، أفراد عائلة يأتون لدعم المتخرّج. يتضح الفرق بين 'النتائج العامة' و'الأهداف' بشكل كبير عندما يكون هناك تصادم بين الغايات الفردية والعامة. لنقل إن هناك نزاعاً سياسياً يجري بين الطلاب وإدارة الجامعة، وقد عبّر بعض الطلاب عن احتجاجهم في حفل التخرّج - عندئذٍ فإن أهدافهم تختلف عن النتائج العامة وعن أهداف معظم المشاركين الآخرين. فقد كانت أهمية أهداف المشاركين في التواصل محطّ اهتمام خاص لعلماء النفس الاجتماعيين المختصين باللغة.

الجدول 6.2: تصنيف 'SPEAKING'		
1.. Setting	Time, place, circumstances	SITUATION
الموقع	مكان، زمان، ظروف	موقف
2.. Scene	'psychological setting' – the cultural definition of an occasion	
المشهد	موقع سيكولوجي - تعريف ثقافي للمناسبة	
3.. speaker/ sender	person/authority behind the message	PARTICIPANTS
متحدث/ مرسل	شخص/ سلطة خلف الرسالة	مشاركون
4.. Addressor	person who voices the message, spokesperson	
الخطيب (من ينطق الكلام)	الشخص الذي يلفظ الرسالة (الشخص المتكلم)	

5.. Hearer/ audience	person/s who hear the message	
مستمع/ جمهور	الشخص أو الأشخاص الذين يسمعون الرسالة	
6.. Addressee	person directly addressed	
المُخاطب (الذي تتجه الرسالة إليه)	الشخص الذي يتم التحدث معه مباشرة	
7.. Purposes - outcomes	general purposes within the culture	ENDS
مقاصد – النتائج العامة	مقاصد عامة ضمن الثقافة	النتائج
8.. Purposes - goals	individual participants' goals	
الغاية - الأهداف	أهداف المشاركين الفردية	
9.. Message form	how things are said	ACT SEQUENCE
شكل الرسالة	كيف يُقال الشيء	سلسلة الأداء
10.. Message content	topic, theme	
محتوى الرسالة	الموضوع، الفكرة الرئيسة	
11.. Key	tone or manner in which something is said	KEY
نبرة الصوت	النبرة أو الطريقة التي يُقال بها الشيء	نبرة الصوت

12.. Channels	spoken, written, etc.	INSTRUMENTALITIES
القنوات	محكية، مكتوبة، وما إلى ذلك	وسائل
13.. Forms of speech	language codes – varieties, languages, etc.	
نمط الكلام	رموز لغوية - أنواع، لغات، وما إلى ذلك	
14.. Norms of interaction	cultural 'rules' for conducting conversations	NORMS
معايير التفاعل	قواعد 'ثقافية' لإقامة محادث	معايير
15.. Norms of interpretation	listeners' or observers' interpretations of the rules	
معايير تفسير	تفسير 'المستعين' أو 'المراقبين' للقواعد	
16.. Genres	language associated with particular speech events	GENRES
الأساليب	ارتباط الأسلوب بأحداث الكلام	الأساليب

يتضمّن تسلسل الأداء مكوّنين. هما شكل الرسالة (9) الذي يغطي الطريقة التي يُقال فيها القول. ومحتوى الرسالة (10) وهو ما قيل - الفكرة الرئيسة أو الموضوع. وغالباً ما ستطلق العناوين المختلفة طرق كلام مختلفة - نناقش موت الطرق بطريقة مختلفة عن الشائعات المحليّة.

التمرين 6.4: الموضوع واختيار اللغة

الموضوع هو فئة هامة في البحث اللساني الاجتماعي - لاحظ مثلاً دوره في بيئة المجال لدى 'فيشرمان'. فقد تتم مناقشة القضايا التكنولوجية، في أي موقع عمل في العالم، باللغة الإنكليزية، وذلك لأن التقدّم التكنولوجي مرتبط باللغة الإنكليزية. وما يثير الدهشة أنه في أي مجتمع تقليدي، ربما يتم استخدام اللغة الإنكليزية، أو اللغة الخارجية بالنسبة إلى المجتمع، في مناقشة المواضيع الحميمة لأن المعايير التقليدية الخاصة بالمجتمع لا تسمح بأن تتم مناقشة قضايا كهذه بلغة السكان الأصليين. كما يشرح 'ريكفورد' و'ماك نير نوكس' (1994) كيف تقوم إحدى المتحدثات؛ 'فوكسي' بتحويل أسلوبها اللغوي اعتماداً على الموضوع الذي تتحدث عنه بدءاً بالحمل لدى المراهقات إلى قضايا المهنة، إلى المخدرات، إلى العلاقات بين الأعراق.

- هل تؤمن بأن الموضوع الذي تناقشه يؤثر في الطريقة التي تتحدث بها أنت والناس الآخرون في مجتمعك؟ كيف ذلك؟ مثلاً، هل تناقش المواضيع في لغة معينة ولا تناقشها في لغة أخرى؟ لماذا؟

'نبرة الصوت – key' (11) هو الوسيلة أو النغمة التي يتم تقديم الشيء بها. ظاهرياً؛ إذ يمكن للشيء ذاته أن يُقال بطرق مختلفة. ويستطيع الأشخاص المختصّون بالحوارات، كالممثلين مثلاً، أن ينقلوا إلى عبارة معيّنة 'قراءات' مختلفة من خلال نبرات صوت مختلفة. والمظهر الأكثر وضوحاً لظاهرة النبرة هي عندما تُفسد الطريقة التي يُقال فيها شيء ما معنى ذلك الشيء بحيث يُصبح معاكساً تماماً لما كان يعنيه، ونعني هنا السخرية. وغالباً ما يظهر تغيير النغمة في إيقاع الصوت أثناء النطق. فعبارة 'هذا رائع - that's brilliant!' في اللغة الإنكليزية، مع انخفاض في إيقاع

الصوت، تعطي معنى السخط أو الانتقاد، على العكس من لفظ العبارة ذاتها بوتيرة صوت عادية مُحايدة.

تتضمّن **الأجهزة والمعدات** تلك 'القنوات' **(12)** التي تحمل اللغة، مثل الكتابة مقابل الخطاب، أو الغناء مقابل الكلام. وقد ازدادت أهمية هذا البعد بعد أن أتت التغيّرات التكنولوجية بوسائل تواصل جديدة، ولا سيما تلك الإمكانيات الموجودة على شبكة الأنترنت. وتغطّي **أشكال الكلام** **(13)** مخزون الرموز اللغوية المُتاحة أمام المتحدثين في المجتمع (انظر الفصل الخامس).

المعايير هي القواعد التي تحكم إنتاج اللغة وتفسيرها في الموقف. و**معايير التفاعل** **(14)** هي الأسس الاجتماعية للتواصل، وتكون واضحة جداً عندما يقوم أحدهم بكسرها، مثلاً في اللقاء بين ثقافات متناقضة. وتتضمن هذه المعايير أشياء من نوع متى يكون من المناسب أن تأخذ دورك في الكلام، ومتى يكون مناسباً أن تصمت. على سبيل المثال، يترك أفراد قبيلة 'أثاباسكان' الهندية الأمريكية فترات صمت بين دورين للكلام، وتكون أطول من تلك التي يتركها عامة الأمريكيين الشماليين (سكولون، **1981**). وقد تمت دراسة هذه القواعد الخاصة بأخذ الدور في الكلام بشكل مفصّل على يد محللي المحادثات؛ إذ تُظهر **معايير التفسير** **(15)** كيف يفسّر المتفاعلون ممارسات أحدهم الآخر. عندما يتفاعل 'الأثاباسكان' وعامة الأمريكيين الشماليين، فيتبع كلٌّ منهم معاييره الخاصة بالصمت بعد كل دور. ويجد 'الأثاباسكان' الآخرين فظّين أو مهيمنين لأنه من غير الممكن لهم أنفسهم أن ينطقوا كلمة واحدة فور انتهاء الحديث. ويظنّ الآخرون أن شعب 'الأثاباسكان' شعب متجهّم أو كئيب لأنهم يبدون وكأنهم لن يتكلّموا. وتنتهي كل مجموعة بحالة من التشوش والإحباط من المجموعة الأخرى.

يتضمن الأسلوب ارتباط اللغة بنوع معين من أحداث الكلام: قصة، طلب وظيفة، مدوّنة وما إلى ذلك. إن للأساليب (16) المختلفة قواعد مختلفة لاختيار اللغة واستخدامها. كما تخلق التكنولوجيا الجديدة أساليب جديدة، ويظهر أكثرها وضوحاً في ازدهار أشكال الأنترنت. فالأسلوب مفهوم زلق جداً، ويصعب تعريفه بسهولة، لكن يجد معظم المحللين أنه لا غنى عنه من أجل فهم استخدام اللغة.

التمرين 6.5: أساليب جديدة على شبكة الأنترنت

فتحت شبكة الأنترنت قنوات تواصل لم تكن موجودة حتى أواخر القرن العشرين. وخلقت أيضاً أساليب جديدة، وغيّرت الأساليب القديمة (انظر 'راو' و'وايس'، 2009. وانظر 'ثورلو' و'مروكزيك'، 2011)؛ إذ يؤمن الكثير من الناس أن لها تأثيراً كبيراً على لغتنا (انظر 'كريستال'، 2006).

فكّر بالأسئلة الآتية:

1. ما هي الأساليب الجديدة التي تطوّرت على شبكة الأنترنت؟ ضع قائمة بكل ما تعرفه عنها، وفسّر تشابهها واختلافاتها، مستخدماً المصطلحات المناسبة من إطار (SPEAKING). هل قدّمت تغييرات لغوية؟

2. ناقش أيضاً كيف هي هذه الأساليب الجديدة في الواقع – هل نشأت في قنوات وأساليب ما قبل الأنترنت؟ (انظر مثلاً، ماك نيل، 2009، حول أصول المدوّنات في مفكّرة اليوميات الشخصية الورقية).

3. كيف استعمرت وسائل الإعلام الشعبية التقليدية (الصحافة والراديو والتلفاز) الأنترنت؟ كيف قام ذلك الأمر بتغييرهم وتغيير لغتهم؟ (استخدم إطار 'SPEAKING' لمقارنة إصدار ورقي لصحيفة

معينة مع موقعها الإلكتروني في اليوم ذاته - انظر 'بيل' و'سميث'، 2012).

سنرى لاحقاً أن نشاط البحث في هذا الفصل يقدّم فرصة لتطبيق تصنيف 'هايمز' وتقييمه. وسيكون واضحاً في هذه العملية أن بعض المصطلحات متداخلة أو غامضة أو غير بديهية، أو منتقاة ببساطة كي تتوافق مع إمكانية تذكرها. ومع ذلك، تشكّل قائمة 'هايمز' نطاقاً واسعاً يمكن لعلماء اللسانيات الاجتماعية أن يختاروا ويجدوا ما هو مناسب لهم، أو يمكن استخدامه في تحليلاتهم. لاحقاً، كيّف علماء اللسانيات الاجتماعية هذا النوع من التصنيف من أجل غاياتهم الخاصة، ونذكر مثلاً عمل 'سكولن': 'القواعد اللغوية والسياق' في التواصل التفاعلي (2001). إن تطبيق تحليل هذه المكونات بحكمة وإدراك يجعل منها نقطة بداية جيدة لفهم كيفية عمل اللغة في مواقف محددة.

6.3 متحدثون في موقع

رأينا سابقاً وبشكل مختصر كيف ميّز 'هايمز'، كجزء من توصيف 'SPEAKING' بين نوعين من أدوار المتحدثين والمستمعين. جاء النهج الأكثر تفصيلاً من 'إرفين غوفمان' عالم اللسانيات الاجتماعية للحياة اليومية. وكان لـ 'نظام التفاعل - interaction order'، الذي أسسه تأثير هام جداً على المناهج اللسانية الاجتماعية لمواقع التحدث، وفي عمله اللاحق، ارتبط هو نفسه بالقضايا اللسانية الاجتماعية بشكل مكثّف. في مقالة له بعنوان 'الأساس - footing'، أوضح ما أسماه 'شكل الإنتاج' الذي يعمل من خلاله المتحدثون، مميزاً ثلاثة أدوار للمتحدث: 'المُنشّط - the animator' الذي يشكّل صندوق الصوت، 'المؤلّف - Author' وهو الذي يصوغ الرسالة، و'المسؤول - Principal' هو السلطة الكامنة خلف الكلمات. وهكذا فقد جزّأ

’غوفمان‘ دور المُرسل لدى ’هايمز‘ إلى قسمين (انظر الجدول **6.3**). أما في حالة المحادثة الافتراضية وجهاً لوجه، فيكون المتحدث هو ذاته ’الشخص الأول‘ الذي يلعب أدوار ’غوفمان‘ الثلاثة في الوقت ذاته.

الجدول 6.3: الأدوار في إنتاج اللغة

بيل 1991	غوفمان 1981	هايمز 1972
مسؤول	مسؤول	المُرسل
مؤلف	مؤلف	
محرر		
مُنشط	مُنشط	الخطيب (المتكلّم)

لكن تبيّن أن هذا غير جيد بما فيه الكفاية بالنسبة إلى تعقيدات العديد من الصيغ الإنتاجية المؤسساتية، وخاصة في المحادثات التأملية التي تتطلّب دوراً رابعاً. وفي بحثي الخاص عن أجيال لغة الأخبار (بيل **1991**)، قمت بتقسيم دور ’المؤلّف‘ من جديد لإفساح المجال لحقيقة أنه يمكن أن يكون هناك عدّة ’مؤلفين‘ لكنهم لا يقومون جميعهم بالوظيفة نفسها بالنسبة إلى النص (الشكل **6.3**).

’المسؤول‘ هو السلطة المؤسساتية الموجودة خلف الكلام أو النص، والتي يتم التعبير عن موقعها أو منصبها. فهناك ’مؤلّف‘ أولي وضع النسخة الأولى من قصة الأخبار. لكن القصة مرّت لاحقاً بين أيدي عدد من المحررين الذين عالجوا النصّ وعدلوه حتى تم تقديمه أو نشره بصيغته النهائية على يد ’المُنشّط‘. ويمكن تطبيق هذه الأدوار لتحليل أحداث لغوية من جميع الأنواع، بما فيها النصوص الخاصة بالأنترنت.

تتضمن القائمة المُباشرة للأدوار سلسلة خطية، وهي تبدو في الجدول (6.3) كخط إنتاج على الشكل الآتي: المسؤول - المؤلّف - المحررون - المنشّط. لكن، وبحسب 'غوفمان' من الأفضل اعتبار ما يجري تضميناً أو ترتيباً لدور واحد ضمن النص بدلاً من وضعه كنسق. وللتوضيح عبر معالجة الأخبار: يمثّل كل دور منفصل حدثاً كلامياً خاصاً متمايزاً يمكن تفريقه باستخدام توصيف 'SPEAKING' الخاص بـ 'هايمز'؛ إذ يعمل الصحفيون بمواقع خاصة، وبأهداف ومعايير تفاعل خاص. فيرسلون النص للمحررين الذين يعملون بمواقعهم ومواقفهم الخاصة المختلفة، ومن ثم لقرّاء الأخبار في مواقعهم، وهكذا. إن كل موقف من مواقفهم وكل نص من نصوصهم الناتجة متضمّنة في النص اللاحق (بيل، 1991). وسيكون الشرح المفصّل بهذه الطريقة كبيراً وثقيلاً بكل وضوح، لكن آثار الطبقات المتعددة تظهر أحياناً في المنتج النهائي، أي النص المنشور. فعندما يتم نشر قصة في نيوزيلندا تصف موقعاً على بعد مئة وتسعةٍ وعشرين كيلومتراً غربي لندن، يمكننا أن نستنتج بأمان أن أصل ما قيل هو 'ثمانون ميلاً'، لكن محرري النسخة قد أهملوا تقريب التحويل إلى 'مئة وثلاثين كيلومتراً'.

إن مفهوم التضمين هام جداً لفهم كيفية عمل المحادثات اليومية ومنتجات اللغة بوجود وسيط. ويشرح 'غوفمان' موضوع 'الطبقات أو التصفيح' الذي يقدّمه المتحدثون بشكل روتيني في كلامهم بينما يعيدون سرد القصص أو الحكايات عن أنفسهم أو عن الآخرين؛ إذ يكون إنتاج شكل سيناريو قصة متضمناً في أسلوب سرد القصة. وكل تضمين من هذا النوع يغيّر 'أسسَ، المتحدّث'، محاذاته أو موقفه أو وضعية تخصّه أو ذاتاً مُسقطةً (غوفمان، 1981). لقد ركّزت الأعمال اللسانية الاجتماعية المعُاصرة أيضاً على الطريقة التي يتخذ فيها

المتحدثون أسساً مختلفة، ونذكر مثلاً أن التضارب أو 'التقلّب' في موقف المرشّحين لحملة الانتخابات الأمريكية قد يصبح قضيّة بحد ذاته (لامبيرت، 2009).

التمرين 6.6: تطبيق أدوار الإنتاج ونقدها

1. استعرض المناهج الثلاثة لأدوار المتحدث (هايمز، غوفمان، بيل) التي تم عرضها في الجدول (6.3).
2. اختر موقفاً واحداً لحوار رسمي وجهاً لوجه – مثلاً، عرض خدم في مكتب حكومي، أو قضية في محكمة – ثم طبّق كل إطار من الأطر الثلاثة عليها، وخاصة مع الإشارة إلى أية حالات من 'التضمين'.
3. أو: اختر طريقة من طرق المحادثات التقليدية في وسائل الإعلام، مثل إنتاج إعلان إخباري أو تجاري تلفزيوني، وطبق كل إطار من الأطر الثلاثة عليه.
4. أو: اختر أسلوباً من أساليب الأنترنت كإنتاج مدونة مثلاً، أو موقعاً اجتماعياً على شبكة الأنترنت، وطبّق كل إطار من الأطر الثلاثة عليه.
5. استخدم تحليلك الشخصي لمقارنة فائدة كل إطار من الأطر وتقييمه. هل التعقيدات الكبيرة في أطر 'غوفمان' و'بيل' يمكن تبريرها بالإضافات التي تأتي بها للبصيرة؟ ما هو مقدار الملاءمة والمساعدة الموجودة في مفهوم 'التضمين/ الترتيب في طبقات'.
6. كيف ستعدّل الأطر في ضوء التحليلات التي أنجزتها؟

أصرّ 'باختين' (1981) على أن الكثير من خطابنا العفوي يتكوّن من كلمات أتت من أفواه الآخرين، وهو ليس واضحاً في أي مكان أكثر من وضوحه في الحوارات الإخبارية. تقوم معظم الأخبار على الكلام. وتُستقى المعلومات التي يكتبها الصحفيون أساساً من المقابلات والوثائق. كما تكون شذرات من تلك النصوص متضمّنة في القصة،

والأكثر وضوحاً ما هو موجود على شكل اقتباسات مكتوبة، أو من الراديو ومقاطع الفيديو. وبالنتيجة، تتكون القصص الإخبارية التي تقرؤها أو تشاهدها من مجموعة من الطبقات النصية التي يبدو من المستحيل تقريباً الكشف عن أصولها.

6.4 المستمعون للغة

يحتاج المتحدثون إلى مستمعين. ويشكّل الحضور البعد المكمّل للتفاعل اللغوي، ضمير المُخاطب وضمير الغائب من 'المثال النموذجي'[1] للضمائر. وقد رأينا في الجدول (6.2) كيف ميّز 'هايمز' بين المُخاطبين والمجموعة الهائلة من المستمعين الذين لا يتم توجيه الخطاب إليهم. وعلى أية حال، أوضح 'هوفمان' أن "الكلام المنطوق لا يُقسّم العالم، متجاوزاً المتحدثين، إلى جزأين محددين، مُستلمين وغير مُستلمين" (1981). لقد صاغ تمييزاً أكثر دقّة بين مشاركين 'مُتلقّين' ومشاركين 'غير متلقّين' (الجدول 6.4).

الجدول 6.4: أدوار المستمعين

موقع المشارك	بيل 1984	غوفمان 1981	هايمز 1972
موجّه إليه الخطاب	مُخاطب	مستلم موجه إليه الخطاب	مُخاطب
غير موجه إليه الخطاب	مُصغي	مستلم غير موجه إليه الخطاب	
غير متلقي	مستمع عام	من المارة: مستمع عام	مستمع/ جمهور
غير معروف	متنصت	من المارة: متنصت	

بناءً على اقتراحات 'هوفمان'، قمتُ بتطوير مجموعة من الأدوار كجزء من 'إطار تصميم المستمعين وتنظيمهم وتوصيفهم كما في الجدول (6.4). يعامل 'تصميم المستمعين (بيل، 1984) المتحدّث،

[1] المثال النموذجي أو (Paradigm): حالة عقلية خاصة، أو وجهة نظر معينة أو نمط تفكير يوجد لفترة محددة فقط بغية حل مشكلة الشخص الذي يستخدمها.

وضمير المتكلّم، كمشارك أساسي لحظة أداء الكلام، وبشكل نوعيّ أيضاً بغض النظر عن الآخرين الذين يوجّه الخطاب إليهم. ثم يصنّف أدوار المستمعين بناءً على كون الشخص مُخاطباً أو متلقّياً أو معروفاً للمُتحدث أو لا. فدور المستمع الأساسي هو ضمير المُخاطب، **الشخص المُخاطب** الذي يتوافق مع المعايير الثلاثة كلها - المعروف، المُتلقّي، والموجّه إليه الخطاب. أما الأشخاص الحاضرون من النمط الثالث، فربما يتم تصنيفهم كمشاركين، لكن لا يتم توجيه الخطاب إليهم بشكل مباشر - وقد أطلقت على هؤلاء اسم **'الحضور أو الجمهور'**. وخلف هؤلاء، يكون للكلام جمهور واسع من مجموعة ثالثة غير (المتلقّين). أولئك الذين يعرف المتحدث بوجودهم لكنهم ليسوا مشاركين متلقين في المحادثة، ويطلق عليهم اسم **'مستمعين عامين'** - وهم فئات وُجِدَت مصادفة ضمن النطاق المسموع للمحادثة. فالفئات الأخرى التي لا يعرفها المتحدث هم **'المتنصتون'**، سواء أكانوا مختبئين عن قصد، وبشكل مؤذٍ، 'خلف الستائر'، أم كانوا يسمعون دون قصد لأنه صادف وجودهم ضمن نطاق السمع، وهم خارج نطاق الرؤية. وباستخدام مصطلحات 'غوفمان'، يكون الترتيب المحدد لكل هذه الأدوار والعلاقات خلال أي خطاب هو 'إطار المشاركة' لحظة حدوث الكلام.

يمكن ترتيب أدوار الحضور الأربعة هذه بحسب مواقعها كمُخاطبين، متلقين ومعروفين. وضمن كل تفاعل، تتوافق المسافة الفعلية للأعضاء الحضور عن المتحدث مع بعد أدوارهم، ومع المُخاطب الأقرب فعلياً، والمتنصّت الأبعد. ويقوم المتحدث بتحديد أدوار الحضور، وغالباً ما تكون المعايير المرئية كالموقع الفعلي وتوجيه الجسد واتجاه النظر حاسمة في تحديد كل شخص منهم.

كان لهذه الفروقات بين أدوار المستمعين تداعيات لسانية اجتماعية هامة. وقد رأينا في الفصول السابقة كيف اختار المتحدثون رمز لغتهم اعتماداً على من هو المُخاطب المحدد بالنسبة إليهم؛ إذ يكون هذا واضحاً جداً عندما يكون المخزون اللغوي متعدد اللغات وليس لغة واحدة. أما في المجموعة ثنائية اللغة، فتكون اللغة التي تختارها كافية في الواقع لتحديد الشخص الذي تُخاطبه. لقد وثّقت 'غال' (1979) حادثة من دراستها 'لأوبرفارت' حيث كان هناك اثنان من الشبان في مطبخ يمزحان معاً باللغة الألمانية. فتحوّل أحد الشبان إلى اللغة المجرية عندما أراد أن يسأل أمه شيئاً. إن التغيير باختيار اللغة لوقت قصير ومباشر، أعاد تصنيف الأم بوصفها الشخص المُخاطب، بينما كانت هي مجرّد مستمعة للمحادثة الألمانية التي كانت تدور بين الشابين.

هناك حالة واحدة يصبح فيها دور الجمهور والمُنتج معقداً جداً وبشكل سريع، وهي تحدث أثناء الترجمة من لغة إلى أخرى، أو في أثناء التفسير في اللغة الأخرى. يشرح 'فيغوروكس' (2010) تعقيدات الدور و'أسسه' في خدمة كنيسة العُنصرة للمهاجرين الكونغوليين في جنوب أفريقيا، حيث يجب ترجمة خطبة القس الفرنسية بشكل فوري إلى اللغة الإنكليزية. ويستطيع المتحدثون، في حالة الرمز أحادي اللغة، تعديل اللفظ بدقّة كاملة لتلبية حاجة الحضور (بيل، 1984). وسنعود إلى هذه الأنواع من الإمكانيات النمطية في الفصل الحادي عشر.

تمرين 6.7: تطبيق أدوار الجمهور ونقدها

استخدم الأسئلة الواردة في التمرين (6.6) لتطبيقها على أدوار الجمهور بدلاً من أدوار الإنتاج.

• حدد أدوار الجمهور من ناحية معايير المُخاطب – المتلقّي - المعروف (جدول 6.4)، أي منها ذو صلة للتمييز بين الأنواع أو المواقع المختلفة المثيرة للاهتمام كمدوّنات أو غرف محادثة.

• ما هو الضوء الذي تلقيه هذه الأدوار على القضايا من ناحية ما هو شائع وما هو خاص على مواقع الأنترنت، كمواقع التواصل الاجتماعي مثلاً؟

لا يتأثر اختيار اللغة بالمُخاطب فقط بل يتأثر بأدوار المستمع من الخارج، أي المُصغي والمستمع العام. فهناك ممارسة شائعة في العديد من المجتمعات ثنائية اللغة وهي أنه عندما ينضمّ متحدث فرد أحادي اللغة إلى المجموعة (ويُصبح مُنصتاً)، تباشر المجموعة كلها بالتحوّل إلى لغة واحدة بهدف إدخال هذا الشخص الجديد كمشارك؛ لأن الاستخدام المتواصل للغة لا يفهمها أحد المشاركين من شأنه أن يؤكد للمستمع الذي لا يفهم اللغة بأنه شخص متلقٍ، ومن خارج المجموعة. ومن الممكن أن يكون للمستمعين العامين أيضاً التأثير ذاته على اختيار المتحدث للغة. فقد وجد ’غومبيرز‘ قانوناً محدداً صارماً للمستمعين العامين، وهو مطبّق في المجتمع ثنائي اللغة السلوفيني/ الألماني في جنوب غرب النمسا؛ إذ "يوجد تحذير شديد اللهجة ضد المتحدثين باللغة السلوفينية في شركة مختلطة، لدرجة يمكن للسوّاح أن يعيشوا في قرية لأسابيع دون أن يلاحظوا وجود أية لغة يتم التحدث بها سوى اللغة الألمانية" (غومبيرز، 1982). لكن الخيارات الموجّهة للمستمعين العامين غير محددة بهذه الطريقة. وقد وثّقت ’غال‘ و’دوريان‘ أحداثاً مشابهة في مجتمعاتهما، لكن بنتائج معاكسة. ففي أحد فنادق ’أوبرفارت‘ مثلاً، تحوّلت مجموعة من ثنائي اللغة من اللغة ’المجرية‘ إلى الألمانية بناءً على طلب من مستمعين عامين موجودين إلى طاولة مجاورة. أما في حانة في شرق

’سيزرلاند‘ في اسكتلندا، فقد رفضت مجموعة من ثنائي اللغة طلباً مماثلاً للتحوّل من اللغة الغالية إلى الإنكليزية.

كما يعقّد الوضع الإعلامي الأدوار التي نحتاجها لتوصيف منتجي اللغة، فإنه يعقّد أدوار الجمهور عبر تضمين ما تمت مناقشته سابقاً. وبما أن كل حالة من حالات التفاعل تكون مُتضمنة في اللاحق، فإنه يتم تغطية أدوار الجمهور، وكذلك أدوار المتحدثين؛ إذ يمكن بث حفلة موسيقية مباشرة أمام الجمهور (يمكن بثها بشكل مباشر أو مُسجّلة). فالعرض المباشر عبارة عن حالة تتضمن مجموعة كاملة من الأدوار، لكن عندما يتم عرض الأداء، مع تضمينه في حالة الوسيط، يخلق الجمهور الواسع أدواره الخاصة به. ويمكن لهذا الأمر أن يؤدي إلى مشكلة، فتصبح الحفلة الموسيقية متاحة تكنولوجياً لجمهور يتضمن مجموعات لم تكن مستهدفة في الحدث المباشر. ويمكن حينها لكل شخص أن يُصبح مستمعاً من خلال جمهور وسائل الإعلام. ومن خلال الأنترنت يُحتمل أن يُصبح الجميع مُنصتين - غير مُخاطبين، وغير متلقّين، وغير معروفين - بعد أن اكتشفوا تكلفتها.

6.5 التهذيب وأداء الكلام

كانت أدوار المتحدث والجمهور أساسية لدراسة أداء الخطابات - المصلحة الدائمة لمجال ’التداولية‘، وهي واحدة من أقرب الفروع إلى اللسانيات الاجتماعية؛ إذ تركّز التداولية على استخدام اللغة ومُستخدميها. وفي أضيق تحديد لها، إنها تهتم بأوجه سياق المحادثات التي يتم ترميزها في اللغة نفسها - والأكثر وضوحاً هي الضمائر (المقصود من الضمير ’هي‘ في هذا الحوار لا يمكن تحديده إلا من السياق). والأكثر شيوعاً أن التداولية تتعامل مع طرق كثيرة يتم فيها تنظيم الحوارات وربطها بسياقاتها بشكل متعمد. ولهذا فإن

من المثير للاهتمام التداخل مع عمل لساني اجتماعي حول بناء الجملة والحوار.

يمكننا رؤية دراسة أداء الكلام في عمل الفيلسوف البريطاني 'جي، إل، أوستن'. في عام (1955) فقد قدّم أفكاره المركزية ضمن برنامج 'محاضرات وليام جيمس' في جامعة هارفارد، مع أنه توفّي قبل أن تُنشر هذه المحاضرات (1962). أما كتابه 'كيف نفعل الأشياء بكلمات' فكان مُعدّاً بأسلوب رائع واضح جعل بعض الفلاسفة يعتمدونه في مواضيع لغوية صعبة.

يجادل 'أوستن' بأن أداء الكلام عمل 'تنفيذي'؛ أي ألفاظ تنفّذ فعلاً الأداء الذي يتم التعبير عنه. فإذا قلتُ: 'أعد بأن آخذك معي في الظهيرة'، فإنني مع لفظي للفعل 'أعدك' فقط، أنا أنفّذ فعل الوعد. من وجهة نظر أوستن، وطالما أنه يمكن للعبارات أن تكون صحيحة أو خاطئة (أخذتك معي في الظهيرة' - 'لا لم تفعل' - 'نعم فعلت')، فيمكن للتنفيذ أن يكون إما 'سعيداً' أو 'تعيساً'. وهذا يعني أن عليها أن تفي بشروط 'سعادة' كالترتيب الصحيح للمشاركين. لاحظ الكلمات الآتية 'أعلنكما زوجاً وزوجة'. فشروط السعادة في كلمات كهذه مقيّدة بشدّة في معظم بلدان العالم. كما ينصّ القانون غالباً على وجود شخص مسموح له بقول ذلك (مجموعة من المؤهّلين)، ولمن تُقال، وأين يمكن أن تُقال، وحتى موقف الزوجين.

ميّز 'أوستن' (1962) ثلاثة أوجه لأداء الكلام:

- 'locutionary - الأداء التعبيري المتميز عن وظيفته ضمن السياق'، وهو نشاط لفظ الكلمات المناسبة.
- 'illocutionary'، تدلّ القوة في الأداء على الفعل الذي يتم تنفيذه من خلال اللفظ، هل هو إطراء أو طلب مباشر.

• يشير الأثر ما قبل الأداء التعبيري إلى ما حققه الأداء فعلاً بمستمعه - قبول الاعتذار، عرضٌ تم تقديمه.

الفرق بين الوجه الأول والوجه الثاني هام جداً. فهناك عدة أشكال للكلام يمكن استخدامها للتعبير عن الحالة الثانية. وربما تكون عبارة 'أريد أن أفعل كذا وكذا' هي الشكل الأكثر وضوحاً لطلب شيء ما باللغة الإنكليزية، لكن عبارة 'لو سمحت' هي الأكثر شيوعاً لتمثيل الحالة الأولى.

وجد 'أوستن' أن تمييزه المبدئي بين 'الإعلان' (التصريحات) و'السابق للتشكّل' لا يمكن تحقيقه بسهولة. وهذا ما أفسح المجال لطالبه 'جون سيرل'، لتطوير نظرية عامة عن أداء الخطاب (1969)، وكانت تتضمن خمسة مستويات:

• التمثيل لحالة معينة (أو النطق باسم دولة أو منظمة)، كأن يصرّح أو يصف.
• المباشرة: أمر، السماح بشيء، الطلب.
• الأمر أو الواجب: وعد، تعهّد.
• تعبيري: شكر، اعتذار.
• توضيح: تعيين، إعلان. (سيرل، 1976).

علماء اللسانيات الاجتماعية وأداء الخطاب

يقارب الفلاسفة وعلماء 'التداول' موضوع أداء الكلام بشكل مجرّد تماماً مستخدمين أمثلة مُشتركة لتوضيح النقاط التي يريدونها، لكن علماء اللسانيات الاجتماعية يتفاعلون معها عندما تحدث في بيانات اللغة الطبيعية؛ إذ تعرض الاعتذارات والمجاملات والشكاوي مجالاً واضحاً جداً لبحث الأمور الاجتماعية الخاصة باللغة. وقد قام أقدم بحث بإحصاء عدد من حالات أداء الكلام الذي تستخدمه مجموعات مختلفة ومقارنتها، بالإضافة إلى مواضيع هذا الأداء

ووظائفه. وركّز الكثير من ذلك العمل على اختلافات لغة الجندر باللغة الإنكليزية (أنظر التمرين **6.11**).

في العديد من حالات أداء الكلام، يكون الترتيب الدقيق للمشاركين حاسماً بالنسبة إلى نجاح الحوار والتفاعل أو تفسيرهما. وقد لا تكتمل حالات أداء الكلام حتى يستجيب المُخاطب بشكل مناسب. فلا تصبح عبارة 'أنا أراهنك - ' ناجحة حتى يقبل المُخاطَب بالرهان. وعندما يتم تقديم شكوى أمام مستمع، يصبح هذا الشخص شاهداً على الشكوى، وتساعد استجابته على تحديد ما ستكون عليه النتائج. كما وجد 'لافوريست' (**2009**)، في بحث عن التفاعل بين أفراد عائلة 'مونتريال'، أن المستمع/ الشاهد غالباً ما يتتبّع أصل الشكوى ويقوم بتجميعها، لكن يعمل أيضاً على إثبات أن الحالة لم تتدهور إلى حد كبير (التمرين **6.8**). حتى المستمع العام غير المتلقّي، الذي يترصّد عن غير قصد من مكانه على الأطراف، ربما يلعب دوراً أيضاً في حثّ متحدث على التخفيف من تهديد لفظي على سبيل المثال.

يُثير البحث في موضوع أداء الكلام مشاكل لدى علماء اللسانيات الاجتماعية. فقد تكون البيانات المسجّلة في الواقع أقل بكثير من الأمثلة التي تم إنشاؤها، وقد يكون من الصعب اتخاذ قرار حول ما هو الأداء الكلامي المنفّذ. هل العبارة التي تقولها إحداهن: 'ما رأيك بالقدوم معي؟' تنمّ على سؤال، أو طلب، أو عرض؟ أو أن المتحدثة تعتمد على ذلك الغموض فقط للتهرّب من موقف يتراوح بين الفرض على المستمع أو تعريض نفسها لرفض يهددها من ناحية تهذيبها؟ يُدرك الباحثون تماماً الآن أن الأداء الكلامي متعدد الوظائف، وأنهم بحاجة للولوج فيه بحسب الحوار الأكثر انتشاراً، والسياق الذي يقع

فيه من أجل تفسير معناه، وأن الأداء الكلامي نفسه ربما يعمل بشكل مختلف في لغات ومجتمعات مختلفة.

التهذيب

من سمات النهج 'التداولي' للغة مُستخدمة، وخاصة أداء الكلام، وهو نمط الآداب العامة الذي اقترحه 'براون' و'ليفنسون' (**1978**). يستحضر المصطلح، مع الأسف، مفاهيم الحياة اليومية عن 'المجتمع المهذّب'، وآداب السلوك واللباقة (الإتكيت)، لكنه يحصل هنا على تعريف أوسع. فالبناء العام أشبه بـ 'وجه'، وهو التقدير العام للذات لدى الشخص، وقد اعتمده 'براون' و'ليفنسون، من تحليل 'غوفمان' للعلاقات في الحياة اليومية. وبناء على الأفكار الشائعة في الحياة اليومية مثل 'أسود الوجه' و'حفظ ماء وجهه'، وقد قارنا بين بعدين: الوجه الإيجابي هو رغبة الشخص في أن يكون محل تقدير فعلاً، والوجه السلبي هو الرغبة في ألا يفرض نفسه. فالسلوك الذي يلبّي الرغبة الأولى هو **التهذيب الإيجابي**، والذي يلبّي الثانية هو **التهذيب السلبي**.

الأساس في هذا المنهج هو فكرة 'الأداء الذي يهدد - face FTA – threatening act)، والطرق الكثيرة التي يعالج المتفاعلون بها هذا الأمر. إن 'الأداء المهدد' الواضح يتضمن تحذيرات وأوامر، أما أداء الكلام اللبق، كالطلب والنصيحة، فيتضمّن تهديداً مبطناً (بالنسبة إلى المستمع ذي الهيئة السلبية أو الوجه السلبي - hearer's negative face). كما يمكن تصنيف الأداء المهدد حول ما إذا كان يهدد المتحدث أو المستمع، وما إذا كان يهدد وجهه الإيجابي أو السلبي؛ إذ يشكل الاعتذار تهديداً لوجه المتحدث الإيجابي طالما أنه يتضمن وجود عيب سابق لديه. ويُقال إن الأداء المهدد 'يُسجّل' عندما تكون هناك نيّة واضحة موجودة خلفه، لكن في حال كان

الأداء 'غير المُسجّل' فتبقى النيّة غامضة. إن التعبير الأكثر وضوحاً عن الأداء المهدد يظهر بالخط العريض مع الفعل - اجلس - مثلاً، فالتعبير الأكثر وضوحاً عن الأداء المهدد هو أمر بالخط العريض - 'اجلس' - وذلك مقارنة مع العديد من العبارات الملطّفة التي يستخدمها المتحدثون للتخفيف من صيغة التهديد المباشر: 'خذ مقعدك إذا سمحت'، 'هلا جلست من فضلك'.

التمرين 6.8: الشكاوى والمراقبات

من دراسة 'لافوريست' في عائلة 'مونتريال' (**2009**)، راجع تسلسل الشكاوى، وخاصة على دور الأم:

23 * الأب: أعتقد أنك فعلت الكثير من الأشياء في الآونة الأخيرة.

24 الابنة: ليس فعلاً.

25** الأم: أنت لم تعطِ نفسك الوقت الكافي للتفكير***بينكما.

26 الأب: ***نعم. حسناً: لا بدّ أن يستقرّ الغبار أحياناً.

الإشارات: * تذمّر،

** ردّ فعل شاهد،

*** كلام متداخل

- ما هي طبيعة استجابة الابنة على تذمّر والدها؟
- إلى جانب من تقف الأم؟
- ما هو الموقف الذي اتخذته تجاه التذمّر بحد ذاته؟
- ما هو تأثير ذلك على قوة التذمّر؟
- ما هي الوظيفة التي أدتها ملاحظة الأب الختامية؟

أطلق نموذج التهذيب كماً هائلاً من الأبحاث اللسانية الاجتماعية على مدى أكثر من ثلاثين عاماً في العديد من الثقافات واللغات والأساليب الأدبية، وركّزت غالباً على الاختلافات الجندرية. كما أنها واجهت الكثير من التحسينات والاعتراضات (مثلاً، في 'وات'،

2003). ربما كانت القضية الأساسية ادعاء 'براون' و'ليفينسون' الأصلي بأنها كونية شاملة - كان العنوان الفرعي: 'بعض الأمور الكونية في استخدام اللغة' (1987). كما أن القضايا المتعلّقة بالتهذيب، والحفاظ على ماء الوجه أو الرغبة في التصرّف بحرية، لا تُعتبر بالضرورة محرّكات التهذيب في جميع الثقافات. فالموقع المتعلّق بالبحث عن الفروقات الدقيقة، والعلاقة بين التهذيب و'الوجه أو الهيئة'، نجده في استخدام أشكال مشفّرة في اللغة اليابانية يتم من خلالها ترميز مستويات الاحترام في الأشكال النحوية 'كالبادئات' على سبيل المثال (انظر مثلاً، مجلّة 'journal of Pragmatics' /43 15، 2011).

التمرين 6.9: 'انتقادات' في مستشفى في كينيا

يرى 'واتس' (2003) أن التهذيب يتفاعل مع السلطة. على الرغم من وجود ميثاق يُعطي المرضى في المشافي الكينية حق الاحترام، يجد 'أوجوانغ' و'ماتو' و'أوغوتو' عدة مرضى تعرضّوا لسلسلة انتقادات من قِبَلِ الممرضات. يعكس هذا الأمر السلطة التي لدى الممرضات على المرضى، وتخطيهم لاعتبارات التهذيب العام. وقد أعطى 'أوجوانغ' ورفاقه أمثلة على ثمانية أنماط لأداء الكلام من خلال بياناتهم (2010):

لماذا تستمرّون بإزعاجنا؟
ألا تعرفون ما عليكم أن تدفعوه مقابل الدواء؟
أنا لا أريد أن أرى تلك المرأة هنا.
مشكلتي معك هي أنك لا تفهم.
لماذا تلاحقني في المستشفى كما لو أني مدين لك؟
أبعد هذه المرأة من هنا.
أنت راشد، لكنك تتصرّف كطفل.

إذا حاولت أن تتصرّف معي كشخص حاذق، فسوف تندم.

• ما هي الأفعال الكلامية الموجودة هنا؟ بمصطلحات 'براون' و'ليفينسون'، ما هي الأفعال 'المُسجّلة وغير المُسجّلة' – مع الانتباه لوضوح النيّة مقابل الغموض؟ وأيٌّ منها قاسية، أو تتضمن صياغة مخففة؟ في أي الحالات يكون من الصعب القول؟

بينما حاول بعض المرضى صدّ الاعتداء المتعلّق باحترامهم، أو القيام بهجوم على الممرّضة، استجاب معظم المرضى بنوع من الصمت الذي عكس سلطة الممرضة عليهم. ثم تأنيب فتاة مراهقة في العمل، وإهانتها عندما طلبت مساعدة (2010):

المريضة: "ساعديني يا أختاه، يكاد الألم يقتلني".

الممرضة: "لماذا لم تكملي تعليمك قبل أن تحملي يا فتاة؟" (صمت)

الممرضة: "الآن تريدين أن تتعلّمي الأخلاق". (صمت)

• فسّر كيف هددت كلمات الممرضة في هذا المقطع 'الوجه أو الهيئة' الإيجابية والسلبية للمريضة.

6.6 اللسانيات الاجتماعية الخاصة بالتفاعل

يتضمن البحث اللساني الاجتماعي في أداء الكلام لفت الانتباه إلى التفاصيل الدقيقة حول كيفية تفاعل المشاركين في مواقفهم اليومية. إنها تشكل جزءاً من اهتمام أوسع في الطريقة التي نجعل فيها أنفسنا واهتماماتنا التواصلية مفهومة في تفاعلاتنا اليومية. ويُعتبر ذلك عملاً رائداً لـ 'جون غومبيرز' الذي يرتبط اسمه بشكل وثيق مع 'ديل هايمز' لمشاركتهما في تحرير مجموعة 'الاتجاهات الأساسية في اللسانيات الاجتماعية' (1972). لكن عملهما، ومقارباتهما ومساهماتهما، كانت مختلفة جداً. فقد رأى 'هايمز' الصورة الكبيرة للمجال الناشئ، ونظّر لتحليل لغوي تجريبي صغير وصنّفه وقدّمه. وكان تركيز 'غومبيرز' على الأمور 'الصغرى - ميكرو'،

كما تُظهر مناقشتي لبحثه بعنوان 'تحوّل الرمز' في الفصل الخامس؛ إذ بحث في تفاصيل محادثات الحياة اليومية، وكيف تعمل هذه المحادثات لتمكين الأفراد من التواصل والتفاهم أحدهم مع الآخر. فكانت 'لسانياته الاجتماعية التفاعلية' مُباشرة وليست مُصوّرة أو مبرمجة.

يرتبط عمل 'غومبيرز'، وبوضوح تام غالباً، بعدة مناهج تم تقديمها في هذا الفصل؛ إذ يطرح 'نظام التفاعل' لدى 'غومبيرز' (الفصل **6.3**) إطاراً لدراسة التعامل الاجتماعي اليومي الذي أراد أن يستخرج منه مبادئ لاستخدام اللغة. وبنى ذلك على فكرة 'أداء الكلام' التي طرحها فلاسفة من أمثال 'أوستن' و'سيرل' (القسم **6.5**)، وخاصة منهج 'أتش. بي. غريس'. لقد طوّر 'غريس' 'المبدأ التعاوني – Cooperative Principle' (**1975**) الذي يفصّل أربع نقاط أساسية لسلوك المحادثات: تحتاج هذه المساهمات لأن تكون وافرة المعلومات وصحيحة وواضحة. وقد استند اهتمام 'غومبيرز' بما هو موجود تحت سطح المحادثات على بُنى رئيسة أخرى لـ 'غريس' - قرائن المحادثات'. واعتمد على اقتراحات فلاسفة وعلماء اجتماع وقام بتشغيلها على محادثات يومية واقعية.

كان مبدؤه الرائع 'وضع القرائن في سياقها الصحيح - contextualization cue'، وكان ممثلاً في كتابه الأساسي بعنوان 'استراتيجيات الحوار' الصادر عام (**1982**)؛ إذ تمثل تلك القرائن 'مجموعة من المميزات السطحية لشكل الرسالة... ومن خلالها يفسّر المتحدثون والمستمعون ما هو النشاط، وكيف يتم فهم المحتوى الدلالي، وكيف تُنسب كل جملة إلى ما سبق أو إلى ما سيتبع' (غومبيرز، **1982**). لقد قدّموا أدلّة علنية فقط لما كان مُفترضاً أو

مُتضمناً تحت السطح الخارجي للمحادثة. فيمكن للأدلة أن تكون من أي نوع لغوي تقريباً (أو غير لغوي) - مفردات، لفظ، بناء الجملة، تحوّل الرمز، استخدام صيغة، و(بشكل خاص) أنماط التجويد 'علم العروض'. لقد عملوا على 'تطبيق نبرة' في التفسير الذي يتوقّع المتحدث وصوله إلى المستمع (كما في صيغة SPEAKING لدى هايمز 'الجدول 2.6'). ففي بداية كل تفسير ما، سيُمضي المتحدث والمُنصت بعض الوقت في نقاش أسس متابعة المحادثة. وفي هذه العملية، يكون الثقل التفسيري المطبّق على 'الأدلة الموضوعة في سياقها' أكبر بكثير من الأهمية اللغوية السطحي. وإذا تعاون المتفاعلون بطريقة جيدة، فقد حققوا 'تزامناً في المحادثة' وساروا قُدماً في تناغم أحدهم مع الآخر.

لكن إذا لم يتشارك المتفاعلون مجموعة معروفة من 'الأدلة الموضوعة في سياقها'، تبدأ المشاكل. فيُخرج سوءُ التواصل الافتراضات التي تكون خفيّة عادة إلى السطح. وقد ركّز 'غومبيرز' على هذا النوع من الإخفاقات، محققاً في مشاكل التواصل، وساعياً لتفسير أين ومتى ولماذا تحدث مثل هذه الإخفاقات. لقد بحثت أعمال تجريبية كثيرة في التفاعلات بين أشخاص يشتركون باللغة ذاتها لكنهم ينحدرون من خلفيات ثقافية مختلفة جداً، مثل الهنود الناطقين بالإنكليزية أثناء حواراتهم مع متحدثين أصليين بريطانيين أو أمريكيين. كما حلل بعمق (1982) مقابلة استشارية للتوظيف بين مستشار بريطاني (أبيض) ومدرّس هندي استمرّت مدة ساعة في حالة مستمرّة من الصراع وسوء التفاهم؛ إذ كانت أهدافهما من المحادثة متعارضة تماماً من ناحية 'الأهداف والنتائج' بالطريقة التي وضعها 'هايمز' (الجدول 6.2).

التمرين 6.10: سؤال أم طلب؟

لدينا هنا مثالان من بحث 'غومبيرز' المبكر حول 'الأدلة الموضوعة في سياقها' (1982):

أولا: زوج يجلس في غرفة المعيشة يخاطب زوجته....

الزوج: هل تعلمين أين هي صحيفة اليوم؟

الزوجة: سوف أحضرها لك.

الزوج: هذا جيد. أخبريني فقط أين هي. أنا سأحضرها.

الزوجة: لا، أنا سأحضرها.

ثانياً: أم تتحدث إلى ابنها ذي الأعوام الأحد عشر بخصوص من عليه أن يخرج والسماء تمطر:

الأم: أين حذاؤك المطري؟

الابن: في خزانة الأحذية.

الأم: أريدك أن ترتديه الآن.

1. أي نوع من الأداء الكلامي كان ذلك من وجهة نظرك؟ - أهي أسئلة للحصول على معلومات، أم طلب غير مباشر بالتصرّف؟

2. لاحظ حدوث ضغوط قوية على الكلمة في آخر نطق لكل مثال. ما الذي تعبّر عنه؟

3. عندما وضع 'غومبيرز' نوعين من التفاعلات لمجموعة من المستمعين، أولئك الذين سمعوا السطر الأول من كل مثال على أنه طلب، شعروا أيضاً بأن تعديل النبرة التي تم اعتمادها في الأسطر الأخيرة كانت مُبررة. لماذا؟

4. الزوج في المقطع الأول أمريكي، بينما الزوجة في المقطع الأول، والأم في المقطع الثاني كانتا بريطانيتين. وكان المستمعون البريطانيون يميلون إلى إعطاء تفسيرات مختلفة عن تفسيرات الأمريكيين. أي نوع، بحسب رأيك، كان يرى الطرح بصيغة سؤال، وأيهما كان يراه بصيغة

طلب؟ (انظر نتائج 'غومبيرز'، **1982**) ما الذي يمكن أن يعنيه ذلك بالنسبة إلى محادثات بين ثقافات متنوعة متقاطعة؟

الصعوبات التي أشارت إليها الأسئلة الثلاثة الأولى بالنسبة إلى الناطقين غير الأصليين باللغة الإنكليزية، والسؤال الرابع الذي أشار إلى متحدثين بريطانيين/ غير أمريكيين، تبيّن مدى الدقّة والمعرفة الثقافية المطلوبة لتفسير تفاعلات يومية من هذا النوع.

تكون الأدلة الموضوعة في سياقها أساسية للكفاءة التواصلية للمتحدثين - تذكّر السمات التي وضعتها 'دوريان' للمهارات التفسيرية لأشباه المتحدثين في مجتمعها 'الغالي' (التمرين **4.7**). فقد كانت تلك الأدلّة دقيقة جداً ومحددة للمجموعات الفرعية، وتمَّ تعلّمها عبر فترة طويلة، ومن خلال التفاعل المباشر مع أعضاء ضمن المجموعة. لكن غياب هذه المهارات تحديداً يساهم في تقليل هذا النوع من التواصل الذي من شأنه أن يؤدي إلى اكتسابها من الخارج.

كان بحث 'غومبيرز' مهتماً بشكل واسع بالتداعيات الاجتماعية السياسية لهذا النوع من سوء الفهم بين الثقافات، مع أن إرثه يُعتبر، من عدة نواحٍ، الأقلّ حدة من ناحية التعريف من بين مؤسسي علم اللسانيات الاجتماعية. **فاللسانيات الاجتماعية التفاعلية** هو الاسم المُعطى لكتلة العمل التي بُنيت على أساليب 'غومبيرز' (**2001**). إنها لا تشترك كثيراً بنظرية متماسكة بل بقناعة منهجية بأن الأعمال التفصيلية للمحادثات اليومية هامة تفاعلياً. لقد تغذّت في مناهج علماء اللسانيات الاجتماعية الذين ناقشنا أعمالهم سابقاً مثل 'غال' و'ليفنسون' و'هيلر' و'أوير' (بعضهم كانوا طلاب 'غومبيرز'). وكانت الأكثر شهرة هي 'ديبورا تانن' معاونة 'غومبيرز' على تطوير 'الأدلّة الموضوعة في سياقها'، وكانت دراستها 'للأنماط الحوارية' (**1984**) تطبيقاً شاملاً على المنهج التفاعلي. فقد

قامت بتحليل الأحاديث التي دارت في عشاء (عيد الشكر لدى الأمريكيين) بين ستة أصدقاء في كاليفورنيا. ثلاثة أتوا من نيويورك، واثنان من كاليفورنيا، وواحد من إنكلترا. وكان لدى النيويوركيين ما أطلقت عليه 'تانن' اسم 'نمط **المشاركة العالية**': أي كلام سريع متزامن، أسئلة سريعة، وسرعة بأخذ دورهم بالكلام. وهذا ترك المشاركين الثلاثة الآخرين - الذين لديهم '**نمط المراعاة العالية**' مع شعور بالتهميش والخضوع للسيطرة. فكان هناك تضارب بالمعايير إذا استخدمنا مصطلح 'هايمز' (الجدول **6.2**).

6.7 الجندر والمحادثة

هذا البحث حول الأهداف التواصلية جعل 'تانن' تنشر كتاباً بعنوان *'أنت لم تفهم وحسب'* (**1990**)، وهو ما عمم دور اختلاف الجندر في المحادثة بالنسبة إلى الجمهور الأمريكي المتفاعل على نطاق واسع، وبشكل خاص تمييزها بين 'كلام خطابي' للرجال، و'كلام علاقة'[1] للنساء، وكان ذلك جزءاً من ارتفاع مُفاجئ في العمل اللساني الاجتماعي على الجندر واللغة، وقد عالجت إحدى فروعه الفرق بين الجندرين في اللغة كشكل من أشكال الاختلاف بين الثقافات. ومع توسيع منهج 'غومبيرز' في تواصل الجندر، عالج عمل 'مالتز' و'بوركر' (**1982**) الشابات والشباب الأمريكيين بوصفهم اجتماعيين في عوامل مختلفة.

ما نفترضه هو أن النساء والرجال لهم قواعد ثقافية مختلفة للمحادثات الوديّة، وهذه القواعد تدخل في صراع عندما يحاول

[1] في النمط الخاص بالنساء (rapport talk)، تسعى المرأة إلى تأسيس اتصال مع الآخرين. أما في النمط الخاص بالرجال (report talk)، يسعى الرجل إلى توجيه الاهتمام ونقل المعلومات وكسب الحجج. وإذا قارنا بين المحادثات العامة والخاصة، نرى أن النساء يتحدثن أكثر من الرجال في المحادثات الخاصة. المترجم.

الرجال والنساء أن يتحادث أحدهم مع الآخر كأصدقاء، وكأشخاص متساوين في المحادثة العامة.

تفحّصت الأبحاث المبكرة الاختلافات، كالإطراء في اللغة الإنكليزية على سبيل المثال (′هولمز′، **1988**، في نيوزيلندا). فكانت النتائج العامة هي أن النساء يلجأنَ إلى الإطراء، ويحصلن على إطراءات أكثر من الرجال. وقد أعادت ′ربس ميلر′ (**2011**) تلك الدراسات في الولايات المتحدة الأمريكية بعد عقود، ووجدت، في إعدادات ′غير منظّمة′، أن الإطراءات من امرأة إلى امرأة أخرى وصلت من ناحية المظهر إلى (أربع وسبعين بالمئة) بينما كانت نادرة من ذكر إلى ذكر. وكانت معظم إطراءات الرجال حول الأداء (أربعاً وستين بالمئة)، وخاصة حول الرياضة (انظر التمرين **6.11**).

اتخذ المنهج الثاني مسار ′العجز′. فقد بيّنت أقدم الأبحاث اللغوية عن الجندر أن لغة النساء هي بطريقة ما ′عاجزة′ وليست مجرّد مختلفة. وركّز كتاب ′روبن لاكوف′ بعنوان ′اللغة وموقع المرأة′ (**1975**) على أشكال اللغة التي تمت الإشارة إليها، وآمنت بأنها كانت نموذجاً لإنكليزية نساء بدلاً من إنكليزية رجال، مثلاً:

محددات تداولية	كما تعرف، نوعاً ما
أسئلة موجّهة بشعار	أليس كذلك؟ ألا نستطيع؟
تكثيف	كثيرٌ جداً، إنه ضخم
صفات ′فارغة′	لطيف، بديع
مصطلحات الألوان الدقيقة	البني الفاتح (البيج)، الأرجواني

التمرين 6.11: المجاملات والجندر

فكّر بالمجاملات التالية، وكيفية تلقّيها (′ريز ميلر′، **2011**):

1... ذكر: مرحباً برو، كانت لعبة جيدة اليوم: لقد لعبت بشكل جيد.

ذكر: مرحباً بك، شكراً يا رجل؛ كانت لعبة صعبة.

2... أنثى: يبدو هذا اللون رائعاً مع لون عينيك.

أنثى: شكراً لملاحظتك ذلك.

3... ذكر: يعجبني قميصك، إنه مناسب لك.

ذكر: شكراً، يُعجبني وجهك.

- اشرح وفسّر المزيج الجندري للمشاركين، المواضيع وتلقّي المجاملات. لاحظ التفاصيل اللغوية مثل استخدام المصطلحات التضامنية الموجّهة في المثال الأول (انظر دراسة 'كيسلينغ'، 2004).
- كيف ولماذا كانت الاستجابة في المثال الثالث غريبة؟ كيف ترى معناها الاجتماعي؟ (انظر 'ريز ميلر' 2011، حول تفسير الباحث).
- لماذا كانت المجاملتان الأولى والثانية مقبولتين، بينما الثالثة لا؟

في حين كان كتابها أساسياً لدراسة لغة الجندر، سرعان ما تم انتقادها على ثلاثة أسس على الأقل: تتضمن بعض جوانب منهجها انتقاصاً لقيمة المرأة؛ ولم تكن الأشكال اللغوية موزّعة بعناية بحسب الجندر، وكانت وظائفها منوّعة أكثر من مجرّد مؤشر على نقص في الثقة. كما كان الكثير منها مطابقاً لـ 'أدلّة 'غومبيرز' الموضوعة في سياقها'، كعملية تسهيل براغماتية تخفف من مجرى المحادثة، بينما كانت البقية حركات مهذّبة تهتم باحتياجات وجه المُحاور. ولم يمضِ وقت طويل حتى تحرّت الحركات النسوية اللغوية لماذا يجب على لغة النساء أن تُعتبر انحرافاً عن لغة الرجال وليس العكس.

المثال 6.11: الإطراءات والجندر

فكّر بهذه الإطراءات الثلاثة وكيفية استقبالها (ريس ميلر، 2011):

1. ذكر: مرحباً يا 'برو'، كانت لعبة جيدة؛ لقد لعبت بشكل جيد.

ذكر: شكراً، يا رجل؛ كانت لعبة قاسية.

2. أنثى: يبدو ذلك اللون جميلاً على عينيك.

أنثى: شكراً لملاحظتك ذلك.

3. ذكر: يعجبني القميص الذي ترتديه.

ذكر: شكراً، يعجبني وجهك

- اشرح وفسّر المزيج الجندري للمشاركين، ومواضيع هذه الإطراءات واستقبالها. لاحظ التفاصيل اللغوية كاستخدام مصطلحات تنطوي على صلابة في المثال الأول (انظر دراسة 'كيسلينغ' حول 'دود'، 2004).
- كيف ولماذا بدت الاستجابة في المثال الثالث غريبة؟ ماذا تعتقد أنها تعني من الناحية الاجتماعية؟ - بالنسبة إلى المتحدث، بالنسبة إلى المستمع، وبالنسبة إلى العلاقة بينهما؟ (انظر 'رِس ميلر' 2011).
- لماذا بدا الإطراء الأول والثاني مقبولاً بينما لم يبدُ الثالث كذلك؟

يبيّن المنهج الثالث لغة الجندر وكأنها تتضمن هيمنة. وتوضح تصريحات 'لاكوف' تماماً أنها كانت تعتقد أن السبب الأساسي للقصور هو الهيمنة في الواقع.

النتيجة النهائية لهذه التناقضات هو أن النساء يُحرمن بشكل ممنهج من الوصول إلى السلطة، على أساس أنهن غير قادرات على الإمساك بها كما يتضح من خلال سلوكهن اللغوي بالإضافة إلى الجوانب الأخرى في سلوكهن (لاكوف، 1973).

إن الاختلافات في الجندر - في اللغة، وفي المجتمع بشكل عام - ليست بدائل عشوائية أو حيادية. فالجندر بحد ذاته شكل هام من تصنيفات المجتمع وليس هناك مجتمع معروف تكون فيه للنساء سلطة أعلى من سلطة الرجال (جيدنز، 2009). وغالباً ما تطفو علاقات السلطة هذه إلى السطح في أنماط المحادثة. ففي مقالة عن 'العمل الذي تؤديه المرأة' في التفاعل، وجدت 'باميلا فيشرمان'

(1978) أن النساء يقدّمن معظم الدعم في المحادثات مع شركائهن – مثلاً، لقد سألن ثلاثة أرباع الأسئلة. ومن جهة أخرى، قام الرجال بثلاثة أرباع المقاطعات في الكلام في بحث قام به 'ويست' و'زيميرمان' (1983) حول 'الإهانات الصغيرة' المتجسدة في مقاطعة المحادثات. ولم يمضِ وقت طويل حتى استنتج 'أوبار' و'أتكينز' (1980)، على أساس مقارنة شهادات الذكر والأنثى في المحكمة، أنها لم تكن قضية لغة النساء بل قضية 'لغة عاجزة'.

أصبحت لغة الجندر الآن مجالاً ضخماً ومنوّعاً. وسوف نعود إلى جوانبها المختلفة في الفصول اللاحقة، بما فيها دقّة الفروقات في الجندر وكيف يتم تشريعها. وسوف نرى أيضاً أن نماذج العجز والفروقات والهيمنة تطبّق أيضاً - وهذا ليس مفاجئاً - على الأبعاد الأخرى للفوارق الاجتماعية، وعلى الأعراق بشكل خاص (الفصل السابع).

6.8 حالة اللغة العامية 'gíria' في 'ريو دي جانيرو'

المنطقة الجنوبية هي المنطقة الأكثر ثراء في مدينة 'ريو دي جانيرو' العملاقة في البرازيل. فيها هضاب وشواطئ مذهلة، وهي الولاية الأكثر غلاء في أمريكا الجنوبية. كما أنها موطن عدد من 'الأحياء الفقيرة - مدن الصفيح'. يُمثّل هذا التناقض الكبير بين الغنى والفقر انعكاساً للعرق والجندر. فالرجال اليافعون السود الفقراء في المنطقة هم من 'مواطني البرازيل المحرومين'، وذلك بحسب دراسة إثنية قامت بها عالمة اللسانيات الاجتماعية الأمريكية 'جنيفر روث جوردن' (2007).

في مجال اللسانيات الاجتماعية، هناك تاريخ طويل من البحث في لغة الذكور السود الشباب الحضريين المحرومين، ويعود ذلك إلى الدراسات الرائدة في ستينات القرن العشرين حول عصابات المراهقين في مدينة نيويورك (لابوف، 1972 - انظر الفصل السابع

من هذا الكتاب). وعادة ما تكون الوسائل المطلوبة لبحث اللغة في أوضاع كهذه إثنوغرافية بالضرورة. يتطلّب الأمر من الباحثين أن يصلوا إلى الناس الذين يريدون العمل معهم، وأن يكسبوا ثقتهم. وقد كان منهج 'روث جوردن' نموذجياً لدراسة لغوية إثنوغرافية من حيث استخدامها لمصادر بيانات متعددة، ومشاركة طويلة المدى، وتعاون مع المشاركين. لقد تفاعلت مع مخبريها لمدة تزيد عن سنة ونصف. وبدأت بجمع استبيانات مكتوبة، وإجراء مقابلات في المدارس الثانوية. وأدى ذلك إلى تسجيل محادثات غير رسمية مع مجموعة من الأقران، وأصبحت مجمّع البيانات المركزي للمشروع. وقد تصرّف أحد عناصر المجموعة كمستشار للباحثة، ومرشدٍ ومترجمٍ للمجموعة ولغتها. كما راجع التسجيلات، وحدد وترجم التعابير المطلوبة من اللغة البرتغالية، مما جعل حدس المشاركين ومحاكماتهم أساسية في تحديد بيانات الدراسة. وأخيراً، اختارت الباحثة مقتطفات مُختارة من التسجيلات وأعادت تسجيلها مرة أخرى مع مجموعات مختلفة هي: المشاركون أنفسهم، أهلهم، أشخاص بالغون آخرون، وشباب من الطبقة الوسطى.

مؤشرات التداولية

ركّزت دراسة 'ريو دي جانيرو' على دور 'اللغة العامية' 'gíria' في تهميش هؤلاء الرجال في مدن الصفيح، وبشكل خاص على دور أربعة 'مؤشرات تداولية' في اللغة العامية 'gíria'. يمكن تسميتها أحياناً مؤشرات حوارية أو 'حبيبات تداولية'، وهي عبارة عن بعض الفتات اللغوية الصغيرة التي تزوّدنا بنوع من اللاصق الحواري التفاعلي الذي يربط محادثاتنا معاً (شيفرين، 1987). فتعابير من نوع 'حسناً، في الواقع، أنا أعني، وما إلى ذلك' تعطي نكهة لمحادثاتنا، وهي تُبرز باستمرار بنية ما نقوله وأهميته، والطريقة التي نريد أن

نرتبط بها مع محاورينا. إنها، بمصطلحات 'غومبيرز'، 'تلميحات موضوعة في سياقها'. تتناسب الوسائل الإثنوغرافية النوعية مع البحث في هذا النوع من الأشكال اللغوية التي تتطلب حالة يتسم فيها المتحدثون بالراحة، ويستطيع المحللون استعادة سياق كافٍ لتفسير الاستخدامات.

لكن هناك قضية لسانية اجتماعية هنا بالإضافة إلى القضية التداولية؛ إذ تكون المؤشرات مشوهة دوماً، وخاصة في كلام مجموعات ليست من النوع السائد. إنها تتغير دوماً وتنتشر بشكل سريع - ومن الشائع أن تُعامل بازدراء من قِبَلِ الناس الأكبر سناً كنوع من الدلالة على مهارات لغوية غير كافية لجيل الشباب؟ فهناك شكوك بأن المنتقدين أنفسهم سيستخدمون تلك المؤشرات التداولية في محادثاتهم الخاصة. الجميع يفعل ذلك.

تداول اللغة العامية 'gíria'

بشكل روتيني، تصف المجموعات الخارجية طريقة كلام مستخدمي اللغة العامية بأنه غير مفهوم، وتشير بشكل خاص إلى استخدامهم نسبة عالية من المؤشرات التداولية، النصيّة منها والتفاعلية. وقد درست 'روث جوردن' أربعة أنواع من التعابير: الكلمات الصوتية، الكلام البذيء، مصطلحات الشخص المُخاطب، والعلامات الموجّهة إلى الشخص المُخاطب. ويُبيّن التمرين (6.2) أحداثاً متعددة للتعابير الثلاثة الأولى. وسوف نبحث اثنين منها فقط.

الكلمات الصوتية هي ليست كلمات في الواقع، إنها تعبيرات مرسومة بطريقة صوتية تمت دراستها أيضاً في لغات أخرى كاللغة اليونانية، حيث يكررونها أثناء السرد (تانن، 1986)؛ إذ تحاكي معظم الكلمات الصوتية أصواتاً كالتلامس أو شيئاً يتعلّق بالصراع ككلمة 'بوووم' أو 'با'، وغالباً ما تُسبق أو تُتبع بحالة توقّف أو صمت في اللغة

العامية 'gíria'، إنها تأتي غالباً كوضع فاصلة بين الكلمات، أو تقطيع في السرد، أو لوضع مقدّمة جديدة، أو البدء بمعلومات هامة (انظر المثال **6.2**) - الأدلة الكلاسيكية الموضوعة في سياقها. كما تُستخدم هذه الكلمات المنطوقة بسرعة وصوت عالٍ على نطاق واسع جداً بين مجموعات الأقران الذكور مع أن الناطقين باللغة البرتغالية الأساسية لا يعتبرونها كلمات. كما أن الأهل بشكل عام، والبرازيليين من الطبقة الوسطى، الذين شملهم استطلاع 'روث جوردن' لاحقاً، يعرفون أن ذلك كان جزءاً من تشويه العامية 'gíria'، ويعتبرونها كلمات تُعيق تماسك المحادثة. لكن بما أن وظيفة المؤشرات التداولية أن تفعل العكس تماماً - أن تعمل على ترتيب بنية المحادثة - تبدو فرضية الإعاقة وكأنها ردّ فعل على المتحدثين وليست على كلامهم.

تُعتبر العلامات الموجّهة إلى الشخص المُخاطَب من بين الأدوات التفاعلية الأكثر شيوعاً في اللغة، ونذكر منها عبارة 'كما تعرف - y know' الكلاسيكية في اللغة الإنكليزية (المثال **6.1**). والأكثر تمايزاً بين هذه العلامات في اللغة العامية 'gíria' هي 'tá ligado' 'ألا تزال معي/ من أجل لفت الانتباه؟'، والتي تم تعميمها بين مغني الراب البرازيليين للإشارة إلى وحدة السود والوعي السياسي. وهكذا فهي تعمل من الناحية اللغوية والسياسية الاجتماعية بالطريقة ذاتها كمؤشرات تداولية في اللغة العامية الإنكليزية الأمريكية الأفريقية - كلمة 'aite' بمعنى 'حسناً' و'na' بمعنى 'أنت تعرف ما أعنيه' (رايس، **2005**).

المثال 6.1: مؤشرات تداولية في اللغة الإنكليزية

لعقود طويلة، تم بحث المؤشرات التداولية كثيراً في اللسانيات الاجتماعية، وذلك في اللغة الإنكليزية واللغات الأخرى - في كلام النساء والرجال (هولمز، **1995**)، والمحاضرات الأكاديمية (تشيا ين

لين، 2010)، والحوارات في مواقع العمل (هولمز، 2006)، وفي تفاعلات طلاب الصف (الإسبان) (دي فينا، 1997).

نظرت إحدى دراساتي إلى تلك المؤشرات لدى مجموعة من الشباب الأقران النيوزيلنديين (بيل وجونسون، 1997)، وبشكل خاص إلى العلامات الموجّهة إلى الشخص المُخاطب، التي تعمل على اختبار فهم المُستمع، والتعاطف مع ما يقوله المُتحدث. وتبيّن أن عبارة 'كما تعرف' كانت شائعة جداً لأنها قيلت أكثر من مئتي مرة في مقابلة واحدة. (غالباً ما تقلل مؤشرات الحوار من الإدراك اللفظي، وهكذا يقوم علماء اللغة بكتابتها بالشكل الآتي - y'know بدلاً من 'you know' و'aite' بدلاً من 'all right'). يلفظ أحد المتحدثين عبارة 'كما تعرف' بشكل متكرر أثناء الحديث، ويصل التكرار أحياناً إلى عشر مرات في الدورة الواحدة، وقد يلفظها مرتين متتاليتين. وعلى النقيض من ذلك، تكون الأسئلة الموجّهة مثل 'أليس كذلك - aren't they' نادرة جداً في المحادثات الحقيقية على الرغم من تعليمها للمتعلّمين بوصفها تعابير عامية أساسية.

المثال 6.2: الصخب في اللغة العامية البرازيلية 'gíria'

يصف 'كاراتيه' الناطق بلغة 'gíria' مراقبة الباعة الجوالين وهم يثيرون الصخب والضجيج أثناء ممارساتهم لألعاب الرهانات في الطريق وقد استخدم ثلاثة من المؤشرات التداولية الأربعة التي درسناها سابقاً - الكلمات الصوتية (ثلاث مرات)، الكلمات الهذيئة (ثلاث مرات) صيغ توجيه الحديث (مرتين). يغيّر هذا التكرار 'إيقاع كلامه بشكل دراماتيكي' (روث جوردن، 2007) ويُشكّل أسلوبَ لغةٍ 'gíria' مميزاً.

كاراتيه: (اللعنة - caralho) لقد أخرج عشرة دولارات من جيبه. ’بوم!‘ لكنها في اللعبة. ’بوم! (كاراركا - يا إلهي)، ربح عشرة دولارات. (اللعنة - caralho)، لقد ربح أربعين. أوه (يا رجل - mane)، هذا بسيط! الشباب الآخرون يراهنون أيضاً معها. ’با - Bá‘ ربح، خسارة، لكن ذلك كله ماله، (يا رجل - cara).

’كلمة واحدة طبيعية من أصل عشر‘

على أية حال، ما يلفت انتباه المستمعين ليس أن المتحدثين بلغة ’gíria‘ العامية يستخدمون العلامات المميزة الموجّهة للمُخاطب بشكل متكرر مع العلامات القياسية مثل ’saba‘ بمعنى ’كما تعرف‘؛ إذ يصف بعض من هم من خارج المجموعة، والذين شملهم استطلاع ’روث جوردن‘، المتحدثين باللغة العامية بأنهم ’ينطقون كلمة واحدة طبيعية من بين كل عشر كلمات‘ (2007). إن المؤشرات مكررة بالتأكيد في المثال (6.2)، لكنها تشكّل في الواقع ما نسبته واحد إلى خمسة بدلاً من نسبة تسعة إلى عشرة.

إن المبالغة في انتشار عدد كبير من الميزات هو حالة نمطية شائعة في كلام الشباب في لغات ومواقع مختلفة، من اللغة العامية البرازيلية ’gíria‘ إلى لغة الشابات في كاليفورنيا إلى لغة ’تشافسبيك‘ البريطانية (موندوزا - دينتون، 2008) - انظر التمرين (6.12). ومع ذلك وجدت الدراسة تلو الأخرى أن المؤشرات الحوارية منتشرة جداً في الكلام اليومي لدى كل أنواع المتحدثين. وبحسب ’روث جوردن‘، يقدّم متحدثو لغة ’gíria‘ نمطاً لغوياً متماسكاً يستفيد من التعابير التداولية بكثافة لتنظيم المعلومات النصية، وإدارة العلاقات بين الأشخاص من متحدثين ومستمعين، ونقل موقف المتحدث نحو المحتوى والجمهور‘ (2007). ويقوم الناطقون باللغة البرتغالية الرسمية بمحاكمة لغة ’gíria‘ العامية على أسس اجتماعية وليس

على أسس لغوية، أي على أساس تهميش الناطقين بها، وعلى أساس تحدي هذه اللغة للاتفاقيات.

التمرين 6.12: صورة المؤشرات التداولية

'تعاني مؤشرات الحوار بشكل عام من مشكلة في الصورة'، هذا ما تلاحظه 'نورما ميندوزا دينتون (2008) في أثناء دراستها لعصابة لاتينية تستخدم مؤشرات متنوعة.

1. هل هناك أية مؤشرات مكررة سيئة السمعة في لغتك أو لهجتك؟ إذا كان الوضع كذلك، ما هي انطباعاتك عن كيفية استخدامها، ومن الذي يستخدمها، وما هي معانيها الحوارية والاجتماعية، وما هي المواقف العامة منها؟ كيف كوّنت انطباعاتك؟

2. استخدم مصادر الأنترنت والمكتبة لمزيد من البحث حول هذه الأسئلة - انظر مثلاً مقالات لـ 'جانيت هولمز' وكتبها، ومحاضرات أخرى في 'مجلّة التداولية'.

3. حدد بعض مقاطع 'اليوتيوب' التي تعرض وسائل الإعلام لهذا النوع من اللغة مثل برنامج 'ليتل بريتاين' و'كاترين تايل' بلغة 'تشافسبيك' البريطانية (انظر أيضاً بينيت، 2012) وعروض 'ساترداي نايت لايف' لأحاديث شابات كاليفورنيا. وقيّم دقة هذه العروض، ودورها في التقييم الاجتماعي للتنوّع.

4. ابحث الدور الذي تلعبه هذه المؤشرات التداولية في توحيد نمط مستخدميها وتهميشهم. لماذا يجذبون كل هذا التقييم السلبي؟ ما هي الوسائل التي يتم من خلالها تعميم هذه التقييمات في مجتمع؟ هل يجب القيام بأي شيء حيال ذلك؟

انظر الفصل العاشر من أجل نقاشات أبعد حول إيديولوجيات اللغة ومعاييرها وتداعياتها.

6.9 نشاطات البحث

إثنوغرافية الفصل الدراسي

طبّق إطار 'هايمز' كما تم طرحه في الجدول (6.2) على الصف الدراسي الموجود فيه. لقد قمتُ بتوسيع مصطلحات 'هايمز' عن المشاركين عبر إدخال فروق أكثر دقة تظهر في الجدولين (6.3) و(6.4).

ثم استخدم النشاط لتقييم الإطار. ما مدى فائدتك في فهم اللغة المستخدمة في الصف؟ ما هي الحدود؟ هل تتوقّع تطوّراً فيها؟

الموقع

المكان والزمان الذي يوجد الفصل الدراسي فيه.

الموقع الفعلي، مثلاً، مكان الجلوس. هل يدلّ 'المكان' على ما هو أكثر من مجرّد الموقع؟

المشهد

ما هو التعريف الثقافي لهذه المناسبة؟

هل هي محاضرة رسمية؟ أو ترتيب آخر – سمينار، دورة تعليمية؟ ما هي القواعد؟

المنشّط، المحرر، المؤلف، المسؤول

من هو الذي يتحدث؟ من يقدّم الرسائل؟

من هو المؤلّف؟ هل هناك أي محررين؟

إلى أي مدى ينقل المحاضر المحتوى الذي يعبّر عنه الآخرون؟ هل هناك أي تسليم 'لتقاليد'؟ هل هناك الكثير من الاقتباسات، مباشر أو مُعاد صوغها؟

من هي السلطة التي تقف خلف الرسائل؟ من هو المسؤول عن محتويات الصف؟ هل يخلق طلاب الصف محتويات جديدة؟

هل المؤسسة (إدارة الجامعة أو إدارة القسم) لها دور؟ كيف ومتى يمكن لهذا أن يُصبح قضية؟

المُخاطب، المنصت، المستمع العام، المتنصّت

من يسمع الرسالة؟ الصف كله؟ والصف كله فقط؟

هل جميع طلاب الصف مُخاطبون، أو أن بعضهم منصتون، أو متلقون غير مخاطبين؟

هل هناك مستمعون غير موثوقين حاضرون - مستمعون عامون؟

هل هناك مستمعون مخاطبون على مدار الوقت؟

هل هناك متنصّتون؟!

كيف يتغير دور المُنتجين والحضور عندما يسأل المحاضر أو الطالب أسئلة؟ أو عندما يتوزّع الطلاب في مجموعات صغيرة؟

النتائج العامة

ما هي الغاية العامة من الدرس؟

الأهداف

هل كل طلاب الصف يتشاركون هذا الهدف؟ هل المحاضر أيضاً كذلك؟

كيف يمكن أن تظهر الاختلافات بين النتائج العامة والأهداف؟

شكل الرسالة

كيف تُقال الأشياء - من خلال المُحاضر، أو من خلال طلاب الصف؟ ما هو المزج بين الرسمي وغير الرسمي.

محتوى الرسالة

ما هو الموضوع المُعلن، العنوان؟ كيف يمكن مقاربة ذلك وتقديمه؟ هل هناك التزام به؟

النبرة

ما هي النبرة التي يُقال فيها ما يُقال؟ هل هي دائماً مباشرة وجدية، أو هل هناك نبرات فكاهة وسخرية أخرى؟

هل هناك جوانب غير لفظية؟

القنوات

ما هي قنوات التواصل - الكلام، الكتابة، الراديو، الأساليب المرئية؟

هل هناك نشرات، رسوم بيانية، برامج كومبيوتر، تسجيلات فيديو، وما إلى ذلك؟

شكل الكلام

أي لغة هي المُستخدمة، وما هي أنواعها؟ ومن يقدّمها؟ وأية رموز من مخزون الطلاب اللغوي لم يتم استخدامها؟

معايير التفاعل

ما هي قواعد أخذ الدور في الصف؟ من هو المخوّل بالكلام؟ متى وكيف؟ هل تحدث التفاعلات كلها من خلال الصف كله أو هناك 'اختراقات' من نوع عمل الثنائيات؟

معايير التفسير

هل يفسّر كل شخص المعايير بالطريقة ذاتها؟ هل هناك أي صدام بين المُحاضر والطلاب، أو بين طلاب الصف المختلفين؟ لماذا؟

النوع

هل يجب تصنيف ما يجري كمحاضرة؟ أو أن هناك نوعاً آخر ذا صلة؟ ما هي المعايير؟

6.10 الملخّص

امتزج هذا الفصل مع عدة مناهج أنثروبولوجية واسعة بما يخص استخدام اللغة ومُستخدمها، مقدّماً كميّة كبيرة من المفاهيم والمصطلحات.

• 'الحالة أو الموقف' هو المناسبة الاجتماعية التي تحدث فيها اللغة. إنه يتضمن تداخلاً بين اللغة وسياقها، مع لغة تشكّل جزئياً حالة مستخدمها.

• يعكس مفهوم 'فيشرمان' عن المجالات وجود مجموعات نمطية من المشاركين، والمواضيع والإعدادات في سياقات تعليمية أو دينية، على سبيل المثال، وهي تميل إلى إطلاق خيارات معيّنة للرمز.

• كان المنهج التأسيسي للغة الكائنة هو منهج 'ديل هايمز' 'إثنوغرافيات التواصل'، الذي ركّز على توصيفات 'SPEAKING' التي تحدد مكونات حالات الكلام.

• في حين رأى 'هايمز' دورين فقط للمتحدث والمستمع، دافع 'غوفمان' ومن ثم 'بيل' عن أقسام أكثر دقة. إذ يوجد ضمن بنيّة المتحدّث أدوار أخرى منها المسؤول، أي (السلطة الكامنة خلف النص)، ثم المستمع والمحرر والمنشّط، وهي أدوار يجب تمييزها.

• تكون أدوار الجمهور مُدرجة أيضاً في المركز، من المُخاطب المُستهدف في الخارج، إلى المُستمع غير المستهدف، والمستمعين العامين غير المتلقّين، إلى المُتنصتين غير المعروفين. ويمكن رؤية هذه الأدوار الدقيقة في العمل ضمن وسائل الإعلام والإنتاج والتلقّي عبر الأنترنت. ويكون أفضل تصوّر لها بأنها موضوعة على شكل طبقات إحداها فوق الأخرى.

• لأدوار المشاركين أثر كبير في اختيار اللغة، وأيضاً في أداء الكلام، والتركيز في المجال المُجاور التداول. وقد عرّف 'أوستن' تعابير الأداء من

نوع 'أنا أعدك بـ' والتي تؤدي إلى القيام بالفعل الذي وعدت به. فأداء الكلام له مؤشرات مختلفة على قوة الأداء، كالسؤال أو التهديد.

- ركّزت الأبحاث اللسانية اللغوية المبكرة المهتمة بأداء الكلام على إحصاء اختلافات الجندر في التصرفات ومقارنتها مثل الاعتذار. واهتمّت أبحاث لاحقة بالوظائف المتعددة والفروقات الدقيقة التي يمكن لأداء الكلام أن يحملها في سياق المحادثة.

- في إطار 'التهذيب' الخاص بـ 'براون' و'ليفينسون'، يُنسب أداء الكلام إلى مشاركين بحاجة إلى 'حفظ الوجه'، وخاصة عندما يتعرّضون إلى تصرّفات 'تهدد السمعة'

- ركّز عمل 'غومبيرز' في اللسانيات الاجتماعية التفاعلية على الطريقة التي نجعل فيها نوايانا التواصلية مفهومة من خلال التفاصيل الدقيقة للتفاعلات في الحياة اليومية؛ إذ يُحدد مفهومه عن الأدلة الموضوعة في سياقها المميزات السطحية التي من خلالها يدلّ المتحدث المستمع على ما تنطوي عليه المحادثة. وإذا لم يتشارك المتفاعلون مجموعة مشتركة من الأدلة الموضوعة في سياقها، تظهر المشاكل. وقد ركّز 'غومبيرز' على مثل هذه الإشكالات في التواصل وخاصة في التقاء الثقافات.

- تظهر الفروقات في لغة الجندر في المحادثة. ويُعتبر منهج 'الفرق' أن الرجال والنساء يأتون من ثقافات فرعية متمايزة من ناحية التواصل، ويظهر ذلك مثلاً في سلوكهم في الإطراءات. كما يقيّم منظور 'العجز' النساء على أنهنّ متذللات ومترددات في المحادثات، بينما يرى منهج الهيمنة أن الاختلافات هي نتيجة سلطة الرجال في المجتمع، ويتوضح هذا في سلوك المقاطعة المتكرر.

- كانت دراسة الحالة في هذا الفصل هي دراسة 'روث جوردن' الإثنوغرافية (2007) حول مساوئ الشبان السود في ريو دي جانيرو،

ويتضمن ذلك مراقبة قريبة طويلة الأمد لطريقة حياتهم، وتسجيل تفاعلاتهم، وإظهار تفسيراتهم. كما أن لغة 'gíria' أو العامية كانت الجزء الأساسي لهويتهم وتهميشهم، ويتم التعبير عن ذلك بشكل خاص في الاستخدام العالي للمؤشرات التداولية التي يعمل الناطقون باللغة البرتغالية الرسمية على تشويهها.

6.11 قراءات متقدمة

من أجل نظرة عامة على المناهج الإثنوغرافية/ الأنثروبولوجية، انظر العناوين التكميلية التي ذكرها 'ديورانت' (الأنثروبولوجيا اللغوية، 1997) و'فولي' (لسانيات أنثروبولوجية، 1997). لقد قام 'ديورانت' بتحرير عملين آخرين (2004، 2009). تجميع 'شيفلين وغاريت' لخلاصة المجلد الخامس (2001) وهو مجموعة من العناوين الكلاسيكية والمعاصرة التي لا تقدّر بثمن. لاعتبارات تتعلّق بالوضع والسياق، انظر مجموعة 'ديورانت' و'غوودوين' (1992) ودراسة 'فان ديجيك' الأخيرة من منظور الحوار النصي (2009). وكتاب 'سافيل ترويكي' بعنوان 'أثنوغرافيا التواصل (2003) يقدّم عرضاً واسعاً لإطار عمل 'SPEAKING' الخاص بـ 'هايمز' بالإضافة إلى أمثلة عملية متعددة. فالدراسات التي قامت بها 'إكيرت' (2000) وطالبتها 'ميندوزا دينتون' (2008)، قدّمت طروحات وانعكاسات ثاقبة حول القيام بدراسة الإثنوغرافيا. وتقدّم مجلة 'الأنثروبولوجيا اللغوية' نكهة عن الأبحاث الحالية، كما تفعل مقالات في مجلة 'اللغة في المجتمع' و'مجلة اللسانيات الاجتماعية'.

وبشكل مشابه لـ 'فيشرمان'، كان 'هايمز' أساسياً في تشكيل هذا الفرع من خلال عمله ككاتب مقالات (1972)، ومحررٍ لمجلّة ومجموعة. ففي عام (1972) أسس مجلة اللسانيات الاجتماعية الأصلية، واللغة في المجتمع، وحررها لمدة عشرين عاماً. كما أنه

ساعد في تحرير المجموعات الأولى التي لا تزال ذات صلة (هايمز، **1964**؛ غومبيرز وهايمز، **1972**). ويمكن الوصول إلى عمل ’هايمز‘ من خلال أعماله الكاملة (**1974**) بعنوان ’الأسس في اللسانيات الاجتماعية‘. فهو ليس مفكّراً وكاتباً كبيراً فقط بل إن تفكيره تحفيزي وأساسي. انظر مقال السيرة الذاتية في ’ووداك، جونستون وكيرسويل‘ (**2011**).

هناك دراسات عن إطار عمل المشاركات والجمهور تعود جذورها إلى ’هايمز‘ (**1972**) و’غوفمان‘ (**1981**). وعملي الخاص هو في ’بيل‘ (**1984**)، ويستمرّ علماء اللسانيات الاجتماعية بإعادة النظر في هذه البُنى الأساسية وتنقيحها (راجع المقالات في مجلّة التداولية).

حول موضوع أداء الكلام، كتاب ’أوستن‘ التأسيسي بعنوان: ’كيف نفعل الأشياء بالكلمات‘ (**1962**) هو كتاب أساسي ورائع. ومن أجل دراسات لسانية اجتماعية تجريبية، مجلّة التداولية - في ما يقارب الأربعة آلاف صفحة سنوياً، وخمسة عشر إصداراً - هي عبارة عن أبحاث مجمعة مُعاصرة، وخاصة حول أداء الكلام، والتهذيب ومؤشرات الحوار. وتدير الرابطة الدولية مؤتمرات ومنشورات (انظر الموقع الإلكتروني).

’براون‘ و’ليفنسون‘ (**1987** - كان أول ما نُشر له عام **’1978’** كجزء أساسي من المجلّد الكامل) هو العمل الأساسي لبنية التهذيب. هناك مجلّة أبحاث التهذيب المكرّسة لهذا الموضوع؛ إذ يتحدى نص ’واتس‘ (**2003**) الكثير من الافتراضات، ويقدّم التهذيب على أنه يتضمن صراعاً حوارياً من أجل السلطة. كما يشكّل بحث ’جانيت هولمز‘، وخاصة حول التفاعل في أماكن العمل، الكتلة الرئيسة من العمل على أداء الكلام، ومؤشرات الحوار والتهذيب (**1995**، **2006**؛ ’هولمز‘ و’ستوب‘، **2003**؛ ’مارا‘ و’فين‘، **2011**).

عمل 'غومبيرز' (1982) هو النص الأساسي حول اللسانيات الاجتماعية التفاعلية، مندمجاً مع مجموعة من الفصول التي حررها الطلاب وزملاء العمل. كما أن مقالة السيرة الذاتية لـ 'جوردن' في 'وودال'، 'جونستون' و'كيرسويل' (2011)، تزودنا برؤية جيدة عن عمل 'غومبيرز'. وكتاب 'إيردمانز' و'بريفيغنانو' و'تيباولت' بعنوان 'حوارات مع 'جون غومبيرز' (2002) يعرض جولة رائعة حول منهجه الخاص وما تبعه. بالإضافة إلى المجلد الثالث من مجموعة 'كوبلاند' و'جاورسكي' (2009) التي تغطي 'اللسانيات الاجتماعية التفاعلية' (والغريب في الأمر أن عمل 'غومبيرز الخاص ظهر في مجلدات أخرى). وربما تشكّل كتب 'تانن'، الأكاديمية منها والشعبية (1984، 1990، 1994)، أكبر مجموعة من العمل الاجتماعي اللغوي. أما علاقة الجندر واللغة فسوف يتم تلخيصها في الفصل السابع، باستثناء الإشارة إلى مراجعة 'بافليدو' الجيدة حول 'الجندر والتفاعل' (2011).

الفصل السابع

التباين في اللغة

مقدمة:

نناقش في هذا الفصل موضوع التباين اللغوي الذي نما من خلال عمل 'وليام لابوف' الرائد في ستينات القرن العشرين ليُصبح العمل الأكثر هيمنة وتماسكاً في مجال اللسانيات الاجتماعية. إن لموضوع تباين اللسانيات الاجتماعية جذوره في تقاليد علم اللهجات التي كانت تُمارس في أوروبا وأمريكا الشمالية. يتضمن ذلك بحثاً استطلاعياً للمجتمعات الريفية، وتركيزاً على اختفاء كلمات أو أساليب لفظ معيّنة، وتصويراً لتوزعها. لم يظهر أي عمل كهذا في المناطق الحضرية حتى منتصف القرن العشرين، لكن الأمر تغيّر مع بحث 'لابوف' الرائع في مدينة نيويورك.

يدرس 'منهج التباين - variationist' في اللسانيات الاجتماعية علاقات الاختلاف والتغيير. ويركّز هذا الفصل على تباين اللسانيات الاجتماعية، مع المحافظة قدر الإمكان على مناقشة التغيّر اللغوي إلى الفصل التالي. التباين أوسع من التغيير: يمكن للسمات أن تتباين دون أن تتغير لكنها لا تتغيّر دون أن تتباين. إننا نركّز هنا على ثلاثة أبعاد من أصل خمسة أبعاد رئيسة تتباين اللغة بين المتحدثين بناء

عليها: الطبقة الاجتماعية، والإثنية والجندر. سيغطي الفصل الثامن موضوع العمر والتغيير، ويعالج الفصل التاسع موضوع المكان، بما في ذلك التباين الجغرافي. لقد أتت الكثير من الأمثلة هنا من اللغة الإنكليزية، مما يعكس رجحان البحث بها. ويعالج تحليل التباين التفاصيلَ اللغوية، وبالتالي ستظهر في هذا الفصل، والفصول اللاحقة، حاجة للمصطلحات الفنية لتحدي 'طرق لفظ التباين' بالدقّة اللازمة.

7.1 الأسس: مدينة نيويورك

إجراء مقابلات لسانية اجتماعية

بدأ 'لابوف' بحثه لنيل شهادة الدكتوراه، في القسم الشرقي الأدنى من مانهاتن عام (**1962**)، وكان هدفه تقصّي اللغة الإنكليزية في مدينة نيويورك سيتي، لرسم التوزّع الاجتماعي وتحديد كيفيّة تغيره. كان القسم الشرقي الأدنى عبارة عن منطقة مختلطة إثنياً واقتصادياً، وتمثل نموذجاً واسعاً عن المدينة برمتها (لابوف، **1966**، **2006**). لقد تضمنت هذه المدينة مستويات اقتصادية اجتماعية متقاطعة تتباين بدءاً من الطبقة العمالية الأدنى (LWC)، إلى الطبقة الوسطى العليا (UMC). وقد حقّق 'لابوف' مكسباً مبكّراً غير متوقع: أُقيم في السنة السابقة استطلاع عشوائي مفصّل وكبير لتلك المنطقة. كان قادراً على الاستفادة من تلك المعلومات، وأن يستهدف عيّنة جزئية، من الناطقين بالإنكليزية، ممن عاشوا فيها لسنتين على الأقل. ولإقناع الناس بحضور المقابلات، كان لا بدّ من تهدئة 'شكوك الغرباء، وهو عنصر هام في نفسية قاطني القسم الشرقي الأدنى' (لابوف، **2006**). لم تعترض الدراسة الرائدة الفذّة التي سبقت استجواباته الرئيسة أية صعوبات في دفع الناس إلى الكلام (مثال، **7.1**).

تضمنت مقابلات القسم الشرقي الأدنى أسئلة عن الخلفية اللغوية، وتعارف المفاهيم والكلمات، وعن ألعاب الطفولة، واستيعاب اللغة والموقف منها. كما ركّز بشكل خاص على إبراز خمسة 'أنماط' مختلفة من الكلام، لمتحدثين يعيرون اهتماماً متزايداً كلما انتقلوا من النمط 'A' إلى 'D1'.

'A': عبارة عن محادثة عرضية.

'B': محادثة تسترعي الاهتمام، حيث وصفها كنمط افتراضي للمقابلة - يُفترض به أن يكون رسمياً تماماً في تحقيق تبادل الأسئلة والأجوبة بين الغرباء.

'C': قراءة مقطع مع كلمات وأصوات ضمنية مستهدفة.

'D' قوائم تتضمن كلمات وأصوات مستهدفة.

'D1' الحد الأدنى من أزواج الكلمات التي تختلف طرق لفظها مثل"pin وpen" وتعني "مسماراً وقلماً"؛ و"dock وdark" وتعني "رصيفاً ومُظلماً" (يعني اختبار طريقة لفظ حرف 'آر').

في الفصل (11.1)، سنقوم باختبار أكثر عمقاً، ونقدٍ لطبيعة هذه الأنماط.

المثال 7.1: البحث عن الطابق الرابع

في دراسته الرائدة عن القسم الشرقي الأدنى، اخترع 'لابوف' تقنية إبداعية من المقابلات السريعة مع أشخاص مجهولين، ليختبر الوضع الطبقي في مدينة نيويورك سيتي، والمتعلّق بطرق لفظ المتغيّر 'r' كما في عبارة 'الطابق الرابع'. وعندما افترض أن التصنيفات الاجتماعية لمخازن البيع ستنعكس في طريقة لفظ العمال، فقد اختار ثلاثة محلات تجارية ضخمة يرتادها زبائن من مستويات اجتماعية مختلفة: متجر 'ساكس' في الجادة الخامسة حيث يقطن زبائن الطبقة

العليا، ومتجر 'ماسي' حيث زبائن الطبقة الوسطى، وأخيراً 'إس كلين' للطبقة الدنيا.

ذهب 'لابوف' إلى كل من هذه المتاجر ليسأل باعة متعددين عن أماكن السلع التي عرف أنها في 'الطابق الرابع'. كان يدّعي بأنه لم يفهم إجابتهم كي يدفعهم إلى تكرارها بدقّة وتشديد على الكلمات. ثم كان ينزوي جانباً ويضع ملاحظاته حول طريقة لفظ كلمة "أربعة – four" (مع، أو بدون، الحرف 'آر') والسمات الخاصة بالجندر والعرق، ثم ينتقل إلى الشخص التالي. وقد ذكر 'لابوف' في ملخّصه رقم مئتين وأربعة وسبعين، أنه استغرق ست ساعات ونصف (حوالي دقيقة ونصف لكل متحدث).

نجم عن الدراسة اكتشافات يمكن تصنيفها بأنها مشابهة لمقابلات القسم الشرقي الأدنى التي تلتها. قام اثنان وستون بالمئة من عمال متجر 'ساكس' بلفظ حرف 'آر' مرة واحدة على الأقل، وهم يلفظونه بنسبة أكبر مقارنة بعمال متجر 'ماسي' الذين حققوا نسبة واحد وخمسين بالمئة. كما لفظها عمال متجر 'مامي' بنسبة أكبر من عمال متجر 'كلين' الذين حققوا نسبة 'واحد وعشرين بالمئة. يمكنكم قراءة التفاصيل في الفصل الثاني من 'لابوف' **(1972)**.

التمرين 7.1: الاستفسار عن دراسة مخازن نيويورك

- وصف 'لابوف' مناهج دراسة المخازن (المثال **7.1**) واستطلاع القسم الشرقي الأدنى بأنها متكاملة من حيث الإيجابيات والسلبيات. وقد أخذ بعين الاعتبار مناقشة الوسائل في النص (طريقة أخذ العينات والأنماط وكمية المعطيات مثلاً)، وقائمة المحاسن والمساوئ في كل تصميم. إن مقارنة 'لابوف' موجودة في **(1972)**.
- هل يوجد في منطقتك محلات تجارية مصنّفة اجتماعياً؟ إذا كانت منطقتك ناطقة بالإنكليزية، وتلفظ المتغير 'آر' بشكل متباين،

باشر دراسة قصيرة هناك. فقد توجد اللهجات الإنكليزية التي تُسقط حرف 'الآتش' (مثل كلمة 'ouse' مقارنة بـ 'house' - هذه الكلمة تعني 'منزل' وتُلفظ 'آوس' بدلاً من 'هاوس')، أو قد يقوم البعض باستبدال الحرف 'تي - t' بمدّة صوتية كما في كلمة 'be,er' مقارنة بـ 'better' - هذه الكلمة تعني 'أفضل' وتُلفظ 'بيئر' بدلاً من 'بتر'. أما إذا لم تكن منطقتك إنكليزية؛ فحدد متغيراً لغوياً ما بحيث يخدم كمؤشّر على التصنيف واستخدمه.

- تمت إعادة دراسة مخازن نيويورك من قِبَلِ 'جوي فولر' بعد أربع وعشرين عاماً (وهو ما تم ذكره بالتفصيل في ('لابوف'، 1994) وفي ('مازر'، 2012')، وفي غيرها بعد أربع وعشرين عاماً لاحقة. يمكنكم مقارنة تلك الدراسات مع دراسة 'لابوف' الأصلية وتقييم نتائجها.

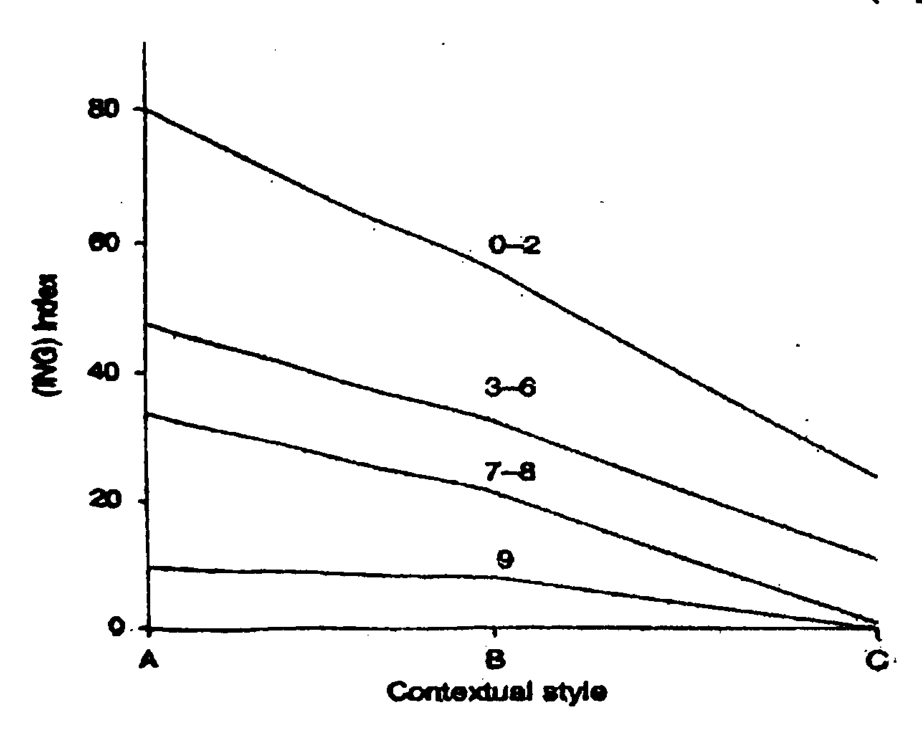
المتغيّر اللساني الاجتماعي

أُجريت مقابلات مع مئة واثنين وعشرين متحدثاً، أي ما يعادل ثلثي العيّنة المُستهدفة، وقام 'لابوف' نفسه بمقابلة معظمهم، وذلك على مدى مئة وخمسين ساعة من التسجيلات. لقد تضمّن تحليل لغة الناطقين وجود بناء مُبتكر تميّز ببقائه في عمق المشروع التبايني - المتغير اللساني الاجتماعي. يقدّم المتغير للناطقين الخيار بين شكلين لغويين متباينين أو أكثر، من الأشكال التي لها ذات المعنى (يكون لها عادة دلالات اجتماعية مختلفة). وقام 'لابوف' باختبار خمسة متغيرات لسانية اجتماعية رئيسة؛ ثلاثةٍ منها بأحرف ساكنة، واثنين بأحرف صوتية، إضافة إلى سادس تبيّن أنه ذو إنتاجية عالية: التبديل بين مقطع صادر عن الحلق '[ŋ] - velar' ومقطع صادر عن اصطدام اللسان بسقف الفم 'alveolar - n' أثناء لفظ اللاحقة 'إنغ - ing' في كلمة مثل 'يمشي - walking' (انظر المثال **7.2**). أثناء

الكتابة. يشير الحرف (r) بين قوسين إلى متغيّر، وحرف /r/ بين خطي كسر إلى النبرة، وحرف [r] بين قوسين متوسطين إلى لفظ صوتي.

المثال 7.2: إحصاء التغيرات اللسانية الاجتماعية

عند المتغيرات الثنائية، يُعتبر لفظ متغير واحد لفظاً قياسياً، وربما ينعكس في التهجئة. نأخذ مثلاً لاحقة 'إنغ - ing' في كلمة 'قيادة – driving' حيث تلفظ 'درايفينغ'، وأخرى غير قياسية مثل حرف 'إن' في الكلمة ذاتها عندما تُلفظ 'drivin'، 'درايفن'. يقوم الباحث بترميز جميع الألفاظ الخاصة بمقطع 'إنغ - ing' عن لفظ 'إن - n'. يمكن إحصاء عدد مرات لفظ كل متغير، ويتم بناء عليه احتساب النسبة كعدد مرات حدوث المتغيّر فعلياً قياساً بعدد المرات التي يُفترض أن يحدث بها لكنه لم يحدث (نظراً لاستخدام الصيغة البديلة).



الشكل 7.1: تصنيف الطبقات بحسب لفظ اللاحقة (انغ) في مدينة نيويورك سوتي (البالغون البيض فقط)، نسب تغيرات (إن) غير القياسية.

الطبقات: طبقة العمال الدنيا (LWC) 0-2 ، طبقة العمال العليا (UWC) 3 - 6
الطبقة المتوسطة الدنيا (LMC) 8 - 7 الطبقة المتوسطة العليا (UMC) 9

يبيّن الشكل (1.7) ما وجده 'لابوف' حول المتغيّر 'إنغ – ing'، وهو موضوع الحالة العملية التي سنعرضها لاحقاً في هذا الفصل. يحتوي الشكل على ثلاثة عناصر يجب فهمها:

- يُظهر المحور العمودي 'Y' نسبة الألفاظ التي لم تكن 'إن –n' قياسية فيها. ولو كانت كلها تُلفظ 'in' لكان المؤشر مئة بالمئة، أي كلها غير قياسية. بينما لو كانت تُلفظ 'إنغ – ing'، ستكون قيمتها صفراً بالمئة، أي كلها قياسية.
- يحتوي المحور الأفقي 'X' على ثلاث نقاط تمثل الصيغ، ابتداء من الصيغة العرضية 'A'، مروراً بالصيغة التي تسترعي الاهتمام (B)، ثم الصيغة (C) لقراءة مقطع، وفق ما تم تعريفه أعلاه.
- يمثّل كل خط من الخطوط الأربعة ألفاظ جميع المتحدثين في طبقة اقتصادية اجتماعية واحدة. وقد تم إنشاء الاستطلاع السكاني بناءً على مؤشر اقتصادي اجتماعي فريد، وذلك عبر تركيب معطيات المتحدثين على مقاييس المهنة والثقافة والمستوى التعليمي ومستوى الدخل. فنجم عن ذلك عشر طبقات اقتصادية اجتماعية (من 0 إلى 9) حيث قام 'لابوف' بتجميعها في أربعة أصناف.

النمط مقابل التصنيف الاجتماعي

هكذا يبيّن المخطط العلاقة بين النمط والمستوى الاجتماعي بالنسبة إلى المتغير 'ing'. إذ لا يظهر على النمط 'A' سوى الكلام العادي الذي تم عرضه في أقصى الجهة اليسرى من المخطط، لاحظ أن المؤشر يتحرّك من نسبة عشرة بالمئة في الداخل إلى الطبقة الوسطى العليا، متزايداً عبر المجموعتين المركزيتين، ثم إلى الطبقة العمالية الدنيا عند نسبة ثمانين بالمئة. هذا يعني أن الطبقة المتوسطة العليا تستخدم 'ing' بشكل دائم تقريباً، وأن الطبقة العمالية الدنيا تستخدم 'in' دائماً تقريباً. لاحظ أيضاً أن التراتبية

الاجتماعية بين الطبقات الأربع، والتي توضحها المسافة العمودية بين الأسطر على المخطط، هي واضحة جداً وثابتة في كل نمط من الأنماط. ليس هناك مسار يتقاطع مع مسار آخر، والطبقات الأربع كلها متراصفة بشكل مثالي في الأنماط الثلاثة. هذا يعني أن المتحدثين من الطبقة العمالية الدنيا يستخدمون دوماً المتغيّر 'in' غير القياسي بغض النظر عن النمط، وأن الطبقة المتوسطة العليا تستخدم المتغيّرات القياسية مثل 'ing'، وأن موقع الطبقتين الباقيتين يكون بينهما بكل وضوح.

يُظهر ميلان الخطوط درجة الانزياح الذي تفعله كل مجموعة، من مجموعة المحادثة العامة (A) إلى مجموعة القراءة (C). إن الطبقة المتوسطة العليا لا تنحرف كثيراً، لكن بعد ذلك، ليس أمامها الكثير لتذهب من نقطة البداية، أي من نسبة عشرة بالمئة، إلى صفر. وفي نمط القراءة، لفظ جميع الناطقين من الطبقة المتوسطة العليا لاحقة 'ing' بالشكل القياسي. إن مجموعات 'الطبقة الوسطى المنخفضة' و'الطبقة العمالية العليا' تنزاح أكثر، بينما تنزاح الطبقة الوسطى الدنيا بشكل حاد. مع بدايتها عند النسبة ثمانين بالمئة، في المحادثة العامة، تنتهي عند النسبة أربع وعشرين في نمط القراءة. وهذا يمثّل انزياحاً لستة وخمسين بالمئة من استخدام 'in' في محادثة عامة، إلى استخدام 'ing' في نمط القراءة. يُعتبر التفسير الذي يعرضه الشكل (7.1) مهارة أساسية في فهم بحث التغيرات، وهكذا فمن الأفضل التأكيد على متابعتك لكل ما هو معروض. ومع ذلك، فإن هناك قضايا تتجاوز المعنى الاجتماعي لهذه الأنماط وتصنيفها، وهو ما سنعود إليه في الفصل الحادي عشر.

استنتج 'لابوف' أن هذا النوع من التصنيف السليم نموذجي بالنسبة للمتغيرات المستقرة في حديث المجتمع. لقد كانت المتغيرات

الأخرى أقل تماسكاً، مما يدل على تغير مع التطوّر. وقام 'لابوف' بتحليل تقاطعي لبياناته حسب الجندر والإثنية، وليس حسب الطبقة الاجتماعية، مما يدل على كيفية اختلاف النساء والرجال ومختلف المجموعات الإثنية في طريقة لفظها. وبذلك كانت الدراسة رائدة على جميع الجهات:

• فهم المشروع والعيّنة وتصميمها - على المستوى الحضري والعشوائي والشمولي.

• منهجية المقابلة اللسانية الاجتماعية من أجل استبعاد أنماط مختلفة، وبشكل خاص الحديث العرضي.

• الطريقة التحليلية للتغيير اللغوي الكمّي، وارتباطه بالاختلاف الاجتماعي، وبشكل خاص، بنية المتغير اللغوي الاجتماعي واكتشاف البنية النمطية الاجتماعية النظامية في اللغة.

• تأكيد أن المتغيّر اللغوي نفسه يخدم في بث إشارة للتصنيفين النمطي والاجتماعي كلهما. وهذا ما أشارت إليه عبارة لابوف الواضحة: 'قد يكون من الصعب تفسير أي إشارة بنفسها لتمييز رجل مبيعات عَرَضي عن رجل مبيعات مُحترف (**1972**).

منذ ذلك الحين، بدأت أبحاث التباين على أنواع كثيرة من اللغات، وعلى رأسها اللغة الإنكليزية، لكن هناك كمّ كبير من العمل على اللغة الفرنسية (في ترتيب تنازلي)، و(خاصة في مقاطعة كيبيك)، وعلى الإسبانية والبرتغالية، وبشكل خاص في الأمريكيتين. واعتباراً من سبعينات القرن العشرين، هيمنت مقاربة التباين بسرعة كبيرة في شمال أمريكا، حيث توجد نزعة لمساواتها مع اللسانيات الاجتماعية كلها. أصبح لموضوع التباين مؤتمر سنوي خاص عنوانه (الطرق

الجديدة في تحليل التباين - new ways of analyzing variation)، وصحيفة اسمها ' تغيّر اللغة وتباينها - Language Variation and Change'. يُظهر سبرُ القضايا الحديثة في الصحافة مقالات عن لغات أربع تمت الإشارة إليها سابقاً، بالإضافة إلى لغة الإشارة العربية والألمانية والروسية واليونانية والإيطالية والغوارانية، والعبرية، والماورية ولغة الإشارات الأسترالية. نعود الآن فيما تبقى في هذا الفصل للتعامل مع التغير بحسب الطبقة الاجتماعية والإثنية والجندر.

7.2 الطبقة الاجتماعية في اللغة

يُظهر الشكل 7.1 مخطط تصنيف طبقي نموذجي للسانيات الاجتماعية، وصيغة بُنيت عليها نمذجة مئات التظاهرات في عشرات من الدراسات. وهي تُظهر تراتبية نقيّة للتغيّر اللساني الاجتماعي حسب الطبقة الاجتماعية في مدينة نيويورك سيتي، وحسب متابعة المتحول المعياري الذي تتشارك به الطبقات الاجتماعية عبر طيف الأنماط. ويمثل الشكل مقياساً للمتغيرات اللغوية بطريقة باهرة لا يمكن تفاديها. وبهذا الشكل تكون رؤية تصنيف الطبقات واضحة بذاتها؛ وفق ما يُظهره هذا الشكل. وعلى الرغم من أن اهتمام 'لابوف' الأساسي قد تركّز على التغيّر اللغوي بعد ستينات القرن العشرين، يمكن القول إن عروض التباين اللساني الاجتماعي المشابهة قد بُنيت كلها على اكتشافاته الاستثنائية.

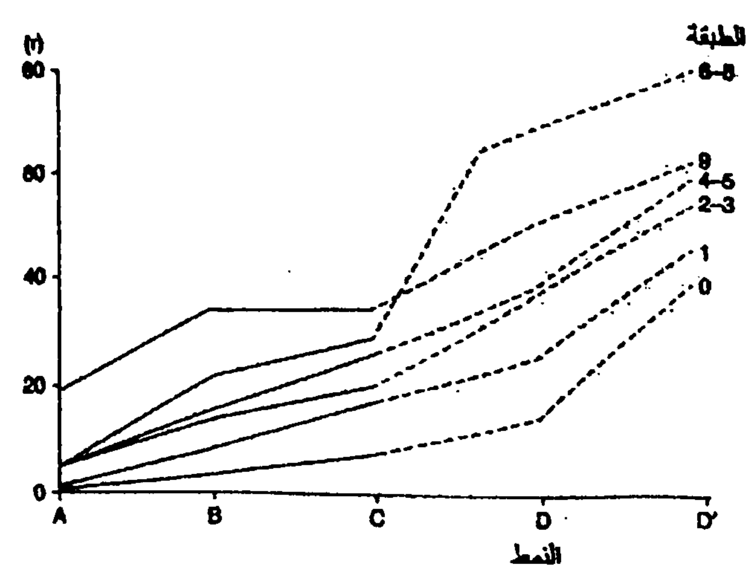
يظهر في الشكل (7.2) نموذج آخر للتصنيف الذي ظهر في نيويورك، وهو شكل للمتغير 'r' ولفظ أو إغفال لما بعده في كلمات مثل 'بطاقة - card'. يدمج هذا الشكل المستويات الاجتماعية

العشرة للاستطلاع ضمن ستة تصنيفات، ويُظهر الأنماط الخمسة كلها. إنه يُبيّن، على الأغلب، النوع نفسه من التصنيف الدقيق الواضح، كما هو الحال بالنسبة للمتغيّر 'ing' لكن هناك اختلاف أيضاً. في النمطين الأكثر رسمية، تتفوّق 'الطبقة المتوسطة الدنيا' على 'الطبقة المتوسطة العليا' في لفظ حرف 'r' الذي يعطي لفظه هيبة ومكانة. لماذا؟

يصف 'لابوف' ذلك على أنه 'تصحيح مُبالغ فيه'[1]: حيث تقوم الطبقة الأدنى من الطبقة ذات المكانة، بالهجوم على نمطها أثناء سعيها إلى المكانة. وهذا ما يُسمّى 'أثر التجاوز' للطبقة المتوسطة الدنيا. وبذلك كان النموذج الذي تم شرحه لكل من المتغيرين الصوتيين لنيويورك، بارزاً تماماً في تصوّرات من خضعوا للمقابلات، من حيث تقييمهم للمتغيرات اللغوية الاجتماعية الخاصة عند سماعهم لها. وقد تفاعلت الطبقة المتوسطة الدنيا، أكثر من أي مجموعة أخرى، مع لفظ الآخرين للمتغيّر 'r' أو عدمه. وتعكس الحساسية العالية لديهم فقدان الأمان اللغوي، وتنسجم مع تغيّر أنماطهم المتطرّف، مما يدل على أنهم يأخذون زمام المبادرة في التحوّل إلى متغيرات كالحرف 'r'. سنعود إلى مثل هذه التصوّرات اللسانية الاجتماعية في الفصل (10.3).

---

[1] 'hypercorrection': التصحيح الخاطئ لكلمة أو لفظ بعد تشبيهه بشكل صحيح أو شكل ذي مكانة اجتماعية، كما يحدث عند استبدال الضميرين 'you' و'i' بالشكل القياسي 'you' و'me'. المترجم.



الشكل 7.2: التبادل بين الطبقة المتوسطة الدنيا : العلاقة التراتبية بين النمط والطبقة والخاصة بالحرف (آر) في مدينة نيويورك، والنسبة المئوية لتغيرات الحرف (آر) الذي يمنح الهيبة والمكانة

الطبقات: الطبقة الدنيا (0 - 1)، طبقة العمل (2 - 5)،
الطبقة المتوسطة الدنيا (6 - 8)، الطبقة المتوسطة العليا (9)
الأنماط: النمط (A) صيغة عرضية، النمط (B) تسترعي الاهتمام،
النمط (C) نمط القراءة، النمط (D) قوائم الكلمات،
النمط (D') الحد الأدنى من الثنائيات

التمرين: 7.2: تصنيف متدرّج وحاد

يُعتبر ما شاهدناه في الشكلين (7.1، 7.2) من طريقة اللفظ في نيويورك، تصنيفاً متدرّجاً يُعبّر نسبياً عن اختلافات متدرّجة بين الطبقات الاجتماعية. وتبيّن أنه نموذجي للمتغيّرات الصوتية، لكن المتغيّرات القواعدية قد تُظهر تراتبية حادّة، وتبيّن المعطيات أدناه متحدثين أمريكيين أفارقة في 'ديترويت' (تم أخذها من 'وولفرام' و'شيليغ - إيست'، 2006: الشكل 6.1، 6.2). كما تم إحصاء المتغير المنطقي الصوتي 'r' من جديد، لكنه كان هنا في اتجاه معاكس لما ورد في الشكل (7.2): حيث تدلّ هذه النسبة الخاصة بالحرف 'r' على غيابه وليس على وجوده. المتغيّر الشكلي هو غياب التغيير الصوتي

المسؤول عن تشكيل صيغة المُضارع للأفعال - she go to the 'store وليس goes.

	غياب ما بعد الصوت للحرف 'آر'	غياب الشخص الثالث - 'إس - S'
الطبقة المتوسطة العليا	%21	%1
الطبقة المتوسطة الدنيا	%39	%10
الطبقة العاملة العليا	%61	%57
الطبقة العاملة الدنيا	%72	%71

- حدد التراتبية المتدرّجة للحرف 'r' والتراتبية الحادة لـ 's'. هل تدلّ جميعها على تراتبية حادة؟ بيّن الأسباب في الحالتين.
- بحسب رأيك، لماذا تُظهر المتغيرات القواعدية تراتبية أكثر حدة من المتغيرات المنطقية الصوتية؟

ما هي الطبقة الاجتماعية؟

طرحنا حتى الآن سؤالاً منطقياً اجتماعياً هاماً جداً وهو: ما هي الطبقة الاجتماعية؟ وكيف يمكننا قياسها؟ يمكن تعريف الطبقة الاجتماعية بعدم المساواة البنيوية بين الجماعات. وهناك العديد من السمات في المجتمعات الغربية المُعاصرة (غيدنز، 2009) وهي:

- التمايز السلس وليس القطعي الواضح (كما تكون 'الطائفة').
- إنها مُحققة جزئياً ولا تتعلّق بحقّ الولادة.
- مرتكزة على الاقتصاد في الملكيات المادية، وليس على الأساس العرقي مثلاً.
- ليست شخصية وإنما ذات حجم كبير حيث لا توجد في العلاقات الفردية بين العبد والسيد مثلاً.

ضمن الشكل النموذجي، هناك طبقة عليا صغيرة، وربما طبقات أدنى ذات حجوم كبيرة. تتموضع الطبقة العاملة فيما بينها كمجموعة تتقلّص في المجتمعات الغربية، وطبقة متوسطة متنوّعة بشكل كبير تمتاز بتمددها. وكانت النظريتان الأساسيتان المنطقيتان الاجتماعيتان عبارة عن الماركسية و'التوظيف البنيوي' التي تم قبولها في علوم الاجتماع الأمريكية في أواسط القرن العشرين. لقد استخدم 'لابوف' هذا النموذج، وتعامل معه في بعض تفاصيل أطروحته (**1966/ 2006**). وقد تم النظر إلى التراتبية الاجتماعية على أنها قابلة للقياس بمقاييس ترتكز على إجابات من يخضعون للمقابلات، حول أسئلة تتعلّق بالمهنة والمستوى التعليمي والدخل، وبالطريقة التي تم وصفها سابقاً في استطلاع نيويورك. يبدو ذلك حتى الآن طريقة معتمدة على الحدس بشكل كبير لقياس الطبقة الاجتماعية: نحن معتادون في استطلاعات السوق على هذا النوع من الأشياء، أو على رؤيتها في استطلاعات الرأي. وقد تم تطبيق مؤشرات مشابهة في معظم المشاريع اللسانية الاجتماعية الأساسية اللاحقة، وذلك ليس في الولايات المتحدة وحسب بل في بلدان مثل بريطانيا العظمى، وكندا، والبرازيل، ومصر والأرجنتين واليابان.

هناك، على أية حال، قضايا تخص الأعمال التفصيلية لتلك المقاييس. حيث لا يمكن تطبيقها بسهولة أحياناً في بعض البلدان الغربية نفسها؛ لقد وجدنا في نيوزيلندا مثلاً صعوبة كبيرة في ترتيب الطبقة المتوسطة مقارنة بالطبقة العاملة، مما استدعى تميز الطبقة الدنيا عن المتوسطة عن طبقات فرعية عليا أخرى. كما يجب ألا نتوقّع نقل مثل هذه القياسات وتطبيقها في البلدان غير الغربية. وبأية حال، تؤكد النتائج أن مثل هذه المقاييس توضّح التراتبية الاجتماعية فقط؛ لأن التقسيمات الاجتماعية التي تحددها تكون

كبيرة بما فيه الكفاية لجعلها غير قابلة للاختراق بطريقة تسبب اضطراب الحالات المناقضة الهامشية المحيطة، أو العوامل الثقافية الاجتماعية الدقيقة.

الهيبة وعكسها

إذاً، لماذا تُظهر الاختلافات الطبقية نفسها في اللغة؟ انظر إلى بعد النمط في الشكلين (7.1، 7.2). نحن نرى النموذج المشترك لتحوّل النمط، بالإضافة إلى الفروقات بين الطبقات. يمثّل انزلاق النمط المعيار الشائع عبر مدينة نيويورك، وهذا، بالنسبة لـ 'لابوف'، هو السمة المميزة التي تجعل منه كلامَ مجتمعٍ (تذكّر تعريفه في التمرين 5.2). تتشارك المجموعات كلها، من أعلاها إلى أخفضها، استجابات متشابهة. ويعترف الجميع بمعيار واحد للمتغيّر 'ing' والحرف 'r'.

بمعنى ما، هناك اتفاق على المعايير القياسية، وينعكس ذلك في المواقف والسلوك. لكن هنا أيضاً رفض لتلك المقاييس. يُبرز النموذج القياسي سؤالاً خاصاً به: إذا كان لدى المجموعات كلها التقييم ذاته، والهدف ذاته - في الشكل (7.1)، نسبة صفر للمتغير 'ing'، وفي الشكل (7.2)، نسبة مئة بالمئة للمتغير 'r' - فلماذا لا يتكلمون دوماً كما يريدون، أو على الأقل كما يعتقدون أنه يجب أن يكون؟ في الأنماط الأكثر رسمية لهم، تصل الطبقات الدنيا إلى نمط الصيغة 'العَرَضيّة' لأعلى طبقة اجتماعية. لماذا لا يفعلون ذلك على مدار الوقت بحيث يستطيعون أن يتحدثوا مثل الطبقة المتوسطة العليا في الكلام العادي؟ السبب هو أن الهيبة أو المكانة الخفيّة للأشكال القياسية، كالمتغير 'ing' ليست الحكاية كلها. هناك مجموعة مواقف تعويضية ترفض هذا المعيار، وتتواءم مع معيار عامي معاكس بدلاً عنه، أي المتغيّر 'in' مقابل المتغير 'ing' في هذه الحالة. سوف نستقصي عن هذه الميزة في دراسة حالة المتغير 'ing'

(الفصل 7.6)، ونتفحّص المكانة، والمكانة الخفيّة، والمفاهيم ذات الصلة في الفصل العاشر.

صراع أم إجماع؟

أحد أهم الانتقادات الرئيسة لمنهج 'الوظيفية البنيوية' هو أنها تتعامل مع التراتبية الاجتماعية كما لو أنها أمر طبيعي خالٍ من المعايير. حيث ينتج عن ذلك تأييد الوضع الراهن، والمحافظة المتأصلة. وهذا يفترض إجماعاً مجتمعياً. لكن بديل الإجماع هو الصراع، بالتوازي مع النظريات الاجتماعية لماركس و'ماكس ويبر'. لقد جاءت هذه الآراء المتناقضة في عمل 'جون ريكفورد': الباحث البارز في اللغة الإنكليزية الأمريكية الأفريقية، وفي لغة الكريول الكاريبية. في منشور تأملي (1986)، جادل 'ريكفورد' بأن مقاييس 'الوظيفية البنيوية تُخاطر بتخفيض، أو إهمال، تشغيل الطاقة وتوزيع الثروة والموارد، والدور الذي تلعبه في خلق المساوئ الاجتماعية واستدامتها.

التمرين 7.3: الطبقة الاجتماعية كإجماع أو صراع

وصف 'لابوف' منهج الوظيفية البنيوية الذي عدّله لقياس التراتبية الاجتماعية في نيويورك بأنه:

... ببساطة، إن أعمال المجتمع أنتجت فروقات تنظيمية بين مؤسسات أو أشخاص معينين، وأن هذه الأشكال المختلفة قد تم تصنيفها في مناصب أو مكانة عبر الموافقة العامة (1972).

قارن هذا مع وجهة نظر 'ريكفورد' (1986)، التي تأسست على موقع مختلف جداً للناطقين من 'الطبقة العليا في الدولة' في 'كين ووك'، غويانا:

يتشارك هؤلاء العمال الميدانيون نظرة ماركسية عن المجتمع - يُعرّفه البعض بهذه الطريقة بسهولة - برؤية القيمة المخصصة للغة الإنكليزية على أنها مجرد وجه آخر من أيديولوجية الطبقة الحاكمة،

والتطلّع إلى التطوير الاجتماعي الاقتصادي من خلال صراع الطبقات والتغيير في النظام الاجتماعي بحد ذاته... إن العديد من المتحدثين من طبقة 'إستيت كلاس' يستخدمون لغة الكريول بدلاً من الإنكليزية الرسمية كقضية اختيار، وكتصرّف ثوري، وكوسيلة للتأكيد على أفضلية التضامن الاجتماعي على التطور الفردي، وإمكانية التواصل مع التشدد السياسي والاشتباك بدلاً من التوافق وتسوية الخلاف.

- راجع هذين التصريحين وكلماتهما بعناية كبيرة (حواراتهما). حدد فيما سبق، وجهات نظر المجتمع المُعلنة والضمنية، وقارنها وانتقدها.
- هل من الممكن نقل فرضية 'لابوف' إلى لغة 'الغويانا'؟ هل تعمل نظرية 'ريكفورد' في نيويورك؟ أيٌّ منهما يناسب البُنى الاجتماعية في بلدك؟
- ما هي الأشكال المختلفة من السلوكيات اللسانية الاجتماعية والسياسات والأبحاث التي تُفضي إليها وجهات النظر المختلفة هذه؟

أنهى 'ريكفورد' هذا المقال بالتماسٍ إلى علماء اللسانيات الاجتماعية ليستفيدوا من النظريات المغلّفة بالعلوم الاجتماعية بدلاً من محاولة خلق نظرياتهم الخاصة. انظر الفصل الثاني عشر لمناقشة اللسانيات الاجتماعية والنظريات الاجتماعية.

- من معرفتك بعلم الاجتماع وعلم النفس أو الفروع العلمية الاجتماعية الأخرى، ما هي النظريات التي يمكن تطبيقها بشكل خاص في علم اللسانيات الاجتماعية؟

أثناء عمله على نيل شهادة الدكتوراه بلغته الأم 'الغويانا'، درس 'ريكفورد' بإشراف 'لابوف' استمرارية (لغة الكريول- واللغة الرسمية) لقرية 'كين ووك' قرب العاصمة جورج تاون. ورأى أن المقياس الوظيفي، من النمط الأمريكي، لا يصلح في مجتمع قصب السكّر الهندي الشرقي هذا. وكشفت حوارات محلية عن وجود

فئتين واضحتين من العمال الدوريين في عقارات 'ولايات السكر'، تُسمّى 'الطبقة العليا في الدولة، EC' والباقي'ليس من الطبقة العليا في الدولة'، NEC'. كان الفرق الاجتماعي والاقتصادي بين المجموعتين واضحاً جداً، وكان ينعكس في الاختلافات الدراماتيكية بين لغتيهما الإنكليزيتين. الأولى كانت لغة 'كريول' بشكل طاغٍ، أما الباقي فكان أكثر قرباً من الإنكليزية الرسمية. من أجل مجموعة من بدائل الضمائر، مثل الضمير 'basilectal' 'mi' مقابل الضمير 'ai' 'meso/ acrolectal'، بالنسبة إلى ضمير المتكلم؛ كان استخدامهما متناقضاً كلياً: حيث إن ثمانية عشر بالمئة أشكال قياسية بالنسبة لـ (EC)، وثلاثة وثمانين بالمئة بالنسبة إلى (NEC). وذلك مع أن طبقة (EC) تتوافق مع (NEC) في ربط اللغة القياسية الرسمية مع الوظائف العليا، وربط لغة الكريول بالوظائف الدنيا. ويقيّم عناصر مجموعة (NEC) التغيّرات في اللغة الرسمية القياسية كجزء من المضي قدماً من الناحية الاجتماعية، وهذا مشابه للطبقة الوسطى المنخفضة في نيويورك بالنسبة إلى المتغير 'r'. لكن يرى عمال مجموعة (EC) أن محاولات تحسين أوضاعهم من خلال اللغة الإنكليزية لا يشكّل فرقاً كبيراً.

لم تعد التراتبية اللغوية حقيقة اجتماعية حيادية أكثر من التراتبية الاجتماعية ذاتها. إنها تشكّل دوماً ردّ فعل على عدم المساواة، والإساءة عادة، والاستغلال غالباً. لاحظنا في الفصول الأولى وجود عدم مساواة بين لغات الأقليات ولغة الأكثرية، وبين لغات السكان الأصليين ولغات المهاجرين، وبين اللغات 'العالية' واللغات 'المتدنية' في ازدواجية اللسان، وبين اللغات المبسّطة/ الكريول واللغات الرسمية. كما تعمل التراتبية ذاتها في التقسيمات أحادية اللغة، وأساسها هو

السلطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بناءً على ملاحظات 'غاي' في بحثه عن الطبقات في اللسانيات الاجتماعية (2011).

يقلل التوظيف البنيوي من الصراعات ضمن المجموعة، لكنه يزيد من إمكانية أن يتنافس الأفراد سعياً للارتقاء في الطبقة الاجتماعية. وما تتجاهله هو أن فرص حياة الشخص محدودة في أصلها، من خلال الموقع الذي ترثه في البنية. وكما ذكر 'لابوف' في صفحة 'الإهداء، في كتابه حول اللغة العامية للشباب الأمريكيين الأفارقة: "إلى 'جيتس' و'كوبرا' و'تندربيرد' الذين تجاوزوا كل الصعاب، وتعاملوا مع كل البطاقات المتدنية' (1972). يظهر التزام 'لابوف' الواضح لعقود طويلة بالمساواة في اللسانيات الاجتماعية على الرغم من النظرية الاجتماعية التي اعتمدها. إن وجهات النظر البديلة، عن الطبقات في اللسانيات الاجتماعية، تعتبر التراتبية عملية وليست بنية، ليست شيئاً يُعطى بل ثمرة القوى الاقتصادية الاجتماعية والسياسية المستمرة ('ليسلي ملروي وجيمس ميلروي'، 1992). لقد اقترحوا نماذج بديلة أو تكميلية لفهم الأنماط الاجتماعية، ثلاثة بشكل خاص - الشبكات الاجتماعية، مجتمعات المهن الواحدة أو الاختصاص الواحد، والمتاجر اللغوية. وسوف نعالجها في الفصل الثامن بسبب ارتباطها الوثيق مع آليات تغيير اللغة. تمثل جميعها محاولات للوصول إلى المزيد من شريان الحياة الثقافية المرتبط باختلاف 'الطبقات' في تجربة حيّة، وخاصة لأولئك الذين يعيشون على الهامش الاجتماعي.

7.3 الإثنية في اللغة

انعكست الأهمية اللسانية الاجتماعية للإثنية بطرق كثيرة ظهرت مُسبقاً في هذا الكتاب:

• في الفصل الثاني، تركيز 'فيشمان' على الإثنيات ولغاتها، وفي التنوّع اللغوي الإثني الخاص بـ 'جيلز'.
• موقع الهوية الإثنية في الحفاظ على اللغة وتحويلها (الفصل الثالث).
• الأبعاد العرقية لأصل اللغات المُبسّطة ولغة الكريول (الفصل الرابع).
• دور الإثنية المشتركة في اختيار اللغة (الفصل الخامس).
• بحث 'غومبيرز' عن سوء الفهم وتعدد الإثنيات أو الثقافات (cross – ethnic) (الفصل السادس).

المثال 7.3: ضمير جديد في اللغة البرتغالية

اللغة البرتغالية هي إحدى أكثر اللغات التي خضعت للبحث باستخدام أساليب التباين. إن عبارة 'a gente' تعني حرفياً وتاريخياً 'الناس'، لكن تُظهِرُ دراسة قامت بها 'آنا زيليس' (2005) أنه في اللغة البرازيلية البرتغالية، وعلى مدى مئات السنين الماضية، حلّت صيغة 'a gente' محلّ الشكل التقليدي لضمير المتكلم 'بصيغة الجمع'، أي'nós' الذي يعني 'نحن'. استمرّ التغيير نفسه في الفرنسية، حيث إن 'الضمير غير المحدد "on"'[1]، قد حلّ الآن تقريباً محل الشكل التقليدي لضمير المتكلم 'بصيغة الجمع' 'nous' في الكلام اليومي. تؤثر هذه التغيرات على نظام الضمائر في اللغة، وعلى أنماط انعكاساتها على الأفعال.

يستخدم أحد المتحدثين في تسجيلات 'زيليس' الضميرين 'nós'، و'a gente' كلهما في هذا المقطع (2005):

---

[1] ضمير لا يشير إلى شخص أو كمية أو شيء بعينه، مثلاً (أي شيء، شيء ما، أي شخص، كل شخص) المترجم.

Condução, bom, **nós** não temos condução própria. Então **a gente** depende do ônibus.
النقل: حسناً، ليس لدينا (سيارة) خاصة. وبالتالي نحن نعتمد على الحافلة.

تبدو 'a gente' وكأنها تظهر أولاً من متحدثين لهم مكانة اجتماعية متدنية، ثم تتسع إلى طبقات أعلى، ويبقى استخدامها في الكلام الرسمي أقل من غير الرسمي. وتجد 'زيليس' أن المتحدثين في القسم الجنوبي من المدينة البرازيلية 'بورتو آليغرو' يختارون 'a gente' بنسبة تسع وستين بالمئة من المرات. وباستخدام التعليم كمقياس للتراتبية الاجتماعية، كان الفرق الأساسي بين أولئك الذين وصلوا إلى التعليم الأساسي (أربعةً وخمسين بالمئة 'a gente')، وكل أولئك الذين وصلوا إلى مستوى درامي أعلى (من سبعة وستين إلى أربعة وسبعين بالمئة). لكن التراتبية الاجتماعية تتفاعل مع الجندر في كثير من الأحيان: إذ تستخدم النساء اللواتي حصلنَ على التعليم الأولي هذه الضمائر بالمستوى ذاته كالأخريات (وذلك بنسبة اثنتين وسبعين بالمئة)، أما الرجال الحاصلون على التعليم الأولي فيستخدمون الضمير بنسبة النصف (أي سبع وثلاثين بالمئة). تفسّر 'زيليس' هذا بأن الرجال ذوي مستوى التعليم الأخفض لا يريدون استخدام صيغة ترتبط بالنساء. انظر دراسة حالة المتغيّر 'ING' في الفصل (7.6) لرؤية نموذج مُشابه.

في الفصل العاشر والحادي عشر، سنرى كيف ترتبط إيديولوجيات اللغة بالإثنية، وكيف يمكن استخدام اللغة لادعاء الإثنية. نركّز في هذا الفصل على التباين المرتبط بالإثنية في اللغات - وخاصة اللغة الإنكليزية التي أُجريت عليها معظم الأبحاث.

ما هي الإثنية؟

الإثنية هي إحدى أكثر الأبعاد الاجتماعية غموضاً. لها علاقة بمجموعة تتشارك سمات لسانية اجتماعية - ترتبط بالمكان، الأسلاف، التاريخ المشترك، المنطقة، ممارسات ثقافية، طرق تواصل، وغالباً ما تشترك باللغة. عندما يسأل علماء اللسانيات الاجتماعية 'الأشخاص الذين يزودونهم بالمعلومات' عن الإثنية، فإنهم يسألون، في هذه الأيام، عن المجموعة الإثنية التي يعرّف الشخص نفسه بها، مشيراً إلى طبيعة الإثنية المبنيّة اجتماعياً. يتضمن 'العرق' التعامل مع سمة بيولوجية كلون البشرة، باعتبارها هامة اجتماعياً. لكن التاريخ الحالي مليء بصراعات يحدد العرق فيها الجانب الذي وقفت معه، وما إذا كنت قد عشتَ أم مت، ولا يزال هذا الإرث باقياً منا. يكمن إرث استعباد الأوروبيين للأفارقة في عمق عنصرية المجتمع الأمريكي، وهذا أحد أسباب الكمّ الهائل من الأبحاث، التي قام بها باحثون بيض وسود، على اللغة الإنكليزية الأمريكية الأفريقية.

التمرين 7.4: تعريف الإثنية

1. هل ترى فرقاً بين 'العرق' و'الإثنية'؟ ما الذي يعنيه جوابك بالنسبة للغة في المجتمع، وللأبحاث عن اللغة والإثنية؟

2. في مقالته بعنوان 'اللغة والإثنية والعرق'، ميّز 'فيشمان' (1985) العرقية بوصفها 'استمرارية ثقافية جمعية بين الأجيال'، واقترح هذه الأسئلة:

من نحن؟

من أين أتينا؟

ما هو نوعنا؟

أجب عن هذه الأسئلة بحسب تأثيرها على انتمائك الإثني. ثم فكّر في الأسئلة بحدّ ذاتها: ما هي الإثنية التي تقترحها؟

3. فكّر بالتضمينات اللسانية الاجتماعية للمواقف الأربعة نحو العلاقة العرقية المُدرجة في النص – العجز، الاختلافات، الهيمنة، الحوار. ما هي الأنواع المختلفة للسلوك اللغوي، والسياسات والأبحاث التي تنتج عنها وجهات النظر المختلفة؟ انظر الجدول المستخدم لدى 'هاريس' و'رامبتون' (2003).

4. فكّر بالأقليات الإثنية في بلدك. أي من المناهج الأربعة الموجودة في السؤال الثالث، تميز الطريقة التي تعاملهم بها الأقليّات الأخرى، والأكثرية، والدولة؟ ما هو الدور الذي تلعبه لغتهم وتنوّعهم في تلك المواقف والسلوكيات؟

5. غالباً؛ لا ترى مجموعات الأكثرية نفسها مجموعات إثنية: إنها الحالة الافتراضية التي تُصبح اختلافات الآخرين واضحة أمامها. يوجد في الصفحة الرئيسة لمكتب العلاقات الإثنية في الحكومة النيوزيلندية ما يلي:

يركّز مكتب العلاقات الإثنية على الناس الذين تتمايز ثقافتهم وتقاليدهم عن الأكثرية في نيوزيلندا. يمجّد هذا الموقع نيوزيلندا ومجتمعاتها العرقية. فالناس الإثنيون وعائلاتهم جزء من الهوية الوطنية النيوزيلندية، وهم يدعمون التحوّل الاقتصادي للأمة.

حلل كيف تقوم هذه التصريحات بتكوين إثنيات في نيوزيلندا، بما فيها الأكثرية.

ميّز 'هاريس' و'رامبتون' (2003) أربعة مواقع للإثنية، وهي توازي تلك المواقع المحددة في الفصل السابق عن الجندر:

- العجز: الأعراق الأخرى هي أدنى بالنسبة إلينا.
- الاختلاف: أنت لست أدنى منا، لكنك مختلف عنا.

• الهيمنة: الاعتراف بأن العلاقات العرقية تعني، بشكل روتيني، هيمنة مجموعة على أخرى، وغالباً من خلال سلطة استبدادية.

• الحوار (التنوّع): الفئات الثلاث السابقة، المجموعات الإثنية، 'الإثنية' بحد ذاتها تم بناؤها وإعادة إنتاجها اجتماعياً.

غالباً ما تنطوي نظرية الاختلاف على موقف واقعي من العجز، مؤدياً عملياً إلى الهيمنة - كما هو الحال مع التمييز العنصري في جنوب أفريقيا مثلاً. ركّزت الكثير من الأعمال اللسانية الاجتماعية على تحدّي منهج 'العجز'، وعلى الدعوة للاعتراف بالاختلاف، وحتى الهيمنة. وغالباً ما كانت تهتم بتوجيه أسئلة صعبة تتعلّق بالإساءات الإثنية، مع أنها تعمل أحياناً مع تعريفات بسيطة تماماً عن الإثنية. اتجهت أبحاث حديثة إلى إثارة هذا الأمر، مشددة على أن الإثنيات مرنة جداً، وأن اللغة لا ترتبط بالإثنية، وليست مُنتجاً من منتجاتها، بل عنصراً من عناصرها. ينطبق هذا الاتجاه التفكيكي ذاته على الجندر، والتقسيمات الأخرى، في العلوم الاجتماعية. انظر التمرين (7.4) للتعمّق أكثر في طبيعة الإثنية.

الربط بين الإثنية واللغة

كما رأينا في موضوع 'الحفاظ على اللغة'، في الفصل الثالث، يرى العديد من الأقليّات أن اللغة جزء أساسي من هويتها. ويوافق بعض المنظّرين على ذلك، ولا سيّما 'فيشمان' الأكثر وضوحاً. لن نهتم في هذا الفصل باللغات التراثية للأقليات، بل بتأثير تلك اللغات على تنوّع اللغات المهيمنة الخاصة بالأقليات. لقد وجدنا نوعين من الحالات اللسانية الاجتماعية خلف التباين الإثني، وكلاهما ينتج عن الهجرات، وعادة ما يكون ثمرة الاستعمار والعولمة:

• عندما تتفوّق الأكثرية المُستعمِرة عددياً على مجموعة السكان الأصليين، يبدأ السكان الأصليون عادة بتبني لغة الأكثرية. إن تنوّعهم

في استخدام تلك اللغة سيحمل آثار الفوارق بين هذه اللغة ولغتهم الأصلية. عندئذٍ، تُسمى لغة السكان الأصليين 'المادة المتفاعلة - substrate' (كما في دراسات اللغات المُبسّطة والكريول، انظر الفصل الرابع). هكذا كان حال الشعوب الأولى في كندا، وشعب الماوري في نيوزيلندا.

• عندما يصل المهاجرون إلى دولة جديدة، بلغاتهم المختلفة، سيلجأ أسلافهم فوراً إلى تبنّي لغة الأغلبية. وسوف تُسمّى لغتهم الخاصة 'أدستريت - adstrate'[1] التي تؤثر على الطريقة التي ينطقون بها لغة الأكثرية. هذه هي حال المهاجرين الكوريين الذين يعيشون في أستراليا أو المغاربة في هولندا.

في هاتين الحالتين كلتيهما، ربما تُنتج 'adstrate/ substrate' تنوعاً في لغات الأكثرية، يختلف بشكل واضح عن النسخة الأصلية. ربما تكون بعض السمات المتمايزة فريدة بالنسبة إلى تنوّع الأقليات، لكن يختلف معظمها في التكرار وحسب. ربما يُطلق الباحثون على هذا النوع صفة 'الإثني' (انظر التمرين **7.5**)، ويعطونه اسماً مثل 'لغة "فيرناكولار" الإنكليزية الأمريكية الأفريقية'. تتضمن الحالة الثالثة تنوّعاً يختلف جذرياً عن اللغة القياسية، ويكون له تاريخ مميز، ومختلف في نوعيته: ربما تمتزج لغة الكريول مع لغة الاستعمار 'المُسيطرة' التي سبقتها في 'استمرارية ما قبل الكريول' (انظر الفصل **4.3**)، كما هو الحال مع اللغات الإنكليزية الكاريبية.

التمرين 7.5: إثنية أم مخزون لغوي؟

شككت 'سارة بونين بينور' (**2010**) بتسمية 'إثني' لأنها لم تأخذ بعين الاعتبار خمسة حالات من حالات التباين الإثني:

---

[1] يشير مصطلح 'adstrate' إلى اللغة التي تتصل بلغة أخرى في تجمع سكاني مجاور دون أن يكون لها مكانة أعلى أو أقل. المترجم.

1. التباين داخل المجموعة - بين متحدثين مختلفين في مجموعة إثنية واحدة.

2. التباين لدى المتحدث - ينتقل المتحدثون الأفراد بين التنوّع الإثني، وبين لغة الأكثرية القياسية اعتماداً على الظرف.

3. استخدام مجموعة خارجية: أشخاص لا ينتمون إلى المجموعة، ويرتبطون بشكل وثيق بها، قد يستخدمون هذا النوع.

4. ليس للمجموعات الإثنية حدود صارمة تحدد تماماً من هم ضمنها ومن هم خارجها.

5. الإثنيون أيضاً لديهم حدود لغوية ضبابية، ومعظم الاختلافات نسبية وليست مُطلقة.

• تقترح 'بينور' مصطلح 'المخزون اللساني الإثني' بوصفه أكثر سلاسة وملاءمة من مصطلح 'الإثني'. هل توافق على ذلك؟ لماذا؟

هي تتساءل أيضاً عن الطريقة التي نعرّف فيها ما هو مميّز في لغة المجموعة الإثنية. مميز عن ماذا؟ عن 'اللغة القياسية' - 'الأساسية السائدة' - 'لغة البيض' (في الولايات المتحدة)؟ إنها تقترح 'التباين غير المحدد'، بينما تتساءل عن التضمينات التي 'تميّز' مجموعات الأقليّة وتنوّعاتها.

• ضع قائمة بالتنوّعات الإثنية أو المخزون اللغوي الذي يميل الناس لرؤيته في مجتمعك. هل أُطلِق عليه اسم معين؟ ما هي المجموعات المرتبطة به؟ ما هو تاريخ هذه المجموعات؟ ما هي مواقف الناس من هذه المجموعات وتنوّعها - العجز؟ الاختلاف؟ الهيمنة؟ الحوار؟

• أجب عن الأسئلة ذاتها بالنسبة إلى تنوّعات الأكثرية؟

- ما هو المقياس الذي تستخدمه لتمييز التباينات الإثنية أو المخزون اللغوي في مجتمعك؟ ما هو المصطلح الذي تعطيه لهذا المقياس؟ - القياسي، الأساسي السائد، المميز، أو شيء آخر؟ ولماذا؟
- ما الذي تُشير إليه إجاباتك السابقة حول العلاقة بين اللغة والإثنية في مجتمعك؟ وبنظرية لسانية اجتماعية؟

7.4: التنوّعات الإثنية في اللغة الإنكليزية

اللغة العامية الإنكليزية الأمريكية الأفريقية

كانت خلفية العلاقات العرقية، السيئة والإشكالية، بين الأفارقة الأمريكيين الحضريين، السبب الأول في إطلاق أول المشاريع اللسانية الاجتماعية، بعد مشروع 'لابوف'، في مدينة نيويورك سيتي. قاد 'لابوف' بنفسه مشروعاً من أواسط ستينات القرن العشرين لدراسة ثلاث عصابات من المراهقين في مدينة نيويورك. كانت تلك دراسة إثنية رائدة، حيث كان هناك باحثون لغويون من أصحاب البشرة البيضاء، بالإضافة إلى عمال ميدانيين محليين ذوي البشرة السوداء (هذا يذكّرنا ببحث 'روث غوردون' العملي في ري ودي جانيرو في الفصل السادس). كانت النتائج مهمة، وتم نشرها في كتاب 'لابوف' الصادر عام (1972):

المثال 7.4: قواعد اللغة العامية الإنكليزية الأمريكية الأفريقية (AAVE)

تشترك اللغة العامية الإنكليزية الأمريكية الأفريقية، واللغة الإنكليزية القياسية، بالقواعد اللغوية إلى حد بعيد، لكن تُعتبر الأشكال غير القياسية واضحة بالنسبة إلى الغرباء (من خارج المجموعة) مع أنها مفهومة بما يكفي بالنسبة إليهم. وبينما يكون بعض هذه الأشكال خاصاً بلغة (AAVE) فقط، فإن معظمها يشترك (مثل 'ain't') مع لغات إنكليزية عامية أخرى:

It's a lot of girls	Existential it is (instead of there is)
the dog live in the swamp	Absence of verbal -s marking
People (Ø) crazy, people are stone crazy	Zero copula (absence of verb to be)
it mostly be in the evening	Invariant habitual be (for repeated actions)
they done tore the school up	Perfective done
she might could do the work	Multiple modals
they didn't never do nothing to nobody	Negative concord/multiple negation
he came over to that girl house	Absence of possessive -s marking
he the man [who] got all the old records	Absence of subject relative pronoun

- وصف الأنماط الخطابية للشباب السود، وخاصة في استخدام الشتائم - 'لقد بنى العنكبوت منزله تحت إبطيّ أمك العجوز'.
- دراسة بنية القصص الحوارية، وغرس ما أصبح إطاراً أساسياً للتحليل السردي في اللسانيات الاجتماعية.
- والأكثر أهمية من الناحية السياسية الاجتماعية، النتيجة التي تعتبر أن اللغات العامية الإثنية داخل المدينة لم تكن رموزاً لغوية دون المستوى المطلوب، لكن كان لها نظامها الخاص - 'منطق اللغة

الإنكليزية غير القياسية'، بحسب العنوان الذي صاغه 'لابوف' في محاضرة أساسية عام (1972).

صدرت مئات الدراسات، وتلتها آلاف المنشورات لاحقاً، وأصبحنا نعرف الآن عن اللغة العامية الإنكليزية الأفريقية الأمريكية أكثر مما نعرف عن أي نوع آخر على هذا الكوكب – ما يثير السخرية هو اعتبار استمراريتها وصمة عار. لقد تم تحليل مميزاتها وإحصائها بشكل شامل، بما في ذلك مجال واسع من الأبعاد اللغوية الديموغرافية – الاختلافات المناطقية عبر الولايات المتحدة الأمريكية، المجتمعات المحليّة المعزولة، دراسة حالات فردية للشباب والعجائز، التباين بين النساء والرجال، بين الطبقة المتوسطة والطبقة العاملة، والمسارات التنموية للأطفال الأفارقة الأمريكيين. منذ سبعينات القرن العشرين، تولّت أجيال متتالية من علماء اللسانيات الاجتماعية الأفارقة الأمريكيين قيادة معظم الأبحاث، وتحوّلت التسمية مع الوقت من 'لغة الزنوج غير القياسية، NNE'، مروراً باللغة العامية الإنكليزية للسود، BEV' وأخيراً إلى اللغة العامية الإنكليزية الأفريقية الأمريكية، AAVE' التي ترسّخت منذ عام (1990).

في ثمانينات وتسعينات القرن العشرين، برزت تداعيات النتائج اللسانية الاجتماعية على اللغة العامية الإنكليزية الأفريقية الأمريكية' إلى السطح بسبب نقاط أساسية ثلاث:

- وقف علماء اللسانيات الاجتماعية كشهود ذوي خبرة في 'قضية آنا آربور' في ميشيغان، عام (1979)، ودعموا حق الطلاب الأمريكيين الأفارقة بأن يتعلّموا اللغة من خلال لغتهم الخاصة. وفازوا بالقضية ('لابوف'، 1982).
- فرضية التباعد في اللغة الإنكليزية بين البيض والسود: نشر 'لابوف' عام (1986) دراسة مع 'ويندل هاريس'، وادعى وجود اختلاف

بين اللغتين العاميتين للبيض والسود داخل المدينة، وأن هذا يعكس وجود اختلافات في المجتمع، ويعززها أيضاً. وقد تم نشر تفسيراتهم ومناقشتها على نطاق واسع، بدعم من بعض الباحثين، واعتراض آخرين (فاسولد، 1987).

• في عام (1996)، سمح مجلس إدارة مدرسة 'أوكلاند سكول بورد' في كاليفورنيا بأن تكون اللغة العامية الإنكليزية الأمريكية الأفريقية' لغة تعليمية في المدارس التابعة له، مثيراً جدلاً كبيراً حول لغة 'السود'. ثم طُلِبَ من علماء اللسانيات الاجتماعية أن يتخذوا مواقف عامة، ويشرحوا بنية اللغة وسماتها، ووافق المجتمع الأمريكي فوراً على قرار الدعم ('روكفيلد'، 1999، 'ليبي غرين'، 2012).

أدّت قضية أصول هذه اللغة إلى إطلاق الكثير من الأبحاث، بوجود حالات استقطاب لغوي، وسياسي غالباً، بين فرضيات أصل لغات الكريول (انظر الفصل الرابع) والنظرية 'الأنجيلكيستية' التي تقول إن اللغة تطوّرت عن لهجات بريطانية، بالتوازي مع أنواع لهجات أخرى تخص البيض (انظر 'ريكفورد' 1998؛ 'بوبلاك'، 2000).

تباين إثني في اللغات الإنكليزية في جميع أنحاء العالم

تقنيات التباين الكميّ الذي كان 'لابوف' رائده، والتباين اللساني الاجتماعي بشكل خاص، هي أشياء نموذجية لتعريف الاختلافات النسبية التي تشكّل العلامات الأساسية على التنوّع الإثني للغات. انتشر بحث كهذا في العالم كله على مدى السنوات الأربعين الماضية، وكان معظمه على اللغة الإنكليزية، وتضمّن جزء كبير منه التباين الإثني. لذا نورد هنا بعض الأمثلة:

إنكليزية 'اللومبي' الهندية، شمال كارولينا: 'اللومبي' هي مجموعة غير عادية من الأمريكيين الأصليين. لقد تحدّثوا الإنكليزية بشكل جيد

على مدى مئتي سنة، لكن لا أحد يعرف لماذا تعلّموا اللغة في فترة مبكرة جداً، وممن تعلّموها. كما أن نوع اللغة المستخدمة حالياً لا يحتفظ بأية تلميحات عما كانت عليه لغة أسلافهم. وبسبب هذا التاريخ اللغوي الإثني غير الواضح، فقد واجهوا بعض الصعوبات في إقناع السلطات بأنهم مجموعة عرقية أساساً. أظهرت دراسات 'والت وولفرام' وزملائه لإنكليزية 'اللومبي' ('داننبيرغ' و'وولفرام'، **1998**، مثلاً) أن لدى هذه المجموعة أشكالاً ووظائفَ (للفعل 'to be')، باقية من آثار أنواع لهجات بريطانية أقدم. لقد تراجع هذا النوع وتلاشى في الأشكال المحلية الأخرى، لكنه بقي لدى 'اللومبي'، لدرجة أنه يعمل كموشر إثنوغرافي لغوي في طريقة كلامهم.

إنكليزية الماوري، نيوزيلندا: لم يتمكن علماء اللغة النيوزيلنديون، حتى عام (**1990**) من إثبات أن لغة 'الماوري' الإنكليزية موجودة، ناهيك عن إثبات ميزاتها، على الرغم من اعتقاد معظم النيوزيلنديين بأنهم يستطيعون سماعها. وربما يعود ذلك لأننا كنا نبحث عن اختلافاتها الكاملة عن اللغة الإنكليزية النيوزيلندية العادية. لكن عندما بدأنا نبحث عن الاختلافات النسبية، وجدنا أن لغة الماوري ولغة 'باكاها' تستخدمان الخصائص ذاتها لكن بتردد مختلف. بأخذها مجتمعة، أدّت مجموعة النغمات والأشكال المورفولوجية والنحوية، وخاصة الاختلافات الصوتية، إلى وجود أنواع مختلفة من اللغة الإنكليزية ('بيل'، **2000**؛ 'هولمز'، **2005**). مثلاً: اللغة الإنكليزية النيوزيلندية العامة لها طريقة نطق مركزية مخففة للحرف الصوتي 'I'، معروفة باسم أحرف'KIT'. (يميل علماء اللسانيات الاجتماعية إلى الإشارة إلى الأحرف الصوتية باستخدام مجموعة من الكلمات الأساسية التي وضعها 'ويلز'، **1982**، والتي تمثّل فيها الكلمة الحرف الصوتي - يساعد ذلك على تجنّب التشوّش

في تحديد الأحرف الصوتية بين لهجات مختلفة). لكن يستخدم بعض شعب الماوري طريقة مختلفة في نطق هذا الحرف، وهي طريقة تبدو قريبة من طريقة النطق البريطانية أو الأسترالية، أكثر مما هي قريبة من الإنكليزية النيوزيلندية. في دراستنا للغة 'بوريروا – Porirua' قرب واشنطن، كان هناك خمسة من شعب الماوري يستخدمون طريقة النطق هذه ('بيل' 1997). وكانت هي العيّنة الوحيدة الناطقة بطلاقة بلغة الماوري. لقد أثرت لغة الماوري على طريقة نطق هؤلاء المتحدثين الخمسة للغة الإنكليزية، وهو أثر يخلق ميزة إثنية مميزة.

الإنكليزية الخاصة بالإيطاليين في أستراليا: لا تترك كل اللغات التراثية أثرها في لهجة المجموعات المُهاجرة. في بحث قامت به 'باربرا هورفاث على الأحرف الصوتية في اللغة الإنكليزية في سيدني، أستراليا (1985)، وجدت أن معظم اليونانيين والإيطاليين البالغين - الجيل الأول من المهاجرين - لديهم لهجة 'إثنية واضحة' متأثرة بلغتهم الأولى، مع أحرف صوتية مختلفة تماماً تعود إلى أساس المجتمع في سيدني. لكن يستخدم الجيل الثاني، جيل المراهقين، الأحرف الصوتية للسكان الأصليين أكثر من السكان الأصليين أنفسهم. لماذا؟ يبدون وكأنهم يُبعدون أنفسهم إثنياً عن أهلهم الموصوفين بأنهم إنكليز من الطبقة الثانية (L2 English): لا يريدون أن تكون لديهم لهجة موصومة كلهجة أهلهم. كما وجد 'لابوف' الشيء ذاته بالنسبة لأحفاد اليهود والإيطاليين في نيويورك. يتوافق هذا التحوّل، من الناحية السيكولوجية، مع النزعة التي أشرنا إليها في الفصل الثالث بالنسبة إلى أطفال الجيل الثاني من المهاجرين في رفضهم إرثهم اللغوي الأول.

7.5: الجندر في اللغة

للجندر أثر كبير على اختيار اللغة. في المجتمعات الغربية، يكون الفرق بين كلام النساء والرجال قضية درجات في أغلب الأحيان، لكن

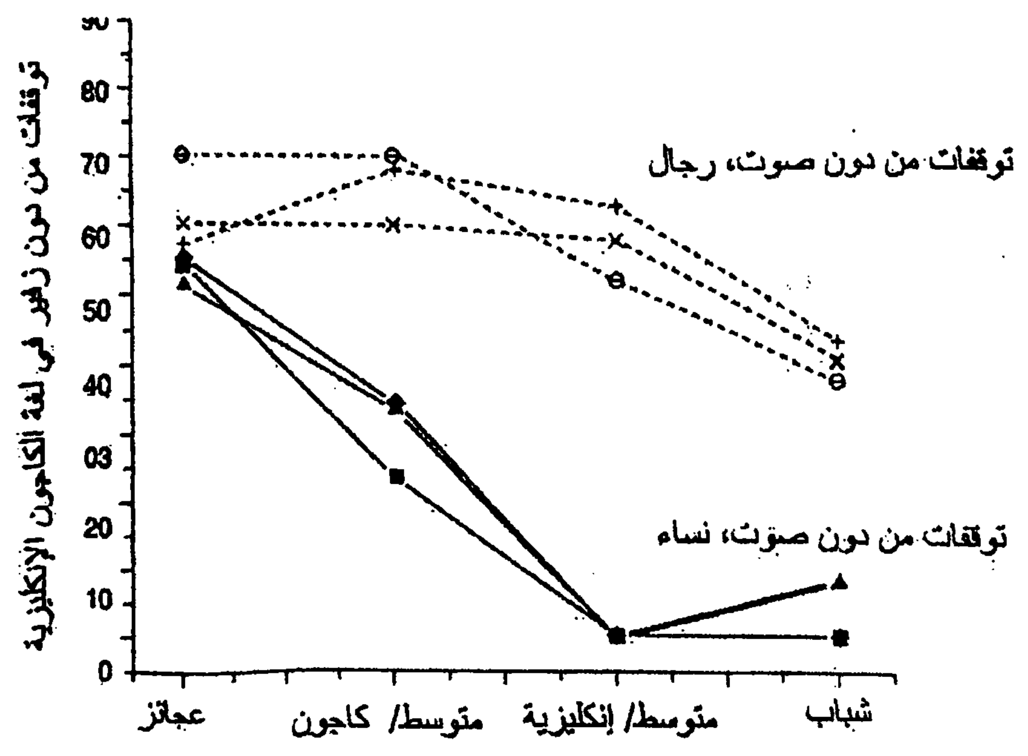
هناك مجتمعات لا يتحدث فيها الأزواج والزوجات اللغة ذاتها (انظر المثال الموجود في الفصل '5.1' من'ميسون دي لا باز'، الأرجنتين). إنها حالة متطرفة جداً، لكن هناك لغات متعددة لديها أشكال بديلة أو خصائص لا يمكن للرجال أو النساء استخدامها. يوجد في المعجم فروقات واضحة عن كلمات محظورة محرّمة بالنسبة إلى النساء، أو غير مفضّلة على الأقل. وتكون أسماء الأقرباء الذكور محظورة بالنسبة إلى النساء في بعض المجتمعات - وكذلك أية كلمات تبدو مشابهة لتلك الأسماء. لكن لا يبدو أن هناك مجتمعاً يفرض قيوداً مشابهة على الرجال. ربما تشفّر قواعد بعض اللغات الفروق بين المتحدثين الذكور/ الإناث. في 'يانيوا' على الحدود الأسترالية الشمالية، يتحدث الرجال والنساء لهجتين مختلفتين: يستخدمون المفردات ذاتها لكن بتطبيق لواحق قواعدية مختلفة للكلمات الأساسية. يواجه الصبية في 'يانيوا' تحديات متزايدة: إنهم يكبرون بين النساء، وبالتالي يتعلّمون لهجة الأنثى، ويكون عليهم التحوّل إلى لهجة الرجال بعد البلوغ. يقول أحد الرجال (جون برادلي، **2011**):

عندما تكلّمت مرّة بطريقة الأنثى قال لي والدي: "أين نهديك وأعضاؤك الأنثوية الأخرى؟" لقد شعرت بالخجل فعلاً. أصبحت بعد ذلك حذراً جداً، ولا أتكلّم إلا بطريقة الرجال.

يشكّل الجندر أكثر أبعاد التباين اللغوي وضوحاً في المجتمع. على أساس نتائج بحث في مدينة نيويورك سيتي، اقترح 'لابوف' موضوع "الانسجام اللغوي العام للنساء" بوصفه أحد المبادئ الأساسية للبنية اللسانية الاجتماعية (**2001**):

من أجل تباينات لسانية اجتماعية ثابتة، تُظهر النساء نسبة أقل من التغيرات الموصومة، ونسبة أعلى من التغيّرات المتعلّقة بالهيبة والمكانة (البرستيج)، قياساً بالرجال.

لقد أجرى دراسات استطلاعية، ليس فقط من التباينات الكثيرة في اللغة الإنكليزية، بل من الفرنسية الكندية، والإسبانية في أمريكا اللاتينية وأوروبا. على سبيل المثال، تُظهر تسعة من كل عشرة تباينات تم بحثها في إنكليزية 'ديترويت'، أن النساء يستخدمن أشكالاً قياسية أكثر من الرجال (وولفرام، **1969**). يحمل هذا النموذج أكثر تباينات اللغة الإنكليزية استقراراً، المتغيّر 'ING' – انظر دراسة الحالة في القسم التالي.



الشكل 7.3: توقفات من دون زفير عند الأحرف (p t k) في لغة كاجون الإنكليزية، مع علاقتها بالعمر والجندر.

متوسط/ كاجون: متحدثون في منتصف العمر تعلموا الفرنسية مقابل "متوسط/إنكليزية".

عادة ما يكون الجندر عاملاً رئيساً في استخدام المتغيرات اللسانية الاجتماعية غير المستقرّة - أي المتغيّرة. تُعبّر لغة 'كاجون' الإنكليزية عن نوع لغوي إثني تستخدمه المجتمعات الناطقة بالفرنسية أصلاً في أرياف 'لوزيانا' ('دوبويس' و'هارفات' **1999**). إن النطق متأثر باللغة

الفرنسية التي تفتقد 'استنشاق الهواء' أثناء التوقفات في نطق أحرف مثل (p, t, k). لا يميل الناطقون بلغة 'كاجون' الإنكليزية إلى لفظ تلك الحروف بطريقة فيها تقطيع بدلاً من لفظها بالطريقة الإنكليزية القياسية (p^h, t^h, k^h – به، ته، كه). يُظهر الشكل (7.3) ثلاث مجموعات من أعمار مختلفة من الناطقين بلغة 'كاجون' الإنكليزية، حيث يستخدم الرجال، في كل حالة منها، نمط لغة 'كاجون' أكثر من النساء. إن الفرق الجندري صغير جداً بالنسبة إلى الأجيال الكبيرة (العجائز)، حوالي خمسَ عشرةَ بالمئة، لكن الفرق يتسع كثيراً بالنسبة لمتوسطي العمر والشباب.

يفسّر الباحثون تحوّل النساء في منتصف العمر على أنه انعكاس للفتيات اللواتي قضين وقتاً في مدارس اللغة الإنكليزية أكثر من الصبيان. إن حفاظ الشبّان على طريقة النطق هذه (عدم استنشاق الهواء)، جاء من مشاركتهم الكبيرة في نهضة ثقافة 'الكاجون' في أواخر القرن العشرين. لاحظ كيف تتداخل الأبعاد الاجتماعية هنا: المنطقة مع الإثنية، الإثنية مع الجندر، والجندر مع العمر. يعكس اختلاف العمر تغيّراً في التطور، وهو موضوع الفصل القادم. وهناك انعكاس طبقي أيضاً طالما أن هناك تهميشاً لجماعة 'الكاجون' ولغتهم. تُظهر العديد من الدراسات وجود رجال ونساء من الطبقة ذاتها، وهم يختلفون جذرياً في طرق استخدامهم للمتغيّرات اللسانية الاجتماعية ذاتها.

في بحث مبكّر، كان التفسير الأكثر شيوعاً لاستخدام النساء الكبير للأشكال القياسية هو أنهنّ أكثر تعلّقاً من الرجال في سعيهنّ للمكانة الاجتماعية: النساء أكثر إدراكاً للمكانة الاجتماعية، ويستخدمن بالتالي أشكالاً قياسية أكثر. كان ذلك تفسيراً مختلفاً، أو حتى عاجزاً، في المصطلحات التي تم تقديمها بالفصل (6.7). قامت 'إكرت' بمراجعة

الأدلة حول هذا الأمر، ووافقت على أن النساء يستخدمن اللغة كوسائل رمزية لإثبات أنفسهنّ، لكنها اقترحت تفسيراً يتعلّق بالهيمنة: النساء محدودات في المكانة أكثر من الرجال - 'بحرمانهن من السلطة، ربما ترضي النساء أنفسهن بالمكانة' (1989). واجهت 'تشيشر' (2002) مبدأ إثبات النساء لأنفسهن بحد ذاته على أساس نقطتين اثنتين:

- النتائج هي انعكاس للأساليب المُستخدمة في الوصول إليها، وخاصة في بنية الطبقة الاجتماعية - والأكثر وضوحاً، في إحالة النساء لطبقة اجتماعية على أساس الوضع الاجتماعي للزوج.
- تعريف ما هو 'قياسي'، أمر غامض جداً ومتنوّع (انظر الفصل 10.5).

إن لنمط اللغة الجندري تداعياته على الرجال كما على النساء، على الذكورة كما على الأنوثة، هذا ما تُبيّنه دراسة حالة المتغيّر 'ing' في الفقرة التالية. يعود الفصل (11.4) إلى مسألة الجندر، وكيف يمكن أداؤها من الناحية اللسانية الاجتماعية.

7.6 حالة المتغيّر 'ING'

يُعتبر التناوب بين 'ing' و'n' في لفظ كلمة 'ووكينغ، أو ووكن – walking'، التي أشرنا إليها في دراسة مدينة نيويورك سيتي (الشكل 7.1)، إحدى التباينات اللسانية الاجتماعية الأكثر بروزاً وانتشاراً في اللغة الإنكليزية. يشير 'إسقاط الحرف g' إلى مستويات اجتماعية أو رسمية في جميع أشكال اللغة الإنكليزية - على الرغم من عدم وجود حرف 'g' صوتي. إنه اختيار بين النطق (القياسي) الصادر من الحلق نحو الأنف [ŋ]، مقابل غير القياسي الصادر عن اللسان وسقف الفم [n]. من الناحية اللفظية، لاحقة (ing) ثابتة جداً - ليس هناك من دليل في أي مكان على تغيير هام في تكرارها أو استخدامها

('لابوف' **2001**). وهي، لهذه الأسباب، تُعتبر من أكثر المتغيرات التي تخضع للبحث في اللغة الإنكليزية. أنا أجمع هنا مناهج مختلفة متعددة للاحقة (ing) من أبحاث تمت حول العالم في السنوات الستين الأخيرة (تعود البيانات المُستخدمة إلى دراسات تمت غالباً قبل ذلك بسنوات).

'نيو إنغلند'، الولايات المتحدة، (1958)

تم إجراء أول بحث كميّ عن لاحقة (ing) عام (**1954**). أثناء تنفيذ تسجيلات لمشروع بحث تعليمي في قرية 'نيو إنغلند'، حيث لاحظ 'فيشر' (**1958**) وجود تباين في استخدام لاحقتي 'in – ing' لدى الأطفال. واستنتج أن تعاقب هذه اللواحق يتعلّق بالجنس والطبقة والشخصية والمزاج والرسمية والاستخدام المحدد للفعل. أحصى 'فيشر' أيضاً السلوك الفردي لزوج من الطلاب، لصبي 'يمثّل قدوة' في سلوكه الجيد، وصبي آخر مؤذٍ 'نمطي':

	لاحقة 'ing'	لاحقة 'in'	المجموع	نسبة استخدام 'in'
الصبي 'القدوة'	38	1	39	3
الصبي 'النمطي'	10	12	22	55

على الرغم من الصفات الغريبة قليلاً، وإلى أي معاني اجتماعية نعود لاحقاً، هناك فرق واضح بين صبيّ يلفظ 'ing' بشكل كامل تقريباً وآخر يخلط الشكلين كلهما. كما وجد 'فيشر' أيضاً أن الصبي 'القدوة' يُظهر قابلية واضحة لتحويل أسلوبه ليتلاءم مع الحالات المختلفة:

نسبة استخدام 'in'	المجموع	لاحقة 'in'	لاحقة 'ing'	
3	39	1	38	اختبار سرد حكاية
51	68	35	33	مقابلة رسمية
63	65	41	24	مقابلة غير رسمية

وهكذا، لامست الدراسة الأبعاد التي بحثها 'لابوف' لاحقاً في نيويورك سيتي - الاختلافات بين متحدثين مختلفين اجتماعياً، والاختلافات النمطية في الكلام لدى المتحدث ذاته. وتم الاستشهاد بدراسة 'فيشر' مراراً وتكراراً لاعتبارها دراسة رائدة، وخاصة من قِبَلِ 'لابوف'، على الرغم من أنها بسيطة، إلا أنه وضع برنامجاً تنبئِياً واسعاً لبحث التباينات والتغيرات.

نيويورك سيتي، الولايات المتحدة، 1966

دراسة 'لابوف' في 'نيويورك سيتي' (1966، 1972)، والتي سلّطنا الضوء عليها في الفصل السابع، كانت التحليل الأساسي للمتغيّر 'ing'. راجع الشكل (7.1) الذي يعرض فيه نتائجه وتفسيره له. وعلى مدى العقدين التاليين، أُجريت أبحاث على هذا المتغيّر ضمن دراسات صغيرة وكبيرة، وذلك لعدة أنواع من اللغة الإنكليزية الموجودة حول العالم، بما فيها ولاية 'لوس أنجلوس' ('والد' و'شوبن'، 1981)، ومنطقة 'يورك شير' ('بيتيت'، 1985)، و'أستراليا' ('هورفاث'، 1985).

نورويش، المملكة المتحدة، 1974

بعد بضع سنوات من دراسة 'نيويورك سيتي'، قام عالم اللسانيات الاجتماعية 'بيتر ترودجيل' باستطلاع عن اللغة الإنكليزية في 'نورويش' (1974)، مستمدّاً منهجه من 'لابوف'، وطبقاته الاجتماعية الخمس، وأنماطه الأربعة. وقد أظهرت نتائجه أن المتغير 'ing' يُمثّل أيضاً تراتبية اجتماعية في هذه اللهجة البريطانية، وأن المتغير 'in' كان

نمطياً للمتحدثين الذكور، والمتحدثين من الطبقة العاملة. يميل الرجال لاستخدام المتغير 'in' أكثر من النساء اللواتي يملن إلى استخدام المتغير 'ing' (الجدول 7.1)، وينطبق هذا النموذج على معظم الأنواع اللغوية العشرين التي قام باختبارها. وهذا النتائج كانت مشابهة للنتائج التي وجدتها الكثير من الدراسات الكميّة المبكّرة للتباينات اللغوية المستقرة، مما يقودنا إلى مبدأ 'لابوف' حول 'الانسجام اللغوي للنساء' المذكور سابقاً.

يفسّر 'ترودجيل' (1972) ارتباط كلام الطبقة العمالية بالقساوة والصلابة بوصفها (مكانة خفيّة – covert prestige) – بأنه تقييم إيجابي للنطق غير القياسي، لكنه خفيّ. إنه متوارٍ عن العرض الاجتماعي العام لكنه يتجلّى بادعاء معظم رجال 'نوريش' باستخدام الأشكال القياسية أكثر مما يفعلون في الواقع، بينما تعترف المرأة بالعكس تماماً. كان تفسير 'ترودجيل' لسلوك النساء نحو المتغيّر 'ing'، تفسيراً تجاوزه التغيير الاجتماعي جزئياً، وقد انتقدته بعض عالمات اللسانيات الاجتماعية النسويات (انظر التمرين 7.6).

الجدول 7.1: العلاقة بين الطبقة الاجتماعية والجندر وتراتبية لاحقة (ing) في نورويش، والمملكة المتحدة، ونسبة استخدام اللاحقة (in) في الأشكال غير القياسية

الطبقة	الجندر	الكلام العادي	الكلام الرسمي	قراءة نص	قائمة كلمات
طبقة عاملة متدنية	M	100	100	100	66
	F	100	97	54	17
طبقة عاملة وسطى	M	97	91	43	24
	F	88	81	46	20
طبقة عاملة مرتفعة	M	95	81	18	0
	F	77	68	13	11
طبقة متوسطة منخفضة	M	17	27	20	0
	F	67	3	0	0
طبقة متوسطة وسطى	M	31	4	0	0
	F	0	0	0	0

يطرح الجدول السابق تدريباً على تفسير البيانات الكميّة. ما هي العلاقات بين الجندر، والطبقة الاجتماعية، والأنماط الموجودة في الجدول؟ سيساعد اختيار التقاطعات البيانية من الجدول على إظهار العلاقات - مثلاً تقاطع بيانات الرجال (M) أو النساء (F) فقط، أو كل طبقة اجتماعية على حدة.

1. انظر إلى تراتبية الجندر: في أي طبقة من الطبقات الاجتماعية يستخدم الرجال المتغيّر 'in' أكثر من النساء؟ والعكس أيضاً؟ كم عدد المتطابق منها؟ ما هو التعميم الذي تستطيع استنتاجه؟

2. انظر إلى تراتبية الطبقة الاجتماعية: قارن الرجال ضمن كل عمود من أعمدة النمط (عمودياً)، ثم قم بالأمر نفسه على النساء. هل هناك أي انحراف عن التراتبية الصحيحة؟ ما هي النتيجة التي تستطيع الوصول إليها؟

3. قم بالأمر نفسه على بنية النمط، من خلال مقارنتها أفقياً مع طبقة اجتماعية وجندر. هل هناك أي انحراف عن تحوّل النمط الصحيح؟

4. ماذا تستنتج من تراتبية المتغيّر 'ING' في نورويش؟ كيف يمكن مقارنتها مع نيويورك (الشكل **7.1**)؟

التمرين 7.6: تفسير تباين الجندر في اللاحقة 'ING'

تكهّن 'ترودجيل' (**1972**) في دراسته الأسبابَ التي تجعل النساء يستخدمن أنواعاً قياسية من المتغيّر 'ING' وأنواعاً لغوية أخرى أكثر مما يفعل الرجال:

- النساء في المجتمع البريطاني واعيات للمكانة أكثر من الرجال، لأن:

أوضاعهن الاجتماعية لا تجعلهنّ يشعرن بالأمان، وعادة ما يكنّ تابعات للرجال، ولهذا يستخدمن اللغة للإشارة إلى مكانتهنّ.

• يتم تقييم الرجال بناء على ما يفعلونه، كالمهنة مثلاً، بينما يتم تقييم النساء بناءً على مظهرهن، بما في ذلك أساليبهنّ في الكلام.

أيدت بعض عالمات اللسانيات الاجتماعية النسويات تفسيرات 'ترودجيل' ('إيكرت' **1989**)، اقتباسها في القسم السابق)، لكن هناك من اعترض. كتبت 'دوبورا كاميرون' (**1992**):

اعتبر 'ترودجيل' أن النساء يرغبن بإلحاق أنفسهنّ بطبقة اجتماعية أعلى، وبالتالي فإن طموحاتهنّ من حيث المكانة الاجتماعية كانت أعلى من طموحات الرجال... لكن من المؤكد أن تقييمات النساء قد عكست إدراكهنّ لقوالب الجنس النمطية، ورغبتهنّ المستمرّة في تحقيق التوقعات 'الطبيعية' بأن تكون النساء متحدثات بشكل 'أفضل'.... والأكثر من ذلك أن النتائج بحد ذاتها – النتائج التي تقول إن النساء في أي طبقة اجتماعية يستخدمن الأشكال القياسية أكثر من الرجال -.... ربما تكون، جزئياً على الأقل، نوعاً جميلاً من المنهجية المستخدمة لإلحاق المتحدثين بطبقات اجتماعية.... إن عمل الزوج يحدد طبقة المرأة.

• اقرأ مقالة 'ترودجيل'، ومقالة 'إيكرت'، والفصل الموجود في كتاب 'كاميرون'.

• خذ نتائج 'ترودجيل' بعين الاعتبار، والأساليب الكامنة خلفها، والمقدمات المنطقية المختلفة التي اعتمدها هو و'إيكرت' و'كاميرون' لتفسير هذه النتائج. اطرح تفسيراتك الخاصة، وقم بتحضير حججك عليها. يمكن تقسيم الصف الدراسي إلى مجموعات تتبنى الحالات الثلاث، وناقشها.

’ويلنغتون’، نيوزيلندا، 1992

في عام (1989) قمت أنا و’جانيت هولمز’ و’ماري بويس’ بأول عملية استطلاع لسانية اجتماعية كاملة حول اللغة الإنكليزية في نيوزيلندا. وجدنا أن النيوزيلنديين يستخدمون المتغيّر ’in’ أقل من المتحدثين الأمريكيين والبريطانيين، وأن التباين أقل من الناحية التراتبية الاجتماعية، لكن البنية مشابهة. يستخدم الرجال المتغيّر ’in’ أكثر من النساء، وتستخدمها الطبقة العاملة أكثر من الطبقة المتوسطة (’بيل’ و’هولمز’، 1992).

تتأثر المتغيّرات اللسانية الاجتماعية بالعوامل اللغوية والاجتماعية. تسمح جميع الأبحاث بهذا الأمر - مع أنني سأركّز في هذا الكتاب على التباينات اللسانية الاجتماعية، وأترك، إلى حد كبير، ’البعد اللغوي الداخلي. لقد تأثّر المتغير ’ing’ بعاملين لغويين رئيسين هما: نبرة الصوت التي تتبع النطق، والقواعد الخاصة بالكلمات عندما ترتبط بالمتغيرات. بالإضافة إلى إظهار نسب مئوية، يبيّن الجدول ’7.2’ أوزان ’فاربرول’ المرتبطة بالعوامل اللغوية المختلفة. ’الفاربرول’ (ومشتقاته، غولدفيرب وربرول) هو برنامج إحصائي يستخدمه علماء المتغيّرات. تُشير النتائج إلى كمية العامل الخاص، أو الفئة الخاصة، التي تؤثر على احتمال التغيّر اللغوي. النقطة الحيادية هي (.5)، والأرقام التي تعلو هذه النقطة تفضّل استخدام المتغير ’in’، والأرقام التي تحتها لا تفضّل المتغيّر ’in’ (تفضّل بالتالي المتغيّر ’ing’). بشكل عام، تميل الأوزان والنسب المئوية إلى سرد الحكاية ذاتها، وخاصة عندما يشترك عاملان من العوامل فقط.

الجدول 7.2: أثر العوامل اللغوية على حصص اللاحقتين (in , ing) في ويلينغتون، نيوزيلندا. .

العامل اللغوي	النسبة	وزن المتغير	العدد
Following phonetic segment:			
Velar	21	.381	159
Alveolar	40	.600	668
Word category:			
noun/gerund	13	.253	217
adjective/modifier	29	.480	245
verb/participle	40	.576	1525
gonna	85	.932	138

النوع الأكثر شيوعاً للتكيّف اللغوي هو تأثر المتغير اللفظي بالصوت الصادر قبله وبعده، مثلاً، ما إذا كان موقع التعبير اللفظي مشتركاً أم لا. هذا مرتبط بلفظ 'ing'. يبيّن الجدول (7.2) أنه عندما يتبعها حرف ساكن (alveolar - صادر عن الرئة)، فإن طريقة لفظ 'ing' على شكل حرف 'n' - كما في "walkin' down" - يكون بنسبة أربعين بالمئة. وعندما يكون الحرف الذي يتبع صادراً عن (الحلق - velar) كما في عبارة (walking girl)، فإن تكرار 'in' يقلّ إلى نسبة واحد وعشرين بالمئة). بمصطلحات الاحتمالات، فإن وجود (الأحرف الصوتية الصادرة من الرئة - alveolar) بعدها يجعل الأفضلية لنطق حرف 'n' (أي النقطة '.600' فوق النقطة الحيادية '.5'). وبالتناقض مع ذلك، فإن وجود (الأحرف الصادرة عن الحلق - velar) بعدها لا تجعل الأفضلية لنطق حرف 'n' عند النقطة

(381.) - وبالتالي تفضّل طريقة النطق البديلة ([ŋ]) التي تشارك الحرف الساكن ذات المكان مع الحرف الصوتي التالي.

الأكثر إثارة للاهتمام هو التكيّف القواعدي الذي يظهر في الجدول (7.2). الأفعال وأسماء الفاعل مثل 'crossing roads' تفضّل 'in' (576.)، بينما الأسماء وصيغة المصدر - 'pedestrian crossing' لا تفضّلها (253.). وبين القيمتين السابقتين تكون الصفات و'البدل' - 'the crossing place' عند القيمة (480.). ومن هنا يتضح أن التفسير الوحيد لهذه التفضيلات هو التفسير التاريخي ('لابوف'، 2001). في اللغة الإنكليزية القديمة، كانت نهاية (المصادر – verbal noun) هي 'ing'، ونهاية (اسم الفاعل) هي 'inde'. وعلى الرغم من مضي وقت طويل على دمجهما بالشكل 'ing'، فإن بقايا الفرق النحوي لا تزال تؤثر على خيارات المتحدثين المُعاصرين ما بين نطق 'ing' و'in'. وأخيراً، نرى في الجدول (7.2) كلمة 'gonna'، الاختصار لعبارة 'going to'، وكأنها تعامل معاملة الفعل المنفصل. لقد قام علماء اللسانيات الاجتماعية بتهجئتها بهذه الطريقة للإشارة إلى أنها تتصرف كوحدة كاملة، بشكل مختلف عن الطريقة المعجمية ' I am going to "the city"'. إن كلمة 'gonna' فيها تكرار ساحق للفظ النوع 'n' في لفظها هنا، ويصل إلى نسبة خمس وثمانين بالمئة (932.). يتم التعامل مع الكلمات الدالة التي تحدث بشكل متكرر مثل كلمة 'gonna' و'just'، بشكل منفصل لأنها تميل إلى التصرّف بشكل مختلف.

الذكورة والمتغير 'ing' في أمريكا، (1998)

معظم الدراسات التي أُجريت عن 'ing' حتى تسعينات القرن العشرين كانت مشاريع على مستوى المجتمع المحلي، وكانت مشابهة

للمشاريع التي تمت على مدينة نيويورك سيتي، وباستخدام الأساليب ذاتها أيضاً. وقد أظهرت معظم تلك المشاريع – باستثناء نيويورك في الواقع- أن الرجال يستخدمون 'in' (بالصوت الصادر عن الرئة – alveolar) أكثر من النساء. ومع نضج العمل في هذا المجال، بدأ الباحثون يتعمّقون في دراسة العمليات، والأهمية الاجتماعية لهذه التغيّرات، كما هو حال المتغير 'ing' في مجموعات معيّنة. وإحدى هذه الدراسات عبارة عن بحث أجراه 'سكوت كيسلينغ' (1998) حول دور 'in' في تحديد الذكورة في 'مجموعة الإخاء في جامعة أمريكية'. كانت دراسة 'كيسلينغ' نموذجاً لعمل حديث في استهداف مجموعة اجتماعية متماسكة بدلاً من دراسة المجتمع كله، وذلك في تسجيل محادثة طبيعية كما تحدث بين أفراد المجموعة، وفي استكمال التحليل الكمّي والنوعي المرتبط بكيفية عمل المتغيرات في امتدادات الكلام.

تحوّلت الفئة الديموغرافية البسيطة ظاهرياً للجنس البيولوجي 'sex' إلى الجنس الاجتماعي أو 'الجندر - **gender**'، بوصفه بنية اجتماعية 'يمارسها' المتحدث بدل أن يكون عليها (انظر الفصل 11.4). وحيث كانت المكانة الاجتماعية المبدأ الأساسي لدى 'لابوف' و'تروجيل'، كانت 'السلطة' في دراسة 'كيسلينغ' هي المحور الأساسي: يعتمد استخدام 'ing'، في لقاء الأخوية، على السلطة. استخدم ثلاثة أعضاء من الأخوية المتغير 'in' بشكل دائم تقريباً أثناء اللقاءات، بينما انتقل الباقون أثناء استخدام 'in' إلى مستوى أقل بكثير مما كانت عليه عندما كانوا يتصرّفون بالطريقة العادية. يستنتج 'كيسلينغ' أن هؤلاء الثلاثة يقومون بفهرسة صورة العمل المجهد الجسدي، وقوة اللغة العامية الخاصة بالطبقة العاملة - يحتاج رجال الطبقة

العاملة إلى توضيح قوتهم الجسدية بسبب افتقادهم للقوة الاقتصادية. يعتمد ذلك، بشكل خاص، على حشو كلمة "فاكينغ - 'fuckin" البذيئة القوية ضمن الخطاب، بسبب قيمتها ككلمة محظورة، وتُلفظ دائماً تقريباً بلاحقة 'in' وليس بلاحقة 'ing'. يظهر في المقطع التالي تجميع لكلمات "'fuckin'" وأخرى تتضمن اللاحقة 'in' ضمن لقاء كلامي عائد لـ 'مايك' (كيسلينغ، **1998**):

أقسم أن كل ما نفعله في كل فصل **"لعين – 'fuckin"** هو أن نجلس ونناقش موضوع المال المال المال المال.

وأنا لن **"أدفع - gonna pay"** هذا المال **"اللعين - 'fuckin"**. فهمت؟

نعم: أنتم أيها الشبان **"الجالسون - 'sittin"** في الخلف. أعرف أنكم **"تعتقدون - 'thinkin"** أنني سوف **"أدفع - gonna pay"** هذا المال **"اللعين - 'fuckin"**. أليس كذلك؟

لاحظ أنه بالإضافة إلى الكلمات التي وضعها 'كيسلينغ' (بالأسود العريض)، هناك تكرار للفعل 'gonna'، في نمط يتعارض مع نمط 'ميك'، كان 'ماك'، وهو عضو رفيع المستوى في الأخوية، يتحدث من موقع السلطة المُعترف بها داخل المجموعة، ويضع القانون الذي يشير إلى كيفية القيام بالأشياء - ويستخدم المتغير 'in' بشكل قليل جداً. إذاً إن التغيرات اللغوية، كما في حال المتغير 'ing' ليست مجرّد انعكاسات بسيطة عن الفئات الاجتماعية، بل هي مصادر يمكن للمتحدثين استخدامها بشكل استراتيجي من أجل غاياتهم الخاصة في تفاعلات معيّنة. في الفصل **(10.3)**، سوف نتطرّق إلى المتغير 'ing' مجدداً كمثال على منظور المستمع، وعلى المواقف من المتغيرات.

7.7 نشاط البحث

القيام بمشروع (2) – جمع بيانات

أوضحتُ في الفصل (3.6) المرحلة الأولى للقيام بمشروع بحثي، في ثلاث خطوات. سوف نتابع الآن في المرحلة الثانية المرتبطة بجمع البيانات في خطوتين اثنتين (4-5):

1. أهداف ومبررات منطقية
2. مراجعات أدبية
3. التصميم والوسيلة
4. الحصول على البيانات
5. معالجة البيانات

إذا كنت تعمل على امتدادات لغة مُسجّلة مُسبقاً بطريقة أو بأخرى (مكتوبة، مقتطعة من نص، مسجلة بملف صوتي)، ربما يكون جمع البيانات بسيطاً نسبياً. لكن ذلك سيتطلّب الكثير إذا كنت تقوم بنفسك بتسجيل المعلومات اللغوية بوجود ميكروفون، أو باستخدام طريقة الاستبيان، أو إجراء مقابلات. وحتى إذا لم يستخدم الشخص الذي تُجرى معه المقابلة استبياناً رسمياً كاملاً، سيكون ʼجدول المقابلةʼ ضرورياً لتوجهك نحو ما تحتاج إلى تغطيته مع من تقابلهم. وتتطلّب "مجموعة المراقبة والتقييم" معظم المهارات التي يتطلّبها الأشخاص الذين تُجرى معهم المُقابلة. وبغضّ النظر عما إذا قمت بالتسجيل بنفسك، أم استخدمت تسجيلات موجودة سابقاً، فإن بياناتك تحتاج إلى تنظيم (فهرسة، وجدولة زمنية، وما إلى ذلك).

إن أي بحث له علاقة "بمواضيع بشرية" يحتاج عادة إلى موافقة من ʼالمجلس الأخلاقي للجامعةʼ. بالنسبة إلى الدورات الفصلية، قد تكون هناك موافقة عامة لطلاب الصف للبدء بمشاريع صغيرة تحت إشراف المدرّس. أما بالنسبة لمشروع أكبر قائم بذاته، كالعمل على

أطروحة مثلاً، فهناك حاجة لموافقة خاصة من مجلس الجامعة. من المرجّح أن تكون استمارة الطلب مستنداً أساسياً يتطلّب توجيهاً فردياً مفصّلاً من المشرف. للمزيد من المعلومات، يُعتبر "البيان الأخلاقي من المجتمع اللغوي في أمريكا - The Ethics Statement of the Linguistics Society of America" موقعاً جيداً للبدء. انظر أيضاً التمرين (**3.11**).

الخطوة الرابعة: الحصول على البيانات: كيفية إجراء مقابلة

الاستبيان

لتصميم استبيان، انظر مثلاً 'راي' و'بلومر'، (**2012**)، الفصل الرابع عشر. ضع استبياناً واضحاً قدر الإمكان، وأعطِ نفسك الوقت الكافي للكتابة والتعليق ضمن ملفّ خاص، وذلك أثناء المقابلة أو بعدها، وأثناء ترميزها أو تحليلها. قم بتحضير نسخ إضافية أكثر مما تحتاج.

من يجب أن تقابل

ما لم تكن تهدف إلى عيّنة عشوائية (وهو ما لا يفعله معظم طلاب المشاريع)، يكون من الأفضل لك التواصل مع مصادر معلومات مُحتملة من الناس الذين تعرفهم.

التجريب

يجب أن يخضع أي برنامج استبيان أو مقابلة لاختبار تجريبي. يعني ذلك أن تجري مقابلتين تجريبيتين، إذا كان ذلك ممكناً، قبل استخدام الاستبيان بشكل جدي. وربما استطعت القيام بذلك مع أصدقاء مناسبين أو عائلة مناسبة. تساعد هذه التجربة في أمرين اثنين: حيث تُظهر لك ما هي الأسئلة التي يجب أن تطرحها، وتجعلك معتاداً على إجراء المقابلات. قد يحتاج الأمر منك بضع

دقائق من المقابلات التجريبية لتعرف أن بعض الأسئلة غير واضحة، أو يُساء فهمها.

اين تُجرى المقابلة

تُجرى المقابلات في غرفة هادئة، بوجودك أنت ومن تقابله فقط. يمكن لأصوات السيارات أو التلفاز أو الأطفال أن تخفف من دقة الصوت المسجّل. وهذا هامٌ جداً إذا كنت تدرس مميزات كلام الناس، وليس عندما تطلب منهم معلومات فقط. ما لم تكن تدرس في الواقع تفاعل مجموعة أو آراءها، فإن وجود الناس حولك أمر معيق، وربما يؤثر على الإجابات التي يُعطيها من يخضع للمقابلة. لاحظ نصيحة 'غودوين' (**1993**): 'يبدو أن الكثير من الناس يعتقدون أن هناك، في مكان ما، مجموعة من الفلاتر السحرية التي تحوّل الملفّ الصوتي السيئ إلى صوت نقي واضح. ويؤمن بعض الناس أيضاً بوجود 'بابا نويل'. إن مقالة 'غودوين' مقالة رائعة حول الممارسة العملية للتسجيل: على الرغم من أن المعدّات التي كان يستخدمها قد أصبحت الآن معدّات تكنولوجية حديثة، لكن نصائحه لا تزال مفيدة.

كيف تجري المقابلة

حتى لو كنت تستخدم استبياناً رسمياً، حاول أن تدير الحوار أثناء المقابلة مع الشخص مباشرة بدلاً من إعطائه استبياناً يملأه. ثم قم بتسجيل المقابلة. واكتب الإجابات بنفسك بدلاً منه، ولا تنسَ أن تضع ملاحظاتك حول أي شيء ترى أنه هامٌ.

قبل إجراء المقابلة

تفحّص كل ما يمكن أن تحتاجه – آلة التسجيل، الميكروفون، الوصلات، الكمبيوتر المحمول، الاستبيانات، صفحات المعلومات، الأقلام، الأوراق.

الجاهزية للتسجيل

إذا كنت تسجّل مقابلات، تعرّف على أجهزتك جيداً قبل الخروج. حاول أن تتعرّف على طريقة تركيبها، وكيفية استخدامها، وكيفية الحصول على مستويات تسجيل جيدة. درّب نفسك على ذلك خلال المقابلات التجريبية.

التسجيل

خلال المقابلة، ضع آلة التسجيل في مكان يمكنك تشغيلها وتفحّصها بسهولة. وقم باختبار التجهيزات قبل البدء بكل مقابلة، وذلك لتتأكد من سلامتها، ولتحصل على أفضل سوية تسجيل ممكنة أيضاً. قم بتسجيل دقيقة أو أكثر، واستمع إلى ما قمت بتسجيله. لا تخجل من محاولة التأكد من أن التجهيزات تعمل بشكل جيد - إذا فشلت بتسجيل المقابلة، يذهب تعبك هباءً.

وضع الخطوط العريضة للمشروع

يريد معظم من تجري معهم مقابلة أن يعرفوا ما الذي تفعله، ولماذا؛ ولديهم كامل الحق بذلك. عليك أن تضع صفحة معلومات توضيحية عن المشروع (تُطلب عادة من المجلس الأخلاقي في الجامعة)، لكن عليك أيضاً أن تشرحها فعلياً عند البدء.

الموافقة

يحتاج الأمر منك أن تأخذ موافقة موقّعة من المشاركين. اشرح موضوع طلب الموافقة وشكلها، وتأكد من توقيع كل من يخضع للمقابلة على هذه الورقة في الوقت الذي تُجري فيه المقابلة (لا تترك هذه المسألة لتقوم بها لاحقاً).

السريّة أو الخصوصية

يجب أن تكون المعلومات التي تحصل عليها من الناس سريّة بينك وبينهم. أعد تأكيد ذلك من الشخص الذي تُجري معه المقابلة إذا كان

ذلك ضرورياً. عندما تكتب مشروعك، لا تستخدم الاسم الحقيقي للأشخاص. ضع الأسماء الأولى فقط، أو ضع أسماء مُستعارة، أو استخدم أية وسيلة أخرى لإخفاء هويتهم الحقيقية.

الحساسية

ربما يكون لدى من يخضعون للمقابلة حساسية تجاه بعض الأسئلة (العمر على سبيل المثال). اطرح الأسئلة بطريقة لبقة. لا تعارض الشخص الخاضع للمقابلة إذا أصدر تصريحاً أو أعطى رأياً لا يتوافق مع رأيك.

يمكنك الحصول على المزيد من التفاصيل حول القيام بالعمل الميداني في دليل 'لابوف' المستمدّ من تجربته الخاصة (**1984**)، 'تاغليامونت' (**2012**)، وخاصة 'راي' و'بلومر' (**2012**)، الذي يحوي فصولاً مخصصة، مليئة بالملاحظات العملية الخاصة بهذه المهمة.

الخطوة الخامسة: معالجة البيانات

بعد المقابلة مباشرة:

- قم بتصنيف الاستبيان، الأشكال، التسجيل، الملف، وما إلى ذلك. مع اسم الشخص أو هويته.
- ضع أية ملاحظات حول كيفية سير المقابلة - أي شيء غير طبيعي، أي شيء ذا أهمية خاصة، أية مشاكل. هل كان هناك أي شخص آخر كجزء من المقابلة؟ هل نسيت أن تطرح سؤالاً ما؟
- ضع انطباعاتك الأولى عن محتوى المقابلة - غالباً ما تكون هناك مؤشرات قيّمة على النتائج التي ستظهر في نهاية المطاف.
- إذا قمت بكتابة إجابات أو معلومات حول الاستبيان، راجع التسجيل وتأكد من وضوح المعنى. قم بإضافة أية نقاط تتذكرها، لكن لا تكتب أي شيء أثناء المقابلة.

• عندما يُتاح لديك الوقت، قم بتسجيل نسخ من كل شيء (الملفات، الوثائق، وما إلى ذلك)، وقم بتخزينها بشكل منفصل في مكان آمن.

ليس هناك من بيانات مقابلة لها نفس المتطلّبات للفهرسة والأرشفة المنظّمة، قد تستطيع جمع الكثير من المعلومات من شبكة الأنترنت مثلاً، لكنك ستواجه صعوبة كبيرة بعد ذلك في السيطرة عليها. القاعدة الأولى هي ألا تجمع الكثير من البيانات - عليك أن تعرف ما تهدف إليه، وتأخذ فقط القليل الذي تحتاجه. والقاعدة الثانية هي أن تكون منظّماً جداً في التعامل معها ومعالجتها.

ستحتاج البيانات المسجّلة إلى النسخ قبل أن يصبح تحليلها ممكناً، لكن لا تفترض أنك بحاجة إلى نسخ كل شيء (أنا لم أنسخ تسجيلات بحثي لنيل شهادة الدكتوراه). تحتاج عملية النسخ على الأقل من خمسة إلى عشرة أضعاف الوقت اللازم للتسجيل الفعلي، وبالتالي سيكون هذا استهلاكاً كبيراً للوقت إذا كان لديك الكثير من المعلومات. يقدم 'راي' و'بلومر' (2012) توجيهات موسّعة لعملية النسخ. كما أن دليل النسخ الصادر عن جامعة 'فيكتوريا' للغات 'ويلنغتون' في المشاريع الميدانية (كتبتها 'جانيت هولمز') مُتاح على الموقع الإلكتروني للجامعة.

7.8 الملخّص

• مشروع 'لابوف' الرائد حول التراتبية الاجتماعية في اللغة الإنكليزية في مدينة نيويورك سيتي عبارة عن دراسة أساسية حول تنوّع اللسانيات الاجتماعية. لقد أثارت مقابلاته مع مئة واثنين وعشرين متحدثاً، حول الجانب الشرقي الأدنى، خمسة أنماط تعكس مستويات متزايدة من الانتباه للكلام.

• تتضمّن المتغيرات اللسانية الاجتماعية التي حلّلها تناوباً في لفظ المتغير 'ing' حيث تُلفظ على شكل 'ing' وعلى شكل 'in' كما في كلمة 'walking'. كان الكلام لدى طبقات اجتماعية مختلفة يتضمن تراتبيّة واضحة، وتحوّلت جميع الأنماط في الاتجاه ذاته من العادي الشعبي إلى أقصى درجات الرسمية. وبالنسبة لبعض المتغيّرات مثل الحرف 'r'، فقد تجاوزت الطبقة المتوسطة الدنيا الطبقة العليا في سعيها إلى المكانة الاجتماعية.

• أصبح منهج متغيّرات 'لابوف' مهيمناً في شمال أمريكا، وأصبح مستخدماً في أنواع مختلفة من اللغات حول العالم. لقد غطّى هذا الفصل المتغيّرات بحسب الطبقات الاجتماعية والإثنية والجندر.

• كانت الطبقة الاجتماعية مفعّلة في عمل 'لابوف' من خلال فهرسة المهن والتعليم والدخل، وما إلى ذلك. واتبعت معظم الاستطلاعات اللسانية الاجتماعية هذا النوع من الأنماط البنيوية الوظيفية، مما يتضمن إجماع كل الطبقات الاجتماعية على الموافقة على تقييمها للاختلافات اللسانية الاجتماعية.

• لقد جذبت معارضة اللغة العامية المتحدثين نحو أشكال غير قياسية. وأفضل تفسير لهذا الأمر كان في نظرية الصراع بين الطبقات، المرتبط بـ 'ماركس'. تتضمن التراتبية الاجتماعية واللغوية مساوئ عامة وعدم مساواة. يتطابق منهج الصراع مع الظروف والبُنى في دراسة 'ريكفورد' الخاصة بقرية 'شوغر كان' في غويانا.

• تتضمّن الإثنية الخصائص اللسانية الاجتماعية للجماعة. في التغيرات الإثنوغرافية، تتحدث مجموعة الأكثرية نوعاً مميزاً من اللغة المهيمنة بسبب تأثّرها بميزات لغتها التراثية. عادة ما تكون هذه الاختلافات نسبيّة وليست مطلقة.

• اللغة العامية الإنكليزية الأمريكية الأفريقية هي اللغة التي تمت دراستها أكثر من كل اللغات الأخرى منذ الدراسات التي تمت على الشباب داخل المدينة في ستينات القرن العشرين. وفصّلت الأبحاث المتوالية الميزات اللغوية والأهمية الاجتماعية لهذه اللغة، واختلفت على أصولها، وساهمت في النقاشات العامة حول علاقتها بمساوئ التعليم. كما تم بحث الأنواع الإثنية للغة الإنكليزية في بلدان متعددة، منها أستراليا، والولايات المتحدة الأمريكية ونيوزيلندا.

• للجندر تأثير كبير على خيار اللغة. على الرغم من أن هناك مجتمعات يتخذ فيها الرجال والنساء أنواعاً مختلفة أو أشكالاً مختلفة من اللغات، فإنه عادة ما تكون اختلافات الجندر مسألة درجات وليست مُطلقة.

• اقترح 'لابوف' تعميماً يصرّح باستخدام النساء الأنواع الأعلى مكانة من المتغيرات اللسانيات الاجتماعية المستقرة. وأحد هذه التفسيرات هو أن النساء واعيات للمكانة الاجتماعية أكثر من الرجال، لكن يجادل الآخرون بأنهن أكثر ارتباطاً بالمكانة بسبب افتقادهن للسلطة. يتفاعل الجندر مع الأبعاد الاجتماعية الأخرى كالإثنية والطبقة الاجتماعية والعمر، كما هو الحال في لغة 'الغاجون' الإنكليزية في لوزيانا.

• كان المتغيّر 'ing' من أكثر المتغيرات اللغوية التي خضعت للبحث حول العالم على مدى السنوات الستين الماضية. وتظهر تغيّراتها من خلال الطبقة الاجتماعية والنمط، والجندر بشكل خاص. ويعكس تبدّل المتغيّر 'in'، غير القياسي، الذكورة والحالة الجسدية وثقافة اللغة العامية.

7.9 قراءات متقدمة

أسهل دخول إلى دراسة 'لابوف' حول مدينة نيويورك ستي هو من خلال مجموعته الصادرة عام (1972) بعنوان 'أنماط لسانية اجتماعية'. لقد تم نشر أطروحته الصادرة عام (1966)، من 'مركز اللسانيات التطبيقية'، مرّة أخرى عام (2006) من جامعة كامبريدج. كتب 'لابوف' فصلاً نهائياً جديداً و'سلسلة من المداخلات في كل فصل، حيث يغيّر 'لابوف' وجهات نظره التي كانت قبل أربعين عاماً... أرجو من صديقي المُبتدئ عام (1966) أن يعذرني على تشكيكي به مع الإدراك المتأخر الذي كسبته على مدى العقود الأربعة الماضية'.

للمتغيّرات اللسانية الاجتماعية كتابها الخاص - 'تشامبر' و'ترودجيل' و'شيلنغ إستس' (2002)، والآن في الطبعة الثانية ('تشامبر' و'شيلنغ'، 2013). تحمل مجلّة اللسانيات الاجتماعية دورياً أعمالاً منوّعة ذات توجّه اجتماعي. يُعتبر عمل 'كيسلينغ' (2001) مقدّمة نقدية واضحة. يُعتبر عمل 'تاغليامونت' (2006) دليلاً مختصراً، أما 'تاغليامونت' (2012) فهو كتاب طويل عن بحث المتغيرات. وهناك مواقع إلكترونية فيها الكثير من المعلومات والمصادر، بما في ذلك سيرة 'لابوف' الذاتية بعنوان 'كيف دخلت إلى اللسانيات' وكذلك سيرة 'جون ريكفورد' الذاتية.

من أجل تغطية واضحة للمناهج السوسيولوجية للطبقة الاجتماعية، انظر الإصدار الأخير لـ 'غيدينز' (2009) – وهو مفيد أيضاً حول الإثنية. تعطينا مقالة 'غاي' الطويلة في "دليل كامبريدج حول اللسانيات الاجتماعية" (2011) وجهة نظر جيدة حول الطبقات من الناحية السوسيولوجية واللسانية الاجتماعية. لقد قدّم 'ميلروي' (1992) نقداً وبدائل لاستخدام تصنيفات الطبقة الوظيفية في اللسانيات الاجتماعية. ظهرت مقالة 'ليسلي ميلوري'

حول الطبقة والإثنية (2001) في مجموعة مفيدة عن اللسانيات الاجتماعية والنظرية الاجتماعية التي حررها 'كوبلاند' و'سارانجي' و'كاندلاين' (2001). يتعامل جزء كبير من عمل 'لابوف' (1966 و1976) مع أنماط الطبقات، وكذلك في عدة فصول من عمله عام (2001).

للبحث في موضوع الإثنية، انظر مجموعة أعمال 'فيشمان'، وعمل 'هاريس' و'رامبتون' (2003)، وعمل 'ليسلي ميلروي' (2001) حول العرق والطبقة في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة.

عمل 'لابوف' (1972) عمل لساني اجتماعي إبداعي حول اللغة العامية الإنكليزية الأمريكية الأفريقية، ولا يزال التنوّع يظهر في عمله اللاحق (2010). ومن بين المحاضرات الواسعة حول هذه اللغة، انظر أعمال 'وولفرام'، 'فاسولد'، 'ريكفورد'، 'وينفورد'، 'بوبلاك'، 'شنايدر' و'غرين'. يتضمّن كتاب 'موفوين' (1998) مقالات قوية يغطي بها باحثون روّاد بعض القضايا الأساسية. وكتاب 'ريكفورد' بعنوان 'روح تتكلم' الصادر عام (2000)، يروي قصة اللغة العامية الأمريكية الأفريقية وبلاغتها. وكتاب 'غرين' (2002) عبارة عن نص للطلاب يتضمّن كافة أوجه اللهجات.

هناك بحث حول أنواع اللغة الإنكليزية العالمية أو الإثنية، يظهر دورياً في المجلات الرائدة، ولا سيما مجلة 'الإنكليزية واسعة الانتشار'. يتضمّن كتاب 'وولفرام' و'شيلنغ - إستيس' (2006) مخزوناً مفيداً حول 'ميزات تشخيصية اجتماعية'. وللبحث عن تنوعات أوروبية حديثة متعددة الإثنيات من لغات أخرى، أنظر مثلاً 'وايز' (2009) حول لغة 'كيزديوتش' في ألمانيا، وكتاب 'جاسبر' (2011) حول الشباب في 'انتويرب' هولندا، ومجموعة 'الدول الإسكندنافية متعددة اللغات'، التي قام بتحريرها 'كويست' و'سفيندسن' (2010).

حول الجندر؛ مقالة 'شيلنغ' (2011) عبارة عن تجميع مثير للإعجاب لأساسيات وقضايا. ومجموعة 'إيرلش' المؤلفة من أربعة مجلدات (2008) عبارة عن مصدر ممتاز للمقالات الكلاسيكية والحديثة، وكذلك هي كتب 'هولمز' و'مايرهوف' (2003)، و'كوتيس' وبيشلر' (2011). كما تتضمن بعض المقدمات التمهيدية فصولاً رئيسة عن لغة الجندر - 'كوبلاند' و'جاورسكي' (2009)، 'مايرهوف' و'شليف' (2010). ولهذا المجال مجلاته الخاصة مثل 'الجندر واللغة' التي تنشرها جمعية الجندر واللغة العالمية، والتي تقيم مؤتمرين سنوياً. وهناك كتّاب بارزون أيضاً من أمثال 'بوخولز'، 'كاميرون'، 'كوتيس'، 'إيكرت'، 'إيرليش'، 'هولمز'، 'لاكوف'، 'ماكونيل جينت'، 'مايرهوف' و'تانن'.

الفصل الثامن

اللغة والزمن

تمهّد تغطيتنا لأسس النظرية التباينية في الفصل السابع، للتركيز في الفصلين الثامن والتاسع على اللسانيات الاجتماعية بما يخصّ الزمان والمكان، وهما عاملان مزدوجان مترابطان في الحياة الاجتماعية واللغوية، وكذلك في الفيزياء النظرية. وقد كانت دراسة التغيير اللغوي أساسيّة في بحث 'لابوف' في سبعينات القرن العشرين، وتعدّ أيضاً اهتماماً بتداخل اللغة والمكان اللذين تم تطويرهما بعد فترة وجيزة، ولا سيما في عمل 'ترودجيل'. وقد كان التركيز على التغيير، في الأنظمة الصوتية للأصناف اللغوية، الذي يدور حول كيفية تبدّل النطق، إما استجابة لعوامل المجتمع المحلي، أو نتيجةً للاتصال الخارجي مع المجتمعات الأخرى.

ركز علماء اللّسانيات الاجتماعية على العلاقة بين اللغة واثنين من الجوانب التي يواجهها البشر في الزمن وهما العمر والتغيير. وبعد عرض اللّسانيات الاجتماعيّة الخاصّة بالعمر، يغطّي هذا الفصل دراسة التغيير اللغوي، كما ينشأ داخل مجتمع الكلام، أي الابتكارات التي تنشأ عفوياً بين المتحدثين أنفسهم. وهذا ما يميّزه كلّ

من 'دوبوا' و'هورفاث' (1999) عن عمليات التبنّي من الخارج، ويتناول الفصل اللاحق الطريقة التي يُمكن بها للتواصل مع اللهجات واللغات الأخرى أن يُدخل تغييرات على اللغات العامية المحلية. ومع ذلك، يبقى التمييز بين التغيير الداخلي والخارجي هو التمييز المثالي، لأن النوعين كليهما من التغيير يحدثان غالباً في الوقت نفسه، والزمان نفسه أيضاً.

8.1 العمر في اللّغة

إضافة إلى الجندر، يُعتبر العمر العامل الاجتماعي الأكثر أساسيّةً في بناء أي دراسة للتباين اللغوي. ومع ذلك، فإن ادّعاء 'كوبلاند' بأن 'العمر هو البعد الاجتماعي غير المتطوّر للّسانيات الاجتماعية' (2001)، لا يزال يهيمن على المقارنة مع الطبقة، والإثنية والجندر والعناصر الأخرى، في الجانب الاعتيادي للمتغيرات الاجتماعية. ومثل الجندر والإثنية، لا يمكن أن يكون العمر متكافئاً بشكل دقيق مع الخصائص الفيزيائية/ البيولوجية، على الرغم من أن اللسانيات الاجتماعية كانت بطيئةً لكي تعكس أمراً كهذا؛ إذ يذكر 'تشامبرز' على سبيل المثال: "يبقى عمرنا ثابتاً.... ويلعب العمر دوراً استبدادياً تقريباً في حياتنا الاجتماعية' (2009). وليس هناك إنكار للبعد المادي الذي يكون أكثر وضوحاً في أحدث مراحل الحياة وأقدمها، منذ النمو الأول، من مرحلة الرضاعة، إلى البلوغ، حتى التدهور النهائي، من الصحّة إلى الموت. لكن العمر لا يخضع لسيطرة التسلسل الزمني للوقت، بل يكون له أبعاد اجتماعية ونفسية. كما يتم تنظيمه وتصوّره بشكل مختلف من قِبَلِ مختلف الثقافات، ومختلف الأفراد.

يتفاعل العمر مع الخصائص الاجتماعية الأخرى - مع الجندر في أمثلة كثيرة من الفصل السابق: استخدام لاحقة 'ing' في مجموعة

الأخوية في الكلية التي تمت دراستها، واللغة العامية الخاصة بالشباب الأمريكيين من أصل أفريقي، وانتقال الأولاد في 'يانيوا' من لغة النساء إلى لغة الرجال. ويمكن أن تكون هناك فرصٌ لغوية، أو قيودٌ، محددة وقوية لمجموعات محددة من (الجندر مع العمر) في مجتمع ما، ونذكر على سبيل المثال الإناث الشابات مقابل الذكور في التمرين (8.1). وعادةً ما تعمل هذه التوقعات الاجتماعية اللغوية على ضبط استخدام النساء الشابات للغة غير قياسية أو محظورة.

التمرين 8.1: لغة الشباب العاميّة في الولايات المتحدة

تعدّ اللسانيات الأساسيّة نظريةً على حافة اللّسانيات الاجتماعية التي تجمع عينات كبيرة جداً وتحللها، أو 'مجمّعات' (الملايين من الكلمات غالباً) من اللغة المنطوقة أو المكتوبة التي تشكّل، على سبيل المثال' حالة اللغة الإنكليزية البريطانية في فترةٍ معينة. ويعني مقدار البيانات أن المعلومات الاجتماعية، أو السياقية، غالباً ما تكون محدودة، ويركّز التحليل على السمات التي يمكن العثور علها باستخدام الكمبيوتر ('بايبر' و'كونراد' و'ريبن'، 1998).

قام 'باريري' (2008) بتحليل أربعمئة ألف كلمة من المحادثات المدوّنة من مجمّعات من الإنكليزية الأمريكية في التسعينات من القرن العشرين، وقد انقسمت بين متحدثين صغار تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر وخمسة وعشرين، ومتحدثين كبار ما بين خمسة وثلاثين إلى ستين عاماً. وتضمّنت الكلمات التي استخدمها المتحدثون الصغار كلمات مثل 'كلمات بذيئة - fuck، fucking،fucked'، وكلمات أخرى مثل 'رائع - cool'، 'يا رجل - man'، وكلمة 'dode' التي تأخذ معنى يا رجل أو يا صديقي باللهجة العامية (كمصطلحات أساسية للخطاب):

يا رجل؟ من كان يظنّ أنها قطعة بيتزا من دون الغلاف الخارجي.

هذه ستكون مشكلة يا صديقي.

في دراسة موازية، وجد 'بريشت' (2008) أن الرجال يستخدمون هذه المصطلحات أكثر من النساء، مما يدلّ على أن الذكور الصغار هم المستخدمون الرئيسيون للكلمات العاميّة والمحظورة.

باشر بدراستك الخاصة:

1. اجمع مقتطفات من اللغات الرقمية على صفحات الأنترنت، من المدوّنات أو المجلّات، التي يستهدف بعضها القرّاء المراهقين الذكور، ويستهدف بعضها الإناث المراهقات أو الذكور البالغين.

2. ضع قائمة بالكلمات العامية، والكلمات البذيئة. تذكّر أنها ستكون، جزئياً، من لهجة محددة: وسيكون في اللغات الإنكليزية الأخرى مصطلحات مختلفة عن الإنكليزية الأمريكية (لن تُستخدم كلمة 'يا صديقي - dude' مثلاً).

3. ابحث عن هذه الكلمات في مجموعتك. افرز الاستخدامات العامية بمعزل عن الاستخدام العادي.

4. قارن بين المجلات التي تستهدف مختلف القرّاء. فسّر واشرح ما تجده: الاختلافات حسب العمر والجندر، أو حسب نمط النص.

يتفاعل العمر أيضاً مع الإثنية أو الطبقة الاجتماعية. وهناك مجموعة محددة تتضمن الطبقة الاجتماعية، والعمر، والإثنية، ورمز الجندر، وهي معروفة جداً كما يظهر في دراسة الحالة في الفصل السادس، عن لغة 'جيرا' العامية التي يتحدث بها الشباب السود الفقراء في ريو دي جانيرو.

دورة الحياة اللسانية الاجتماعية

يدرك مفهوم 'فترة الحياة'، أو 'دورة الحياة'، أن هناك مراحل عمرية محددة مبنيّة على أساس اجتماعي. وتُعتبر الطفولة، كمرحلة

مختلفة من الحياة، مفهوماً غريباً وحديثاً نسبياً، وقد تم ابتكار مفهوم 'المراهق' في خمسينات القرن العشرين. كما أدت زيادة نسبة الشيخوخة في المجتمع إلى التمييز بين 'الكبار الشباب' و'الكبار العجائز'، وغالباً ما تتباين فرص الحياة بالنسبة إلى كبار السن من طبقات اجتماعية مختلفة. ويتم استخدام السلوك والقدرة اللغوية الاجتماعية بشكل مختلف خلال دورة الحياة.

• **الطفولة**: أظهرت دراسات الكفاءة اللسانية الاجتماعية للأطفال أنهم يتعلمون بعض الاختلافات اللغوية وهم في الثالثة من العمر، ويكون لديهم قدرٌ كبير من الكفاءة الاجتماعية والنمطيّة عندما يبلغون العاشرة. إن الجانب الآخر لهذا الأمر هو - بحسب دراسة 'تشامبرز' (**1992**) للأطفال المنتقلين من كندا إلى الولايات المتحدة - أنه عندما يكون الأطفال في التاسعة، يمكنهم أن يتعلّموا لهجة منطقة جديدة بشكل كامل، بينما يفشل بذلك الأطفال الذين يزيد عمرهم عن ثلاثة عشر عاماً. كما تستحقّ لغة الأطفال الاهتمام بحدّ ذاتها، وليس فقط كمقدّمة لمرحلة البلوغ ('إيكرت' **1997**).

• **المراهقة**: في المجتمعات الغربية، تشكّل سنوات المراهقة فترة للإبداع والابتكار الاجتماعي اللغوي الغني كما سنرى في دراسة الحالة في القسم (**8.7**). وغالباً ما يُنظر إلى المراهقين على أنهم القاعدة المحليّة للغة العاميّة. ويبدو أن الأنماط الخطابية الدائمة للكبار يتم تحديدها في أواخر فترة المراهقة.

• **مرحلة البلوغ**: نحن نعرف عن خطاب الكبار أكثر من أي فئة أخرى، وغالباً ما يتم التعامل مع لغتهم على أنها المعيار الذي نقيس الشباب والعمر على أساسه. لكن في المقابل، يظهر البالغون أحياناً أثناء البحث، كحالة افتراضية غير مميزة، أولئك الذين يستخدمون اللغة فقط، وهم لا يتعلّمونها ولا يفقدونها.

• الشيخوخة: ظهرت مئات الدراسات عن لغة الشباب، ولم يظهر سوى القليل من التركيز على التباين اللغوي في الشيخوخة. ويجادل 'كوبلاند' (2001) بأن هذا يعكس الرُهاب الغربي من الشيخوخة والمسنين. وتميل اللّسانيات الاجتماعية التباينية إلى استخدام المتحدّثين المسنّين كسجلّات زمنية لخطاب العقود السابقة، مما يعني أنهم غير متوافقين مع التيار الرئيس للثقافة الحالية.

التغيير اللغوي خلال دورة الحياة

القضية المركزية للّسانيات الاجتماعية المرتبطة بالعمر هي ما إذا كان الكبار يغيرون لغتهم خلال مسار حياتهم. فإذا استقرّت الأنماط اللغوية الاجتماعية الأساسية قبل سن العشرين، هل تظل مستقرة؟ وسوف تنعكس التغييرات الفردية عبر دورة الحياة في أنماط عمرية متدرجة، ضمن عيّنة كلامية للمجتمع؛ إذ تتصرف المجموعات العمرية المختلفة بشكلٍ مختلف، لكن كل جيل يكرر النمط ذاته كالجيل الذي سبقه. وإذا قمنا بالتسجيل لفئة الشباب من الجيل الأخير، وكذلك لفئة الشباب من الجيل الحالي، سيبدون متشابهين.

التمرين 8.2: حديث المسنّين في المملكة المتحدة

يمكن للعمر أن يُشكّل فرقاً ليس فقط للطريقة التي نتحدث بها، بل للطريقة التي نُخاطب بها أيضاً. والأكثر وضوحاً هو سجلّات "الكلام الطفولي" الذي يستخدمه بعض الكبار في الحديث مع الرضّع. يكون ذلك، في بعض الأحيان، موازياً "لكلام المسنين"، أي النمط التكيّفي المُستخدم مع الناس المسنّين. يقدّم 'كوبلاند' و'جايلز' (1991) هذا الحديث بين طبيبة عيون متدرّبة (C، وهي أنثى في الثانية والعشرين من العمر)، ومريضة تخضع لفحص 'الكفاءة الوظيفية' لعينيها (P، أنثى في الثانية والستين من العمر):

1. C: حسناً (فترة صمت)، إلقِ نظرة ونرى ما يمكنك قراءته (تقوم بتشغيل الآلة)...

2. .. حسنا (توقف قصير)، إذا نظرت إلى هناك، و(توقف قصير)، لا تقرئي المقطع كاملاً.

3. P: [نعم]

4. C: بل قولي فقط (أحد الرموز في القسم الأدنى..

5. P: (لا، سأقول أحد الرموز الثلاثة) نعم (صمت قصير) حسناً، أستطيع أن...

6. ... أرى (صمت قصير) شيئاً مثل Z U Y

7. C: أممم [(صمت قصير) (هذا صحيح، هل هي في الأدنى؟..

8. P: [(ثلاثة رموز) هذا صحيح، في القسم الأدنى، نعم

9. C: أمممم

10. P: الآن، إذاً، الرمز (أعلى ذلك..

11. C: [ماذا يوجد في السطر الأعلى مباشرة؟

12. P: نعم (صمت قصير) إنه (صمت قصير) R P B Z E P D N (قسم غير مسموع R O N..

13. C: هذا جيد (صمت قصير) هذا جيد

1- يصف الباحثون الجُمل المكتوبة أعلاه، باللون الأسود الداكن، بأنها مُبالغة في التكيّف. هل توافق؟ ثم حدد فيما يتمثّل التكيّف المبالغ فيه.

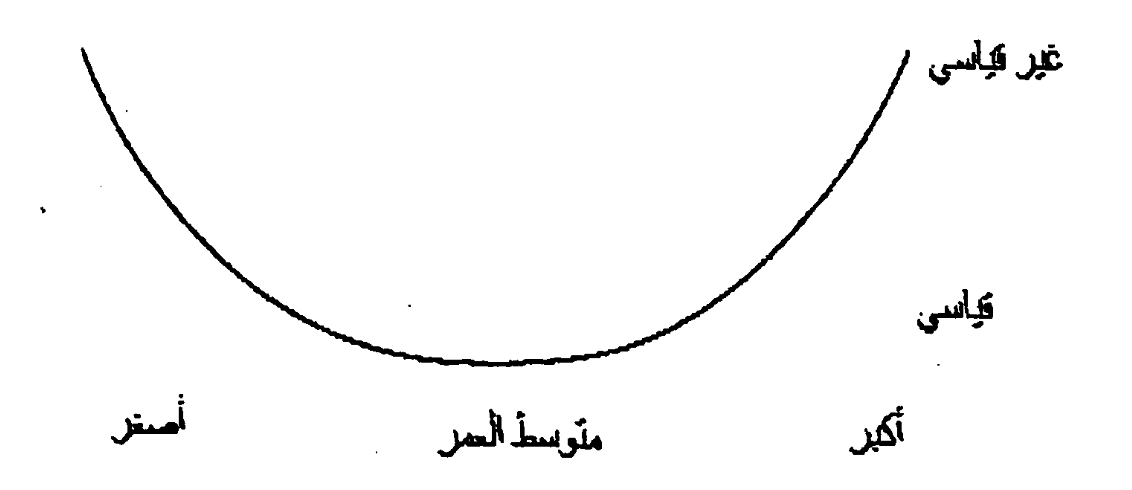
2- راقب ولاحظ كيف يتحدث الآخرون مع كبار السن الذين تعرفهم. هل يقوم أحدهم بالتكيّف المُبالغ فيه؟ هل تبدو المُبالغة بالتكيّف شيئاً يساعد على التواصل؟ أو يعوقه؟

3- ما الذي يبدو أنه يشكّل الدوافع، والمعاني الاجتماعية، لاستخدام هذا النمط من الخطاب؟

4- بأية طريقة تتحدث أنت مع هؤلاء المسنين؟ ولماذا؟

5- ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين الكلام مع المسنين ومع الأطفال؟ هل تتناسب هذه الأوجه مع الصورة النمطية للشيخوخة باعتبارها طفولة ثانية (′كوبلاند′، 2001)؟

تم العثور على هذه الاختلافات بين الفئات العمرية، لكن ليس كثيراً. إنهم يميلون لاتباع نمط من اثنين. في النمط الأول، يستخدم الأشخاص الأصغر سناً صيغاً غير قياسية، لكنهم يتبنون الصيغة القياسية لاحقاً عندما يُصبحون راشدين. فقد وجد ′ماكولي′ هذا في ′غلاسكو′ (1977)، حيث استخدم أطفال الطبقة العاملة، والطبقة المتوسطة، هذا اللفظ الساكن الموصوم [ʔ] للحرف /t/، لكن أطفال الطبقة المتوسطة انتقلوا فيما بعد إلى المعيار الساكن المنخفض لطبقتهم الاجتماعية. أما النمط الثاني، فهو عندما تستخدم مجموعات الشباب والكبار صيغاً غير قياسية أكبر، في حين يستخدمها من هم في منتصف العمر بشكل أقل؛ إذ تكون هذه الحالات نادرة إلى حد ما في الواقع، لكن تم العثور على واحدة منها في نيوزيلندا (′بيل′ و′هولمز′، 1992، انظر الفصل ′7.6′ من هذا الكتاب). إذ أظهر رجال ′باكيها′ (الأنجليز) هذا النوع من الانحدار العمري لتغيّر ′ING′: استخدام اللاحقة ′in′ غير القياسية بنسبة ستة وخمسين بالمئة لدى الشباب، ثم انحدراها إلى اثنين وثلاثين بالمئة لدى من هم في منتصف العمر، ثم الصعود إلى واحد وخمسين بالمئة إلى المتحدثين الكبار. ولدى نساء الطبقة الوسطى انحدار مماثل، لكن بمعدّل أقل (من ستة عشر بالمئة، إلى أربعة بالمئة، إلى أربع وعشرين بالمئة)؛ إذ تبدو الأمور بالنتيجة النهائية على النحو الآتي:

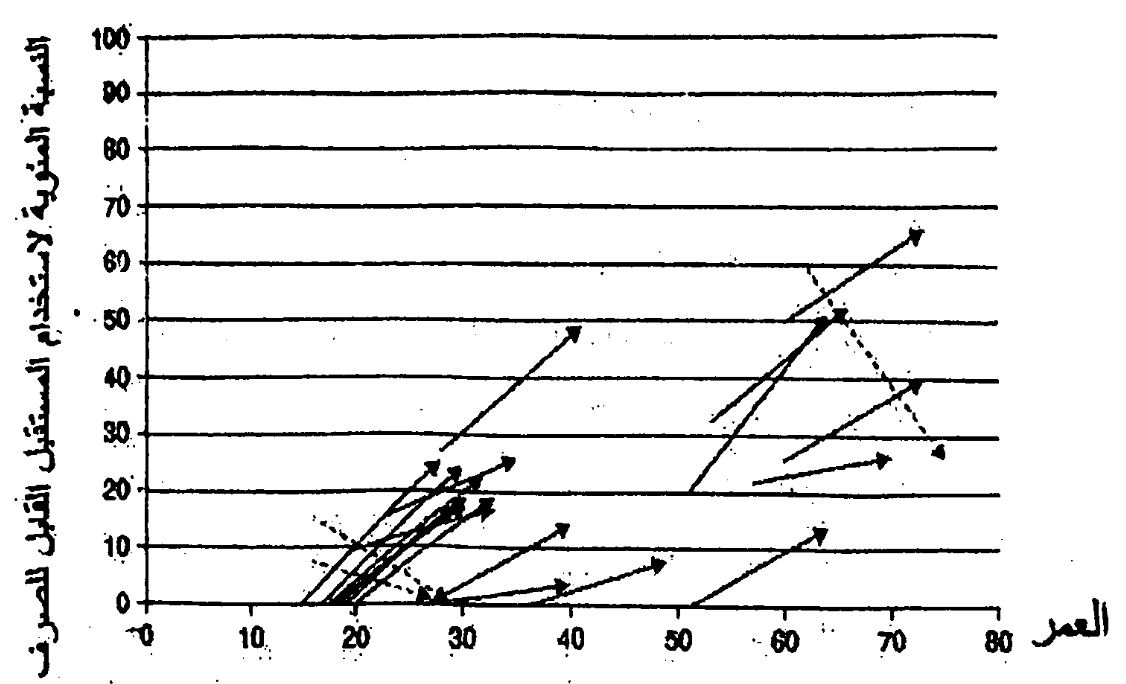


عادةً ما يتم تفسير الشكل السابق على أنه ظاهرة دورة حياة. عندما يكون الناس منخرطين في نشاط عادي في أماكن العمل والمجتمع، خلال سنوات البلوغ الوسطى، فإنهم يحتاجون إلى لغة قياسية أكثر من اللغة السابقة أو اللاحقة في حياتهم حيث يكون التطوّر الاجتماعي العام أقلّ أهمية. هذا هو المكافئ أحادي اللغة لما يمكن رؤيته في المجتمعات ثنائية اللغة، حيث يمكن للمتحدثين الذين طُلب منهم، طوال حياتهم العملية، استخدام لغة الأغلبية، أن يعودوا إلى لغتهم الأصلية (لغة الأقلية) مرة أخرى عندما يُصبحون كباراً.

ظهر التغير في دورة الحياة في سلسلة من الدراسات الدقيقة التي قامت بها 'جيليان سانكوف' وزميلاتها حول اللغة الفرنسية في مونتريال. باستخدام فريق من ستين متحدثاً مسجّلين أولاً عام (1971)، ومرة أخرى عام (1984)، وقد تتبّعن أثر التناوب في استخدام الفعل المستمرّ (مثل فعل 'going to' في اللغة الإنكليزية)، والفعل المساعد الدال على المستقبل:

Elle	va peut-être	arriver	bien vite –	on lui demandera.
	PERIPHRASTIC الفعل المستمرّ			INFLECTED الفعل المساعد الدال على المستقبل
She	is going perhaps	to get here	Quite quick -	we her will ask
'Maybe she'll get here pretty soon – we'll ask her.'				
ربما ستصل إلى هنا بسرعة كبيرة ـ سوف نسألها				

توقع الباحثون أن استخدام متحدثيهم سيكون ثابتاً طوال فترة حياتهم ('فاغنر' و'سانكوف'، 2011). لكنهم وجدوا العكس: فخلال مدة الأعوام الثلاثة عشر بين التسجيلين، رفع ثلثاهم من استخدامهم 'للفعل المساعد الخاص بالمستقبل. ومن بين عشرين متحدثاً لم يستخدموا هذه الصيغة عام (1971)، قام ستة عشر منهم باستخدامه بحلول عام (1984). لقد كان التغيير متعلقاً بالطبقة الاجتماعية؛ إذ لم تُظهر مجموعة 'المكانة الاجتماعية المهنية المنخفضة' أي تغيير، بينما استخدم معظم المتحدثين 'من الطبقة العالية' (ثمانية عشر من أصل واحد وعشرين) المستقبل القابل للصرف عام (1984) (الشكل 8.1). ويُعتبر ذلك تغيّراً مدهشاً خلال دورة الحياة، ومن الواضح أنه ديناميكي بالنسبة إلى المتحدثين أكثر مما يشير إليه التصنيف الثابت 'التصنيف العمري'. الذي سنعود إلى آثاره في القسم اللاحق.



الشكل 8.1: استخدام صيغة المستقبل القابل للصرف في اللغة الفرنسية في مونتريال، من قِبَل (21) شخصًا ينتمون لمجموعة ذات مكانة اجتماعية مهنية عالية، وإظهار التغيّر الذي طرأ عليهم بين عامي (1971 - 1984)

اشرح الشكل السابق. قدّر النسب المئوية عبر مراقبة الرسم البياني. تبدأ ستة من الأسهم بين (15 – 20) عاماً، وعند الصفر على المحور الأفقي:

1- ما عدد المتحدثين الذين زاد استخدامهم لصيغة الفعل المساعد الخاص بالمستقبل، وما عدد الذين انخفض استخدامهم (الخطوط المنقطة)؟

2- ما هي أكبر زيادة لمتحدث واحد؟ ما هو متوسط الزيادة التقريبية لجميع المتحدثين؟

3- كم بلغ عدد المتحدثين الذي لم يستخدموا المستقبل القابل للصرف عام (1971)، لكنهم استخدموه عام (1984)؟

4- هل تظهر أي فئة عمرية تحوّلاً أكبر؟ لماذا؟

5- اعتماداً على هذه البيانات، ما الذي يمكن استنتاجه من التغيير والاستقرار اللغوي في أثناء دورة الحياة؟

8.2 الوقت الحقيقي والوقت الظاهري

في الفصول السابقة، بحثنا موضوع انتقال اللغة، بمعنى التوجّه نحو استخدام لغة أخرى (الانتقال من لغة الساموان إلى الإنكليزية مثلاً). ثم درسنا اللغات المُبسطة ولغات الكريول في الفصل الرابع، ورأينا كيف يمكن للاضطرابات الاجتماعية أن تخلق لغة جديدة من لغة قديمة، في أقلّ من قرن. وعلمنا أيضاً أن التغيير في اللغات، التي تبدو مستقرّة، قد أفرز متحدثين للغة الإنكليزية أو الفرنسية أو الألمانية، وهم غير قادرين على فهم لغة أسلافهم العائدين إلى الألفية السابقة. كما تشكّل دراسة التباينات، في التغيّرات اللغوية الفردية التي تحدث مع الوقت، محوراً أساسياً لبقيّة هذا الفصل.

الجدول 8.1، الوقت الحقيقي والوقت الظاهري

الجيل	عام الولادة	عام حالة اللغة	عام التسجيل	الفئة العمرية	متى سجّلوا
الوقت الأصلي					
الجيل الأول	1935	1960	1960	25	في الصغر
الجيل الثاني	1960	1985	1985	25	في الصغر
الجيل الثالث	1985	2010	2010	25	في الصغر
الوقت الظاهري					
الجيل الأول	1935	1960	2010	75	في الكبر
الجيل الثاني	1960	1985	2010	50	منتصف العمر
الجيل الثالث	1985	2010	2010	25	في الصغر

خدعة الوقت الظاهري

تكون الطريقة المثالية في دراسة التغيير اللغوي في أن تلتقطه كما يحدث في الوقت الأصلي، أي أن تحصل على تسجيلات لطريقة كلام

المجتمع في الماضي كما هو في الحاضر. يوضح الجدول (8.1) كيف تم بحث دراسة من هذا النوع عام (2010): ثلاثة أجيال، تم تسجيل كل منها على أنه بالغ في الخامسة والعشرين، أي في الأعوام (1960، و1985، و2010). لكن لدينا مشكلة واضحة هنا، إننا نجري الدراسة عام (2010)، وليس لنا تسجيلات سابقة، ولا يمكننا السفر عبر الزمن مدة نصف قرن. ولا يمكننا أن نحصل على تسجيلات لمتحدثين بعمر الخامسة والعشرين، ثم ننتظر حتى عام (2060) لمقارنتهم مع أحفادهم (يريد مموّلو المشاريع تحقيق نتائج مباشرة أكثر).

حتى ستينات القرن العشرين، كانت الحكمة في اللسانيات الاجتماعية هي أن التغيير اللغوي لا يُلحظ مباشرة عند حدوثه. ويتجلّى حلّ 'لابوف' لهذه المسألة في قسم 'الوقت الظاهري' من الجدول (8.1)؛ إذ يختلف العمود الرابع، في قسم 'الوقت الأصلي' في الجدول (8.1) في أن جميع التسجيلات قد تمت عام (2010). وتم أخذ الفئة العمرية الأكبر لتمثيل حالة اللغة لجيلين سابقين، وتمثّل الفئة العمرية الوسطى جيلاً واحداً سابقاً، بينما تتحدث المجموعة الأصغر بلغة الحاضر. ومن ثم يتم التعامل مع مجموعة الكبار والمتوسطين على أنهما سجلّات لغوية لجيليهما الأول والثاني. ويتم إعادة عرض الوقت الحالي لتمثيل الأوقات السابقة. لقد أطلق 'لابوف' على ذلك صفة 'الوقت الظاهري' الذي يتم فيه استخدام الحاضر لتفسير الماضي.

لكن خدعة الوقت الظاهري تطرح مسألتين:

- إنها تعتمد كلياً على فرضية أن الناس يتابعون طريقتهم في الكلام بالطريقة ذاتها خلال فترة بلوغهم، وأن كلام الجيل الأوسط،

والجيل الأكبر سناً، لم يعد يتغيّر بشكل كبير في الفترة ما بين (25 - 50) منذ أن كانوا أنفسهم في الخامسة والعشرين من العمر.

● ثانياً: إذا كنا نعتمد على العمر لقياس التغيير، فكيف لنا أن نفسّر الفرق ما بين 'التصنيف العمري' و'التغيير عبر الأجيال'؟ إذ يظهر كلاهما وكأنه زيادة منتظمة أو انخفاض منتظم في استخدام سمة معيّنة، وفقاً للعمر.

التصنيف العمري مقابل التغيير عبر الأجيال

لنتناول المسألة الثانية أولاً. فقد كان توضيح النتائج المبنية على الطبقات العمريّة يشكّل لغزاً تفسيرياً مركزياً لكل دراسة تباينية، وليس هناك سوى حل واحد مؤكّد له: معايرة البيانات في الوقت الحقيقي. لقد أجريت في الواقع العديد من الدراسات، في ستينات وسبعينات القرن العشرين، في المجتمعات التي يوجد فيها توصيفات سابقة للكلام (وإن كان ذلك بتفاصيل وموثوقية متفاوتة)، والتي غالباً ما كانت مستمدّة من دراسات استقصائية، جغرافية - مرتبطة باللهجة، لجيل سابق أو جيلين - انظر الفصل التاسع. هذه هي الطريقة التي حدد بها 'لابوف' استنتاجاته في نيويورك، وكذلك فعل 'ترودجيل' في نورويتش. وبشكلٍ أكثر وضوحاً، يوجد الآن عمق زمني كافٍ لتكرار دراسات الستينات والسبعينات، ومعايرة مفاهيم الوقت الظاهري التي قدمها الباحثون الأصليون مقابل نتائج الوقت الحقيقي. ربما وصلنا إلى نتيجة من هذه الدراسات التي سننتقل إليها الآن لمعالجة لغز التصنيف العمري مقابل التغيير.

التمرين 8.3: إعادة زيارة جزيرة مارثا فينيارد

كانت دراسة 'لابوف' في عام 1962، في جزيرة مارثا فينيارد، قبالة سواحل نيو انغلاند، مشروعه للماجستير، والاستخدام الرائد للوقت الظاهري، للبحث في التغيير اللغوي. وخلص إلى أن النمط العمري،

لزيادة المركزية للإدغامات، في PRiCE وMOUTH، وربما أشار إلى تغييرٍ جارٍ. وقد كان الصيادون، الذين كانوا أكثر السكان المحليين تماهياً، يستخدمون المركزية، للإشارة إلى تميّزهم عن تدفق زوّار الجزيرة في الصيف (لابوف 1972b).

تم تكرار الدراسة مرتين، وكذلك في دراسات الطلاب - قامت 'ميريديث جوزيه' بدراستها عام (**1997**)، ودرستها 'جيني بوب' عام (**2002**). وأظهرت الدراستان نتائج متناقضة حيث أكّدت الأولى التغيير الذي حدده 'لابوف'، بينما عارضته الدراسة الأخرى.

1- اقرأ مقالة 'بوب' و'مايرهوف' و'لاد' (**2007**) القصيرة التي تلخّص جميع الدراسات الثلاث وتناقشها. ثم تحقق بنفسك من تمثيلها لكلٍ من مقالة 'لابوف' الأصلية، ومقالة 'بليك' و'جوزيه' (**2003**).

2- قيّم الاختلافات المنهجية بين الدراستين اللاحقتين واستخلص استنتاجاتك الخاصة حول تأثيرها في النتائج المتناقضة.

3- هل تعتقد أن نتائج الوقت الأصلي تؤكّد، أو تُنكر' تفسير 'لابوف' للوقت الظاهري للاختلافات العمرية عام (**1962**)، كتغيير جارٍ؟

4- هل تعتقد أن نتائج الوقت الحقيقي تؤكّد، أو تُنكر، أن مركزية الإدغام لا تزال علامة لهوية الجزيرة؟

5- ما مدى أهمية النتائج الاجتماعية والديموغرافية التي طرأت على الجزيرة خلال السنوات الأربعين الماضية، على النحو المبين في الدراستين المكررتين؟

في التغيير عبر الأجيال، يتحدث الجيل الجديد بشكلٍ مختلف عن الجيل الماضي - تتغيّر اللغة ككل. في التصنيف العمري، ولا تتغيّر لغة المجتمع ككل. يفسّر الوقت الظاهري البيانات العمرية المتفاوتة على

أنها تشير إلى تغيير عبر الأجيال. كيف يمكن لاستنتاجات الوقت الظاهري أن تُصيب عند اختبارها مقابل بيانات الوقت الحقيقي الأخيرة؟ هل يظهر تغيير عبر الأجيال في الوقت الحقيقي؟ لقد استعرض ’سانكوف‘ (2006) ثلاث عشرة دراسة زعمت أنها وجدت تغييراً في الوقت الظاهري، ومنذ ذلك الحين، تم تكرارها مع إعادة دراسة ’الاتجاه‘، أي مع إعادة جمع العيّنة ذاتها. شمل ذلك عشرة بلدان، وسبع لغات، أكّدت أنه كان هناك تغييرٌ مستمرٌ بالفعل. ومّرة أخرى، بحث ’غاي بيلي‘ ورفاقه دراسة تضمّنت ثلاثة عشر متغيّراً لغوياً اجتماعياً في لغة تكساس الإنكليزية، مع بيانات ’جغرافية - ومتعلّقة باللهجة‘ سابقة. لقد تم التأكيد على أن جميع تفسيرات الوقت الظاهري، للبيانات الأصلية في الدراسة الاستقصائية الأخيرة، هي تغييرات في الوقت الحقيقي (’كيوكر- أفيلا‘ و’بيلي‘، 2013). كما تمت إعادة دراسات ’لابوف‘ الأولى - انظر التمرين (7.1) لدراسة نيويورك، والتمرين (8.3) حول بحث جزيرة مارثا فينارد.

الاستقرار مقابل التغيير في دورة الحياة

يمكن لدراسات كهذه أن تؤكد في الوقت الحقيقي أن لغة المجتمع تتغيّر. لكن تحديد ما إذا كان الأفراد يتغيرون، خلال دورة حياتهم (سؤالنا الأول في وقت سابق)، يتطلّب ’فريقاً‘ من المتحدثين، من دراسة استقصائية أصلية يتم إعادة تسجيلها لاحقاً من أجل مقارنتهم بأنفسهم عندما كانوا صغاراً. حلل ’سانكوف‘ و’بلوندو‘ (2007) في إحدى الدراسات موضوع التغيّر في نطق الحرف ’r‘ لدى فريق من المتحدثين في مونتريال في كل من عامي (1971) و(1984). لقد بقيت الأغلبية مستقرّة خلال دورة حياتها في استخدامها لهذا الحرف، وهو ما يتفق مع استطلاعات ’سانكوف‘ الاستقصائية عن عدد من الدراسات الأخرى (2006).

لكن على الرغم من أن الاستقرار خلال دورة الحياة هو الاتجاه السائد، إلا أن هناك تياراً قوياً مضاداً؛ إذ تُظهر العديد من هذه الدراسات أيضاً أقلية من المتحدثين الذين يتغيرون خلال دورة الحياة. وتكون بعض تغييراتهم رئيسيّة، كما تشكّل بعض الأقليّات التي تتغيّر فئة كبيرة نسبياً (ثلث العيّنة). وعادة ما تكون التغييرات خلال دورة الحياة بنفس اتجاه أية تغييرات في المجتمع، وهذا بناءً على ما وجده 'سانكوف' و'بلوندو' في بحثهم عن المتغيّر 'r' في مونتريال. إن هذا النوع من النتائج يعني أن الوقت الظاهري يقلل من معدّل التغيير. لكن التغيير خلال دورة الحياة، نحو الفعل المساعد الخاص بالمستقبل، الذي رأيناه في الشكل (8.1)، كان يسير باتجاه معاكس لاتجاه المجتمع العام في مونتريال، وهو اتجاه نحو زيادة استخدام الفعل المستمر. ففي هذه الحالة، يؤدي التغيير خلال فترة الحياة إلى تغيير مجتمعي أوسع، مما يعني أن تفسير الوقت الظاهري سيبالغ في تقدير معدّل التغيير.

المثال 8.1: اللغة الإنكليزية للملكة

في عام (1952)، ألقت الملكة إليزابيث الثانية أول خطاب لها في عيد الميلاد إلى 'الكومنويلث'. وقام علماء الصوت الأستراليون بأخذ أرشيف الخطابات السنوية للملكة وقارنوا خطابها في الخمسينات مع خطابها في ثمانينات القرن العشرين. فكانت النتيجة 'أن هناك انحرافاً في لكنة الملكة نحو لكنة تُعتبر سمة من سمات المتحدثين الأصغر سناً، و/ أو المتحدثين من مكانة أدنى في التسلسل الهرمي الاجتماعي' ('هارينغتون'، 'بيلثورب' و'واتسون'، 2000). وعلى الرغم من أنها بقيت على هذا الاتجاه بشكلٍ جيد، إلا أن معظم الحروف الصوتية التي لفظتها قد تحوّلت نصف المسافة نحو المتحدثين الأصغر سناً، والمتأثرة بلغة 'كوكني' التي تُسمّى أحياناً 'إنكليزية

الإستواري'. توفّر خطاباتها في عيد الميلاد أرشيفاً رائعاً مخصصاً لتتبّع تغيير الوقت الحقيقي في لغة أحد الأفراد: تسجيلات سنوية عالية الجودة، تتضمن الموضوع ذاته والأعداد والنوع والجمهور.

• يمكن القول إن الملكة إليزابيث هي آخر المتحدثات باللغة الإنكليزية التي نتوقّع حدوث تغيير في خطابها خلال فترة حياتها. ما الذي يعنيه ذلك بالنسبة إلى فرضياتنا حول التصنيف العمري، والوقت الظاهري؟

وهكذا تُظهر نتائج الوقت الحقيقي أنه يمكن للعديد من البالغين أن يغيّروا أنماط خطابهم خلال دورة حياتهم، الأمر الذي يدعم نقاش 'كوبلاند' بأنه حتى الأكثر تحفّظاً من المتحدثين الأكبر سناً لا يمكن التعامل معهم كسجلّات (مثال **8.1**). ومن جهة أخرى فإن الحقيقة التي تعتبر أن غالبية البالغين لا يتغيرون، تُضفي على الوقت الظاهري شرعية مميزة، وأهمية مستمرّة على حد سواء. وتتماشى معظم تحوّلات الأقلية المتغيّرة مع التغيير الواسع للمجتمع، مما يؤكد أن الوقت الظاهري يُعتبر أسلوباً تقليدياً موثوقاً به لإظهار التغيير. لكن الحالات المضادة تعني أن من المفترض تفسير كل متغيّر على أساس موضوعه. وعلى نحو متزايد، يبدو أن التغيرات خلال دورة الحياة قد ترتبط في الغالب بنمط أساسي لتغيير المجتمع للمتغير اللغوي ذاته.

8.3 لسانيات التغيير اللغوي

تم وضع الأسس التجريبية لنظرية التغيير اللغوي عبر مقال طويل يحمل هذا العنوان، وكان من تأليف 'أوريل وينريش' وطلابه 'لابوف' و'مارفن هيرتسوغ' (**1969**). وقد أصرّوا على أنه، على النقيض من النظريات السائدة، لا تحتاج اللغة لأن تكون متجانسة لتتصف بالمنهجية والمنظّمة. ثم قاموا بتحديد خمس مشاكل لنظرية التغيير اللغوي:

• القيود: هل تأخذ التغييرات بعض التوجهات اللغوية دون غيرها؟

• الانتقال: ما هي المراحل المتداخلة التي تمر بها التغييرات؟ وكيف يتم نقلها بين المتحدثين؟

• التضمين: أين يقع التغيير في التركيب اللغوي والاجتماعي؟

• التقييم: كيف يتم تقييم التغيير، اجتماعياً وتواصليّاً؟

• التنفيذ: ما الذي يحفّز تغييراً معيّناً، ويؤدي إلى نجاحه لغوياً واجتماعياً؟ لماذا حدث هذا التغيير المعين هنا والآن (وليس هناك، وبعد ذلك)؟ - ربما لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال.

كانت الرسوم التوضيحية التجريبية في مقالة عام (1968) مُستمدّة، إلى حدّ كبير، من دراسة 'لابوف' التي أجراها على مدينة نيويورك. وكان عمله المكوّن من ثلاثة مجلّدات بعنوان "مبادئ التغيير اللغوي" (1994، 2001a، 2010) يعود إلى تلك القضايا الأصلية على مدار الوقت. واحتوت المجلدات على الكثير من المواد التي تعود إلى منشورات 'لابوف' الرئيسة على مدى عقود، وأنا هنا أشير بشكل عام إلى الكتاب وليس إلى المقالات الأصلية.

كان علم الأصوات القاعدة الرئيسة للدراسة التباينية لتغيير اللغة، وذلك لعدّة أسباب واضحة. تحدث معظم التغيرات الصوتية غالباً في الخطاب، وأحياناً عدة مرات كل دقيقة، في حين أن التغيّرات غير الصوتية قد تكون نادرة. أيضاً، ويتطلّب التعريف التقليدي للمتغيّر اللغوي الاجتماعي مجموعة مغلقة لمتغيّرين اثنين، أو أكثر، "يعنيان الشيء ذاته" (انظر الفصل السابع). ويُعتبر هذا معقولاً في علم الأصوات - "singing equals singin’" - أكثر منه في الخطاب أو في بناء الجملة (من الناحية اللسانية الاجتماعية، الخطاب هو مستوى بُنية لغة أعلى من الجملة، في حين أن بناء

الجملة هو بُنية داخل الجملة). وقد كانت القيود المفروضة على تعريف المتغيّرات تعني أن معظم دراسات التباين والتغيير في الخطاب وبناء الجملة قد تعاملت مع سمات دقيقة جداً (مثل كلمة وظيفية واحدة) بدلاً من تلك التي تتضمن تغيّرات في نظام الكلمة. لكن هذا لا يمنعنا من دراسة التغييرات اللغوية الاجتماعية في أنماط الخطاب بطريقة أكثر نوعية.

تغيّر الخطاب

يؤدي تغيير تكنولوجيا الاتصالات دوماً إلى أنماط لغوية جديدة، وقد تغيّرت لغة الأخبار بشكل ملحوظ في السنوات المئة الأخيرة. وكان اعتماد بنية 'الهرم المقلوب' للقصص الإخبارية أهم هذه التحوّلات في القرن العشرين. يعني الهرم المقلوب أن نضع أهم شيء في القصّة أولاً بدلاً من سرد الحقيقة عبر التسلسل الزمني ('بيل'، 1995). ففي دراستي الخاصّة بالخطاب الأخباري، أخذتُ تقارير عن رحلات استكشافية قطبية في القرن العشرين كحالة للدراسة. في شهر 'يناير - كانون الثاني' عام (1912)، وصل الكابتن 'سكوت' ورفاقه إلى القطب الجنوبي، لكنه مات في رحلة العودة. وقد استغرقت الأخبار أكثر من عام للوصول إلى العالم، لأنه لم تكن هناك من طريقة لوصولها إلى القارة قبل أن تصل سفينة الإغاثة من نيوزيلندا في صيف القطب الجنوبي اللاحق. فتم نشر الأخبار في شهر 'فبراير - شباط' عام (1913) في صحيفة 'هيرالد'النيوزيلندية، أكبر صحيفة يومية في البلاد، مع عنوان رئيس مكون من عشرة أجزاء (الشكل 8.2). يروي القصة بشكل واقعي. وبعد ما يقارب نصف قرن، عندما وصلت الحملة البرية اللاحقة إلى القطب عام (1958)، بثّت الأخبار وصول 'السير إدموند هيلاري' على الراديو، وتم نشرها في صحيفة 'هيرالد' في صباح اليوم الثاني. وعندما وصل 'بيتر'، ابن 'السير إدموند'

إلى القطب عام (1999) بعد رحلة دامت ثلاثة أشهر، تمت مقابلته على الهواء مباشرة في نيوزيلندا، في الأخبار التلفزيونية المسائية.

صحيفة هيرالد الإخبارية النيوزيلندية، الأربعاء، فبراير، 12/ 2012

الموت في القطب الجنوبي

مصير الكابتن سكوت وفريقه

الرواية الرسمية المثيرة

مصيبة تتبع مصيبة

توفي إيفانز بسبب حادثة

أوتاس شديدة الصقيع

موت ربما يلحق به آخرون

عاصفة ثلجية لمدة تسعة أيام

نقص في الوقود والغذاء

المخزن على مسافة 11 ميلاً

الشكل 8.2: الكابتن سكوت يصل إلى القطب الجنوبي

التمرين 8.4: قرن من التغيير في اللغة الإخبارية

لمزيد من التفاصيل حول دراسة الحالة هذه، راجع بيل (2003). ويمكن القيام بهذا التمرين فردياً، أو ضمن مجموعات.

1. استخدم معرفتك كقارئ لنمط الصحف المعاصرة، وأعد كتابة العناوين في الشكل (8.2) كما يُفترض أن تظهر في صحف اليوم.

2. قم بتحليل أنواع التغييرات اللغوية التي قمت بها: كيف قمت بإعادة صياغة كل عنوان رئيس؟ ماذا حذفت، وماذا أضفت؟ ما الذي أعدت ترتيبه؟ وما هي الكلمات التي استبدلتها؟

3. فكر واشرح لماذا أجريت كلّ التغييرات المذكورة أعلاه. ما هي اتجاهات التغيير العامة التي يمكنك رؤيتها في هذه التغييرات؟

4. ما هي سمات العناوين الرئيسة لعام (1913)، والتي لا تظهر اليوم؟ ما هي الإيديولوجيات التي يعبرون عنها، والتي تُعتبر غريبة على وسائل الإعلام والمجتمع في يومنا هذا؟

5. استناداً إلى الشكل (8.2)، ضع عنواناً واحداً لهذه القصة في صحيفة اليوم.

6. ما الذي تراه كأهداف وقيود للكتابة الإخبارية؟ اطرح تقييمك للطريقة التي تعمل فيها التغيرات التي أدخلتها في إعادة صياغة القصة على خدمتها أو الإساءة لها - أي كيف تقيّمها من الناحية الوظيفية؟

7. فكّر في التغييرات التي طرأت على تكنولوجيا الاتصالات خلال القرن الماضي. ما الدور الذي لعبته هذه التغييرات في تغيير طريقة عرض الأخبار واللغة؟

8. كيف ستغطي تكنولوجيا الإعلام الحالية خبر الوصول إلى القطب الجنوبي هذا العام؟ ما مدى اختلافها عن العام (1999) من حيث التغطية واللغة، ولماذا؟

أدت التغييرات في تكنولوجيا الاتصالات خلال القرن الماضي إلى الحدّ بشكل كبير من الفاصل الزمني بين وقوع الحدث وتقاريره،

وساعدت على إحداث تغيرات في الخطاب الأخباري، وبناء الجملة، والمعجم (التمرين **8.4**). وإحدى القضايا المرافقة لتغييرات كهذه هي مدى وظيفيتها؛ أي هل يمكن أن تجعل اللغة أكثر كفاءة في التواصل؟ هذا سؤال حول التغيير اللغوي كله، وهو يشكّل، لدى 'لابوف' على الأقل'، تشكيكاً في أهمية الدور الوظيفي كدافع للتغيير.

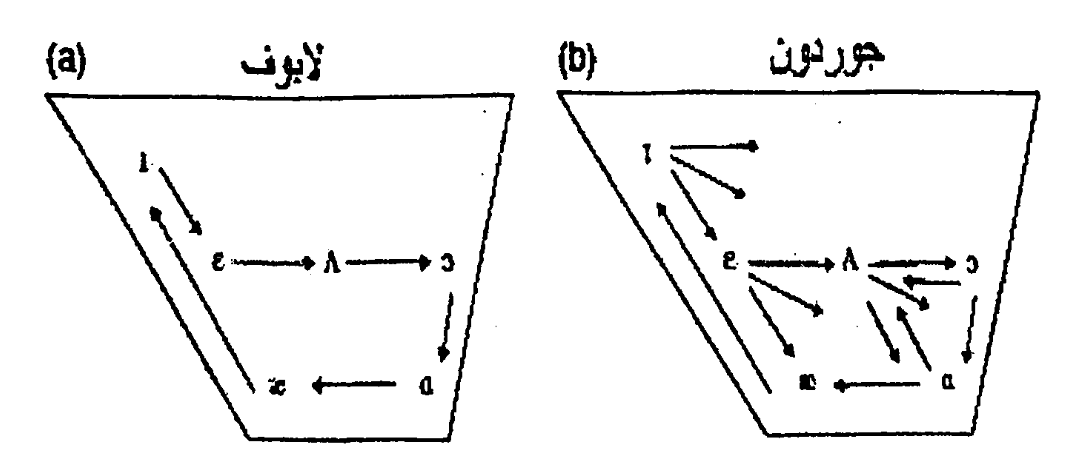
التغيير في (المورفولوجيا – الصرف) وبناء الجملة

ستشمل بعض عمليات إعادة الكتابة التي قمت بها في التمرين (**8.4**) بناء جملة العناوين. لقد ركّزت اللسانيات الاجتماعية التباينية تحليلها النحوي على سمات سهلة الفهم مثل النفي (كلمة 'never' التي تعني النفي، والنفي المزدوج)، والأسماء الموصولة أو أسماء الإشارة، والعلامات التي تشير إلى العدد أو الإنسان أو الشيء (كانت هنا - she were here)، الشخص (أنا قادم - I is coming) أو صيغة الفعل (أحضَرَها الليلة الماضية – he bring it last night). فغالباً ما تتم دراسة هذه الصيغ على أنها بدائل قياسية وغير قياسية متناقضة - انظر القائمة في الفصل الأخير (المثال **7.1**)، وقائمة الصيغ في 'ولفريم وشيلينج- ايستس' (2006).

لدينا هنا مثال ناتج عن قرون من التغيير في اللغة الفرنسية. في حين كان النفي في اللغة الفرنسية القديمة، من القرن الرابع عشر حتى السادس عشر، باستخدام 'ne' قبل الفعل، فتمت إضافة 'pas' بعد الفعل، مما أعطى صيغة قياسية كنسيّة معاصرة:

Ils	ne	travaillent	pas	Le lundi.
They	NEG - نفي	work	NEG - نفي	On Monday
The don't work on Monday				
إنهم لا يعملون يوم الاثنين				

تشير الأبحاث التاريخية التي قام بها 'مارتينو' و'موغيون' (**2003**) إلى أنه بعد قرنين من الاستخدام المستقرّ للصيغتين 'ne ... pas'، بدأت الصيغة بالتغير مرةً أخرى في القرن التاسع عشر، عندما قادت الطبقات الاجتماعية الدُنيا حركة لحذف علامة 'ne' الأصلية. ومع أواخر القرن العشرين، تطوّر هذا التغيّر بشكل كبير في فرنسا، لكنه ما زال مقسّماً اجتماعياً. وأوضحت دراسة أجرتها 'آشبي' (**1981**) أن الطبقة العاملة تقوم بالحذف، بنسبة أكبر، من الطبقات الوسطى. إن وجود فروقات عمرية واضحة في هذا الأمر، بنسبة واحد وثمانين بالمئة من حذف 'ne' بين مجموعة الشباب الصغار مقارنة بنسبة ثمان وأربعين بالمئة للأكبر سناً، قد عكس استمراراً بالتغيير، وتم تأكيده لاحقاً من خلال بيانات الوقت الحقيقي. أما في كيبك، فقد اختفت 'ne' من اللغة الفرنسية المنطوقة في القرن الحادي والعشرين، وأصبحت 'pas' العلامة الوحيدة. فلا يوجد الآن أي انقسام اجتماعي لحذف 'ne' في كيبيك - وهذا نمط نموذجي مع انتقال التغيير إلى مرحلة الاكتمال.



الشكل 8.3، مشهدان لسلسلة التبدّل، في المدن الشماليّة، في الولايات المتحدّة.
المصدر: جوردون (2013)، الأشكال 9.1,9.2.

8.4 التغيير الصوتي

كان التغيير الصوتي الوظيفة المركزية للّسانيات الاجتماعية التباينية. حيث إن ما يقرب من نصف المقالات، في مجلة التباين والتغيير اللغوي، في السنوات العشر الأخيرة حتى عام (2008)، تتناول المتغيرات الصوتية حصراً ('بريستون' و'نيدجلسكي'، 2010). وقد كان تغيير الحرف الصوتي، وهو سعي 'لابوف' الخاص، يهيمن على عمله المكوّن من ثلاثة أجزاء، تماماً كما هيمن عمله على المجال.

الحروف الساكنة

غالباً ما يتضمن التغيير في الحروف الساكنة، ضعفاً صوتياً أو 'إخفاءً'. ففي اللغة الإسبانية والبرتغالية مثلاً، يتم تمييز صيغة الجمع بوضع الحرف 's' في نهاية الكلمة، لكن يتم تخفيفها في الغالب ونطقها 'على شكل حرف الهاء – h' أو إلى حذفه تماماً.

las cosas bonitas
laØ cosaØ bonitaØ
'الأشياء الجميلة'

غالباً ما تؤثّر عمليات حذف من هذا النوع في 'المورفولوجيا - علم الصرف' وفي علم الأصوات. ويبدو من المنطقي تماماً أنه عندما يتم وضع صيغة الجمع عدة مرات (الاسم والصفة، كما في المثال)، فقد تُغفل واحداً أو اثنين من هؤلاء - يكون الأول ضرورياً فقط. وسيكون هذا تفسيراً وظيفياً، لكنه ليس ما يحدث. فوضع علامة على مُصطلح واحد يؤدي إلى وضع المزيد من العلامات على المصطلحات اللاحقة، ويشير عدم وجود العلامات إلى مزيد من عدم وضع العلامات. وتعد هذه إحدى الأدلّة التي قادت 'لابوف' (1994) إلى القول إن معظم التغيرات تعمل بشكل معاكس - هي لا تعزز التواصل.

في المملكة المتحدة، تنتشر مجموعة من تغييرات الحروف الساكنة في طريقة النطق في لندن مثل لفظ 'ذا - th' في مقدمة كلمة 'فينك - fink' التي تعني 'الواشي'، وإصدار لفظة حرف 'L - إلْ' واضحة وأخيرة في كلمة 'ميلك - milk' التي تعني حليب، وعدم لفظ الحرف 'تي - t' في كلمة 'باذر - butter'، التي تعني 'زبدة'. وقد دمجت طريقة اللفظ هذه الكثير من هذه الأنواع لإنتاج لغة 'إستواري' إنكليزية يمكن حتى للملكة أن تتكيّف معها (المثال **8.1**). بالإضافة إلى عبور الفضاء الاجتماعي من خطاب الطبقة العاملة، إلى صنف النطق الإقليمي ذي المكانة، نرى أن هذه التغيرات تنتشر جغرافياً خارج لندن (انظر الفصل التاسع):

تغيير الحروف الصوتية

تشكّل الحروف الصوتية أساس ما نعرفه كطريقة لفظ، لكن تغيّر النبرة في الحروف الصوتية هي، على الأرجح، المجال الأكثر تحدياً في اللسانيات من الناحية الفنية، وهو ما سنتطرّق إليه في هذا الكتاب دون أن نتعمّق فيه؛ إذ يتم إجراء معظم تحليلات هذه الأيام بالأجهزة الدقيقة حيث يتم تغذية الإشارة الصوتية من خلال برامج الكمبيوتر مما يمكننا من القياس الدقيق للصيغ الصوتية التي تميّز الحروف الصوتية. ثم تأتي التسوية بعد ذلك لإفساح المجال لأحجام قنوات صوتية مختلفة بين الذكور والإناث. ثم يتم رسم قيم الصيغ الناتجة على شبكة تشبه شكل الحرف الصوتي التقليدي الذي يمثل موضع اللسان في الفم (الشكل **8.3**). وقد ترافقت أجهزة القياس الصوتي مع زيادة التطور الإحصائي في كلٍ من عرض البيانات اللغوية الاجتماعية وحوسبتها. فالكثير من هذا العمل لغوي وليس لسانياً اجتماعياً. ويُطلق عليه أحياناً صفة '**الصوتيات الاجتماعية – sociophonetics**' التي تختصّ في لسانيات التغيير والتباين

الصوتي، مع القليل من الاهتمام ببعده الاجتماعي ('بريستون' و'نيدزيلسكي'، 2010).

يركّز نطق تغيير الحروف الصوتية على مجالين رئيسين هما الاندماج وسلسلة التحوّلات؛ إذ يحدث الاندماج عندما يأتي لفظان صوتيان ليحتلا المساحة الصوتية ذاتها، ومن ثم يُصبحان لفظاً واحداً واضحاً تماماً. ويتحرّك الاندماج روتينياً ضمن فضاء اجتماعي وجغرافي، وصوتي أيضاً. كما يرتبط الاندماج المتزايد بين الكلمات في اللغة الإنكليزية الأمريكية المعاصرة، وبين كلمات مثل 'cot' و'cought' - 'أكبر تغيير صوتي مفرد يحدث في اللغة الإنكليزية الأمريكية' ('لابوف'، 1994) - بمناطق استخراج الفحم في بنسلفانيا. ويُفترض أن تكون عمليات الاندماج غير بارزة اجتماعياً بشكل عام، مع أن دمج الأحرف الصوتية في كلمات مثل 'ear' و'air' في نيوزيلندا يؤدي إلى ظهور تلاعب بالألفاظ في أسماء مثل 'Hairsay' و' Hair Today' التي يُراد بها 'hairdressing salons - صالونات تصفيف الشعر'. فعمليات الانقسام عمليات معاكسة للاندماج، مع أنها أقل شيوعاً. وهناك أيضاً ظاهرة الاندماج التقريبي التي سأتناولها في الفصل (10.3).

تعتبر سلسلة التبدّلات المحور الرئيسي الثاني للبحث، وتحدث عندما ينتقل أكثر من حرف واحد من الحروف المتجاورة. فإذا بدأ نطق حرف صوتي واحد في التعدي على مساحة حرف صوتي آخر، يجب أن ينتقل الحرف الصوتي الثاني نفسه، إذا كان سيظل مميزاً، أي عليه أن يتجنّب الاندماج. وهذا يخلق سلسلة دفع. وتكون سلسلة السحب أو الدفع عندما ينتقل حرف صوتي إلى المكان الذي تم إخلاؤه من قبل حرف صوتي آخر. وقد ركز جزءٌ كبير من أعمال 'لابوف' على محاولة استنتاج أنماط، وصوغ مبادئ، لانتقال الحروف

الصوتية، ويختتم 'لابوف' (1994) عمله بدزينة من هذه المبادئ المتعلّقة بالتغيرات الصوتية.

من أكثر سلاسل التبديل التي تم بحثها وتعميمها كانت ما يُسمّى 'سلسلة تبدّلات المدن الشمالية' المنتشرة في منطقة شمال الولايات المتحدة الأمريكية، تلك المنطقة المطوّقة بالحدود الغربية التي كانت مركزاً لتدفّق الهجرة في القرن التاسع عشر. ويوضح الشكل (8.3a) تمثيل 'لابوف' للاتجاه العام لهذه التبدلات، مع ستة أحرف صوتية، تدور باتجاه عقارب الساعة. ومع ذلك، ينطوي هذا النمط الواضح على مستوى عالٍ من التجريد من البيانات الصوتية الفعلية. لقد بحث 'ماثيو جوردن' (2001) هذا التبدّل في ميشيغان: وهو يعتقد أن الكثير من النمط متعدد الاتجاهات، الموضّح في الشكل (8.3b)، يعطي صورةً أكثر واقعية، ويتساءل إلى أي مدى يُمكن تفسير ذلك على أنه سلسلة تبدّل واحدة. لكن أثناء البحث عن مبادئ واسعة للتغيير الصوتي، قد تظهر بعض المخاطر من التفكير التخصصي، والتعميم المُبالغ فيه. فأحد الأسئلة الأساسية في دراسة التغيير الصوتي هو ما إذا كان ينتشر بانتظام عبر جميع الكلمات، أو عن طريق الانتشار المعجمي، أي كلمة إثر كلمة. سنعود إلى هذه النقطة في الفصل اللاحق.

8.5 الحياة الاجتماعية للتغيير اللغوي

لقد بحثنا كثيراً في ماهيّة التغيير اللغوي، لكن كيف ولماذا يجري هذا التغيير اجتماعياً؟ يُلغي 'لابوف' سؤال 'لماذا' الذي قد لا نتمكّن من الإجابة عليه، ويطرحُ 'مَن' بدلاً منه: من هم قادة التغيير؟ وما هي سماتهم الاجتماعية؟ فغالباً ما ثَبُت لنا أنهم يلتقون على نقطة تقاطع الطبقة الاجتماعية مع الجندر. ولم يكن دور الإثنية ظاهراً سوى بشكل قليل نسبياً؛ إذ كانت الدراسات الكبرى المولّدة للنظريات في

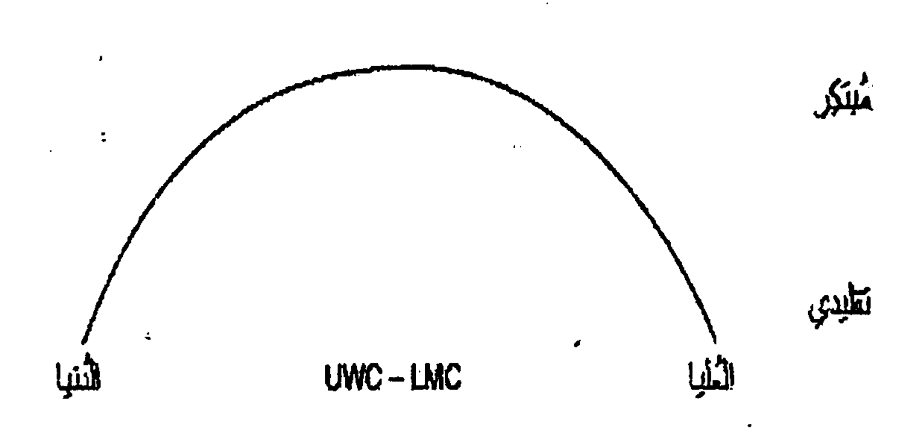
فيلادلفيا وبلفاست وديترويت، ضمن إثنية واحدة. وعندما درس 'لابوف' التبدّل في المدن الشمالية، نحّى جانباً مسألة اعتبار اللاتينيين والأمريكيين من أصل أفريقي وكأنهم في مسارات تغيير منفصلة، ووجد أن الاختلافات الإثنية الأوروبية (الإيطالية والبولندية واليهودية) ليست ذات تأثير كبير. لكننا نعلم تماماً أنه يمكن للإثنية أن تكون قوة رئيسة في التغيير اللغوي، وهي أمر بالغ الأهمية في حالات التواصل (الفصل التاسع).

الطبقة

ثمة تمايز أساسي في مستوى الوعي، لدى مجتمع الخطاب، بين 'التغيير من الأعلى' و'التغيير من الأسفل'. وقد يدرك المتحدثون بعض التغيرات لكنهم جاهلون تماماً بالمتغيرات الأخرى. تشكّل حالة المتغير 'r' في مدينة نيويورك، التي بحثناها سابقاً في الفصل الأخير (الشكل 7.2)، حالة التغيير الكلاسيكية من الأعلى. ويُدرك سكان نيويورك هذا المتغير ومعناه الاجتماعي، وينعكس ذلك في الطبقة الوسطى الدُنيا التي تحاول أن تتجاوز الطبقة الوسطى العليا. كما أن التغييرات من أعلى مستوى الوعي هي أيضاً تلك التي تُقاد 'من الأعلى' في المجتمع. ويبدو أنها تغيرات نادرة، وتستمدّ صيغة راقية من خارج المجتمع. ومن ناحية أخرى، لا تقوم الطبقات العليا بالابتكار لغوياً، ظهرت الملكة كتابع متأخر للتغيير وليس كقائد. وبالمثل، وجد 'لابوف' في فيلادلفيا أن الطبقة العُليا 'تتحدث نوعاً تقليدياً من لغة فيلادلفيا الإنكليزية، لكنه نوع مميز، و... تتبع الاتجاهات التي وضعتها الطبقة العاملة العليا، والطبقة الوسطى الدنيا' (2001).

إذاً إن معظم التغييرات أقلّ من مستوى وعي المجتمع، وهي تأتي من المستوى الاجتماعي الأدنى. ويستنتج 'لابوف' المبدأ القائل إن معظم التغيير ينشأ في مركز التسلسل الهرمي الاجتماعي. وينتج عن

ذلك رسم بياني 'منحني الشكل'، حيث يكون التغيير في ذروته، في تلك الطبقات الاجتماعية المركزية، مع قيم منخفضة في الطبقات العليا والدنيا:



في سبعينات القرن الماضي، أجرى 'لابوف' وزملاؤه دراسةً شاملة لأنظمة الحروف الصوتية في فيلادلفيا ('لابوف'، 2001)، ووجدوا تغيّرات تحدث في العديد من الحروف الصوتية، وخاصةً تغيّرات جديدة قوية في إدغام كلمات مثل 'MOUTH - فم' و'FACE – وجه'. وتم عرض هذه الأشكال على مُنحنٍ نموذجي مع تغيير تقوده الطبقة العاملة العُليا. كما ظهر النمط نفسه في لغات وأماكن مختلفة جداً – تخفيض صوت 'ch' من مستوى ([t ʃ] affricate) إلى مستوى ([ʃ] fricative) في كلمات مثل (muchos) في اللغة الإسبانية في مدينة بنما أو نطق الحرفين 't' و'd' قبل الأحرف الصوتية الأولى في اللغة العربية في مدينة القاهرة.

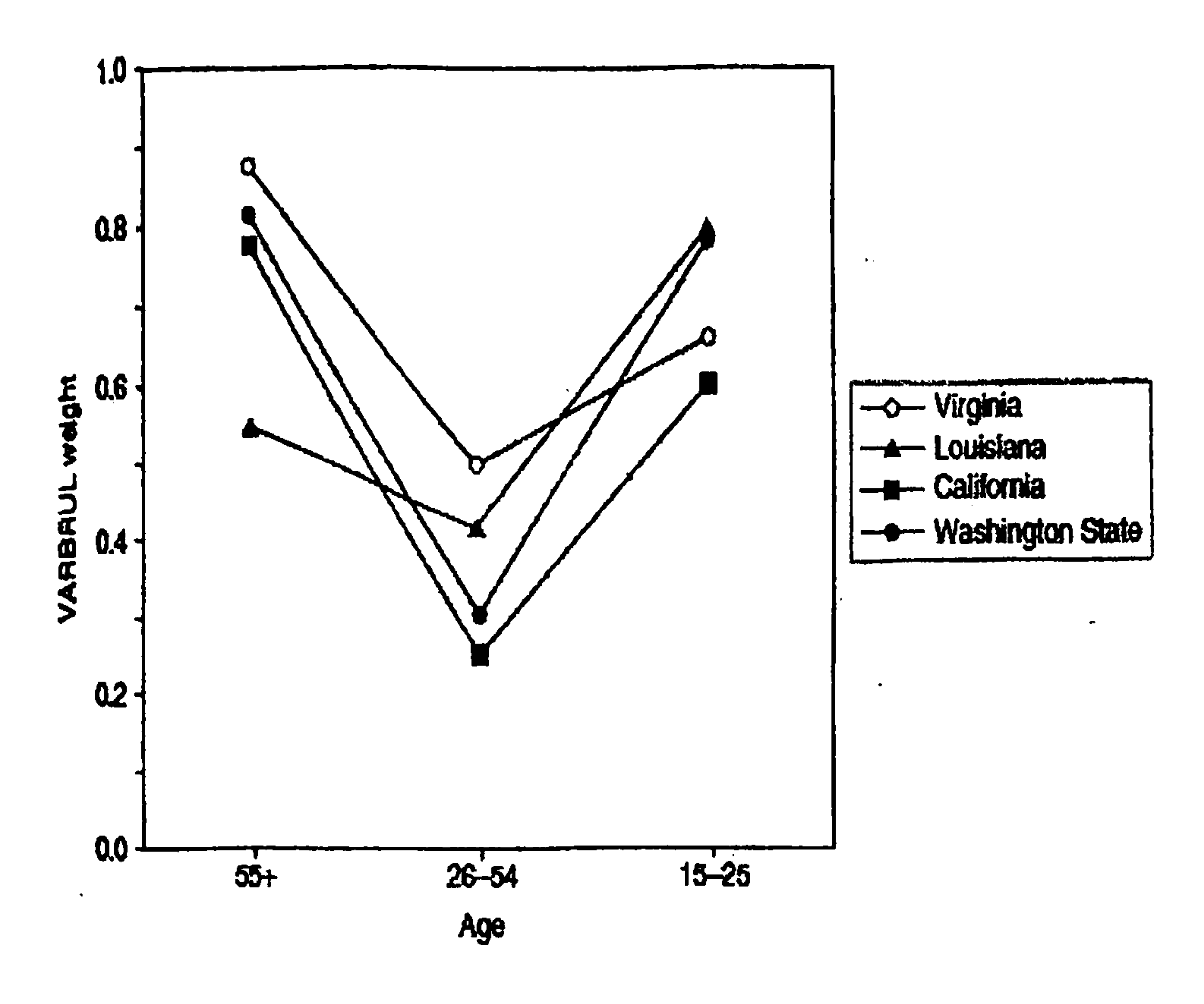
التغيير في لغات الإشارة

يؤثر التغيير في جميع اللغات، وهذا يشمل لغة الإشارة، وكذلك اللغة المنطوقة. فمن ناحية التواصل، تعمل لغات الإشارة مثل أي لغة منطوقة، ومن ناحية اللغة، يمكن تحليل تركيبها وتباينها

باستخدام أطر عمل مماثلة. ومن الناحية الاجتماعية، فربما تكون قد وُلِدَت بتميّز أكبر من اللغات المنطوقة للأقليات. وعلى أية حال، إنها معروفة الآن شعبياً في كثير من البلدان، وأكثرها معرفة لغة الإشارة الأمريكية (ASL) التي خضعت للكثير من الدراسات على مدى السنوات الخمسين الماضية، وخاصة في جامعة غالوديت في العاصمة واشنطن ('لوكاس'، **2001**). ويمكن وصف الإشارات لغوياً على شكل سلسلة من الحركات والتوقفات، ويتكوّن كل جزء من سمات كالمصافحة وتحديد الموقع؛ إذ يبدأ الشكل القياسي (أو شكل 'الاقتباس') الخاص بالإشارة، بتحرك السبابة نحو الأعلى بالقرب من الأذن، ثم انتقاله عبر الخد إلى زاوية الفم. بينما يتحرك الشكل غير القياسي في الاتجاه المعاكس، أي من الفم إلى الأذن (الشكل **8.4**).



الشكل 8.4، لغة الإشارة الأميركيّة، غير القياسيّة، الخاصّة بالصمّ.



الشكل 8.5، التغيير في لغة الإشارة الأميركية، الخاصّة بالصمّ: قيم عوامل التحليل، للصيغ غير القياسية، للغة الإشارة، حسب الفئة العمرية والمنطقة.
ملاحظة: فوق .5 يفضّلون الصيغ غير القياسية، فيما أدنى من ذلك، لا يفضلونها.
المصدر: بايلي، ولوكاس، وروز (2000)، الشكل 3.

تُظهر لغة الإشارة الأميركية قدراً كبيراً من التباين. وقد وجدت دراسة على الصعيد الوطني أن العمر والمنطقة يشكّلان أهم المتغيرات التي تؤثر في لغة الإشارة للصمّ (’بايلي‘، ’لوكاس‘، ’روز‘، **2000**). ويوضح الشكل (8.5) ما يُسمّى ’varbrul weights‘[1] (انظر الفصل 7.6) بالنسبة إلى الصمّ في أربعة أنواع إقليمية للغة الإشارة الأمريكية.

---

[1] تقنية تُستخدم في علم اللغة الاجتماعي لتحليل الظواهر اللغوية المتغيرة، ويُفترض أنها ستكون مفيدة كأداة في اللسانيات التطبيقية. المترجم.

ويبدو النمط في الرسم البياني مطابقاً للشكل (U) الذي يعكس التصنيف العمري كما هو موضّح في القسم (8.1). أي إن المتحدثين بلغة الإشارة، الصغار والكبار، يستخدمون عدداً كبيراً من الصيغ غير القياسية، بينما يستخدمها المتحدثون في منتصف العمر بنسبة أقل. ومع ذلك، يقدّم الباحثون تفسيرات مجتمعية مختلفة ومحددة للغاية: هذا هو التغيير اللغوي الذي يعكس التبدّلات في تعليم الصمّ. وقد تلقّى أقدم المتحدثين بهذه اللغة، دراستهم في وقت تم فيه قمع لغة الإشارة الأميركية، ولم يكن لديهم أيّ اتصال بصيغة قياسيّة. بينما تم تعليم المتحدثين في منتصف العمر، عندما تم رفع مستوى الوعي بلغة الإشارة الأميركية، وكان قد تم تحديد المقاييس. وبحلول عصر المتحدّثين الأصغر، كانت مكانة اللغة آمنة بما يكفي، بحيث لم تعد مهددة باستخدام صيغ غير قياسية. لذلك، بافتراض التسلسل الزمني للعمر، نرى أنّ التاريخ الاجتماعي والنفسي للغة الإشارة الأميركية محدّد جداً، مما يؤدي إلى أجيالٍ مختلفة من متحدثي لغة الإشارة، أجيال لديها تجارب وأنماط لغوية مختلفة.

الجندر

رأينا في الفصل السابق أن هناك اختلافات منتظمة بين النساء والرجال، في حالات التباين اللغوي المستقر؛ إذ يفضّل الرجال الصيغ غير القياسية، بينما تفضّل النساء الصيغ القياسية، وهذا واضح جداً في دراسة حالة 'ING'. لذلك فمن المستغرب أن تجد النساء والرجال يلعبون أدواراً مختلفة في التغيير اللغوي. ويمكن القول إنه قد ثبت أن الجندر هو أهم عامل يؤثر في التغيير، وقد استخلص 'لابوف' المبادئ لشرحه:

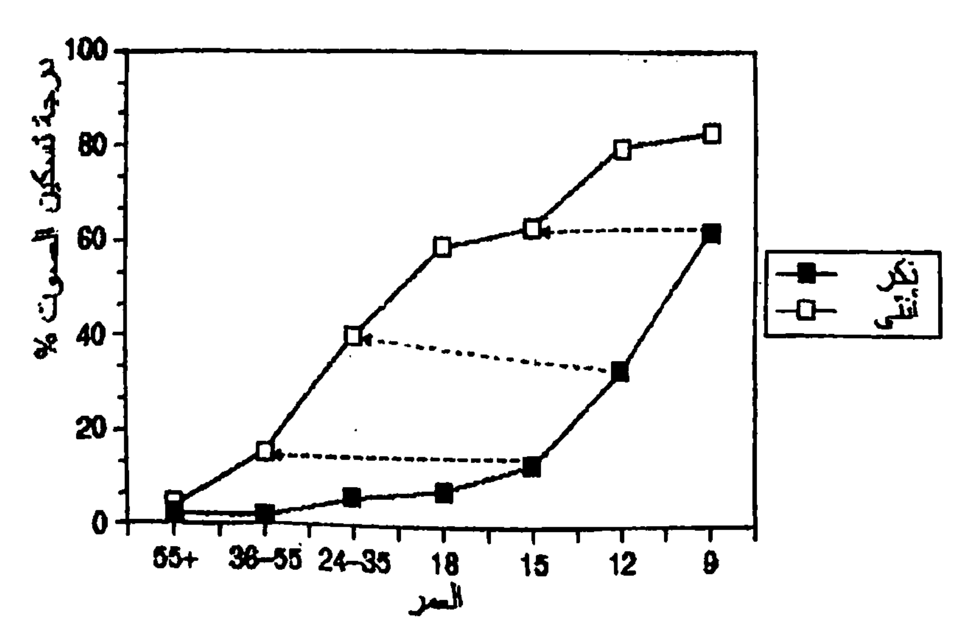
في التغيير اللغوي من الأعلى، تتبنى النساء صيغاً مرموقة بمعدل أعلى من الرجال. ('لابوف'، 2001a)

في التغيير اللغوي من الأسفل، تستخدم النساء تكرار الصيغ المُبتكرة أكثر من الرجال. (لابوف 292 :2001a)

تعني هذه المبادئ أن المرأة تقود صيغ التغيير، المُدركة وغير المُدركة، مما يخلق 'تناقض الجندر' (2001):

تتماشى المرأة أكثر من الرجل مع المعايير اللغوية الاجتماعية المُحددة علنياً، لكنها تتوافق معها أقل من الرجل عندما لا تكون كذلك.

يناقش 'لابوف' العديد من التفسيرات المرتبطة بمزج الجندر التوافق وعدم التوافق اللغوي، لكنه يعتبرها غير مُقنعة. وتكون التعميمات من هذا النوع خطيرة جداً، ولا سيما في ضوء الانتقادات التي رأيناها في الفصل (7.5)، لتحديد مفهوم الجندر في اللسانيات الاجتماعية التباينية، ومدى توافق المرأة، وتعريف ما هو قياسي، وما هو مقرر.



الشكل 8.6، جعل اللفظ /dʒ/ صامتاً، في اللغة الإسبانية لبوينس آيرس، بواسطة العمر والجندر.

المصدر: لابوف (2001a)، الشكل 8.10، مشتقّ من دراسة وولف وجيمينز.

• فسّر ما يعنيه الرسم البياني للعمر 'أولاً'، وللاختلافات عبر الأجيال 'ثانياً' في جعل /dʒ/ صامتاً (انظر 'لابوف'، 2001). تُظهر الأسهم المنقّطة العلاقة بين النساء والرجال من الجيل ذاته؛ إذ يكون لدى الرجال الذين يبلغون من العمر ثلاثين عاماً، والنساء البالغات من العمر خمسة وخمسين عاماً، معدّل تخفيض الصوت نفسه (قليل جداً)، رغم أنهم غير مرتبطين بسهم.

المثال 8.2: الملف الشخصي لقائد التغيير

يرى 'لابوف' (2001) المُبتكِر اللغوي بوصفه كائناً اجتماعياً مطلقاً، ويرى أن 'سيليست إس' هي صورته النمطية: 'سيليست' (ليس الاسم الحقيقي) هي المركز الذي ينضم إلى مجموعات مختلفة في 'سانت كلارك'، وفي 'كنسينغتون' في فيلادلفيا. يستطيع الجميع تسميتها. وهي تتربع على قمة مؤشرات التواصل في الحي الواسع، وكذلك في منطقتها الخاصة.

نشأت 'سيليست' في فيلادلفيا خلال ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين. وعلى الرغم من صرامة والدها، إلا أنها كانت تخرج من المنزل للرقص في المطعم الخاص بالجنود المحليين أثناء الحرب. إنها تعرف كيف تهتم بشؤونها الخاصة. وبارعة لفظياً في التفاوض والإقناع والاستنكار. كما أنها الشخص الذي يقدّم باقة الورد في جنازة الجيران - حتى لامرأة عجوز لئيمة لا تحبّها. وهي أيضاً من طاردت أحد المُعتدين في الشارع بسكين الجزار.

بالنسبة إلى التغييرين الجديدين في نظام الحروف الصوتية في فيلادلفيا، - الإدغامات في كلمتي 'MOUTH' و'FACE' - كانت 'سيليست' رائدة جيلها، وهي واحدة من النساء اللواتي يعرض تميّزهن اللساني الاجتماعي تاريخهنّ في عدم التطابق والارتقاء.

ومع ذلك، يكون الدور الرئيس للمرأة في التغيير جليّ تماماً في العديد من الدراسات التي تطرّقنا إليها بالفعل لأغراض أخرى؛ إذ تتقدّم المرأة الرجل في تبنّي الحرف 'r' في نيويورك، وفي حذف 'ne' في النفي باللغة الفرنسية التي ناقشناها في الفصل (8.3). في لغة 'الكاجون' الإنكليزية (الشكل 7.3)، كما تتقدّم النساء كثيراً على الرجال بطريقة لفظ الحروف مع إظهار 'توقفات أثناء الشهيق'. وفي اللغة الإسبانية في بوينس آيرس، يتم تخفيض اللفظ /dʒ/ في كلمات مثل 'llama' إلى مستوى [ʃt]. ويوضح الشكل (8.6) أن النساء يشكّلن جيلاً كاملاً متقدماً على الرجال في هذا التغيير. ويعكس خط النساء، في الرسم البياني، ما يُعرف باسم المنحني (S)، وهو نمط شائع للتغيير. أي إن التغيير يكون بطيئاً نسبياً في البداية، (الخط مسطح تماماً في الأسفل)، ثم يسرع في المراحل الوسطى (يصبح الخط أكثر حدةً عموماً)، ثم يتباطأ مرةً أخرى نحو النهاية (يصبح الخط مسطّحاً بالقرب من الجزء العلوي).

لقد كان هدف 'لابوف' من سؤال 'من'، المطروح سابقاً، تحديد قادة التغيير اللغوي. ففي فيلادلفيا مثلاً، يحدد 'لابوف' حي كنسينغتون، الخاص بالطبقات العاملة، على أنه بوتقة التغيير، ويحدد فئة من المتحدثين الذين يتولّون الدور القيادي. فخصائصهم المميزة هي عدم التوافق في السلوك العام واللغوي. إنهن نساء، وتشكّل 'سيليست إس' النموذج الأصلي لهنّ (انظر المثال، 8.2).

مع أن مبادئ التغيير التي وضعها 'لابوف'، ولا سيّما فيما يتعلق بالجندر والتغيير، قد تحظى بميل الأغلبية، إلا أن هناك نماذج أخرى مضادة وهامة تقول إن المبادئ تحتاج إلى تغطية على الأقل. فتخفيض لفظ /t/ في كلمة مثل 'letter' كان أحد المتغيرات الأكثر ظهوراً في اللغة الإنكليزية البريطانية، وقد انتشر كثيراً لبعض الوقت.

وكانت المرأة، بحسب 'جيمس ميلروي' (1994) هي من يقود التغيير بدلاً من أن تُبدي ردّ فعل ضدّه كما توقّع 'لابوف'. ويشير 'ميلروي' ورفاقه إلى أن تبنّي المرأة للسمات المذكورة سابقاً كان شرطاً أساسياً لقبولها من الطبقة الوسطى. إذاً يمكننا القول إن الجندر يسبق الطبقة. وقد جادلوا لاحقاً بأن التفسير التقليدي لدور المرأة في التغيير يجب أن ينقلب رأساً على عقب (التمرين 8.5).

التمرين 8.5: النساء والتغيير اللغوي

يقترح 'ميلروي' ورفاقه (1994) ما يلي:

تقود الإناث انتشار انخفاض الصوت (glottal stop) في اللغة الإنكليزية البريطانية، فتأسيسه كمعيار للطبقة المتوسطة... يتوقّف على تأسيسه في خطاب الإناث. والتعميم الذي يقترحه مثل هذا التفسير، ليس أن الإناث يفضلن الصيغ المرموقة، كما اقترح سابقاً، ولكنهن يؤسسنها، بمعنى أن صيغ الإناث تفضّل أن تصبح صيغاً مرموقة.

1- اقرأ مقالات 'ميلروي' ورفاقه، واعط تقييمك لمنطقهم. هل توافق على أن استخدام المرأة هو الذي يمنح الرقي للتغيير بدلاً من أن النساء يأخذن فقط الصيغ المرموقة أصلاً؟ هل تعتقد أن الأدلّة تدعم هذا الاقتراح؟

2- إذاً، إلى أي مدى تُصبح سمة ما معياراً للطبقة المتوسطة من خلال تبني النساء لها بدلاً من الرجال؟

3- راجع التمرين (7.6)، والجدل حول العلاقة بين النساء والصيغ اللغوية القياسية. وقم بتطبيق نقاط 'ترودجيل' الثلاث على التغيير اللغوي، وعلى دور المرأة في التغيير. ناقش ذلك؟

8.6 الأسواق، الشبكات، والمجتمعات

لطالما بحث علماء اللسانيات الاجتماعية عن طرق منظّمة لتنظير التغيير والتباين اللغوي، وتفعيل التضمين الاجتماعي له بدلاً من

الاعتماد على نوع التصنيفات الطبقية الوظيفية الذي انتقدته في الفصل (7.2). وقد تبنّوا ثلاث نظريات رئيسة بديلة من مصادر أخرى في العلوم الاجتماعية:

- السوق اللغوية
- الشبكات الاجتماعية
- مجتمعات الممارسة.

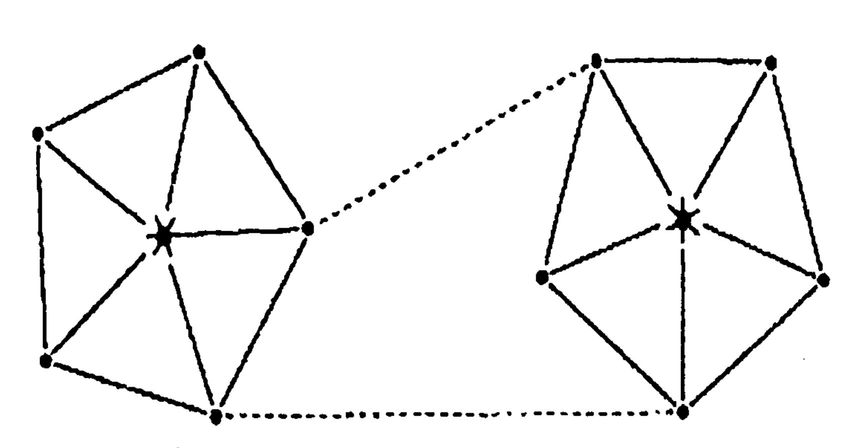
كان للثانية منها تأثير كبير على البحث اللغوي منذ ثمانينات القرن العشرين، وستكون محوراً لمعظم هذا القسم. كما انتشرت الثالثة على نحو متزايد على مدى العقدين الماضيين، وسيتم تغطيتها في القسم الآتي.

السوق اللغوية

البديل الأول المستمدّ من مفهوم 'بورديو' هو مفهوم 'الأساس اللغوي' (1991) - تعدّ رموز اللغات المختلفة بمثابة سلع تحمل درجاتٍ مختلفة من القيمة الاجتماعية (للمزيد عن هذا الأمر، راجع الفصل العاشر). كما يعتبر استخدام اللغة أمراً محورياً لبعض الوظائف كالمعلّم أو موظّف الاستقبال، ومن المتوقع أن يستخدم هؤلاء المتحدثون، اللغة 'الأعلى سعراً'، وهذا هو المقياس. وهذا ما يشكّل السوق اللغوي الذي يتم فيه تصنيف المتحدثين وفقاً لمدى أهمية اللغة القياسية في مهنتهم.

قدم 'ديفيد سانكوف' و'سوزان لابيرج' (1978) هذه النظرية في اللّسانيات الاجتماعية، مخصصين نتائج السوق اللغوية للمتحدثين، وذلك في دراسة اللغة الفرنسية في مونتريال. بالنسبة إلى العديد من المتغيرات النحوية، إذ يرتبط استخدام الصيغ القياسية كثيراً بموقع المتحدث في السوق اللغوية. وفي بحثٍ عن اللغة العربية في القاهرة،

وجد ´هيري´ (1997) أن هناك سوقين لغويين متناقضين. كان أحدهما موجهاً إلى اللغة العربية الفصيحة (لغة القرآن) التي يتم تدريسها في نظام المدارس الحكومية، والمطلوبة في وظائف القطاع العام، والآخر يتعلق بمقياس اللغة العربية في مدينة القاهرة، والتعليم في مدارس اللغات الأجنبية النخبوية الخاصة.



الشكل 8.7، الروابط القوية والضعيفة للشبكات (خطوط غير منقّطة= قويّة، خطوط منقّطة= ضعيفة)

الشبكات الاجتماعية

إن تحليل الشبكات الاجتماعية يحدد علاقات الشخص أو المجموعة، بهدف فهم كيفية تأثير هذه العلاقات في سلوكهم. وتكون مثل هذه الشبكات بين الناس هيكلية أولاً، أي (من يعرف من)، وتفاعلية ثانياً (ما نوع العلاقة). ويمكن قياسها على البعدين كليهما:

- الكثافة: أي عدد الأشخاص الذين تربطهم صلة مع شخصٍ ما.
- التعددية: ما هي أنواع هذه الروابط، مثل الأقارب، أو زميل العمل، أو للترفيه - أو جميع هذه الأنواع.

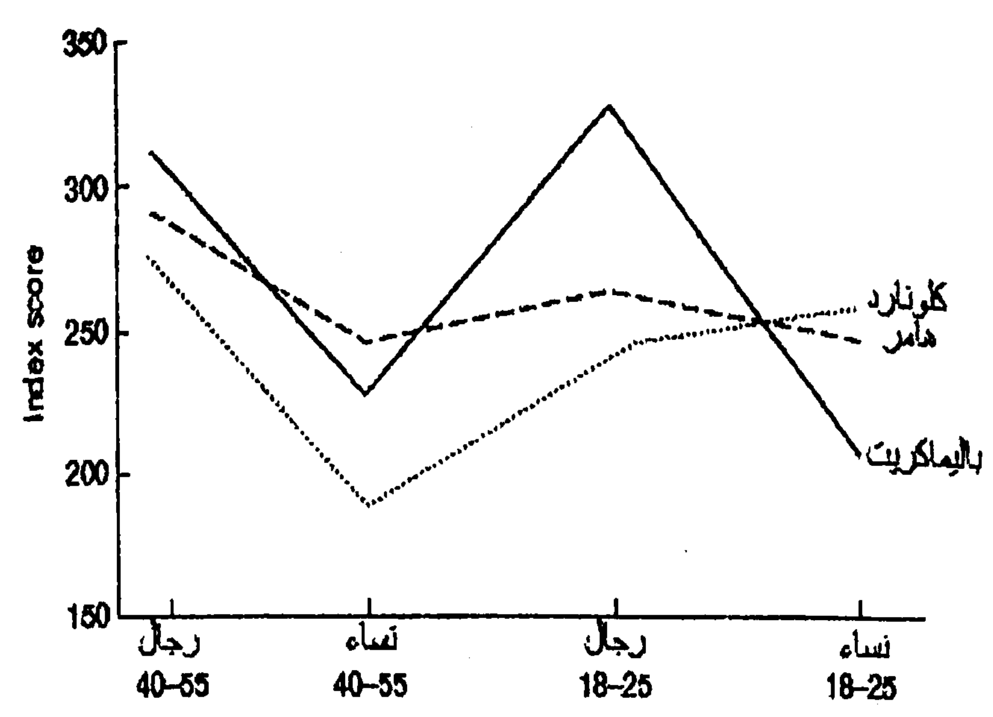
يمكننا من هذه المعلومات حساب نقاط قوّة الشبكة لكل متحدث، وقياس قوة الروابط داخل مجموعة أو منطقة. ويتم

تصنيف العلاقات، إما ضعيفة (مع أحد المعارف)، أو قوية (مع الأصدقاء أو الأقارب). ويبين الشكل (8.7) كيف يمكن تخطيط العلاقات القوية والضعيفة للأفراد. لقد استخدم 'لابوف' هذا النوع من التخطيط في أبحاثه، في ستينات القرن العشرين، حول مجموعات المراهقين في نيويورك (1972)، وفي دراسات الأحياء في سبعينات القرن العشرين في فيلادلفيا (2001).

الشبكات والتغيير في بلفاست

لقد تم بحث الشبكات الاجتماعية والتنظير لها بشكل كامل في اللسانيات الاجتماعية من قِبَلِ 'ليزلي' و'جيمس ميلوري' اللذين جعلا هذا المفهوم مركزيّاً في عملهم في سبعينات القرن العشرين في بلفاست، ايرلندا الشمالية ('جيمس ميلروي' و'ليزلي ميلروي'، 1985؛ 'ليزلي ميلروي'، (1987)؛ 'ليزلي ميلروي' و'لاماس'، 2013). وعلى الرغم من الفصل الإثني/ الطائفي للمدينة في ذلك الوقت، فقد تمكنت 'ليزلي ميلروي' من مقابلة ستة وأربعين متحدثاً من الجانبين كليهما، من خلال معارف 'صديق أحد الأصدقاء'، ضمن ثلاثة مجتمعات داخل المدينة:

- باليماكريت: في شرق بلفاست، بروتستانت، منطقة مستقرة، مع استمرار التوظيف.
- كلونارد: في غرب بلفاست، كاثوليك، والبطالة الذكورية عالية، والمجتمع لم يُمس.
- هامر: في الغرب، بروتستانت، مع ارتفاع معدل البطالة بين الذكور، والمجتمع مشتت.



الشكل 8.8، اللفظ الخلفي لـ /a/ في بلفاست، في كلمات مثل hat, man, grass، على خمس نقاط على المقياس.
المصدر: ليزلي ميلروي (1987)، الشكل 5.4.

بالمؤشرات الاجتماعية الاقتصادية، كان كل فرد في هذه المجتمعات يُصنّف على أنه من الطبقة العاملة نفسها، لكن الأفراد والمناطق اختلفت بحسب شبكاتهم الاجتماعية. بالنسبة إلى متغيّر لغوي واحد يخضع للتغيير - نطق الحرف الصوتي 'a' من مؤخرة الفم في كلمات مثل 'hat, man, grass' - كان هناك ارتباط كبير واضح بين نطق المتحدثين ودرجات شبكاتهم الاجتماعية؛ إذ تُظهر منطقة 'باليماكريت' تمايزاً حاداً بين الجنسين في نطق الحرف الصوتي 'a' من مؤخرة الفم (الشكل 8.8)، مما يعكس الفرق بين مستويات شبكات اجتماعية عالية للرجال، ومنخفضة للنساء، في هذه المنطقة المستقرة والتقليدية للطبقة العاملة. وبالنسبة إلى مجتمع منطقة 'هامر' المفكك، ليس هناك فرق كبير بين الرجال والنساء في نتائج شبكاتهم، ولا في طريقة نطق الحرف 'a'. لكن في منطقة 'كلونارد'،

وُجد لدى الشابات درجة عالية، غير متوقعة' لكل من شبكاتهنّ الاجتماعية، أو طريقة نطقهنّ للحرف 'a'. وكما يوضح الشكل (8.8)، يقود التغيير في طريقة نطق الحرف 'a' رجالُ الدين البروتستانتيون في 'باليماكريت'، ثم يتم اتباعه من قِبَلِ الشابات في 'كلونارد' الكاثوليكية. لكن كيف يمكن أن يحدث ذلك عبر هذه الحواجز الشديدة في تلك المدينة المنقسمة آنذاك؟ اتضح أن جميع الفتيات يعملن في متجر واحد في وسط المدينة، وكان المتجر يخدم المجتمعين كليهما. ولهذا كنّ يتفاعلن بشكل عابر، لكن بشكل متكرر، مع متحدثين من شرق بلفاست ينطقون حرف 'a' بطريقة مختلفة، ونقلن طريقة النطق تلك إلى الغرب.

يستنتج 'الثنائي ميلروي' أن العلاقات الضعيفة العديدة بين المجموعات هي ما يؤدي إلى نشر التغيير عبر المجتمعات. وعلى العكس من ذلك، نحن نعلم أنه في المجتمعات ثنائية اللغة، هناك روابط قوية تساعد في الحفاظ على لغة المجموعة. لقد ميّز 'غومبيرز'، مثلاً، بين الشبكات 'المغلقة' و'المفتوحة' في بحثه عن ثنائية اللغة الألمانية - السلافينية (1982). وفي دراسة الحالة في الفصل (5.6) حول 'أوبروارت'، ووجدت 'غال' أن مستوى الانتماء الريفي في شبكة المتحدث كانت مؤشراً جيداً على استخدام اللغة المجرية بدل الألمانية. ويعود السبب في هذه النتائج إلى كون العلاقات القوية تقليدية. فهي تعزز معايير المجموعة في اللغة، وكذلك في السلوكيات الأخرى، من ثم تدعم اللغة العامية المحلية. كما أنها تشكل مقاومة ضد التغيير اللغوي سواء أكان بين اللغات أم داخلها. إلا أنّ العلاقات الضعيفة تسمح للاختلافات والتباعدات بالدخول لأن الأعضاء المحيطين، ذوي العلاقات الضعيفة، يكونون أقل عرضة لضغط

المجموعة. وستلاحظ أيضاً أن تحديد 'ميلروي' للتغيير اللغوي في العلاقات الضعيفة معاكس تقريباً لتفسير 'لابوف' في القسم السابق: في فيلادلفيا، حيث كان قادة التغيير - مثل 'سيليست إس' في المثال (8.2) - هم أصحاب العلاقات القوية داخل مجموعتهم الخاصة وخارجها. يعالج التمرين (8.6) هذا الأمر.

التمرين 8.6: التغيير اللغوي والعلاقات القوية/الضعيفة

1- يعتقد 'لابوف' أن التغيير اللغوي يقوده متحدثون من أمثال 'سيليست إس'، ممن لديهم علاقات خارجية قوية، بينما يجادل 'الثنائي ميلروي' بأن أصحاب العلاقات الضعيفة هم من يقودون التغيير اللغوي. ما هو موقفك؟ راجع الأدلة المقدمة بإيجاز، في النص وفي المثال (8.2)، ومعرفتك بمجريات العلاقات الاجتماعية حولك. ضع المبررات (الاجتماعية، واللغوية) لاستنتاجك.

• لمزيد من التفاصيل، راجع الحجج الموجودة في عمل 'لابوف' (2001: الفصل العاشر، حيث يقوم بإعادة تحليل بيانات بلفاست)، و'ليزلي ميلروي' (1978)، و'الثنائي ميلروي' (1985).

2- يقترح 'الثنائي ميلروي' أن سبب اختلافهم عن 'لابوف' هو أن مصطلح 'القائد' يخفي أكثر من دور واحد. وبالاعتماد على الأدبيات المتعلقة بالابتكارات وتبنّيهما لها، فقد ميّزا الآتي:

• المبتكرين الفعليين الذين يكونون هامشيين لمجموعة ما، أو حتى يُنظر إليهم بوصفهم شاذين عنها - نوع المتحدثين الذين اشتهر 'لابوف' بوصفهم بـ 'lames'، وكان يعتبر نفسه منتمياً إليهم في سن المراهقة (1972).

• ثم أوائل المتبنّين القابعين في صميم المجموعة، والذين يأخذون التغيير من المبتكرين المحيطين وينشرونه إلى البقية ('سيليست' على سبيل المثال).

3- هل توافق على تمييز المبتكر/المتبنّي- الأول؟ هل تحلّ هذه الطريقة الاختلاف في وجهات النظر؟ حاول تحديد ما إذا كان هناك أسباب أخرى للاختلافات، كالاختلافات بين مجتمعات بلفاست وفيلادلفيا مثلاً؟

4- من هم القادة اللغويون في شبكاتك الخاصة؟ لماذا اخترتهم؟ هل يناسبون أياً من الذين تحددهم، في شبكاتك الخاصة، كقادة لغويين؟ لماذا تحدد هؤلاء الأفراد؟ هل يتوافقون مع أي من الشخصيات المطروحة في السؤال الأول؟ هل يمكنك الحديث عن التغييرات التي يقودونها؟

تُعتبر الطبقة والشبكات نظريات متكاملة، وليست متنافسة، في التغيير اللغوي، وخاصة إذا اعتمدنا نموذج الصراع الخاص بالطبقة الاجتماعية الذي تمت مناقشته في الفصل (7.2) ('الثنائي ميلروي'، 1992)؛ إذ تركّز نظرية الشبكة على المجموعة الفردية والصغيرة، وليس على موقعها في البنية الاجتماعية الكليّة. لكن هناك أيضاً ارتباط واضح، ومُعترف به، بين الشبكات والطبقات. كما تميل الشبكات ذات العلاقات القوية، إلى الظهور في الطبقات العاملة والطبَقات العليا، في حين ترتبط الشبكات ذات الروابط الضعيفة بالطبقات الوسطى المتنقلة. ويتسق هذا، على نطاقٍ واسع، مع طريقة 'لابوف' بإعادة أصول التغيرات إلى الطبقات الاجتماعية المركزية. لكن شعر الباحثون أنهم بحاجة إلى شيء أكثر من مفهوم الشبكة، شيء يأخذ في الحسبان الإيديولوجيا والهوية والموقف، وربط العوامل الاجتماعية الجزئية والكليّة. وهذا يقودنا إلى البديل الثالث،

مجتمعات الممارسة، التي تضم جوانب من السوق اللغوية ونظريات الشبكة كليهما.

8.7 حالة 'بيلتن هاي'

ترتدي 'جودي' حذاءً جلدياً مهذّباً، وسروالاً من الجينز الضيّق، وتضع كحلاً داكناً - وتستخدم طريقة مميزة في نطق الحروف الصوتية. إنها أنيقة، قويّة، ومستقلة. كما أنها تتصف بالتوهّج والأناقة باللغة، وكذلك بالمظهر. وهي تشير بذلك إلى المعنى الاجتماعي للمجموعة التي تتعامل معها في المدرسة. إن 'جودي' عضو في مجموعة 'برنوت'، وتمثّل أيقونة ثقافية ولغوية.

تُعدّ 'جوكس وبرنوتس'[1] أقطاباً متعارضة مُعترفاً بها، وهي تحدد النظام الاجتماعي في البيئة الأمريكية تحديداً. ففي مدرسة 'بيلتن هاي' في ضواحي ديترويت. إن أي شخص آخر - الأغلبية - يكون 'ما بين الاثنين'، سواء أرغب في ذلك أم لا. وتمتلك المجموعتان إيديولوجيات ومعايير ومسارات وممارسات متضاربة؛ إذ تُهيمن مجموعة 'الجوكس' ضمن المدرسة، بينما تعارض مجموعة 'برنوتس'. والمدرسة بالنسبة 'إلى الجوكس' هي حياتهم، وهم جزء لا يتجزأ من المؤسسة وأنشطتها غير الروتينية. وينفر 'البرنوتس' من المدرسة، ويتجهون إلى الحيّ في الخارج. وفي حين يميل أعضاء 'الجوكس' إلى الجامعة والشركات الأمريكية، يميل 'البرنوتس' إلى القوى العاملة المحلية. ومن الناحية الثقافية والوطنية، يكون 'الجوكس' في السوق الوطنية، ويكون 'البرنوتس' في السوق المحلية. ويتجه 'الجوكس' إلى اللغة القياسية، بينما يتجه 'البرنوتس' إلى العامية. وقد تساعد

---

[1] يوجد في المدارس الأمريكية دوماً نوع من التعارض بين فئتين اجتماعيتين، يُشار إليهما بـ 'جوكس' و'برنوتس'. مجموعة 'الجوكس' هي تجمّع موجّه نحو المدرسة، ويجسّد ثقافة الطبقة المتوسطة. أما 'برنوتس' فهو مجتمع ممارس موجّه محلياً، ويجسد ثقافة الطبقة العاملة. ويحدث أحياناً أن يتوافق هذا النوع من الانقسام مع الحدود الإثنية القائمة. المترجم.

علاقات الصداقة بين 'الجوكس' على التقدم، لكن 'البرنوتس' يشددون على الولاء والتضامن. ويلاحظ أن 'الجوكس' يمثّلون الطبقة المتوسطة، بينما يمثل 'البرنوتس' الطبقة العاملة؛ وأن 'الجوكس' من الضواحي، بينما 'البرنوتس' فمن المناطق الحضرية.

اللّسانيات الاجتماعية للجوكس والبرنوتس

أمضت 'بيني إيكرت' عامين في البحث في 'بيلتن هاي'، كما أن عملها الإثنوغرافي هو بحدّ ذاته أيقونة للإدراك الذي تم التعبير عنه في الكتابة الواضحة التي تجسّد طبيعة الحياة الاجتماعية واللغوية للمدرسة (إيكرت، **2000**). لقد درست خمسة أحرف صوتية تأثرت بسلسلة التبدّل في المدن الشمالية (انظر الشكل **8.3**)، بالإضافة إلى إدغام (ay) كما في كلمة 'برايس - PRICE'، ومتغيّر قواعدي واحد، وحالة توافق سلبي (النفي المتعدد، كما في عبارة ' he didn't say nothing about nobody') وعلى الرغم من الأنماط الكثيرة التي وجدتها 'إكيرت' لتحوّلات غير واضحة أبداً في الأحرف الصوتية، فإن التغيّرات الحالية كانت مميزة جداً. 'فنطق الحرف الصوتي (ʌ) من باطن الفم' كما في كلمة 'ستروت - STRUT'، ونطق (e) كما في كلمة 'دريس - DRESS'، ينتشر من المركز الحضري في ديترويت إلى الضواحي. وتستطيع 'إيكرت' أن تجد علاقة طفيفة بين خطاب المراهقين، وطبقة أهلهم الاجتماعية.

يعدّ التوافق السلبي الأكثر بروزاً من الناحية الاجتماعية، والأكثر اختلافاً بين المتغيرات. فقد صنّفت 'إيكرت' متحدثيها على أساس مؤشّر يقيّم مستوى مشاركتهم في النشاطات المدرسية كالرياضة وأداء العروض والحكومة الطلابية. ويوضح الشكل (**8.9**) العلاقة بين الأنشطة المدرسية واستخدام التوافق السلبي. أما الأولاد الذين يشاركون بالأنشطة بنسبة قليلة، أو لا يشاركون (بما فهم أعضاء

مجموعة 'البرنوتس')، فإن لديهم توافقاً سلبياً بنسبة تصل ما بين (31 إلى 36) بالمئة. وأولئك الذين لديهم مشاركة متوسطة إلى عالية (بما في ذلك مجموعة 'الجوكس')، فليس لديهم أكثر من (2 – 6) بالمئة من التوافق السلبي.

إن الجندر هو البعد الاجتماعي الرئيس الآخر في 'بيلتن هاي'، ويظهر ذلك في الشكل (8.9). وبالنسبة إلى الفتيات، تقع الحدود بين التوافق السلبي العالي والمنخفض، بين المشاركة المتدنية والمنعدمة في الأنشطة. أما بالنسبة إلى الأولاد، فتقع بين المشاركة المتدنيّة والمتوسطة. ويعكس الفرق البعد الجنساني القوي للأنشطة. ويُعتبر الأداء الرياضي أمراً محورياً لتحقيق ذكورة 'الجوكس' - هذه هي 'جوكسية الجوكس' - لكن على الفتيات تحقيق الرضا بالتشجيع. وعليهن تأسيس شعبية خاصة بهن. كما أن هناك قواعد مختلفة للفتيات والفتيان في عوالم 'الجوكس والبرنوتس'. تطبق الإناث من 'الجوكس والبرنوتس' طريقة التجنّب والازدراء المتبادل، في حين يؤكد كلٌّ من ذكور الطرفين ذكوريته مقابل الآخر عن طريق المنافسة البدنية. وتكون 'طهارة' الفتيات أمراً أساسياً، وكذلك تكون 'صلابة' الأولاد. ولهذا تتجنّب الفتيات المتغيرات اللغوية المرتبطة بالحضر، كالحروف الصوتية في كلمات مثل 'STRUT' و'DRESS'، كما يجب أيضاً على الأولاد أن يكونوا حذرين من المتغيّرات الموجّهة للضواحي.

مجتمع الممارسة

إن أداة 'إيكرت' المركزية لتحليل هذا العالم الاجتماعي هي مجتمع الممارسة (CofP)، وهو التركيب الذي أيّدتُه في اللّسانيات الاجتماعية. إنه يأتي من نظرية التعلّم التثقيفي، حيث تشير إلى مجموعة معيّنة، تؤدي مشاركتها في مشروع مشترك، كمشروع التدريب المهني، إلى إيجاد مرجع مشترك في اللغة على سبيل المثال. ويشارك الجميع في

وقت واحد في عدد من مجتمعات الممارسة - الأسرة، الكورال، مجموعة البحث، والفريق الرياضي. فهناك جانبان هامان في مجتمع الممارسة.

• يركز مجتمع الممارسة على الممارسة، وما يفعله أعضاؤه معاً، وكيف يفعلون ذلك. وتشكل جميع الأنشطة، سواء أكانت ألعاباً رياضية أم رحلات إلى ديترويت، جزءاً من الممارسة المحددة لمجتمع الممارسة.

• يربط مجتمع الممارسة بين الطبقة الصغرى والكبرى، وبين الاجتماعية والفردية. وينصبّ تركيزه على الأفراد وفعاليتهم، لكن هناك علاقة مع البُنى الاجتماعية الأوسع في نهاية المطاف. وبحسب 'إيكرت'، تكون فئات كالطبقة الاجتماعية مثلاً نتاج ممارسات الأفراد.

التمرين 8.7: البحث عن الشبكات، الأسواق، والمجتمعات

• بعد متابعة المراجع في هذين القسمين، والقراءة الإضافية في نهاية الفصل، لخّص خصائص الشبكات الاجتماعية، والأسواق اللغوية، ومجتمعات الممارسة وقارنها. ما هي أوجه التشابه والاختلاف في النظريات؟ ما هي الثغرات؟

• قم بتطبيق نظرية أو أكثر، على مجموعة تكون أنت جزءاً منها، أو تعرفها جيداً. ويمكن تقسيم الفصل الدراسي إلى مجموعات تأخذ كلٌ منها نظرية من النظريات، ثم تتم مقارنة النتائج. ويمكنك دراسة اللّسانيات الاجتماعية للفصل على أنها شبكة، أو مجتمع ممارسة.

• في بحثك هذا، تستطيع أن تأخذ جميع وسائل الاتصال التي يأخذها الأفراد بعين الاعتبار. لقد سبق العمل الميداني لـ 'إيكرت' انتشار الاتصالات الرقمية. ما هو الدور الذي تلعبه الهواتف المحمولة، والقدرة على الشراء عبر الأنترنت، في التواصل المستمر بين أعضاء المجموعة الآن؟

- طبّق واحداً أو أكثر من الأطر الثلاثة (الأسواق، والشبكات، ومجتمعات الممارسة)، على مواقع التواصل الاجتماعي كموقع 'فيسبوك'. ما مدى المطابقة في الوصف، وهل هناك شيء مختلف، أو شيء آخر تحتاجه في حالات التواصل عبر الأنترنت؟
- بالنسبة إلى جميع الأطر: ما هي التأثيرات على اللغة؟ هل تُظهر المجموعات المختلفة، استخدامات لغوية مختلفة؟ هل هناك أي مجموعات، أو أفراد، يقودون تغييرات لغوية؟
- أعد تقييم الأطر الثلاثة، في ضوء تطبيقك لها. ما الذي وجدته أكثر إنتاجاً، ولماذا؟ كيف يمكنك تعديلها، أو تحسينها؟

في الغرب عموماً، والولايات المتحدة على وجه الخصوص، تمثل المراهقة ذروة النشاط الرمزي الاجتماعي، وذلك في الملابس والمظهر والزينة، والاستهلاك والطعام والسيارات وكثرة الكلام. إنها فترة 'الترميز القوي' ('إيكرت'، 2009)، وسوق تحدده مجموعة الأقران كبديل للمقياس. كما ترسم 'إيكرت' روابط الشبكات وقطاعاتها بين الطلاب، وتميّزها على أنها متنافسة في الأسواق الرمزية المتعارضة. وتشكّل 'جودي' ومجموعة 'البرنوتس' الخاصة بها، نموذجاً لمجتمع الممارسة. إن مَكياجهنّ وملابسهن أكثر قوّة من مَكياج 'البرونوتس' العاديين وملابسهم. كما أن مجموعتها تقود الآخرين، في معظم المتغيرات اللغوية، بينما تقود 'جودي' وأفضل صديقة لها 'جويس'، القادة. فهم يصوغون 'كل تعبير مفرد بارز... إنهن أيقونات لغوية'. ويركز استخدامهن على الرموز الصوتية المتطرفة، في كلمات رئيسة، وخاصةً الألفاظ البذيئة، وهي: الرفع المبالغ به للحرف الصوتي في كلمات مثل 'damn' والمبالغة في النطق من باطن الفم في كلمة مثل 'fuck'، فهي مزيج من الصيغة والمحتوى. إن استخدامها هو ما يخلق معنى اجتماعياً ولغوياً للمدرسة (تذكّر تصريح الثنائي 'ميلروي'

حول النساء كمحددات للرقي الاجتماعي اللغوي، ولسن تابعات له (التمرين 8.5)).

الآن، أصبح مجتمع الممارسة هو الإطار المفضّل في الكثير من أبحاث اللسانيات الاجتماعية، وخاصة أبحاث لغة الجندر. وتضمّنت بعض الدراسات عصابات لاتينية ('مندوزا'، 'دنتون'، 2008)، فتيات فظّات ('بوخولز'، 1999)، شباباً مترفين من بكّين ('زانغ'، 2005). على أية حال، كان في هذه العملية نوع من الإضعاف للمعايير الأصلية، ولا سيّما ما يشكّل مشروعاً مشتركاً. ولتكون بمثابة بناء قوي وواعٍ، ينبغي أن يشمل مجتمع الممارسة شيئاً أكثر من مجرّد خلق مجموعة لها نمط معيّن ('مايرفوف' و'ستريترز'، 2013). إن النمط هو النتيجة وليس هدف مجتمع الممارسة؛ إذ يقدّم هذا النهج النظرية والممارسة اللسانية الاجتماعية، لكنه يكون أقوى عندما يتم استكماله بفهم عالي المستوى، كما هو الحال في دراسة 'إيكرت' الخاصة. يتباين ضغط الدراسة على الأفراد وفاعليتهم مع ارتباط المجموعة بأبحاث التباين التقليدية (ومع ذلك، لاحظ المحاكاة بين 'جودي' و'سيليست إس' الخاصة بـ 'لابوف'). لا تُعتبر اللغة هنا انعكاساً بل مورداً، حيث تتعامل الفتيات الشبيهات بـ 'جودي'، في هذا العالم، مع الرموز الأخرى بأنماط متمايزة. سوف نعود إلى النمط والفعالية والقضايا ذات الصلة في الفصل الحادي عشر.

8.8 النشاط البحثي

التغيير اللغوي على الأنترنت

إن إجراء بحوث على المقياس في التغيير الصوتي، وتطوّر معظم الأبحاث الموجودة في هذا الفصل في التغيير الصوتي، يتطلّب وقتاً ومهارات تتجاوز مشروعاً لطالب في صف دراسي. لكن هناك أنواع

أخرى من التغييرات اللغوية، ووسائل أخرى للبحث عنها. ويقترح هذا القسم بعض الطرق لبحث التغيير اللغوي باستخدام الأنترنت، ويتيح إمكانية الوصول إلى أرشيف البيانات المطبوعة في زمن صدورها، مثلاً:

- صحف تعود إلى أكثر من مئتي عام، وقد نُشِر العديد منها منذ قرن أو أكثر، ولديها أرشيف رقمي.
- وسائل إعلام مطبوعة أخرى كالمجلّات والصحف الأكاديمية.
- مستندات عامة، كالمستندات الحكومية أو التعليمية أو القانونية، من فترات مختلفة.
- المجموعات التاريخية الرقمية، كالمفكّرات أو الرسائل مثلاً.

ستوفّر قواعد البيانات الإلكترونية الموجودة إمكانية الوصول إلى كل ما سبق. ويرتبط الأمر بكميّة الأرشيف الذي تم تحويله إلى أرشيف رقمي، وسهولة الوصول إليه. ومع ذلك، من المحتمل أن تكون المشكلة الكبرى هي الإفراط في كمية البيانات. فلا تجمع الكثير من البيانات! اجعل العيّنة صغيرة قدر الإمكان، مثلاً خمس نسخ من الصحف اليومية، أو الأخبار المحليّة فقط.

تعني هذه المواد أنه يمكنك التحقق من التغيير في زمنه الحقيقي، في النماذج المُعجمية أو الصرفية أو النحوية أو الخطابية، طالما أن بإمكانك تحديدها بشكل ملائم وعملي لبحث الكمبيوتر. سيتضمن تحليلك خطوات مثل:

- تحديد الصيغة أو البنية التي تستهدفها بدقة، كوجود كلمات عامية مثلاً، أو كلمات محظورة معيّنة في مجلات معيّنة، أو اختصارات من نوع ("it's" بدلاً من "it is" أو "we've" بدلاً من "we have" في الوثائق الحكومية.

• تحديد أية اختلافات نوعية بين الفترات السابقة واللاحقة. هل هناك صيغة جديدة؟ أو صيغة قديمة لم تعد موجودة؟ (تذكّر التمرين (8.4) الخاص بعناوين الأخبار).

• إحصاء الفروقات النسبية بين الفترات الزمنية. مع الأشكال التي تستطيع أن تحدد لها مجموعة من البدائل المتوافقة مع المعايير المختلفة 'للمعنى ذاته'، ستتمكّن من تحديد التغيرات النسبية في الأشكال المختلفة، المستخدمة في فترات مختلفة. أما الأشكال الأخرى، التي لا يمكنك القيام بهذا الإجراء معها (كسمات الخطاب مثلاً)، فيمكنك إحصاء عدد مرات حدوثها ومقارنتها.

يستطيع طلاب مختلفون في الصف الدراسي أن يبحثوا عن الصيغ اللغوية الموجودة في نصوص مختلفة ومقارنتها، أو على العكس، أن يبحثوا عن صيغ مختلفة في النصوص ذاتها. أو أن يستطيعوا مقارنة الأنواع الرقمية الجديدة مع نظيراتها التقليدية، كالأخبار المطبوعة مثلاً أو الأخبار الموجودة على شبكة الأنترنت (انظر 'بيل' و'سميث'، 2012)، أو المدوّنات ذات اليوميات المكتوبة. فيما يأتي عينة محددة لبعض الدراسات.

التغيير اللغوي في الصحافة

في الثمانينات من القرن الماضي، بحثتُ في التغييرات التي طرأت على لغة صحيفة 'ديلي ميرور' البريطانية بعد أخذ عيّنات منها خلال عقد من الزمن بدأ بعام (1920). وقد ركزتُ على قاعدة حذف المحددات من الشكل (ال التعريف - the) في التعابير المتعلّقة بالألقاب مثل (the" Prime Minister David Cameron" - رئيس الوزراء ديفيد كاميرون)، هذا المحدد الذي ميّز نمط الأخبار الأمريكية لوقت طويل، لكنه كان جديداً في وسائل الإعلام البريطانية. بدءاً بالقيمة صفر عام (1920)، ارتفعت نسبة حذف هذا المحدد إلى

عشرة بالمئة عام (1940)، ثم ازدادت بشدّة إلى تسع وأربعين بالمئة عام (1960)، وإلى ثمانين بالمئة عام (1980).

- راجع 'بيل' (1988) لمعرفة كيف قمت بتحديد هذا المتغيّر وتحليله، ثم استخدم أرشيف الأنترنت لتوسيع العيّنة إلى الأعوام (1990، 2000، 2010)، لترى كيف تقدّم حذف المحددات في تلك الصحيفة خلال العقود الأخيرة، وخاصة ما إذا كانت النسبة قد ارتفعت إلى قيمة مئة بالمئة.
- حلل حذف المحددات في صحيفتك المحلية، أو في أية صحيفة باللغة الإنكليزية على الأنترنت في أي مكان في العالم. أو اختر سمة أخرى، مثل استخدام الألقاب (السيدة، السيد، إلخ)، أو الأسماء الأولى، في الإشارة إلى الأشخاص في الأخبار.

لغة الهوية الجنسية

كان استخدام الضمير المذكّر الإنكليزي العام (هو – he) لتمثيل النساء والرجال، يشكّل إحدى ساحات المعارك القديمة، للغة الجندر المحايدة. لكن شككت 'روبن لاكوف' (انظر الفصل '6.7') في نجاح محاولة تغيير استخدام هذا الضمير، كما استخدمت، هي نفسها، سلسلة من الضمائر المذكّرة العامة لمناقشة هذا الموضوع في عملها الأساسي المتعلّق باللسانيات النسوية (1975):

أعتقد أنه ينبغي على المرء أن يُجبر نفسه على أن يكون واقعياً: فبعض جوانب اللغة، متاحة للتحليل الواعي للناطقين الأصليين، وبعضها الآخر شائع جداً، وممزوج تماماً في جميع جوانب اللغة، ليكون المتحدث على وعي، في كل مرة يستخدمها... أنا أشعر أن مجال تحييد الضمائر شيء لا ضرورة له من جهة، وهو أقل انفتاحاً على التغيير من جهة أخرى.

إذاً، كيف تغير هذا على مدى عقود؟ أنا متأكد من أنه لن يكون أي شخص أكثر سعادة من 'لاكوف' إذا تم إثبات الخطأ (راجع، 2004: تعليقاتها بعد ثلاثين عاماً). ويناقش 'باويلس' (1998) هذه المسألة وغيرها من قضايا اللغة المتعلّقة بالهوية الجنسية.

1- حدد، على سبيل المثال، أي نوع نصّي في عام (1970) و(2010) (الصحافة، الخطب الحكومية، وما إلى ذلك).

2- ابحث بواسطة الكمبيوتر، عن الضمائر المذكرة، وحدّد الضمائر العامة، و/أو...

3- ابحث عن كلمات مثل 'الجميع، وكلّ شخص، ولا أحد'، لمعرفة ما إذا كانت تأخذ ضميراً مذكّراً عاماً، أو ما هي البدائل المستخدمة في هاتين الفترتين (صيغة الجمع 'they' على سبيل المثال).

4- قارن أنواع النصوص المختلفة.

5- إذا وجدت تغييراً، فماذا تقول الإمكانيات والقيود والدوافع المرتبطة بالتغيير اللغوي المُدرك؟

لهجات المشاهير خلال فترة الحياة

تذكر التحوّل الذي طرأ على لغة الملكة في المثال (8.1).

1- حدّد شخصاً كان محطّ أنظار الجمهور لفترة طويلة، كمغنٍّ معروف أو نجم سينمائي أو شخصية سياسية ('ميك جاغر'، 'أودري هيبورن'، 'بيل كلينتون'،...)

2- اجمع مقاطع صوتية لخطاباتهم عبر الزمن، حتى أقدم لحظة تستطيع الوصول إليها، ثم خلال فترات زمنية تتراوح من (5 – 10) سنوات. أما بالنسبة إلى الفنانين، فحاول أن تعثر على مقابلات خاصة بدلاً من العروض المسرحية أو الغنائيّة.

3- حدد المتغيرات التي تتوقع أن تكون قد اختلفت في نبرتهم الخاصة - قد تكون التغيرات الصوتية لدى ممثل بريطاني مشابهة

للتغيرات الصوتية لدى الملكة، أو ربما ظهرت تغيرات بارزة في الحروف مثل تسكين حرف 't'، أو لفظ الحرف 'L'.

4- حدد هذه التغييرات في خطاب الشخصية التي تدرسها، وسجّل طريقة النطق كما تسمعها، وحدد عدد مرات النطق.

5- هل هناك فروقات بارزة في حياة هذه الشخصية؟ ما نوع الفروقات؟ ما هو استنتاجك حول التصنيف العمري، والاستقرار اللغوي خلال الحياة؟

• أو قم بإجراء مقارنة مماثلة للأجيال المتعاقبة من عائلة المشاهير، سواء أكانوا سياسيين أم ممثلين أم رياضيين كعائلات 'ريدغريف'، 'بوش'، 'كندي'، 'فونداس'. فهذا يجعل هذه الدراسة دراسة في الوقت الحقيقي: ما هي التغيرات اللغوية التي يمكنك تتبعها في الاختلافات بين الأجيال، في خطاب هذه العائلات؟

8.9 الملخّص

• يشكّل العمر والجندر العاملين الاجتماعيين الأساسيين اللذين تقوم عليهما أية دراسة في موضوع التباين اللغوي. فالعمر غير محكوم بالتسلسل الزمني للوقت، وله أبعاد اجتماعية وثقافية ونفسية. ويعترف مفهوم العمر بمراحل عمرية محددة، بالمنشأ الاجتماعي. في خطاب التصنيف العمري، تتصرف مجموعات عمرية مختلفة بطرق مختلفة في الوقت ذاته، لكن كل جيل يكرر نمط الجيل السابق ذاته.

• إننا نستخدم مفهوم 'الوقت الظاهري' لكي نتتبّع التغيير اللغوي - التسجيل لكبار السن ومتوسطي العمر كأرشيف لغوي للأجيال اللاحقة. لكن معرفة الفرق المؤكّد بين التصنيف العمري والتغيير عبر الأجيال، يتطلّب منا بيانات الوقت الحقيقي.

• تشير إعادة دراسة 'التوجّه' للفئة ذاتها إلى أن تفسيرات الوقت الظاهري الأصلية تميل إلى أن تتأكد في الوقت الحقيقي. ويفترض

مفهوم الوقت الظاهري أن الناس يستمرّون في الكلام بالشكل ذاته طوال حياتهم. وتظهر الدراسات التي أُعيد إجراؤها 'على فريق من المتحدثين ذاتهم' أنه على الرغم من بقاء الأغلبية مستقرة، فإن فئة قليلة لا تزال تتغيّر.

• في دراسة التغيير اللغوي، كان علم الصوتيات هو الأكثر خضوعاً للبحث، في حين اقتصر البحث الكمي، وبناء الجملة والصرف ودراسة الخطاب، على سمات سهلة الفهم بشكل أساسي. وتُظهر دراسة الحالة النوعية أن لغة الأخبار قد تغيّرت بشكل ملحوظ، في القرن الماضي، بسبب التغير التكنولوجي الهائل.

• غالباً ما يتضمّن التغيير في الحروف الساكنة تضعيفاً لمستوى الصوت أو 'إخفاء'. وتركّز دراسة الحروف الصوتية على عمليات الاندماج عندما يتداخل مقطعان صوتيان ليحتلّا المساحة الصوتية ذاتها، وعلى تغيّر السلسلة عندما يتغيّر أكثر من حرف صوتي من الحروف المتجاورة. وقد ركّز 'لابوف' على صياغة مبادئ تغيير الحروف الصوتية، ولا سيما في المدن الشمالية من الولايات المتحدة.

• يدرك المتحدثون بعض التغييرات دون غيرها. ويسير التغيير الصادر من أعلى مستوى الوعي من 'الطبقة العليا في المجتمع'، لكن معظم التغيّرات تكون غير مُدركة، وتأتي من منتصف التسلسل الهرمي الاجتماعي.

• يُعتبر الجندر أهم عامل من عوامل التغيير اللغوي. وتقود النساء جميع التغيرات المُدركة وغير المُدركة، مما يخلق عند 'لابوف' ما يُسمّى 'مفارقة الجندر'، لكن يجادل 'الثنائي ميلروي' بأن استخدام المرأة لطريقة النطق هو ما يعطي الهيبة للتغيير. كما يحدد 'لابوف' قادة التغيير بأنهنّ النساء اللواتي يتصفن بعدم التوافق مع التحولات الصاعدة، ولديهنّ شبكات علاقات قوية داخل بيئتهنّ أو خارجها.

• يرى السوق اللغوي رموز لغات مختلفة على أنها سلع ذات قيم اجتماعية مختلفة. ويتم تصنيف المتحدثين من خلال مدى أهمية اللغة القياسية في مهنتهم.

• يحدد تحليل الشبكات الاجتماعية العلاقات الشخصية أو الجماعية، من أجل فهم السلوك. وقد وجد 'الثنائي ميلروي' أن الفئات الثلاث للطبقات العاملة في بلفاست، كانت متميزة من خلال شبكاتها، مما أثر على مشاركتهم في التغيير اللغوي.

• تحمل روابط الشبكة الضعيفة التغيير بين المجموعات، حسب ما استنتجه 'الثنائي ميلروي'، في حين تعزز الروابط القوية المقاييس الموجودة. ويشمل مصطلح' لابوف' 'القائد' دورين أساسيين: المبتكرين المهمشين اجتماعياً، والمتبنّين الأوائل الأساسيين الناشرين للتغيير.

• تُظهر دراسة 'إيكرت' الإثنوغرافية الخاصة بمدرسة 'بلتن هاي' في مدينة ديترويت، أن مجموعات 'الجوكس' و'البرنوتس' تعمل مع إيديولوجيات ومعايير وممارسات ومسارات متضاربة. وهناك قواعد مختلفة للفتيات مقارنة بالفتيان، بمعنى 'الطهارة' مقابل 'الصلابة'.

• تعمل مجموعتا 'الجوكس' و'البرنوتس'، كمجتمعات ممارسة، حيث يؤدي تفاعل الأعضاء، في مشروع مشترك، إلى إيجاد مرجع مشترك. ويربط التركيز على الممارسة بين الطبقة الصغرى والكبرى، الفردية والاجتماعية. كما يقود التغيير اللغوي قادة أقوياء يعملون على خلق معانٍ اجتماعية لغوية من خلال استخداماتهم المتطرّفة. ويُستخدم مجتمع الممارسة هذا، بشكل خاص، في بحث لغة الجندر.

8.10 قراءات متقدمة

يقدّم عمل 'تشامبرز' (2009)، وعمل 'كوبلاند'، معالجات متباعدة للغة والعمر، خاصةً فيما يتعلّق باللغة والعمر. وتقدم 'إيكرت' (1997)و'كوبلاند'(2001)، مراجعات عامّة جيدة، (وإن لم تكن

حديثة)، عن اللغة والعمر. ويوجد العديد من الدراسات على لغة المراهقين في أعمال 'لابوف' (1972)، و'إيكرت' (2000)، و'ميندوزا - دينتون' (2008).

راجع 'جاي بايلي' (وخاصّةً 'كيوكر-آفيلا'، و'بايلي' (2013)، و'جيليان سانكوف' (2006)، لمفاهيم الوقت الحقيقي والظاهري، ودراسات التغيير اللغوي في الوقت الحقيقي.

يتعامل كلّ من 'شيشاير' (2005، 2007)، و'بيكلر' (2010)، مع القضايا المتعلقة بقياس التغيير في بناء الجملة، والخطاب. ويتخصص عمل 'تاليامونت' (2012) في موضوع التغيير مع علم الصرف والنحو والخطاب، ومعظمها من البحوث الخاصة للمؤلف. وينتشر المحتوى المرتبط بالتغيير اللغوي في العديد من فصول الكتب المتعلّقة بالتغيير والتباين اللغوي ('تشامبرز' و'سيلنيغ'، 2013). ما يقدّم عمل 'ماثيو جوردن' (2013) تغطية جيدة لعمليات الاندماج، وسلسلة التبدّلات، راجع أيضاً 'كيرسويل' (2011) من أجل ما يتعلّق بالتغيير الصوتي. وهناك العديد من المقالات التي تقدّم بحوثاً أصلية في مجالات التغيير والتباين اللغوي، عن مجموعات كبيرة من التغيّرات الصوتية.

تعدّ مجلدات 'لابوف' الثلاثة 'مبادئ التغيير اللغوي' (1994، 2001، 2010)، من أهم أعماله، وهي قاعدة أبحاث في مجال التغيير اللغوي. تتضمّن هذه المجلدات، التي يصل مجموع صفحاتها إلى ألف وسبعمئة، مئات الجداول والأشكال، وكماً هائلاً من المعلومات والتعميمات والنظريات. إنها تتضمن معظم أعماله حول اللغة الإنكليزية الأمريكية، بالإضافة إلى بيانات من عشرات الدراسات الأخرى، من العديد من اللغات. إذ يغطي المجلد الأول 'العوامل الداخلية'، والثاني 'الاجتماعية'، والثالث 'العوامل المعرفية

والثقافية'. (على الرغم من أن التقسيم ليس واضحاً بهذا الشكل بالضرورة). ويركز نصف المجلد الأول (1994) على عمليات الاندماج، وسلسلة التبدّلات. بينما يتعامل المجلد الثاني (2001) مع أبحاث السبعينات من القرن العشرين في فيلادلفيا، ويقدم الفصل الأخير موجزاً عن 'العوامل الاجتماعية' بشكل عام.

يُعتبر عمل 'شيشاير' (2002) مراجعة عامة ممتازة حول التغيير الجنسي واللغوي، راجع أيضاً 'سيلينغ' (2011). يمكن العثور على ما تناوله 'لابوف' في مجلّده الثاني بشكل خاص. وهناك مقالات كلاسيكية لـ'ترودجيل'(1972)، و'إيكرت'(1989)، و'لابوف' (1990).

بالنسبة إلى السوق اللغوي، راجع 'بورديو' (1991)، و'دودسورث' (2011)، و'إيكرت' (2000). وتعدّ الشبكات المفهوم المركزي في جميع أعمال 'الثنائي ميلروي'، راجع كتاب 'ليزلي ميلروي' (1987) تحديداً. ولاحظ أيضاً مراجعة 'فيتر' (2011) العامة.

يعتبر عمل 'إيكرت' و'ماكونيل – جانيت' (1992)، العنوان الذي قدّم موضوع مجتمع الممارسة إلى اللسانيات الاجتماعية، مع أن 'شيشاير' (1982) كان له دور رائد في أساليب مماثلة. بالإضافة إلى كتاب 'إيكرت' (2000)، راجع موضوع قضيّة اللغة في المجتمع لعام (1999)، الذي قامت 'جانيت هولمز' بتحريره. وقد نشرت مجلّة اللسانيات الاجتماعية، في عددها الصادر في نيسان من عام (2005) نقاشاً بين 'إيكرت' و'ديفيز' وآخرين. ويقدم 'مايرهوف' و'ستريكرز' (2013) مراجعة عامة نقدية. كما تتناول العديد من المقالات، في قراءات 'ميثري وودك'، و'جونستون وكيرسويل'، (كلاهما في 2011)، مفهوم مجتمع الممارسة، من وجهات نظر مختلفة.

فيما يتعلّق بالبحث في لغة الإعلام، راجع مقالاتي في المراجع، خاصةً النص 'لغة أخبار وسائل الإعلام': وبما أنها ظهرت قبل

وجود الأنترنت، فهي مؤرّخة بعلاقتها مع تكنولوجيا وسائل الإعلام، لكن لا تزال الكثير من الأطر والتحليلات مفيدة. كما يعدّ 'كوتر' (**2010**) أفضل نص حديث، بالإضافة إلى العديد من المقالات. وفيما يتعلّق بلغة الأنترنت، وبمعزل عن 'كريستال' (**2006**) ومنشوراته الأخرى، فإن المصادر الرئيسة هي عدة مجموعات محررة: 'دانيت وهيرنج' (**2007**)، 'ثورلو ومروزك' (**2011**)، 'بارون' (**2008**) و'أندروتسوبولوس' (**2006**).

الفصل التاسع

اللغة والمكان

سنبحث في هذا الفصل علاقة الموقع أو المكان مع اللغة، بما في ذلك الدور الذي يلعبه المكان في التغيير اللغوي. وبالإضافة إلى تغطية التباين الجغرافي للمتغيرات اللغوية الدقيقة، وسوف نتطرّق أيضاً إلى البعد المكاني للبيانات الكبرى للغة، أي ما يرتبط منها بالتعددية اللغوية، وباللغة الخطابيّة على حد سواء. لنتذكّر أولاً كيف كان 'الموقع' أساسياً في كثير من دراساتنا في الفصول السابقة، إذ إنه لا يعمل فقط كمصطلح تعريفي، بل يكون، في كثير من الأحيان، في عمق القضايا الاجتماعية اللغوية المعيّنة:

- الحفاظ على لغة مقاطعة 'كيبيك' في كندا، واللغة الفرنسية في شمال أمريكا (الفصل الثاني).
- اعتبار اللغة الماورية اللغة المميزة في 'أوتياروا' في نيوزيلندا (الفصل الثالث).
- المكانة الثانويّة، جغرافياً واجتماعياً، للغة 'الغيلية' في اسكتلندا (الفصل الرابع).
- المزيج اللغوي المجري الألماني في بلدة 'أوبروارت'، النمسا (الفصل الخامس).

• اللغة البرتغالية الخاصة بالشباب في مدينة 'ريو دي جانيرو' البرازيلية الضخمة (الفصل السادس).

• اللغة الإنكليزية الخاصة بمدينة نيويورك، ولغة 'كاجون' في لويزيانا ومدينة سيدني (الفصل السابع).

• استخدام مجموعات 'الجوكس' و'البرنوتس' المتناقضة للفضاء الصوتي والحضري في 'ديترويت' في الولايات المتحدة (الفصل الثامن).

9.1 علم اللّهجات

عادة ما تكون الفترة الوحيدة التي يستخدم فيها عالم لساني اجتماعي مصطلح 'اللهجة'، دون تحفّظ، هي عند الإشارة إلى أصناف محددة جغرافياً. فقد كانت اللهجات الجغرافية تهدف إلى تشكيل أوروبا، في القرن التاسع عشر، وتركّز على تحديد الصيغ المميزة للهجات الريفية التقليدية. وقد بدأ العمل الرئيسي في عام (1876)، عندما بدأ 'جورج وينكر' بإرسال استبيانات إلى المعلّمين الألمان طالباً منهم كتابة صيغ باللهجات المحليّة، مكوّنة من أربعين جملة نموذجيّة مثل:

Der gute alte Mann ist mit dem Pferde durchs Eis gebrochen und in das kalte Wasser gefallen.
The good old man broke through the ice with the horse and fell into the cold water.
عَلِقَ العجوز الطيب بالجليد مع حصانه، وسقط في الماء البارد.

على مدى السنوات العشرين اللاحقة، استلم 'وينكر' وشركاؤه أكثر من خمسين ألف استبيان من جميع أنحاء ألمانيا، وتم تدوين النتائج على الخرائط. لكن النجاح في جمع البيانات أدى مباشرة إلى فشل أكبر؛ كان هناك الكثير من المعلومات التي يمكن عرضها ومعالجتها (مليوني جملة!). لقد ظهر المجلّد الأول 'دويتشر سبارتشاتليس' بعد

50 عاماً من بدء الدراسة. لكن الدراسة التأسيسية الثانية، التي بدأت في فرنسا المجاورة عام (1896)، استخدمت طريقة مختلفة تؤدي إلى الحصول على النتائج بشكل أسرع بكثير. وقد قام ’جول غيلرن’ بإنشاء استبيان مكوّن من ألف وخمسمئة عنصر، وقام بتدريب عامل ميداني واحد على النسخ الصوتي. وأمضى بعدها ’إدموند إدمونت’، السنوات الخمس الأخيرة، من القرن التاسع عشر، في جولة حول الريف الفرنسي لإجراء سبعمئة مقابلة. ثم قام فريق ’غيلرن’ بتجميع البيانات مما أدى إلى إتمام نشرها في ثلاثة عشر مجلّداً بحلول عام (1910).

قدّم هذا المشروع الفرنسي نموذجاً للدراسات الاستقصائية في اللغة الإنكليزية. وبدأ العمل على الأطلس اللغوي للولايات المتحدة وكندا في ثلاثينات القرن العشرين. ومنذ أربعينات القرن العشرين، توالت عمليات نشر أطالس لغوية لمنطقة ’نيو إنغلاند’ ومناطق جنوبية وغربية أوسطية أخرى على السنوات الخمسين اللاحقة. وفي إنجلترا، بدأت دراسة اللهجات الإنكليزية في منتصف القرن العشرين، وقامت بنشر بياناتها في العقود اللاحقة.

خرائط اللّهجات

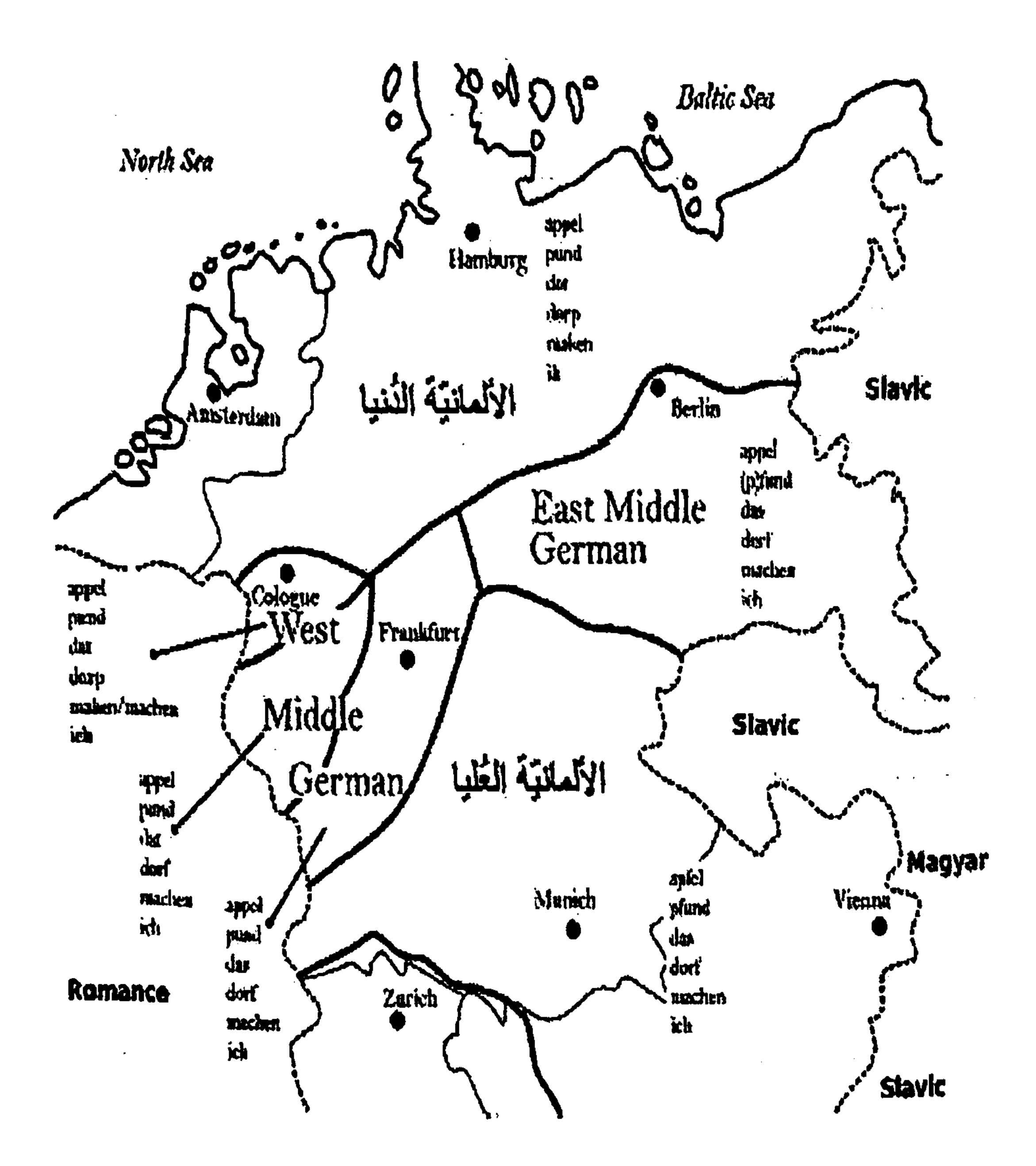
تكون نتائج هذا النوع من الأبحاث على شكل مجموعة خرائط تتضمن خطوطاً تُظهر الحدود بين المناطق التي تُستخدم فيها الصيغ البديلة. وعندما يجتمع عدد من هذه الخطوط معاً، بدرجات متفاوتة، فعندئذٍ تشكّل ’حزمة’ يتم أخذها بعين الاعتبار في إقامة حدود للهجات. إنها غالباً ما تعكس وجود حواجز جغرافية (كالأنهار والجبال)، أو اختلافات اجتماعية أو سياسية أو ثقافية.

يُظهر الشكل (9.1) إحدى أشهر خرائط اللهجات التي تعرض الحدود الرئيسة ضمن سلسلة اللغة الألمانية الهولندية الممتدة من

الشرق إلى الغرب، عبر أوروبا الشمالية. يُظهر هذا الشكل تطابقات قليلة مع حدود الدول أو 'لغات' مُحددة: هي لا تفرّق لغوياً بين الفلامنيكية والهولندية عن الألمانية المتدنية (تذكّر نقاش الفصل الأول عما يساهم في خلق لهجة أو لغة). لكن تميّز الخريطة بين اللغة الألمانية الدنيا والوسطى والعليا، والأقسام الفرعية للغة الألمانية الوسطى. وبسبب الظهور المرئي لحدود اللهجات الغربية على طول نهر الراين، يُطلق على هذا النمط اسم 'Rhenish fan' أي 'المروحة الراينية'. وكما رأينا في التنوّعات العرقية في الفصل السابع، عادة ما يتم تمييز اللهجات العرقية المتجاورة عن طريق الاختلافات المتدرّجة وليس المطلقة.

كما رأينا في الفصل السابق، يرتبط الزمان والمكان ارتباطاً وثيقاً بتباين اللغة، مع اختلافات جغرافية في اللغة يتم ضبطها روتينياً باختلافات زمنية. وتعكس الاختلافات الجغرافية اللغوية، في الشكل (9.1)، الانتشار الزمني لطريقة تغيّر نطق الحروف الساكنة الذي بدأ في جنوب المنطقة الألمانية العليا منذ ألف وخمسمئة عام. لقد انتشر في المنطقة الوسطى مع نمط لفظ 'ich/ machen/ das'، منتقلاً نحو الشمال وحل محلّ 'ik/ maken/ dorp/ dat'. فالتعايش بين طرق النطق المختلفة، في منطقة لها اللهجة ذاتها، والتحوّل في الكلمات المختلفة، يتحدى النظريات السائدة التي تعمل على قاعدة أن تغيير الصوت يتم بشكل ميكانيكي، وبدون استثناءات. في الواقع، لا يكون التغيير موحداً بالضرورة، لكن قد تتغير كلمات مختلفة في أوقات مختلفة. فالحالة الكلاسيكية لانتشار معجمي من هذا النوع هو انقسام لفظ الحرف /a/ القصير في الكثير من اللغات الإنكليزية الأمريكية، بحيث إنه في فيلادلفيا، يتم 'نصب' الحرف الصوتي 'a' في كلمة 'bad'، ولا يتم 'نصبه' في كلمة 'dad' يستنتج 'لابوف'، (ربع

كتابه لعام 1994 مخصص لهذا الموضوع)، أن النوعين كليهما من الحالات يحدثان: فالتغيير يحدث إما بشكلٍ منتظم، أو كلمة كلمة.



الشكل 9.1، الخطوط الحدودية للغة الألمانية الدُنيا، والعُليا.

علم اللّهجات الجديد

بالنسبة إلى علماء اللّسانيات الاجتماعيّة، قدمت الدراسات الاستقصائيّة، الخاصة باللّهجات، مقاييس قيّمة للوقت الحالي، يمكن من خلالها معايرة النتائج المعاصرة بحكمة (نتائج 'لابوف' في نيويورك، ونتائج ' ترودجيل' في نورويتش كمثال). لكن واجهت اللهجات التقليدية مشاكل كبيرة:

- لقد تجاوزت كميّة البيانات قدرة جامعيها على معالجتها. فقد كانت الدراسات الاستقصائيّة متداعية دوماً بتأثير بياناتها الذاتية، ومع حلول منتصف القرن العشرين، توقف العمل تماماً بهذا المجال.
- احتوت الخطوط الحدودية على الخريطة حدوداً واضحة، بين صيغ مختلفة، ومن ثم لهجات مميزة، لكنها كانت في الغالب مناطق انتقالية تتضمن خليطاً من الصيغ المُستخدمة (كما هو الحال في أجزاء من الشكل '9.1').
- بحث علماء اللهجات عن أشخاص يعتبرونهم من أكثر متحدّثي اللّهجات التقليديّة مصداقية، حيث يطلق عليهم اسم "NORMS": ذكور الريف العجائز، وغير المتنقّلين. إلا أن هذه بأخذ العينات، لا تمثّل نطاق التباين عبر المجتمع.
- كان هناك نطاق واسع من التباين وعدم الدقّة بين العاملين الميدانيين الذين اضطروا إلى عمل نسخ صوتية فورية للنطق.

التمرين 9.1: تفسير نمط 'Rhenish Fan – المروحة الراينية'

يوضح الشكل (9.1) التوزيع الجغرافي لطرق نطق مختلفة ليست كلمات ألمانية - أو بالأحرى، المتغيّرات الصوتية التي تجسّدها هذه الكلمات.

لكل كلمة نوعان من المتغيرات:

ik	[k]	ich	[ç]	‘I’	أنا
maken	[k]	machen	[x]	‘make/do’	افعل
dorp	[p]	dorf	[f]	‘village’	قرية
.dat	[t]	das	[s]	‘that/the’	ذلك/ ال
appel	[p]	apfel	[pf]	‘apple’	تفاح
pund	[p]	(p)fund	[(p)f]	‘pound’	قطعة نقدية

يمثّل العمودان الأيسران ما يعرف الآن بالمقياس الهولندي، وتمثّل الأعمدة الوسطى المقياس الألماني.

1. تفحّص أولاً أصوات المتغيرات، وصِفْ الفرق الوحيد الرئيس في اللفظ، بين الأعمدة اليسرى والوسطى.

2. استخدم هذا التباين لوصف الفرق بين الألمانية الدُنيا، في أعلى الخريطة، والألمانية العُليا في الأسفل: أيّ من اللفظين الاثنين تجده في كل منطقة، وما هو العدد؟

3. انظر إلى اللغة الألمانية الوسطى: قم بإدراج الألفاظ المختلفة، في اللهجة الشرقية وأحصِها. هل هي أكثر شبهاً بالألمانية الدنيا أو العليا؟

4. أدرج الألفاظ المختلفة، وأحصِها، في فروع الألمانية الوسطى الغربية - 'المروحة الراينية'. ما الذي يختلف بين لهجة وأخرى؟ قارن ذلك مع الألمانية الدُنيا والعُليا.

5. الآن، عممّ التوزيع الجغرافي الذي تظهره نتائجك في البنود السابقة، ولخّص النمط على جميع اللهجات.

6. ما الذي يخبرنا به التوزّع الجغرافي فيما يخصّ الانتشار التاريخي لهذا التغيير الصوتي؟

7. ما الذي يعنيه التغيير الصوتي بالضبط؟

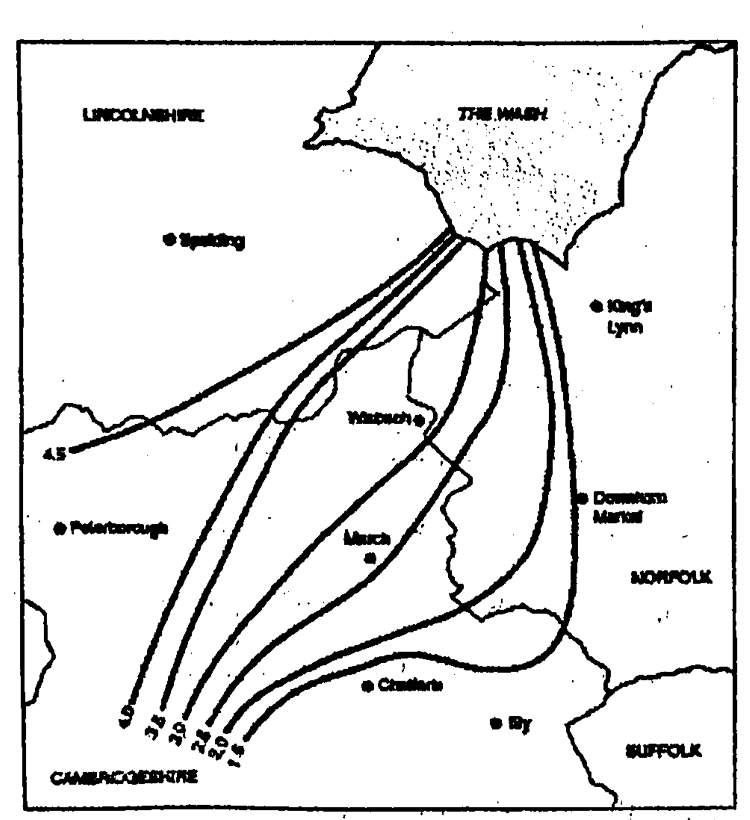
من حيث المبدأ، تم حلّ المسألة الأولى والأخيرة بالتقدم التكنولوجي. فقد أدّى ظهور تكنولوجيا التسجيل الصوتي المتنقّل إلى إلغاء التدوين الميدانيّ. وفي أواخر القرن العشرين، تغلبت الحوسبة أخيراً على مسألة تراكم البيانات، وأتاحت إمكانيات العرض والتحليل الاختصاصيين.

كتاب 'علم اللهجات' (1998) الذي أصدره 'تشامبرز' و'ترودجيل' للمرة الأولى عام (1980)، وضع الأساس لنظرية جديدة تستند إلى أساليب اللسانيات الاجتماعية ونتائجها الجديدة، كما تستند إلى اللهجات الجغرافية التقليدية. لقد قاما بإعادة تحليل الكثير من بيانات اللهجات الموجودة وعرضها، وخاصة اللهجات الأوروبية، بما في ذلك إظهار تدرّج الحدود التقليدية الرئيسة. فعلى سبيل المثال، لم يتم تقسيم لهجات إنكلترا الشمالية والجنوبية بخط حاد، بل عبر منطقة انتقالية واسعة عبر وسط البلاد، حيث تنتهي في الشرق، في منطقة 'واش' على بحر الشمال (الشكل 9.2).

توضح أبحاث 'ديفيد بريتن'، في موطنه 'فينز' أن المنطقة منطقة انتقالية من الناحية اللغوية، وأيضاً من الناحية المادية والتاريخية والاجتماعية والنفسية. وما كان من عقبة مادية للتواصل بين الشرق والغرب في هذا الجزء من إنجلترا - إنها مستنقعات، شبه مستعصية - تبقى عائقاً أساسياً حتى يومنا هذا. لقد بدأ تجفيفها في القرن السابع عشر، لكنه لم يكتمل حتى أوائل القرن العشرين، ولا تزال المنطقة قليلة السكان. ومن الناحية الإدارية، يتم تقسيمها إلى أربع مقاطعات، مع وجود مسافة قدم واحدة على كل جانب من جوانب الفجوة الثقافية الإنكليزية بين الشمال والجنوب. كما تركز وسائل النقل على الغرب باتجاه الغرب، والشرق باتجاه الشرق، مع قدرٍ

ضئيل من التنقل بينهما. إذ يجب على الطلاب، في المنطقة الانتقالية، أن يسافروا بعيداً عن الحدود، في اتجاهاتٍ معاكسة، للوصول إلى مدارسهم. كما يحمل الطرفان كلاهما صوراً نمطية سلبية عن الناس الذين يعيشون على الجانب الآخر.

وليس غريباً أن يكون هذا موقع جزء من الحدود والتحولات اللغوية. وتُظهِر الخريطة واحدة منها: كالتحوّل التدريجي لنطق الحرف الصوتي 'STRUT' من نمط [ʊ] في الشمال الغربي (أحرز درجة '5')، مروراً بالنمط 'intra-dialect'،[ɤ]، (أحرز درجة '3')، وانتهاء بالنمط [ʌ] في الشرق والجنوب (أحرز الدرجة '1'). في الشكل المذكور، تكون النهايات الفعلية هي '4.5' إلى '5'، مع وجود صيغ وسيطة منفصلة '0.5'. كما تتوافق المنطقة الانتقالية اللغوية، مع الحواجز الأخرى، وتعززها.



الشكل 9.2، انتقال اللّهجات في مستنقعات شرق أنجليا.
المصدر: بريتن (a2013)، الشكل 22.4.

9.2 صناعة المكان

لا يُعتبر المكان شيئاً مادياً وحسب، بل هو ذو طبيعة اجتماعية ونفسية أيضاً. ويحدد 'بريتن' ثلاث طرق نظرت فيها الجغرافيا البشرية إلى المكان (2010):

- ماديّة، هندسية، وقابلة للقياس. ما هي المسافة من باريس إلى برلين؟
- اجتماعية: النظر إلى المكان كشيء تم تحديده والتلاعب به وبناؤه وتنظيمه وإضفاء طابع مؤسساتي عليه من قِبَلِ البشر. كقيادة يوم كامل، أو ساعة طيران؟
- نفسيّة: كيف نتصوّر الأماكن المادية والاجتماعية ونفسّرها. كيف يكون ردّ فعلنا نحو البلد المتدخل، ونحو مناظر المدينة، ونحو الفرق بين فرنسا وألمانيا؟

تقوم هذه الأبعاد بتحديد 'المكانيّة'. فقد تكون المنطقة الجغرافية مقيدة بالحدود المادية، كالمحيطات والجبال والصحارى، لكنها تعكس أيضاً استجابة ساكنيها وبصمتهم الخاصة، بما في ذلك الناحية اللغوية. كما يتم تنظيم المساحات سياسياً، وتقسيمها إلى دول قد تفرض مصطلحات مميزة على الكيانات المتشابهة لغوياً – النرويجية، مقابل الدنماركية. كما أن المساحة تتشكّل إدراكياً، وتتشكل مادياً واجتماعياً. وقد يكون السكان كلهم، والأجانب أيضاً، على دراية بما يميّز المنطقة وشعبها. وغالباً ما يتم تذكّر هذه المفاهيم عبر مصطلحات ذات أساس جغرافي - 'فتيات الوادي - Valley girls'، 'الأرض المكتشفة - Newfies'، 'الغربية - westies' - ولديها مغزى لساني اجتماعي.

- كتمرين، ابحث عن معاني المصطلحات الثلاثة الواردة أعلاه، وأدرج مصطلحات مماثلة أخرى تعرفها.

الأعمال الروتينيّة، والتفاعلات

إحدى الطرق الرئيسة التي يتصل بها الناس مع المكان، هي الأعمال الروتينيّة اليومية التي تتبع الأنماط الجغرافية المتكررة - بالنسبة إلى الطبقة الوسطى الغربية، تشكّل الأعمال الروتينية الذهاب للعمل، والتسوّق في نهاية الأسبوع، الزيارات الشهرية إلى مصفف الشعر، العطلات السنوية إلى مكان مشمس. يشكّل هذا الروتين جزءاً أساسيّاً من طبيعة حياة الفرد والمجتمع (’جيدنز’، 1984). فنحن نخترق المسارات من خلال الأماكن التي تحيط بنا. وهذه المسارات التي جمعها مئات أو ألوف، أو ملايين الأشخاص، تحدد شكل المناطق التي نعيش فيها. كما أنها تنتج أيضاً تفاعلاتنا اليومية المتكررة مع زملاء العمل، أو موظفي المتاجر، أو أعضاء النادي الرياضي. ويشكّل النقاش أمراً محورياً في هذه اللقاءات، ويوفّر الكثير من المواد التي يدرسها علماء اللّسانيات الاجتماعية — يتضمّن كل نظام تفاعل خاص بـ ’غوفمان’، واللسانيات الاجتماعية التفاعلية الخاصة بـ ’غامبرز’ (الفصل السادس)، جانباً مكانياً أساسياً. كما يشكّل روتين الحياة اليومي أيضاً مكوّناً أساسياً في الشبكات الاجتماعية، وخاصة مجتمعات الممارسة (الفصل الثامن).

قد يكون للمجموعات الاجتماعية المختلفة، جغرافيات مختلفة في المنطقة ذاتها (’بريتن’، 2010). وغالباً ما يكون هناك انعكاس مكاني للاختلافات، العرقية والطبقية والجندرية، التي ناقشناها في الفصل السابع. وقد تكون النساء مقيّدات أكثر من الرجال، بمسألة التنقّل في منطقة حضرية (أو على العكس، في سبعينات القرن العشرين، في بلفاست). وفي المدن الداخلية المقسّمة المعزولة بشكل كبير في الولايات المتحدة، يتجنّب الناس عبور الحدود إلى مناطق عيش

الطبقات والأعراق الأخرى، ولهذا الأمر تداعياته اللغوية (تذكّر فرضية 'لابوف' للعاميّة المتباينة للسود/ والبيض، الفصل 7.4). وكما يقول 'بريتن' (2013)، فإن التقارب لا يحتاج إلى علاقات متوازنة: فقد تم بناء مجمّع سكني، إلى جانب بلدة مزدهرة في شمال إنجلترا. يعيش المجتمعان حياة مستقلّة متلاصقة، لكن طرق لفظهما للاحقة 'ing' متعاكسة ومتناقضة – إنتاج غير قياسي للاحقة 'in' يقل عن نسبة عشرة بالمئة في البلدة المزدهرة، ويقترب من نسبة تسعين بالمئة في المجمّع. ومع ذلك، فهم يتشاركون المدرسة ذاتها في المرحلة الثانوية، وتقل الفجوة في لفظ اللاحقة 'ing' بالنسبة إلى هذه الفئة العمرية فقط. إذ يرتفع لفظ 'in' في البلدة المزدهرة إلى ثلاثين بالمئة، بينما ينخفض لفظها بين سكان المجمّع إلى خمسة وثمانين بالمئة.

الريفيّ والحضريّ

كان علم اللهجات التقليدي ريفياً بشكلٍ أساسي، كما كانت أول دراسة كبيرة 'للابوف' ريفيّة أيضاً - تغيير الحرف الصوتي في مارثا فينيارد (انظر التمرين 8.3)، مستخدماً بيانات أطلس اللهجات في ثلاثينات القرن العشرين كقاعدة للدراسة. غالباً ما يعني عزل المناطق الريفية، بالمياه أو الجبال، أن هناك مكاناً يحافظ على لهجة مميزة تتضمن عادة بعض الصيغ اللغوية التي لم تعد مُستخدمة في مكان آخر. وقد قام 'والت ولفريم' وزملاؤه بدراسة لهجات المجتمعات المعزولة، في جنوب شرق الولايات المتحدة، منذ تسعينات القرن العشرين، انظر المثال (9.1). غير أنه، بعد عمل 'لابوف' في مدينة نيويورك، قامت معظم البحوث المتطورة المتعلّقة بتباين اللغة، بالتركيز بشدّة على المدن، وخاصة التغيير الاجتماعي الحضري. وقد كان للهجرة من المناطق الريفية، وتنقّلات السكان داخل المدن،

الناجمة عن التطوير أو التحسين، آثار على اللغات المحلّية الحضرية. وعندما أعادت 'بيكر' (2009)، دراسة الجزء الشرقي الأدنى من نيويورك، بعد أربعة عقود من دراسة 'لابوف'، وجدت منطقة اجتماعية مختلفة للغاية، ولكن أظهر السكان المحلّيون، على المدى الطويل، تجنباً مستمراً واستراتيجياً، لنطق الحرف 'r'، بغية إنشاء هوية خاصة بهم، تتبع لهذا المكان.

التمرين 9.2: اللّسانيات الجيولوجيّة لمنطقتك

1- فكّر بالانقسامات الجغرافية في بلدك، أو منطقتك، أو مدينتك. إلى أي مدى تعدّ ذات طبيعة ماديّة؟ - تم إنشاؤها بواسطة الحواجز الطبيعية، كالأنهار مثلاً.

2- ما هو الروتين الرئيسي للتواصل والسفر، داخل المناطق المختلفة وبينها؟ ما نوع التفاعلات التي يروّج لها؟

3- كيف ترتبط الأنماط الاجتماعية بالحدود المادية؟ هل تميل إلى اتّباعها، أو تجاوزها؟ ولماذا؟ وهل للمجموعات الفرعية المختلفة – الأعراق والطبقات والأعمار والجنسين - جغرافيّتها المختلفة الخاصة؟

4- هل تؤدّي الاختلافات الاجتماعية إلى إنتاج حدود نفسيّة؟ هل يعتبر الناس أنفسهم، ومناطقهم، أشياء مميزة؟ والمناطق الأخرى مختلفة؟

5- كيف ينعكس هذا على اللغة؟ بالكلمات أو بالنطق المختلف؟ أو حتى بلغات مختلفة؟

6- هل تعمل الاختلافات اللغوية بنشاط على بناء اختلافات اجتماعية ثقافية؟ أو على إعادة إنتاجها؟

7- هل هناك صور نمطية لغوية معروفة، مرتبطة بمناطق مختلفة؟

منهج مختلف تماماً للغة الحضرية من الناحية اللسانية الاجتماعية، كان من خلال دراسة المشهد اللغوي. إنها اللغة التي نراها في كل مكان عندما نتحرّك في مكان ما - أسماء الشوارع، واجهات المحلات، اللوحات الإعلانية والكتابة على الجدران. وقد ركّزت أبحاث المشهد اللغوي على المناطق الحضرية متعددة اللغات، حيث يرمز اختيار اللغة إلى المكانة النسبية للغات في المرجع المحلي.

بحثت الدراسة الأولى التي أجراها 'لاندري' و'بورهيس' (1997) موضوع مساهمة المشهد اللغوي في الحيوية الإثنية اللغوية (الفصل الثاني)، في اللغة الفرنسية في كندا. غالباً ما يُثبَت وجود فرق بين اللافتات العامة والخاصة، مع خيارات السلطات العامة التي تعكس السياسات اللغوية الرسمية، بينما تستخدمُ لافتات المحلات وشعاراتها لغة تناسب المارّة. وتكون العولمة عادة هي موضوع الخلاف، ولاسيما وجود اللغة الإنكليزية في بلدان مثل تايلاند أو اليابان ('غورتر'، 2006). وتشكّل خيارات اللغة ذاتها جزءاً من بناء المكان العام، بتفاعلها مع المظهر المرئي للافتات، لتشكيل ما يسميّه 'جاورسكي' و'ثورلو' 'المشهد السيميائي' (2010). إن نشاط البحث في الفصل (9.7) هو مشروع المشهد اللغوي.

المثال 9.1: اللسانيات الاجتماعية للعزل

يجد الأمريكيون الشماليون أن لغة 'الأوكراكوك' الإنكليزية مختلفة عن كل ما سمعوا به في البرّ الرئيسي. وتعد الجزيرة واحدة من الضفاف الخارجية لكارولينا الشمالية، وتشكّل سلسلة من الرواسب المنخفضة التي تبعد حوالي عشرين ميلاً عن البر الرئيسي في المحيط الأطلسي. لقد جاء سكان 'أوكراكوك' إلى هذا المكان في القرن الثامن

عشر، قادمين من إيرلندا وجنوب غرب إنكلترا، وكانوا، حتى وقت قريب جداً، منفصلين عن بقية الولايات المتحدة.

تُعتبر السمة الرمزيّة 'للهجة الإيرلندية' في 'أوكراكوك'، في نطق كلمات مثل 'price' مع إدغام ونصب وإخراج من باطن الفم، مما أعطى سكان الجزيرة لقبهم المعروف بـ 'Hoi Toiders' ('ولفريم' و'شيلنغ إستس'، **1995**، **1997**). ويظهر هذا النطق التقليدي بشكل واضح بين مجموعة مترابطة من الرجال في منتصف العمر - 'لاعبي البوكر'. إذ يقوم أحدهم، وهو 'ريكس أونيل'، بأداء تعبير خاص لعرض هذه اللهجة:

مدّ مرتفع على 'الجانب البحري المفتوح - sound side'، 'سطع الماء في الليلة الماضية - last night the water fire'، و'القمر يلمع - moon shine' هذه الليلة. لا يوجد أسماك. ما هي المشكلة برأيك يا عم 'وودز'؟

الجانب البحري المفتوح: الجانب الغربي من الجزيرة، المقابلة للبرّ الرئيسي، على خليج بمليكو ساوند.

سطع الماء: يلمع الفوسفور في الماء مما يعيق الرؤية والصيد.

القمر يلمع: ينعكس ضوء القمر على المياه.

العم 'وودز': ربّما يكون أحد أسلاف الراوي.

يركز المقطع على العديد من رموز الحرف الصوتي البارز 'PRICE' بالإضافة إلى سمات أخرى للغة 'أوكراكوك'. ويبيّن تحليل 'ناتالي شيلنغ - إستس' لأداء 'ريكس'، أنه يُبالغ في نطق الحرف الصوتي بغية إظهار اللهجة بطريقة أكثر تميّزاً. راجع القسم (**9.5**) للاطلاع على السبب.

قبل سقوط جدار برلين عام (**1990**)، كان 'برينزلاور بيرغ' حيّاً مهدّماً في الجهة الشرقية، وكان يشكّل موطناً للطلاب والنزلاء

والمعارضين. وسرعان ما تم تطوير منطقة 'ونسبليك'، التي أُعيد توحيدها، مما أدى إلى ارتفاع الإيجارات، وتشريد السكان الفقراء. وفي غضون عامٍ واحد من إعادة التوحيد، كانت واجهات المحلات، التي تحمل لافتات وصفية بسيطة، مثل 'Fleischerei - جزّار'، تُفسح المجال للمقاهي والمعارض والمحلات. ثمّ ظهرت الإنكليزية، لا سيّما متجر ملابس نسائي يحمل اسم 'لا جوارب، لا سراويل - No panties, No socks'.

لقد درس 'يوتي بابن' (2012) المشهد اللغوي في 'برنزلاور بيرغ'، حيث قام بتصوير اللافتات، والعبارات الموجودة على الجدران، وإجراء مقابلات مع أصحاب المحلات: إذ تُهيمن على المنطقة الآن لافتات ملوّنة في كثير من الأحيان، لكن تُظهر العبارات على الجدران أن المساحة مُتنازع عليها بين السكان القدامى والجدد. فعبارة 'Wir bleiben alle- نحن جميعاً باقون'، كانت موجودة على الجدار بوصفها شعاراً لمقاومة التحسين، لمدة عشرين عاماً. كما أن علامات مثل 'Schwabe raus - السوبيان خارجاً' (الشكل 9.3)، موجّهة للمهاجرين المتدفّقين بشكل واضح من جنوب غرب ألمانيا. وهي تظهر (مع الأحرف الأولى لمن كتبها) عند مدخل 'مطعم آسيوي' تجمع لافتته الخاصة اللغات الإنكليزية والفرنسية لتقديم 'أطباق آسيوية'.

في الفضاء العام، تنعكس التغيّرات وتتجسّد في تغيير المشهد اللغوي. لقد أصبح تطوّر المدن الداخلية عملية حضريّة شائعة، مع أن تدمير برلين وتقسيمها وإعادة توحيدها قد قدّم لها تاريخاً حديثاً وفريداً وهائلاً. وتشكّل البيئة التخطيطية للافتات، والكتابة على الجدران، وفن الشوارع طابع الحيّ الذي توجد فيه، ويتم الإعلان عنها الآن بوصفها جزءاً من معالم الجذب السياحي في برلين.



الشكل 9.3، البيئة اللّغوية لبرلين.
المصدر: بابين (2012)، الشكل 5.

9.3 التواصل بين اللّهجات

تناول الفصل السابق التغيير كشيء يحدث داخل مجتمعات الكلام. وينتقل هذا القسم إلى التواصل بين اللهجات، ويبحث كيف تصدر التغيرات اللغوية عن انتقال البشر بين المجتمعات. هذا هو البعد الجغرافي للتغيير اللغوي، أو على العكس، البعد التاريخي، أو الزمني للموقع اللغوي. وعلى غرار تواصل اللغات في الفصل الثالث، يكون تواصل اللهجات، إلى حد كبير، نتيجة للانتقال بين المجتمعات. وكما أن أهم النتائج الجذرية للتواصل بين اللغات هو موت لغة أو

ولادة لغة (الفصل الرابع)، فقد تكون أهم نتائج تواصل اللهجات هو موت لهجة أو ولادة لهجة.

التنقّل

اختار كل من علم اللهجات التقليدي، وعلم دراسة التباين، الناس المتحدثين العاديين بسبب عدم تنقّلهم، مفترضين أن ذلك يمثّل عدم وجود تلوّث ناتج عن مؤثرات لغوية خارجية. وعادة ما يُستبعد من العيّنات اللغوية الاجتماعية الأشخاص الذين جاؤوا إلى منطقة ما بعد مرحلة الطفولة. وهناك أدلّة على ذلك: الأطفال الذين يهاجرون إلى فيلادلفيا قبل سن الثامنة، يبدون وكأنهم 'فيلاديلفيين' بالأصل، لكن الأطفال المحليين فقط، والذين وُلِدَ آباؤهم في المنطقة أيضاً، أثبتوا أنهم تعلّموا التكيّف المناسب مع نطق الحرف الصوتي /æ/ ('بايني'، **1980**). ولكن مع زيادة التنقّل، كقاعدة وليس كاستثناء، يستمرّ المتحدثون في الانتقال من الريف إلى المدينة، ومن مدينةٍ إلى أخرى، وبين المناطق، وبين الدول. كما أن عمليات تطوير الضواحي وتوسيعها تساعد في تغيير الأماكن والمناطق والمتحدثين، والكلام الدائر بينهم. يستهدف علماء اللّسانيات الاجتماعية الآن، المتنقّلين ولغتهم.

أصبح التنقل أيضاً أمراً محورياً للكثير من عمليات التنظير الاجتماعي ('أوري'، **2007**، على سبيل المثال) إذ كان التفاعل سمة رئيسة له. في الماضي، وفي كثير من الأحيان، كان التنقّل يعني مغادرة المنزل نهائياً، وانتقالاً دائماً إلى مكان بعيد دون عودة. لكن قد ينتقل مهاجر القرن الحادي والعشرين، ذهاباً وإياباً، بشكل منتظم، بين البلد الجديد والبلد القديم. فيشكّل هذا نوعاً مختلفاً من التنقّل، الذي تم تحويله إلى أنماط حياة، أكثر من كونه حدثاً منفصلاً - راجع مفهوم 'ثورلو، وجاورسكي'، حول 'العولمة المبتذلة' (**2010**). وقد يكون له نتائج لغوية مختلفة.

إن التنقّل بإفراط هو نتيجة للعولمة، ولهذا التدفق الواسع للتطوّرات، الذي أثّر بشكل متزايد في جميع الشعوب في أواخر القرن العشرين. وقد أصبحت اللسانيات الاجتماعية للعولمة مجالاً رئيساً متنوعاً للأبحاث الاجتماعية اللغوية التي تُنتج مراجعات عامة، وكتيّبات خاصة بها (بلومرت، **2010**؛ كوبلاند، **2010**). وتمتدّ الدراسات عبر سلسلة من الظواهر اللغوية، بدءاً بالانتشار العالمي لسمات لغوية محددة كالعبارة الاقتباسية 'be like' (بكستلر ودارسي، **2009**)، إلى الخطابات العامة للعولمة (فيركلو، **2006**)، إلى الدور الدولي الذي تحتله اللغة الإنكليزية في كوريا ومهاجريها (لو وبارك، **2012**). انظر التمرين (**9.4**).

التمرين 9.3: تنقّل اللهجة في منطقتك

يبدو أحيانا وكأن العالمَ كلّه يتحرك: المتقاعدين في وقت مبكّر، الطلّاب الأجانب، الإرهابيين، المُغتربين، المستجمّين، رجال الأعمال، العبيد، نجوم الرياضة، طالبي اللجوء، اللاجئين، الرحّالة، المسافرين، المهنيين الشباب المتنقلين، العاهرات... إن مجال السفر هذا هائل. (أوري، **2007**)

1- من هم المتنقّلون، هل يؤثر التنقّل في جميع الدول والمناطق وقطّاعات المجتمع بالتساوي؟

2- فكّر في أنماط التنقل داخل منطقتك أو بلدك، وخارجها. ما هو حجم التنقّل اليومي؟ أو غيره من التنقّلات المنتظمة التي تحدث على مراحلٍ زمنية أطول، مثل العطلات؟ هل تجلب هذه التنقّلات لغات مختلفة أو لهجات مختلفة للتواصل؟

3- هل كان هناك انتقال واسع النطاق إلى المنطقة أو منها؟ ما هي اللغات أو اللهجات التي تم التواصل معها؟ ما الذي ترتّب على ذلك؟

4- ما هي اللهجات غير المحلّية، أو غير الأصلية، التي تسمعها في منطقتك؟ أي نوع من الناس هم المتحدثون؟ (راجع قائمة 'أوري' أعلاه).

5- ادرس واحدة أو أكثر من هذه المجموعات بعمق، كالرحّالة مثلاً أو رجال الأعمال: هل يتفاعلون كثيراً مع السكان المحليين؟ في أي حالات؟ هل يواجه أحد الأطراف صعوبةً في فهم الآخر؟

6- هل تؤثر إحدى اللهجات في أخرى؟ هل يتبنّى الطلاب الأجانب، أصحاب النبرات غير الأصلية، سمات محليّة؟

7- فكّر في القضايا ذاتها، من ناحية انتقال السكان المحليين إلى الخارج.

التمرين 9.4: اللغة والعولمة

راجع 'كوبلاند' (2010)، للحصول على مجموعة واسعة من الدراسات والآراء، حول اللغة والعولمة التي تغطي تعدد اللغات، ولغات العالم، والخطابات العالمية، والأنواع الأدبيّة، والأسواق والهويات؛ إذ تُعتبر شبكة الأنترنت إحدى النواقل الأساسية للعولمة، ويعتمد هذا التمرين على إمكانية وصوله إلى البيانات اللغوية المتفرقة، على نطاقٍ واسع. فهناك ثلاث دراسات محتملة مدرجة هنا، لكن يمكنك أيضاً إيجاد عيّنةٍ وطنيةٍ خاصةٍ بك.

- ابحث عن إعلانات عبر الأنترنت، من لغات أو لهجات مختلفة، في جميع أنحاء العالم، للمنتجات ذاتها أو منتجات متشابهة، كالسيارات مثلاً (فورد، بي إم دبليو، جاكوار)، أو أجهزة كهربائية (دي لونغي، براون، مايتاغ)، أو العلامات التجارية الاستهلاكية الضخمة مثل 'ناكي'، 'لويس فويتون'، 'غوتشي'.
- اعثر على القصص الإخبارية ذاتها، أو القصص المتشابهة، كما تم نشرها في صحف الأنترنت، في بلدان مختلفة، سواء أكانت بلغة واحدة أم بلغات مختلفة.

• استخدم مقاطع الفيديو الموجودة على الأنترنت، لمقدّمي برامج التلفاز، من مختلف المناطق أو الدول، لمقارنة نبرات اللغة الإنكليزية، أو لغة عالمية أخرى، مثل الإسبانية، أو البرتغالية، أو الفرنسية، أو العربية، أو الصينية.

في كل حالة من الحالات السابقة، قم بتحليل سمات اللغة ومقارنتها، أو سمات الخطاب، في المواد التي قمت بجمعها. ثم حدّد أوجه التشابه والاختلاف فيما بينها وفقاً للمنتج والنوع واللغة والموقف وما إلى ذلك. وحاول أن ترصد الفروق - وأوجه التشابه. ما الذي يخبرك به هذا، عن الخصائص العالمية، والمحلّية، لهذه الأنواع؟ وعن العولمة، وتوطين اللغة؟

نشر التغيير اللغوي

يقوم المتحدثون المتنقلون بنشر التغيير اللغوي. فانتشار التوسّع يضع المتحدثين ذوي اللهجة الواحدة، في حال تواصل يومي مع متحدثين بلهجة أخرى خلال تنقّلهم اليومي. وتنتقل التغييرات من أحد المتحدّثين الذين تبنّوا الابتكار الجديد، إلى شخص آخر يتبعه. وفي أثناء انتشار التنقّل، تقوم مجموعات المتحدثين بتغيير أماكن الإقامة إلى مناطق ذات لهجة أخرى، مما يضع اللهجتين في حالة مواجهة إحداهما مع الأخرى. كما تحدث الحالة الأكثر تطرفاً، عندما يكون جميع السكان مهاجرين مثل حالة إنشاء مدينة جديدة في بريطانيا، أو الاستعمار الشامل لأرض جديدة مثل كندا. بين حالتي 'التوسّع' و'انتشار التنقّل' هناك حالة من التنقلات الوسطى، كما يحدث عندما ينتقل شخص واحد إلى منطقة ذات لهجة أخرى.

طوّر علماء اللّسانيات الاجتماعية، نموذجين رئيسين لشرح انتشار التوسع. وصوّر كلاهما التغيير على أنه ينتقل مثل الماء. إذ يرى نموذج الموجة ('تشارليز-جيمس بايلي'، 1973)، الابتكارات اللغوية على أنها

تنتشر من نقطة مركزية، مثل التموّجات التي تصدر عن سقوط حجر في بركة ماء. وهذا يعني وجود علاقة مباشرة، بين المسافة القابلة للقياس، من المركز إلى المكان، والوقت الذي يستغرقه التغيير للوصول إليها. وتتأثر المواقع القريبة بالتغيير قبل المناطق البعيدة. وقد أشارت دراسة 'ترودجيل' (1986) للتغييرات في الحرف الصوتي 'STRUT' في 'شرق أنجليا'، إلى وجود زيادة في انتشار طريقة النطق هذه في حركة تشبه الموجة، ومركزها لندن.

ومع ذلك، انتشر حذف حرف 'h' من لندن، إلى اللهجات التقليدية التي كانت تحافظ على لفظه في شرق أنجليا، بنمط متتالٍ. ويُعتبر هذا النموذج الأكثر شيوعاً، ويرى أن التغييرات تتدفق عبر تسلسل هرمي حضري - من مدينة كبيرة، إلى مدينة أصغر، إلى بلدة، إلى قرية، إلى الريف. ولا يزال يُنظر إلى التغييرات على أنها تنتشر من المراكز الرئيسة، مثل بكين، أو مكسيكو سيتي، لكن بدلاً من الدوران بانتظام ضمن المسافة المتداخلة، فإنها تصل إلى مستوطنات أكبر أولاً، ثم إلى مستوطنات أصغر، ثم تنتشر في المناطق الريفية المجاورة. وهكذا، سيؤثر التغيير في المناطق الريفية القريبة من المركز، في وقت متأخر عن المناطق الحضرية البعيدة. فالافتراض السائد خلف هذا النموذج هو أن التغيرات اللغوية تتبع طرق النقل الرئيسة التي تجعل الناس في حالة تواصل أحدهم مع الآخر، بما يتفق مع وجهة النظر التي تحملها التغييرات، عبر روابط شبكات اجتماعية ضعيفة (الفصل 8.6). في 'مورسيا'، في جنوب شرق إسبانيا، انتشرت طريقة النطق القشتالية الموحدة لنطق الحرف 'd' الواقع بين الحروف الصوتية (كما في حالة اسم المفعول)، بشكل تدريجي، من العاصمة إلى مراكز أصغر يصعب الوصول إليها ('هيرنانديز-كامبوي'، 2003). وفي السياق الأوسع

للعولمة، يعكس الانتشار المتسلسل القوة النسبيّة، بين المركز والمحيط، على المستوى العالمي ('بلومرت'، 2010).

التمرين 9.2: انتشار التغيير في اللغة الدانماركية

كوبنهاغن هي المركز التقليدي للابتكار اللغوي في اللغة الدانماركية؛ إذ ينتشر التغيير من لهجة الطبقة الدنيا في كوبنهاغن إلى لهجة الطبقة الراقية في المدينة، ثم إلى باقي مدن الدانمارك. فقد كان مشروع 'لانشرت – LANCHART' – 'تغيّر اللغة في الوقت الحقيقي' – يتتبع أثر التحولات في اللغة الدانماركية منذ سبعينات القرن العشرين ('مايغارد'، 2013). دراستان من دراسات المتغيّرات هما:

- استخدام ضمير المخاطب 'du'، بمعنى 'you - أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم' كضمير عام بدلاً من أن يكون ضمير 'المذكّر' أو ضمير 'en'، أي 'one - المفرد'.
- نصب الحرف الصوتي 'a' إلى مستوى [£].

وجد الباحثون أن هذه الأشكال انتشرت بشكل كبير عبر ثلاث مستوطنات غرب كوبنهاغن بين عامي (1970 - 1980)، ثم بدأت بالتراجع مجدداً إلى كوبنهاغن مع مطلع القرن الحادي والعشرين. إن عمليتي تدفّق الابتكار وانحساره كلتيهما، وارتداداتهما كانت القيادة فيها لكوبنهاغن. ولسوء الحظ، لم تستطع الدراسة أن تميز ما إذا كان هناك حركة موجية أو تسلسلية. أي إن زيادة المسافة وانخفاض كمية الاستقرار تسيران على التوازي، لهذا فمن المستحيل معرفة تأثير كل منهما بشكل منفصل. فسيطرة كوبنهاغن ليست بالأمر المُستغرب؛ إذ يسكنها مليونا نسمة، مقارنة بالبلدات القريبة التي يتراوح عدد سكانها بين ثلاثة آلاف وخمسين ألف نسمة.

وعلى غير العادة، أقام المشروع عملية استطلاع موازية للمواقف اللغوية التي تدعم النتائج، فكانت التقييمات، بشكل عام، إيجابية

نحو الخطاب في كوبنهاغن، وسلبية نحو الأشكال المحلية. وكنتيجة نهائية، اختفت اللهجات التقليدية كلها تقريباً من مناطق كثيرة.

النقد الذي تم توجيهه إلى نموذجي الموجة والتسلسل هو أنها ميكانيكية، وغير مكترثة بشكل كبير، بالعوامل الاجتماعية كموقع مراكز التسوق، ولا بالعوامل الإدراكية كالصور النمطية عن المنطقة: إذ يمكن في بعض الأحيان أن يتحرك التغيير بشكل غير مركزي، من الريف إلى المدينة، معارضاً للتدفّق المتوقع - أي 'بعكس التيار' إذا أعدنا التشبيه بالمياه.

لا يمكن، بالضرورة، أن يكون هناك إمكانية للتنبؤ بالنتائج اللغوية للانتشار. فقد يتغيّر الصوت المتغير بحد ذاته في أثناء الانتشار. وقد تكون النتيجة، من الناحية اللغوية، وسطية بين الألفاظ الواردة والألفاظ المحلية، أو حتى مجرّد اختلاف صوتي وليس ما بينهما. وقد يعارضُ بعض المتحدثين تغييراً وارداً عبر تبنّي صيغة محلية، بشكل مُبالغ فيه (كما فعل 'ريكس أونيل'، في لغة 'أوكراكوك'، وصيادو السمك في مارثا فينيارد).

التمرين 9.5: وسائل الإعلام، وانتشار تغيير اللغة

هل تؤثر وسائل الإعلام في تغيير اللغة؟ لقد عارض معظم علماء اللّسانيّات الاجتماعية هذه الفكرة بشدّة. وتُعتبر وجهة نظر 'ترودجيل' نموذجية في هذا الموضوع (1986).

لا تعدّ وسائل الإعلام الإلكترونية فعّالة جداً في نشر الابتكارات اللغوية على الرغم من جميع المفاهيم المعاكسة المنتشرة على نطاق واسع. ففكرة التلفاز هي أن الناس، مهما كان ما يشاهدونه ويستمعون إليه، فإنهم لا يتحدثون معه (ولن يستطيع التلفاز سماعهم حتى لو فعلوا ذلك!).

حتى إذا وافق المشككون، من علماء اللسانيات الاجتماعية، على فكرة أن وسائل الإعلام قد تنشر كلمات أو ألفاظاً معيّنة، لكنهم يعتقدون أيضاً أن التغيير الصوتي العام يفترض وجود تواصل مباشر بين الأشخاص. ومع ذلك، قامت الفرضية على فقدان دور وسائل الإعلام بدلاً من البحث عنه، علماً أنه من الصعب جداً دراسة هذا الدور حتى إذا كان موجوداً؛ إذ يتمثّل البحث الرئيس الوحيد لمعالجة هذه المسألة، بشكل مباشر، في دراسة 'جين - ستيوارت سميث' (2011) لما يسمى لهجة 'الجوكني' في 'غلاسكو'. ووجدت أن انتشار النطق الساكن، ذي الأساس اللندني، مثل لفظ حرف 'إف - F' بدلاً من 'ذا - th' أي كلمة 'فينغ - fing' بدلاً من 'ثينغ - thing'، يرتبط ارتباطاً وثيقاً باهتمام المتحدث بالمسلسل التلفزيوني 'إست إندرز'.

- حدد حجج 'ستيورات - سميث' وقيّمها. هل هي كافية للتغلب على الافتراض الاجتماعي اللغوي الراسخ، القائل بعدم وجود تأثير لوسائل الإعلام؟
- كما أن وسائل الإعلام مسؤولة أيضاً عن تعميم الخطابات، ونماذج المقاييس اللغويّة - والمقاييس المعارضة. كتب 'كوبلاند' و'كريستيان' (2011): "إن تأثير وسائل الإعلام في الحياة الاجتماعية... [هو] تغيير مصطلحات تفاعلنا مع اللغة". ناقش هذا التصريح، وقيّم ما إذا كان لهذه التأثيرات الأوسع دور بتغيير اللغة.
- يُعتبر التواصل وجهاً لوجه، مجرّد نمط واحد للتواصل المعاصر بين الأشخاص. فقد أصبحت وسائل الإعلام الرقمية التفاعلية مندمجة جداً في حياتنا اليومية - كالرسائل النصية، الرسائل الفورية، وسائل التواصل الاجتماعية. هل تعتقد أن ذلك يشكل تغييراً جوهرياً في كيفية تواصل أحدنا مع الآخر؟ هل يمكن أن تكون هذه الوسائط الآن طريقة لانتقال التغيير اللغوي؟

9.4 ولادة اللّهجة

عندما ينتقل أفراد، أو مجموعات من المهاجرين، إلى منطقة ذات لهجة أخرى، فإن أحفادهم يتبنّون، وبشكل كامل، النوع المحلّي، تماماً كما يتحوّل المهاجرون الذين يتكلمون لغة أخرى إلى اللغة السائدة حولهم (انظر الفصل '7.3'). فإذا هاجر المتحدثون البرتغاليون من أوروبا إلى البرازيل، فإن أطفالهم سيتحدثون في المستقبل كالبرازيليين وليس كالبرتغاليين. وفي حالة الهجرة الجماعية، يمكن أن تكون العاقبة أشدّ.

اللّهجات الأوروبيّة، متعددة الثقافات

على مدى العقود الأخيرة، انتقل عدد كبير من المهاجرين، إلى مدن أوروبا الداخلية، قادمين من بلدان (المستعمرات السابقة في الغالب) لا يتم التحدث فيها باللغات الأوروبية للبلد المضيف. والكثير من هذه المدن لديها تاريخ طويل من الهجرة، وأكثرها لندن، حيث يكون عدد المهاجرين، على مرّ القرون، يفوق عدد المولودين محلياً. والآن، في بعض أحياء لندن الداخلية، يشكّل المتحدثون باللغة الإنكليزية القومية أقليّة، بينما تتكون الأغلبية من عائلات مهاجرة تتحدث مجموعة كبرى من اللغات - واللغة الإنكليزية هي اللغة الثانية.

يؤدي هذا النوع من الديموغرافيا إلى نتائج محلية جوهرية على لغة البلد المضيف؛ إذ يبتعد أطفال العائلات المُهاجرة بسرعة عن لغة الوالدين الأولى، وعن أنواع اللغة الإنكليزية الإثنية الخاصة بالجيل الأول، والتي كانت نتيجة للتواصل اللغوي. كما يقوم الأطفال بتنسيق لغتهم الإنكليزية على أساس اللغة الثانية الشائعة حولهم، في سيناريو تواصل متعدد اللهجات. ويصعب، في هذه الحالة، وصف أي شيء بأنه 'صنف مُستهدف' لأن ما يكون موجوداً

عبارة عن مجموعة من السمات اللغوية المتغيّرة، والمؤقّتة. وتكون النتيجة نبرات 'متعددة الأعراق'.

في بحث 'اللغة الإنكليزية التعددية' (MLE)، أجرى 'تشيشر' وآخرون (2011) مقابلات مع مئتين وخمسين شخصاً – إنكليز بشكل أساسي (أبيض، مولود في بريطانيا)، أسود كاريبي/ أفريقي، وتركي/ كردي، وأعراق مختلطة. ووجد أن 'اللغة الإنكليزية التعددية' بدأت في ثمانينات القرن العشرين في لندن. وتتشابه إدغامات المتحدثين الحاليين، غير الإنكليز، مع اللهجة العاميّة في ثمانينات القرن العشرين داخل لندن، والتي جمعت السمات الإنكليزية الجامايكية البارزة، على قاعدة لغوية لندنية. وغالباً ما ينظر الغرباء إلى المتحدثين بهذه اللغة على أنهم 'سود'، مع أن ذلك قائم جزئياً فقط في الواقع – يتكهّن المؤلفون بأن لهذا الأمر علاقة أيضاً ببروز الثقافة السوداء. ويتشابه وضع التواصل المتطرّف جداً، مع نوع اكتساب المجموعة للغة ثانية تؤدي إلى إنتاج اللغات المبسّطة ولغات الكريول (الفصل 4.2).

إحدى المتغيرات الاجتماعية اللغوية في هذه الدراسة، هو تبدّل نطق الحروف الصوتيّة، في أدوات التعريف قبل الأسماء التي تبدأ بحرف صوتي: 'The apple' و'an apple'؛ إذ تُلفظ الحروف الصوتية في 'اللغة الإنكليزية التعددية، كـ (ə) 'صوت مخفي'، بالإضافة إلى توقف 'صوت الهمزة' قبل الحرف الصوتي في الاسم. وهذا يعني أن 'the' تُلفظ على شكل [ðə] بدلاً من اللفظ القياسي [ði] قبل الحرف الصوتي، كما تُلفظ 'a' على شكل [əʔ] بدلاً من اللفظ القياسي [ən]، في كلمة 'an apple'. وتهيمن أصناف 'الصوت المخفي' (ə) على معظم المجموعات العرقية، لجميع الأعمار من 4 إلى 19 عاماً.

الجدول 9.1: نطق أدوات التعريف في الأسماء التي تبدأ بحرف صوتي، في 'اللغة الإنكليزية التعددية' الخاصة بلندن، وذلك لمتحدثين تتراوح أعمارهم ما بين (16 -19) عاماً.

	لفظ (ə) بدلاً من 'a'		لفظ (ðə) بدلاً من 'the'	
	%	N	%	N
الإنكليز	11	44	28	119
السود الكاريبيون	78	37	70	91
السود الأفارقة	70	10	75	60
الخليط الإنكليزي/الكاريبي الأسود	50	4	75	12
الأتراك	79	14	77	44
آخرون	67	6	69	13

- فسّر الأنماط الكميّة في الجدول. ما هي المجموعات العرقيّة الرئيسة؟ ماذا تلاحظ عن المجموعات الوسطى؟

يوضح الجدول (9.1) نتائج الباحثين لمن تتراوح أعمارهم بين (16 - 19) عاماً. والاستنتاج العام هو أن هذه اللغة ناتجة عن هيمنة متحدثي اللغة الثانية في المنطقة، ما أدى إلى وجود 'مجموعة سمات' تجعل المتعلّمين يتخذون خياراتهم الخاصة.

تهجين اللهجات Koineization

لكن ماذا يحدث للهجات، حيث يكون كل الأشخاص مهاجرين؟ عندما يجتمع المهاجرون الذين يتحدثون لغات مختلفة تماماً في موقع جديد، تكون النتيجة لغة جديدة، لغة مُبسّطة أو لغة كريول. وعندما تجتمع لهجات مختلفة معاً بهذه الطريقة، تكون النتيجة

لهجة جديدة. وستحدث سيناريوهات من هذا النوع عبر التاريخ، لكن الأبحاث المعاصرة ركّزت على مستوطنات جديدة، في حالتين نموذجيتين هما إنشاء 'بلدات جديدة' في بلدان قديمة، واحتلال مناطق جديدة، إما مأهولة، أو غير مأهولة بالسكان. لقد افترض 'ترودجيل' في كتابه الأساسي 'تواصل اللهجات' (1986)، وجود الكثير من العمليات التي تشارك في إنشاء اللهجات الجديدة:

• يشكّل المزج المرحلة الأولى، عندما تمتزج جميع لغات المهاجرين بحريّة في اللغة الجديدة. ويعقب ذلك:

• التسوية - فقدان السمات 'المميزة للهجات المتداخلة. ويعني ذلك أن سمات لغة الأقليّة (التي يستخدمها عدد أقل من المتحدثين) تضيع بتأثير سمات لغة الأكثرية. لكن هذا المصطلح تم تطبيقه على الميزات التي أصبحت بارزة بالمعنى اللغوي لأنها تُصبح أقل طبيعية. وقد تضمن إنشاء جمهورية 'فيجي' الهندية وجود ثلاث لهجات. وأياً كانت الصيغ المستخدمة، فإنه يتم الحفاظ على لهجتين من ثلاث لهجات، لكن عندما تكون هناك لهجتان تتضمنان حروفاً صوتية صادرة من الأنف، وثالثة لا تتضمن حروفاً صوتية صادرة من الأنف، تبقى اللهجة الثالثة لأنها الخيار غير الملحوظ صوتياً.

• يشكّل التبسيط العملية التي يتم من خلالها تسوية المخالفات. ويكون للهجة الناتجة المُخرَجة تمايز أقل، أو يكون لديها استثناءات أقلّ من اللهجات المُدخلة. فربما يتم تخفيض مؤشرات الجندر أو الحالة، أو يصبح شكل الفعل القوي ضعيفاً، كما في تبنّي اللغة الإنكليزية الأمريكية لكلمة 'burned' بدلاً من 'burnt'. وأحياناً يبدو أن للتبسيط دافعاً اجتماعياً مباشراً: لقد فقدت لغة عمال السخرة الهنود، في جنوب أفريقيا، الصيغ التي تشير إلى الاحترام، ربما بسبب إزالة الفروق الاجتماعية، وأهمية الصلابة ('ميثري'، 1993).

• وأخيراً، فإن إعادة التوزيع ترى أكثر من صيغة واحدة مُحتفظ بها، لكنها تتعامل مع الوظائف المتباينة، وعادة ما تكون ذات معاني نمطية أو اجتماعية مختلفة.

يوضح المثال (9.3)، هذه العمليات في لهجة 'البوجبوري' الهندية المُستخدمة في 'موريشيوس'. تُعرف العملية بأكملها باسم تهجين اللغات - في لهجة البهورجي/الهندية، المستخدمة في موريشيوس. تُعرف العملية بأكملها باسم 'تهجين اللهجات – koineization'، وهي كلمة مشتقّة من 'koine' التي كانت لغة الإغريق المنطوقة السائدة في شرق البحر الأبيض المتوسط منذ ألفي عام، من الفترة ما بين نهاية الغصر الكلاسيكي وبداية العصر البيزنطي، واللغة التي كُتِبَ بها العهد الجديد. وفي مواقف مشابهة، عادة ما يكون للمدخلات اللغوية المختلفة، نتائج مختلفة. فمنذ قرن من الزمن، نشأت لهجتان من اللهجات السائدة في البلدات التي نشأت في المضيق البحري النرويجي، على بعد خمسة كيلومترات عن العمال المُهاجرين الذين يقومون بأعمال الصهر، وتوطّنت اللغة النرويجية الغربية في بلدة 'أودا'، بشكلٍ أساسي، في حين أن المقياس المهيمن على هجرة مدينة 'تايسدل'، كان من الشرق. ولا يزال سكان 'أودا' يتحدثون بلهجة غربية محددة، في حين أن لهجة 'تايسدل' بقيت شرقيّة واضحة. وكلتاهما تختلفان عن لهجات المنطقة المُحيطة (كيرسويل، 2013). ويؤكّد إطار عمل 'ترودجيل' بأنه طريقة مفيدة في التعامل مع هذا النوع من تواصل اللهجات، على الرغم من حالات معينة، لا يكون مناسباً أبداً. لقد جاء ثلث المهاجرين إلى 'تايسدل' من الشرق، لكن لهجتهم هيمنت على الغربيين مع أنهم أقليّة.

المثال 9.3: تواصل اللهجات في موريشيوس

موريشيوس هي جزيرة في المحيط الهندي، وقد نشأ معظم سكانها، الذين يقترب عددهم من المليون، في الهند، وهم يتحدثون اللغة 'البوجبورية' التي تُعتبر نوعاً من أنواع اللغة الهندية. لقد كانوا جزءاً من هجرة كبيرة جداً للعمال المسخّرين، من الهند إلى الإمبراطورية البريطانية، بما في ذلك 'فيجي' وجنوب إفريقيا، ومنطقة البحر الكاريبي. للغة البوجبورية عدة لهجات في الهند. وكان للجميع اتصال مع 'موريشيوس'، وساهموا في اللهجة المحلية، ما يدلّ على وجود العديد من عمليات تهجين اللهجة:

- تم تسوية الاختلافات المناطقية في الهند، في موريشيوس، لتأخذ صيغة واحدة، ونذكر منها ضمائر المُلكية كمثال.
- يظهر التبسيط في فقدان التمايز الذي تم تفعيله في اللهجات الهندية المُدخلة. وبعض الصفات التي كانت تميّز الجندر في اللهجات الهندية، لا تظهر في اللهجة البوجبورية في موريشيوس.
- هناك أيضاً إعادة توزيع موضّحة من خلال هذه البدائل (ترودجيل 109 :1986):

المفردات	موريشيوس		الهند		
	الدُنيا	العُليا	الغربية	الوسطى	الشرقيّة
'كبير'	/baɽa:/	/bara:/		/baɽa:/	/bara:/
'معبد'	/mandir/	/mandil/	/mandil/	/mandir/	
'طريق'	/ra:hta/	/ra:sta/	/ra:sta/	/ra:hta/	

لقد نجت صيغ كلمات من هذا النوع في اللهجات المختلفة، لكن في موريشيوس، تم اتخاذها بمعانٍ نمطية مختلفة، عليا مقابل دنيا.

• بناء على المثال الأخير، ما هو التعميم الذي ستقدمه حول أصول اللهجات، بالنسبة إلى بعض الصيغ العليا والدنيا في لهجة البوجبوري في موريشيوس؟

قام عالم اللسانيات البريطاني 'بول كيرسويل' وزملاؤه بدراسة ولادة لهجة جديدة، عن كثب، في مستوطنة جديدة، في 'نيو تاون' التابعة لـ 'ميلتون كينز' التي تبعد ثمانين كيلومتراً إلى الشمال الغربي من لندن. وقد كانت 'ميلتون كينز' مأهولة بالمهاجرين من جميع أنحاء المملكة المتحدة. والأطفال الذين ينشؤون هناك - الجيل الأول الأصلي - لديهم نطقٌ مشابه لنطق الحرف الصوتي في كلمة 'GOAT'، على الرغم من تنوّع طرق النطق المحليّة السائدة هناك ('كيرسويل' و'ويليام'، **2000**). وقد أُطلِق على العملية أيضاً صفة 'التركيز'، وهي تحدث عندما يتم شحذ مزيج متغاير جداً من اللهجات المُدخلة نحو مُنتج موحّد قدر الإمكان.

9.5 موت اللّهجة

تشمل نتائج التواصل **اللغوي**، التقسيم الطبقي والتغيير والتبدّل، والمخاطرة وموت اللغة. ويكون للتواصل بين اللهجات التأثيرات السابقة ذاتها. فاللهجة الإيرلندية في 'أوكراكوك' تتغير (المثال 9.1). وقد أصبحت الجزيرة، التي كانت معزولة يوماً من الأيام، تعجّ بالسائحين. وكان عدد المقيمين (من غير سكان الجزيرة) يفوق عدد السكان المحليين بنسبة عشرة إلى واحد في فصل الصيف. والآن، يعمل معظم السكان المحليين في وظائف لها علاقة بالسياحة، مما يجعلهم في حالة تفاعل يومي مع المتحدثين الأمريكيين الذين يأتون بأعداد زائدة من البر الرئيسي. ففي هذا اللقاء بين لهجة ولهجة، تبدو اللغة الإنكليزية لأوكراكوك في حالة تراجع ('ولفريم'، 'شيلنغ إستس'،

1995). يبدأ شباب أوكراكوك بفقدان مهاراتهم باللغة الإيرلندية، وتصبح اللهجة مهددة بالانقراض.

إن فقدان أوكراكوك لعزلتها، من الناحية المكانية، له أبعاد مادية واجتماعية ونفسية. لقد أدّى ظهور الطرق السريعة الساحلية والعبّارات المنتظمة التي تربط البر الرئيسي بالجزيرة، إلى إيجاد وسائل تمكّن الأجانب من زيارتها بأعدادٍ كبيرة. وتغيرت الأعمال الروتينية لسكان الجزيرة، لتلائم هذا التدفق، لكن ذلك لم يكن مصدر سعادة لجميع سكان أوكراكوك. إنهم يريدون الحفاظ على هويتهم المميزة، ويعرفون أن اللهجة الإيرلندية تشكّل جزءاً منها. وقد ترأس هذه المعارضة، من الناحية الثقافية واللغوية، لاعبو البوكر′ الذين ازدادوا كثيراً في الوقت الذي بدأ فيه تدفّق السائحين، وهذا ما جعل ′ريكس أونيل′ يؤدي الحروف الصوتية بطريقة ′hoi toide′ (المثال **9.1**).

إن جزءاً من سبب انجذاب السياح إلى مناطق مثل ′أوكراكوك′ هو لغة أو لهجة غريبة، وهي سليمة تماماً بقدر ما تكون العزلة كبيرة. لكن من الممكن أن يكون السيّاح مصدر تهديد، ومن غير قصد، للأشياء التي جذبتهم ذاتها، بما في ذلك اللهجة أو اللغة. بينما يكون بعض الأفراد المحددين في زيارات قصيرة، وهكذا يتغيّرون باستمرار، ويستمرّ الحضور الإجمالي للسائحين على المدى الطويل، خلال جزء كبير من السنة (تذكر التمرين **9.3**)، وهكذا يستمرّ تأثيرهم في اللغة.

التمرين 9.6: السياحة واللغة المحلية

فكر بإحدى مناطق بلدك، حيث تشكّل السياحة استثماراً كبيراً.

1- هل للمنطقة لهجة أو لغة مميزة خاصة بها؟ أين تسمع ذلك أو تراه؟ هل اعتادت المنطقة على السياح؟ ما هي اللغات الأخرى المستخدمة؟ ما هي لغة التفاعل الرئيسة بين السياح والسكان المحليين؟

2- هل لا يزال السكّان المحليون يتحدثون بالطريقة المحليّة؟ هل يتم الحفاظ عليها، أو أنها معرّضة للخطر؟

3- ما هي اللغات المستخدمة في الهدايا التذكارية، أو في نشرات المعلومات السياحية المطبوعة؟ ولماذا؟ (انظر 'بيتكينن' و'كيلي هولمز'، **2011**؛ لدراسة العلامات التذكارية بلغة 'ساماي' في شمال فنلندا).

4- ما هي اللغات أو اللهجات التي تظهر على مواقع الويب السياحية في المنطقة؟ كيف يتم استخدامها، ولماذا؟

5- ما هي التدابير الممكنة للحفاظ على اللغة أو اللهجة المحلية من التآكل بسبب الرموز المهيمنة التي تجلبها السياحة؟ هل يتم تطبيقها في المنطقة التي اخترتها؟

6- لقد عمل فريق البحث في أوكراكوك، مع السكان المحليين، للقيام بإجراءات تصون اللهجة، بما في ذلك إنتاج قميص مكتوب عليه 'حافظ على اللهجة الإيرلندية' ('ولفريم' و'شيلنغ'، **1995**). ناقش الآثار الاقتصادية واللغوية.

9.6 حالة اللغات الإنكليزية الاستعمارية

يُعتبر الاستعمار الحالة الكلاسيكية للتواصل بين اللهجات. وهناك دراسة عميقة جداً لنتائج الاستعمار على اللهجات، إنها تعود إلى القرن التاسع عشر، وتبحث في أصول اللغة الإنكليزية في نيوزيلندا (NZE)، وهي أحد الأصناف الرئيسة للغة الإنكليزية الاستعمارية. درست 'إليزابيث جوردن' ورفاقها اللغة الإنكليزية النيوزيلندية لبعض الناطقين المحليين الأوائل، استناداً إلى أرشيف فريد للتسجيلات المبكّرة. لقد وُلِدَت هذه اللغة في خمسينات القرن التاسع عشر، لكنها لم تُسجّل حتى أربعينات القرن العشرين، وهكذا فإن هذه الدراسة تعتمد على الافتراضات الزمنية الواضحة لخطاب الشباب المتحدثين بها (الفصل **8.2**).

طُرِحَت نظريات مختلفة عن أصول هذه اللغة، وأهمها أنها جاءت إما من 'كوكني' في لندن، أو من جنوب شرق إنكلترا عموماً، أو من الإنكليزية الأسترالية. وعلى الرغم من مقاييس تحليل الدراسة وتفصيلها للبيانات اللغوية الاجتماعية، إلا أن الشكوك حول نتائجها بقيت قائمة ('جوردن'، **2004**). وقد تم رفض نظرية 'كوكني'، لكن الفريق أيّد فعلاً ما كان يُسمّى وجهة النظر النموذجية لأصول اللغة الإنكليزية النيوزيلندية، التي تعود إلى حدّ كبير، إلى إدخال اللغة الإنكليزية الجنوبية الشرقية، بالإضافة إلى تأثيرات أسترالية. ومع ذلك، وجد 'ترودجيل' أدلّة على نظرياته الأشمل حول تواصل اللهجات، وأصول اللغة الإنكليزية الاستعمارية، وقد نشرها بشكل منفصل (**2004**).

الحتميّة

تتسم نظرية' ترودجيل' بالحتمية واللا اجتماعية، وعدم وجود أي دور للعوامل الأخرى كالموقف أو الهيبة الاجتماعية (البرستيج) أو الهوية. إنه يقول: يمكن تفسير طبيعة اللغات الإنكليزية الاستعمارية، بشكل كامل، في حالات 'tabula rasa - السجلّ النظيف' (حيث لم يكن هناك مستوطنة تتحدث الإنكليزية مُسبقاً)، من المدخلات اللغوية والديموغرافية (**2004**):

أفترض أنك إذا كنت تخبز الكعك من المكوّنات ذاتها، وبالنسب ذاتها تقريباً، وفي ظروف مشابهة، وبالفترة الزمنية ذاتها تقريباً، فسوف تحصل على الكعكة ذاتها تقريباً.

تنشأ أوجه التشابه بين اللغات الإنكليزية الرئيسة، في نصف الكرة الجنوبي - نيوزيلندا، أستراليا، وجنوب أفريقيا - من مقوماتها اللغوية والديموغرافية المماثلة. ويتبع تشكيل هذه اللهجات الجديدة نهج

مكوّن من ثلاث مراحل يمكن التنبؤ بها، والتي تحوّل مزيج اللهجات المُدخلة إلى لهجة جديدة مركّزة يمكن للجيل الثالث أن يتوقّعها:

1	مهاجرون بالغون	تسوية بدائية، وصيغٌ للهجة الداخلية
2	أول جيل مولود محلياً	تباين شديد، وتسوية واضحة
3	الجيل الثاني والأجيال اللاحقة	التسوية (النهائية)، وإعادة التوزيع

الديناميكيّة

على النقيض من ذلك، يعزو 'إدغار شنايدر'، المتخصص في الإنكليزيات العالمية، تكوين اللغات الإنكليزية الاستعمارية، مثل اللغة الإنكليزية النيوزيلندية، إلى العوامل الاجتماعية أساساً، وخاصة الهوية. ويعتمد 'نموذجه الديناميكي' (2007) على الاتصال بين اللغات (الفصل الثالث والرابع). إنه لا يشمل لهجات 'المستوطنة' فقط بل يشمل اللغات الإنكليزية الاستعمارية كلها، والتطوّر اللاحق في مرحلة ما بعد الاستعمار، بالإضافة إلى فترة التكوين الأولى. إن ادعاء 'شنايدر' الأساسي هو: 'تُعتبر عمليات بناء الهوية، ومواءمتها وتعابيرها اللغوية الرمزية، في مركز عملية ظهور اللغات الإنكليزية، في مرحلة ما بعد الاستعمار' (2007).

في حين يصف 'ترودجيل' عملية تشكيل اللغة الإنكليزية الاستعمارية، بأنها تقارب لغوي محض، تكون بالنسبة إلى 'شنايدر'، '*عملية تقارب لغوي تدفعه الهوية*' (2007، هذا ما أصر عليه). إنه يحدّد خمس مراحل تاريخية:

1- التأسيس - لا سيّما تهجين اللهجات.

2- الترسيخ المعياري الظاهري - 'تركيز' اللهجة الجديدة، لكنها لا تزال تعتمد على البلد الأم في مقاييسها.

3- التأصيل - الانتهاء من عملية التركيز، وزيادة توطين اللغة. بالنسبة إلى اللغة الإنكليزية النيوزلندية، يعود 'شنايدر' إلى هذه المرحلة من عام (1907) (العام الذي أصبحت فيه نيوزيلندا 'مستوطنة' شبه مستقلة)، وهي تتزامن بشكل وثيق مع تحديد 'ترودجيل' لترسيخ اللغة الإنكليزية النيوزيلندية في خطاب هؤلاء المولودين عام (1890).

4- ترسيخ المعيارية الذاتية - تنتقل المستعمرة نحو الاستقلال الكامل، بما في ذلك استخدام اللغة وموقفها منها.

5- التمايز - تبدأ أنواع جديدة بالتطوّر، من خلال الاختلاف العرقي والإقليمي مثلاً، ضمن ما أصبح لهجة موحدة تماماً.

تتضمن كل مرحلة تسلسلاً سببياً لأربعة عوامل، يؤدي فيها الوضع الاجتماعي السياسي إلى إنشاء هوية، مما يخلق ظروفاً اجتماعية لغوية تؤدي إلى تأثيرات لغوية. ويلخّص 'شنايدر' نموذجه في جدول واضح (2007). ويناقش التمرين (9.7) هذين النموذجين.

التمرين 9.7: مناقشة الأصول

يطبّق هذا التمرين نماذج 'ترودجيل' (2004) و'شنايدر' (2007) ويقيّمها. تذكّر أن جميع النماذج هي عمليات مثالية لا تلائم بالضرورة تفاصيل كل حالة، وأن نموذج 'ترودجيل' مصمم للتطبيق على نطاق أضيق من المواقف. راجع أيضاً مقال الموقف الموجز 'لترودجيل' حول هذا الأمر (2008)، وردود الأفعال التي تتبعه.

1- قيّم تطبيق 'شنايدر' لنموذجه على اللغة الإنكليزية النيوزلندية (2007)، وقارنه مع نموذج 'ترودجيل' في كتابه.

2- طبّق نموذج 'شنايدر' على تطوير لهجة ما بعد استعمارية تعرفها، مثل الإنكليزية الأمريكية، والبرتغالية البرازيلية، والفرنسية الكندية، والإسبانية المكسيكية.

3- طبّق أيضاً نموذج 'ترودجيل'، على ما يمكنك اكتشافه حول اللّسانيات الخاصة، بطور تكوين اللهجة نفسها، وسماتها الحالية.

4- ثم قيّم النموذجين وانقدهما: ما حجم المفاهيم التي أنتجها النموذجان كلاهما؟ هل هناك أية جوانب غير ملائمة أو مضللة؟ كيف يمكنك تعديلها؟

5- ناقش الآثار المترتبة على اللّسانيات الاجتماعية المرتبطة بتفسير اجتماعي أساسي لولادة لهجة. هل تجد الحتمية اللغوية 'لترودجيل'، أو نموذج 'شنايدر' الاجتماعي/المتعلّق بالهوية، أكثر فائدةً أو إقناعاً بشكل عام؟

9.7 النشاط البحثي: البيئة اللّغويّة

ادرس البيئة اللغويّة الخاصة بمنطقتك، أو بمنطقة أخرى يمكن الوصول إليها، ولديها الكثير من اللافتات. لا تجمع الكثير من المعلومات لأن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً للمعالجة. ولمزيد من التفاصيل، راجع مقدّمة 'غورتر' (2006) والدراسات الموجودة فيها، وكذلك 'بين رافائيل' و'بارني' (2010)، و'غاواراسكي' و'ثورلو' (2010): إذ تشكل الخطوات اللاحقة سلسلة، ولكن يمكن تخطي بعضها.

1- اختر شارعاً أو حيّاً، والتقط صوراً لكل اللافتات التي تراها، أو قم بتسجيلها.

2- ما الذي تعتبره لافتة؟ وما الذي تستبعده؟

3- صنّف اللافتات، إما عامّة/ رسمية، أو خاصّة/ تجاريّة.

4- حدّد ما هي اللافتات غير المرخّصة، مثل الكتابة على الجدران.

5- ما هي اللغات المستخدمة؟ في أي نوع من اللافتات؟ هل يحتوي بعضها على أكثر من لغة؟

6- صف الجوانب المرئيّة للافتات المختلفة، كالموقع والحروف مثلاً، والصيغ الرسمية القياسية للافتات الشوارع، والنصوص

المختلفة كالعربية والصينية، والأحرف الكبيرة المتوهّجة البارزة في بعض المتاجر، واللافتات الفظّة وغير الرسمية في بعض النوافذ. كيف تفسّر هذه البيئة السيميائية؟

7- ما الذي تخبرك به اللافتات، واستخداماتها اللغوية، عن هذه الأماكن العامة؟ كيف تبني اللافتات المكان العام؟ كيف سيكون المكان دونها أو دون بعضها؟

8- ماذا يقول الاستخدام اللغوي على اللافتات عن اللغات المختلفة المستخدمة، وعلاقاتها؟

9- هل تُستخدم أية لغات غير متوقّعة؟ (هل هناك لغة صينية مثلاً في بلد لا يتحدّث سكانه الصينية).

10- إذا تم استخدام لغة واحدة فقط، بشكل خاص، على جميع اللافتات التي قمت بدراستها: هل تستخدم اللافتات المختلفة أنماطاً أو مستويات لغوية مختلفة؟ صف ذلك وفسّره؟

11- باشر الخطوة الآتية في دراستك: تحدّث إلى منتجي بعض اللافتات (أصحاب المحلات مثلاً)، ما الذي حاولوا قوله بلافتاتهم، ولماذا؟ (انظر الشكل **9.3**).

12- خطوة أخرى أيضاً: تحدّث إلى المارة، واسأل عن فهمهم للافتات أو ردود أفعالهم عليها.

13- اربط بين مفاهيم المُنتجين ومفاهيم الجمهور أحدهما تجاه الآخر، هل تختلف إحداها عن الأخرى، وعن مفاهيمك الخاصّة؟

9.8 ملخّص

• رسمت جغرافيا اللهجات التقليدية الخطوطَ الحدودية بين الصيغ البديلة في اللهجات الريفية، كما هو الحال بين الألمانية العليا والدنيا في شمال أوروبا. لكن واجه علم اللهجات مشاكل تتعلّق بكمية البيانات الهائلة، والإفراط في وصف العيّنات وتحيّزها. وتنطوي

الخطوط الحدودية على حدود واضحة المعالم بين الصيغ واللهجات، ولكن ثبت أنها أكثر تدرجاً في الغالب.

• لا يُعتبر المكان شيئاً مادياً فقط بل هو شيء اجتماعي ونفسي. ويشكّل روتين الانتقال والتفاعل مسارات عبر المكان من حولنا. قد يكون للمجموعات الاجتماعية المختلفة، جغرافيات مختلفة في المنطقة ذاتها، والقرب لا يحتاج إلى نيّة التواصل بين مجموعات.

• بينما كان علم اللهجات التقليدي ريفياً، بدأ 'لابوف' تحوّلاً إلى المناطق الحضرية، ثم تبعه معظم علماء اللّسانيات الاجتماعيّة، لكن درس 'ولفريم' ورفاقه اللهجات المنعزلة في جنوب شرق الولايات المتحدة.

• البيئة اللغوية هي اللغة التي نراها على اللافتات العامة من حولنا. ويرمز اختيار اللغة فيها إلى المكانة النسبية للغات في الموقع المحلّي. وتكون عمليّات التحسين والتطوير مجسّدة في اللافتات، والكتابة على الجدران، في أحياء مثل 'بيرينزلاور' في برلين.

• في حين درس علماء اللسانيات الاجتماعية، تقليدياً، المتحدثين غير المتنقّلين، أصبح التنقّل يشكّل، بتزايد كبير، سمة تميّز المجتمعات، ويجري البحث في لسانيّاته الاجتماعية، ولا سيّما ظاهرة العولمة.

• يؤدي التواصل إلى نشر الصيغ اللغوية، إما من خلال التوسّع عندما يتواصل أفراد ذوو لهجات مختلفة، أو من خلال الانتقال العام، عندما ينتقل أفراد أو جماعات إلى مناطق ذات لهجات مختلفة. وقد تم افتراض نموذجين للتوسع - نموذج الموجة، الذي تنتشر من خلاله التغييرات بانتظام عبر المكان، والنموذج التسلسلي الذي تنتشر من خلاله التغيّرات من المراكز الكبرى إلى الصغرى.

• يؤدي انتقال عدد كبير من المهاجرين، بشكل نهائي، إلى إنشاء لهجات جديدة في أماكن جديدة مثل 'البلدات الجديدة' داخل لندن، حيث يتعلّم المتحدثون لغتهم الإنكليزية عن طريق متحدثين آخرين يتحدثون لغة ثانية من خلفيات لغوية عديدة.

• قدّم 'ترودجيل' تمثيلاً تخطيطياً لعمليات تهجين اللهجات، حيث يؤدي تواصل اللهجات إلى ولادة لهجة جديدة. ويؤدي اختلاط اللهجات إلى تسوية الصيغ الضعيفة، وتبسيط المخالفات، وإعادة توزيع الوظائف للمتغيرات البديلة.

• يهدد موت اللهجات الآن أصنافاً معزولة في أماكن مثل جزيرة أوكراكوك، وذلك بسبب التفاعل المستمرّ مع السياح المتدفقين.

• تمت دراسة ولادة لهجة استعمارية في نيوزيلندا، من خلال أرشيف التسجيلات الأوليّة. وأورد 'ترودجيل' من خلال هذه الدراسة نظرية أساسية غير اجتماعية، مُفترضاً أن بالإمكان التنبؤ بالسمات الجوهرية للهجة الجديدة عبر المُدخلات اللغوية والديموغرافية. وعلى النقيض من ذلك، يرى 'شنايدر' في 'نموذجه الديناميكي' أن عملية التقارب تكون مدفوعة بعوامل اجتماعية، وخاصة عامل الهوية.

9.9 قراءات متقدمة

يصوّر كتاب 'تشامبرز' و'ترودجيل' بعنوان 'علم اللهجات' (1998)، التاريخ القديم لهذا المجال، ويعيد صياغة الأسس. وفي حين أن الدراسات الاستقصائية الكاملة للأطلس اللغوي، للولايات المتحدة وكندا، لم تكتمل بعد، فقد تم تحويل البيانات الحالية لدراسة الأطلس اللغوي إلى نظام رقمي في جامعة جورجيا، وقام 'وليام كريتشمر' بهذا العمل، وهو مُتاح على شبكة الأنترنت.

يحتوي كتاب 'تغيّر اللغة وتباينها'، ومجلّة 'اللسانيات الاجتماعية' على مقالات كثيرة عن لهجات معيّنة محددة إقليمياً، من لغات

مختلفة، وكذلك مجلّة ’اللغة الإنكليزية العالمية‘، وغيرها من المجلّات الخاصة باللغة الإنكليزية فقط. وهناك العديد من الكتب حول اللغات الإقليمية - للحصول على بعض المراجعات العامّة، راجع ’ولفريم‘ و’شيلنغ - إستس‘ (2006) بما يخص اللغات الإنكليزية الأمريكية، و’فولكس‘ و’دوكرتي‘ (1999) بما يخصّ الأصوات الحضرية، والبريطانية الإنكليزية، وراجع ’بلير‘ و’كولينز‘ (2001) بالنسبة إلى الإنكليزية الأسترالية، وراجع ’بيل‘ و’كايبر‘ (2000) بما يخص الإنكليزية النيوزلندية. وتشكّل الدراسة الإقصائيّة العالميّة لأصناف اللغة الإنكليزية، المكونة من أربعة مجلّدات، و2500 صفحة، والتي قام بتحريرها ’كورتمان‘ (2008) مجموعة من المعلومات عن الأصناف الإقليميّة. وفيما يتعلّق باللّهجات الإسبانية، راجع ’دياز-كامبوس‘ (2011).

كان أطلس اللغة الإنكليزية لأمريكا الشمالية (’لابوف‘، 2006) أحد أهم إنتاجات ’لابوف‘، وقد استخدم فيه دراسة استقصائيّة هاتفيّة لتحديد تبدّلات الحرف، والحروف الصوتيّة، عبر القارة. وتشمل الأعمال التباينية، المركّزة جغرافياً، بحوثاً كثيرة قام بها ’ترودجيل‘ و’بريتن‘، وكذلك ’ولفريم‘ورفاقه (راجع الموقع الإلكتروني لدراسة اللغة، والحياة، في شمال كارولينا).

يُعتبر عمل ’جونستون‘ (2011) مقدّمة ممتازة للغة والمكان: انظر أيضاً عملها في علم الصوتيات والمكان في ’بيتسبرغ‘ (’جونستون‘ و’كيسلنغ‘ (2008) على سبيل المثال). كما تقدّم مقالات ’بريتن‘ الكثيرة، مقدّمات جيدة للسانيات الاجتماعية (2010، 2013).

يتمثّل عمل المشهد اللغوي في المجموعة التي حررها ’غورتر‘ (2006)، و’شوهامي‘ و’بين رفائيل‘ و’بارني‘ (2010)، و’جاورسكي‘ و’ثورلو‘ (2010) - خاصة في المقدّمة. انظر أيضاً ’سكولن‘ بموضوع

'الخطاب في المكان' (2003)، وانظر 'جونستون (1990)، و'مودان' (2007) في موضوع 'الخطاب عن المكان'. وحول اللغة والسياحة، (ولا سيما طريقة كلام السياح)، راجع 'جاورسكي'، وبريتشارد' (2005)، و'ثورلو، وجاورسكي' (2010). وللعولمة، راجع كتاب 'كوبلاند' (2010)، ومنشورات 'فيركلو' و'بلومرت' و'هيلر'.

بخصوص الانتشار الجغرافي للتغيير، يُعتبر كتاب 'ترودجيل' (1986) بعنوان 'تواصل اللهجات'، نصاً أساسياً. راجع أيضاً دراسات 'لابوف' الرئيسة، ودراسة 'لانشارت' الدانماركيّة (على الأنترنت)، وبحث 'بريتن'، وكذلك 'هورفاث، وهورفاث' (2002).

أما لبحوثٍ عن التواصل الذي يؤدي إلى خلق لهجات جديدة في البلدان القديمة، فراجع عمل 'كيرسويل' وشركائه، على مدى سنوات عديدة ('كيرسويل' و'وليامز' 2000، كمثال). يقدّم كتاب 'شنايدر (2007)، والمقالة الرئيسة التي سبقته (2003)، مراجعة عامة ونموذجاً عن تطوير جميع أنواع اللغات الإنكليزية الاستعمارية، والكثير من التفاصيل عن اللهجات نفسها. كتاب 'إليزابيث' (2004)، و'ترودجيل' (2004)، هما كتابان مختلفان، ومستمدّان من دراسة أصول اللغة الإنكليزية النيوزلندية، إلى جانب العديد من الأبحاث التي قام بها فريق من المؤلّفين.

الفصل العاشر

تقييم اللغة

يعتقد المتحدثون الهنغاريون في رومانيا أن خطابهم أدنى مكانةً من الخطاب المُستخدم في هنغاريا. وفي فيلم من أفلام 'والت ديزني'، يتحدث الأشرار بالنبرة الإنكليزية الخاصة بالسكان غير المحليين. وفي كثير من البلدان، يُعاقب الأطفال إذا تحدثوا بلغتهم المحليّة في المدرسة. إن هذا كله نتاج للإيديولوجيات اللغوية، والطرق التي يتمّ بها تقييم اللغة. إنها تمثل أفكاراً ومعتقدات، وتوضح مشاعر الناس نحو أصناف ولغات معيّنة؛ أي إن شكلاً أو رمزاً لغوياً معيناً قد يبدو أكثر جمالاً أو قباحةً، أعلى أو أدنى منزلة، أعلى أو أدنى من الناحية الأخلاقية - أي إن هذه الصيغة، هي أفضل أو أسوأ من صيغة أخرى في بعض أبعادها.

يشكل تقييم اللغة جانباً أساسياً في كل موضوع تناولناه في هذا الكتاب. إليك بعض الأمثلة:

- تفضيل اللغة الإنكليزية، على لغة 'التشيشوا' لشعب الملاوي (الفصل الثالث).
- السمعة السيئة المنتشرة حول اللغات المبسّطة ولغات الكريول (الفصل الرابع).

• المشاكل الإيديولوجية للمفهوم 'الوصفي' مثل ازدواجية اللسان (الفصل الخامس).

• التحوّلات المقودة اجتماعياً وسياسياً في تعليم لغة الصم في الولايات المتحدة الأمريكية (الفصل الثامن).

• هيمنة أصناف كوبنهاغن على الأصناف الدانماركية (الفصل التاسع).

ننتقل الآن للتركيز بشكلٍ مباشر على تقييم اللغة الذي يؤثر على المستويات اللغوية كلها؛ بدءاً من الخيارات الصغيرة، وصولاً للطعن القضائي فيما يُعتبر لغة. قد تناولَتْ عدة فروع دراسية هذا المجال، كلٌّ بطريقته الخاصة، وأتناولها أنا أيضاً، واحدة تلو الأخرى. يعدّ العمل على إيديولوجيات اللغة، عملاً نوعياً، ومستمَدّاً من النظريات في الأنثروبولوجيا الحالية. وتأتي أبحاث المواقف اللغوية من علم النفس الاجتماعي، وقد كانت ذات أساس استبياني وكمّي إلى حد كبير. كما يشكّل علم اللهجات الإدراكي جزءاً من اللّسانيات الاجتماعية التباينية، وهو يستخدم تقنيّات من الجغرافيا. حيث تُشكّل هذه التقنيات، تقاليد مختلفة جداً، ولديها أساليب وأهداف ومصطلحات مختلفة. ثم يتحول الفصل إلى دراسة كيفية تقييم المتغيرات اللغوية الفردية، والطرق التي تعمل بها مقاييس اللغة في المجتمع.

10.1 إيديولوجيّات اللغة

في بعض الأحيان، تطفو الإيديولوجيات اللغوية على السطح في نقاشات مفتوحة حول اللغة، لكنها تظلّ في الغالب غير مُعلنة، وغير مُدركة. وفي حين قد يكون لها آثار اجتماعية وسياسية كبيرة - من التمييز الفردي، إلى الصراع المسلح - إلا أنه نادراً ما يُدرك الناس وجودها في معظم الأوقات. كما يتم 'تطبيع' هذه الإيديولوجيات،

كونها تقدّم آراءً منطقية عن اللّغة والمجتمع اللذين يُسلّم الناس بهما. إنها لا تحتاج إلى تبرير لأنها تصف الطريقة التي يكون عليها العالم وحسب. لكن في الوقت الذي تقدِّم فيه الإيديولوجيات نفسها كتوصيفات محايدة، يكون لها تداعيات بعيدة عن الحياد.

تصبح الإيديولوجيات واضحة، عندما يتم إخراجها إلى العلن، من خلال بعض الأحداث البارزة. لقد أشرتُ في الفصل الثامن إلى أن لغات الإشارة غالباً ما تكون موصومة. ففي عام 1988، تم تعيين الدكتورة 'إليزابيث زينسر'، رئيسةً لجامعة 'غالوديت'، جامعة الصمّ في واشنطن العاصمة. ثم اندلعت احتجاجات، وأُجبِرَت على الاستقالة؛ لأنها لم تكن على معرفة بلغة الإشارة الأمريكية، ولم يرغب مجتمع الصمّ في ذلك. إن جهلها بلغة الإشارة الأميركية، يرمز إلى عدم انخراطها في مجتمع الصمّ الأمريكي. وقد أشار بيانها الأخير، الذي يفيد بأن أعضاء مجلس الجامعة، ينبغي أن 'يتعلموا القليل من الإشارات... فقط بعض العبارات الأساسية، وبعض الجمل الودّية، عندما يلتقون بأشخاص حول المدرسة' (كما ورد في 'لوكاس'، 2001)، إلى وعيها بالقيمة الاجتماعية والرمزية للغة الإشارة الأميركية، لكنّ ذلك لم يساعد قضيّتها. فبالنسبة للمجتمع، كانت معرفة لغة الإشارة الأميركية قضية أساسية مهمة جداً للعضوية.

يعود الاهتمام بالحمولة الإيديولوجية للغة إلى 'هايمز'، لكنّه ازدهر خلال التسعينات من القرن العشرين. كما أنه كان مُركّزاً في المقالات التصويرية، بواسطة 'وولارد (1998)، وإرفين، وغال (2000)'. حيث حددّت 'وولارد' العديد من السمات:

1- تخدم الإيديولوجيات مصالح الفئات الاجتماعية، ويتم تمييزها وفقاً لتلك المصالح. وكما لاحظ كلّ من 'إرفين، وغال': 'لا يوجد "رأي من العدم"، ولا توجد نظرة غير متمركزة' (2000:36).

2- تخدم الإيديولوجيات السائدة مصالح النخبة الاجتماعية، وهي تعزز حالة التبعيّة وتشرّعها. وإذا أمكن أن تتفق معظم النظريات، على الوصف المحايد للإيديولوجيا، تحت النقطة (1)، فلا يمكنهم تجاوز الحدود لقبول النقطة (2)، التي تشّكل التناول 'النقدي' للإيديولوجيات، كونها مرتبطة بالسلطة.

3- تقوم مثل هذه الإيديولوجيات بحجب الهيمنة عن جماعات غير النخبة.

العمليّات الإيديولوجيّة للغة

اقترح 'إرفين' و'غال' (**2000**) نظرية توضّح كيف يعرّف الناس أنفسهم، بشكلٍ روتيني، مقابل 'الآخر' الحقيقي، أو المُتخيّل، من خلال ثلاث عمليّات رئيسة:

- الرمزية هي الطريقة التي تصبح فيها سمة لغوية، أو صنف لغوي أو لغة كاملة، ممثلة لمجموعة معيّنة. وعلى الرغم من أن العلاقة بين السمة اللغوية والمجموعة، تكون ذات طبيعة تعسّفية، إلا أنه يتم التعامل مع السمة على أنها، بطريقةٍ ما، ذات علاقة طبيعية، وموروثة، مع المجموعة. في قصّة 'شيبولث – shibboleth' العبرية، أصبحت الرمزية مسألة حياة أو موت (المثال **10.1**).

المثال 10.1: قصّة 'شيبولث' العبرية

تم نقل الكلمة العبرية 'shibboleth' إلى اللغة الإنكليزية، لتعني تحديداً، سمة لغوية تحدد مجموعة – عملية ترميز. وهي مستمدّة من قصة العهد القديم، حيث كان عدم القدرة على نطق "sh" كاللفظ [ʃ]، وليس كاللفظ [S]، أمراً قاتلاً. إذ إنه بعد هزيمة قبيلة إفرايم في المعركة، انتظر الجلعاديّون الإفرايميين الهاربين في نهر الأردن:

وكلما قال أحد رجال إفرايم الهاربين: 'دعوني أعبُر'، كان رجال جلعاد يسألونه: 'أأنت إفرايمي؟'، فإن قال: 'لا'، كانوا يطلبون منه أن يقول: 'شبولت'، لأنه لا يمكنه لفظها لفظاً صحيحاً، فيقبضون عليه ويذبحونه على ضفاف نهر الأردن (كتاب القضاة، الفصل **12**، النسخة الموحدة المنقحة الجديدة).

التمرين 10.1: الرمزيّة في لغتك

حدّد سمة لغوية في صنفك اللغوي:

1. هل هناك سمة لغوية رئيسة واحدة، يعتقد الناس أنها تميز صنفك تحديداً عن الأصناف الأخرى؟ صفها.

2. هل هناك مجموعة أخرى معيّنة، تقوم هذه السمة بتمييز مجموعتك عنها؟ ما هي صيغتها المختلفة، لهذه السمة الرمزيّة؟

3. منذ متى تعمل هذه السمة كرمز بين المجموعتين؟ وكيف؟ ولماذا حقق الاختلاف مكانته؟

4. هل هناك أسباب لغوية جعلت هذه السمة بارزة جداً؟ ما هي الأسباب الاجتماعية؟

5. ما هي الاختلافات اللغوية الأخرى التي تمت 'إزالتها' من خلال التركيز على هذا الرمز؟

على سبيل المثال، كلمة 'شيبوليث - السمة اللغوية'، من اللغة الإنكليزية النيوزيلندية، وخاصة بالتناقض مع الإنكليزية الإسترالية، راجع مقالي بعنوان "the phonetics of fish and chips' (بيل b1997).

• يتضمن مبدأ '*العوديّة، أو الاستدعاء الذاتي*'[1] إسقاط الأمر المميز المصوغ في مستوى أول على مُستوى آخر، (يستخدم 'إرفين'

---

[1] "Recursion": الاستدعاء الذاتي أو العودية هو عملية تكرار الشيء بطريقة مشابهة ذاتياً. مثلاً، عندما يكون لدينا مرآتان متوازيتان تماماً، تكون الصور المتداخلة عبارة عن استدعاء ذاتي لا نهائي.

و'غال' المصطلح الهندسي الدقيق، والمبهم في آن معاً، *'الاستدعاء الذاتي المتشظّي'*). في القرن التاسع عشر، في جنوب شرق أوروبا، كانت في مقدونيا أعراق كثيرة ولغات متعددة، لدرجة حيّرت مراقبي أوروبا الغربية. وكان الأكثر إدهاشاً أنه غالباً ما تمت إعادة إنتاج هذا التنوّع، على المستوى الوطني، داخل العائلات. إذ قد يتم إرسال الأولاد إلى مدارس مختلفة - البلغارية، اليونانية، الرومانية، الصربية - ويبرز اعتماده للغتها وجنسيتها.

• كان المحو أو الإزالة عبارة عن عملية تخفي الحقائق التي لا تتناسب مع الإيديولوجيا. إذ يتم تجاهلها أو تنحيتها جانباً، حتى اللغة التي تتسم بدرجة عالية من التوحيد القياسي، مثل اللغة الفرنسية على سبيل المثال، تشمل نطاقاً كبيراً من التنوّع الذي يتم تجاهله في تحديد المقياس. ومع ذلك، لا يُنظر إلى الفرنسية القياسية، على أنها نوع واحد من بين أنواع أخرى - إنها تستبعد حتى فكرة وجود التنوّع ('جافي'، 1999).

إيديولوجيات اللغة الاستعمارية

غالباً ما تجعل المواقف الاستعمارية عمل أيديولوجيا اللغة مرئية أكثر؛ لأن تباين القوى واضح جداً. ليس هناك من إيديولوجيا لغوية أساسية أكثر من تلك التي تحدد ما يمكن، أو ما لا يمكن، اعتباره 'لغة. وهي عملية استمرّت في جميع أنحاء أفريقيا، في أواخر القرن التاسع عشر ('إرفين' و'غال'، 2000). لقد اجتازت الحملات العسكرية الفرنسية أراضي السنغال، ورسمت حدود المجموعات، ولغاتها (الرمزيّة). وتم فهم اللغات الرئيسة الثلاث على أنها ذات خصائص أساسية. واعتبرت لغة 'فولا' لغة 'دقيقة'، ووُصِفَ المتحدثون بها بالأذكياء. أما لغة 'ولوف' فقد كانت أقلّ دقّة، وكان المتحدثون بها أقلّ ذكاء. كما تم اعتبار لغة 'سيرير' لغة بسيطة، (على

الرغم من امتلاكها نوعاً معقداً من علم الصرف)، وأشير إلى المتحدثين بها بوصفهم بسطاء. وتم افتراض أن المجموعات أحادية اللغة، لكن لم يكن بالإمكان رسم حدود نظيفة إلا عبر تجاهل التعددية اللغوية السائدة (استخدام المحو أو الإزالة). كان المكسب الإمبريالي لمثل هذه المثالية هو تحديد الأراضي والسكان وتقسيمهم، وتهيئة كل شيء ليسهل التحكم به.

ويلاحظ 'إرفين' و'غال' أن من السهل إدراك هذه الإيديولوجيات عن بعد، ومن ثم نقدها وحتى السخرية منها، لكن هذا النوع من الإيديولوجيات الاستعمارية، وما بعد الاستعمارية، وشبه الاستعمارية، ونتائجها كلها، تبقى موجودة وبحالة جيدة حتى يومنا هذا:

- ضرورة التحدث باللغة الإنكليزية الفصيحة، وليس السواحلية، للفوز في مسابقة الجمال الوطنية في تنزانيا (بيلينغز **2009**).
- اضطهاد لغة 'أوروكين'، في شمال شرق الصين، التي تخضع لاستعمار الصينيين من شعب 'الهان' ولغتهم الماندرينية (لي فنغشيانغ **2005**).
- هيمنة لغة 'البهاسا' الإندونيسية، باعتبارها اللغة الوطنية لإندونيسيا، على حساب العديد من اللغات المحلية (إرينجتن **1998**).

التمرين 10.2: إيديولوجيات اللغة في كورسيكا، وسنغافورة

إن اثنين من أكثر المواقف الإيديولوجية اللغوية التي تم بحثها، موجودة في جزر كورسيكا وسنغافورة. تُعدّ كورسيكا جزءاً من فرنسا، لكنها تملك لغتها الخاصة (أقرب إلى الإيطالية). إذ تتم المحافظة على لغة كورسيكا، بواسطة أنشطة لغوية أساسية، ضد الهيمنة الفرنسية، وهو موضوع البحث الإثنوغرافي الدقيق الذي قام به 'جافي' (**1999**).

تعدّ سنغافورة دولة مستقلّة، فيها أكثرية تتحدث اللغة الصينية. وقد قلّلت حملة 'تحدث لغة الماندرين'، التي دامت لعقود من الزمن، من 'اللهجات' الصينية غير الماندرينيّة، حتى لم يبقَ الكثير من المتحدثين بها الآن ('بوخورست - هينغ'، 1999؛ 'وي'، 2006، 2007).

- استخدم المصادر المنشورة، ومصادر الأنترنت، للبحث عن أحد هذه المواقف، وحللّ شخصيتها الإيديولوجية، متبعاً الأجزاء الثلاثة لإطار 'وولارد'، المشار إليه في النص.

10.2 اللغة والموقف

يتناول علم النفس الاجتماعي الخاص باللغة، تقييم اللغة بطريقة مختلفة جداً عن النظريات الإيديولوجية. إذ يركز على دور اللغة في العلاقات بين المجموعات، وبين الأفراد، ولا سيّما:

- المواقف.
- العلاقات بين المجموعات، لا سيّما المجموعات مختلفة الأعراق، والأجيال.
- الصور النمطيّة.
- المواءمة بين المتحدثين (انظر الفصل التالي).
- الشخصية، والرأي، والكشف عن الذات، والخداع، وتشكيل الانطباع.
- المشاكل الاجتماعية، مثل العدوان، والتحيّز.

لقد وضع علماء النفس الاجتماعيين، بدلاً من العلماء اللغويين، برنامج البحثين التجريبي، والكمّي ومناهجهما إلى حدّ كبير، باستثناء التعاون المثمر بين 'جيلز' و'كوبلاند' ('جيلز' و'كوبلاند'، 1991).

السؤال عن اللغة

إن أبسط طريقة للقيام ببحث عن موقف لغوي، هي ببساطة سؤال الناس مباشرة عن مواقفهم. في دراسة للغة الأرفانيتس -

الألبانيين الأصليين الذين يعيشون في اليونان- سأل الباحثون بصراحة: 'هل تحب التحدث باللغة الأرفانيّة؟'، يبيّن الجدول (10.1a) النتائج مقسمةً حسب العمر. وإلى جانب ذلك، يعرض الجدول (10.1b) مواقف، متناقضة ظاهرياً، لدور اللغة في هوية المجتمع، وهناك أسئلة، أسفل الجدول، تطلب منك تفسير ذلك:

الجدول 10.1: مواقف الأرفانيين - النسبة المئوية للناس الذين أجابوا بنعم / لا، على أسئلة المواقف اللغوية

العمر	(أ) هل تحبّ أن تتحدّث باللغة الأرفانيّة؟			(ب) هل من الضروري التحدّث باللغة الأرفانيّة لتكون أرفاني؟	
	(ح) نعم	(ج)غير مبالٍ	(ث) لا	(ت) نعم	(ب) لا
9-5	1	10	89	-	-
14-10	16	17	67	67	33
24-15	17	41	42	42	58
34-25	30	67	3	24	76
49-35	46	53	2	28	72
59-50	67	31	1	33	67
60+	79	21	0	17	83

- فسّر الجانب العمري للمواقف تجاه التحدث باللغة الأرفانيّة، كما هو موضح في أعمدة نعم/لا، للجدول (10.1a): ابحث عن الثغرات وفسّرها.
- يبدو أن المواقف في الجدول (10.1b) تتناقض مع (10.1a): حدد واشرح كيف ولماذا (راجع 'ترودجيل'، 1983، للحصول على تفسير الباحثين).

التمرين 10.3: كشف مواقف اللغة البريطانية

ابحث عن الجدول الطويل (2)، 'لبيشوب وكوبلاند' (2007). استخدم أرقامهما لتحليل المواقف لبعض مجموعات النبرات المختلفة التالية. قارن النبرات داخل كل مجموعة. اشرح التقييمات التي حصلت عليها كلٌّ منهما وفسّرها:

- الأسترالية غير البريطانية، النيوزيلندية، لغة أمريكا الشمالية، وجنوب أفريقيا، وجنوب إيرلندا.
- الفرنسية غير المحليّة، الألمانية، الإسبانية.
- بلفاست السلتية، كارديف، إيدنبرة غلاسكو، إيرلندا الشمالية، والإسكتلندية، والإيرلندية الجنوبية، سوانسي، والويلزية.
- مدن بلفاست، وبرمنغهام، وبريستول، وكارديف، وليدز، وليفربول، ومانشستر، ونيوكاسل، ونورويتش، ونوتنغهام.
- الأفرو كاريبية الإثنية، الآسيوية.
- المحلية، كورنيش، لانكشاير، وغرب البلد.

بحثتُ أيضاً، أنا وزملائي، في مسألة الهوية هذه، في دراساتنا عن لغات 'باسيفيكا' والحفاظ عليها في نيوزيلندا. حيث سألنا أحد من قابلناهم من 'الساموا': 'هل عليكم أن تتحدثوا بلغة ساموا لتكونوا ساموين حقيقيين؟'، أجاب تسعة عشر من أصل ثلاثين، بـ 'نعم'. لكن عندما سألنا سكان جزر كوك السؤال ذاته عن أنفسهم، اعترف بذلك خمسة فقط من أصل ثلاثين. تُعدّ لغة ماوري، في جزر كوك، أكثر عرضةً للخطر من لغة ساموا، مع وجود عدد أقل من الشباب، الذين يتحدثون بها. ولذلك تُعتبر لغة الماوري، في جزر الكوك، أقل أهمية من لغة ساموا بالنسبة لهوية المجتمع. وتكون قضايا المواقف هذه، أساسية في نظرية النشاط اللغوي الإثني الذي عالجناه في الفصلين الثاني والثالث.

تظهر مواقف المستمعين، حتى عندما يتم تقليل الحافز الذي يستجيبون إليه، إلى مجرد تسمية. وقد حللّ 'كوبلاند وبيشوب' (2007)، نتائج استطلاع مباشر، أجرته هيئة الإذاعة البريطانية، لخمسة آلاف مستمع بريطاني، يتفاعلون مع أسماء اللهجات. وقد تمّ تصنيف 'إنكليزية الملكة'، و'الإنكليزية القياسية'، في أعلى المراتب من حيث المكانة، تليها اللغة الإسكتلندية. مع تصنيف بعض النبرات الأجنبية، مثل النيوزلندية، ونبرة أمريكا الشمالية، كنبرات ذات مرتبة عالية. وتم تقييم العاميّة الحضرية البريطانية، التي تكون عادةً مشوّهة السمعة، على أنها نبرة ذات مرتبة متدنية، حيث تكون نبرة برمنغهام بالصدارة، وتتبعها نبرات محددّة عرقياً، مثل النبرة الآسيويّة، والإفريقية - الكاريبية (انظر التمرين 10.3). وخلصَ الباحثون إلى أن النتائج تُشير إلى استمرار وجود إيديولوجيات راسخة للنبرة البريطانية، على الرغم من أن الخاضعين للمقابلات من الصغار، كانوا أقلّ سلبية تجاه الأصناف الموصومة.

السؤال عن المتحدّثين

بدلاً من الاستجواب المباشر، يقوم باحثو المواقف عادةً، بتشغيل تسجيلات إلى فريق من 'القضاة'، ويسألونهم عن مواقفهم تجاه المتحدثين. هذه هي نوعيّة الأشياء، التي نقوم بها طوال الوقت، كمستمعين - وبشكلٍ أكثر وضوحاً، على الهاتف. فبعد سماع خطاب شخص غريب، استمرّ لبضع ثوانٍ، سنكون قد توصلنا إلى عدد من الاستنتاجات حول صفاته: الجندر، والعمر التقريبي، ومستوى التعليم المحتمل، ونوع المهنة الممكنة، ومدى ودّيته.

أثناء البحث، عادةً ما يتمّ استدعاء القضاة - المستمعين، لتقييم سمات المتحدثين على مقاييس تمتد من الإيجابية إلى السلبية، وغالباً مع وجود درجة حياد في المنتصف. يتم تسجيل كل درجة على

المقياس، ويتم حساب متوسط التقييمات عبر مجموعة من المستمعين. تميل النتائج إلى تشكيل مجموعتين متميزتين؛ واحدة للمكانة، وأخرى للمتغيرات المرتبطة بالتماسك والتضمامن. ترتبط المكانة بالتقسيم الاجتماعي، مثل التعليم (راجع الفصل 7.2، بالنسبة لاستخدام التعليم للدلالة على الطبقة). وينطوي التضامن على سمات، مثل الموثوقية والجاذبية. عادةً ما تكون معدّلات اللغة القياسية، أو لغة الأغلبية، عالية للمكانة، وغالباً، لكن ليس دائماً، تكون معدّلات الرمز غير القياسي، أو رمز الأقلية، جيّدة للتضامن. وإن أفضل طريقة لفهم هذه المقاييس، هي المشاركة في تجربة تم استخدامها في التمارين (10.4) و(10.5). يوجد في هذا الاستبيان سؤال واحد فقط حول اللغة يتعلق بـ – جودة النبرة – بينما تتعلّق الأسئلة الآخرى بالحكم على المتحدثين. لكن أظهرت دراسة حول اللهجات الإقليمية، للغة الهولندية، أن المستمعين يدوّنون أجوبة مباشرة للنبرات، وكذلك لمتحدثها (جروندليرز، وفان هوت، وستيجز 2010).

التمرين 10.4: تجربة المواقف اللغوية

قم بتشغيل التسجيلات القصيرة داخل الصف، (من خمسة عشر، إلى ثلاثين ثانية لكل تسجيل)، لمتحدثين لديهم نبرات متناقضة (موقع 'اليوتيوب' مصدر جيد لهذه التسجيلات). واطلب منهم الإجابة على الاستبيان المختصر الآتي، للمواقف اللغوية لكل متحدث:

أ- تحديد النبرة

عمر المتحدث التقريبي (بحدود 10 سنوات) ________________

المجموعة العرقية ____________________

ما نوع الوظيفة، التي تعتقد، أن من المحتمل أن يمتلكها هذا المتحدث؟____________

ب- تقييم النبرة - هل تعتقد أن المتحدّث:

54321

مُتعلّم___ : ___ : ___ : ___ : ___ غير متعلّم

ذكي ___ : ___ : ___ : ___ : ___ غير ذكي

طموح___: ___ : ___: ___ : ___ غير طموح

محبوب___: ___ : ___ : ___ : ___ غير محبوب

جدير بالثقة___: ___ : ___: ___: ___غير جدير بالثقة

صارم___ : ___ : ___ : ___ : ___ غير صارم، لطيف

ذو نبرة حسنة___: ___ : ___ : ___: ___ ذو نبرة مزعجة

الهيئة المطابقة

كانت 'كيبيك' من أبرز المواقع البحثية، في مجال المواقف تجاه اللغات المختلفة، في الوضع ثنائي اللغة، والذي كان عالم النفس الاجتماعي 'والاس لامبرت' رائدًا فيه. وقد أثارت اهتمامه محادثات سمعها على متن حافلة في مونتريال عام (1960). حيث كانت خلفه امرأتان تتحدثان الفرنسية، وأمامه امرأتان تعلّقان، بشكلٍ سلبي، على المحادثة الفرنسية، (التي لم يكن بإمكانهن فهمها)، مستخدمتين اللغة الإنكليزية، وتتبادلان الصور النمطية، حول الكنديين الفرنسيين - 'حسناً، لا يمكنك أن تتوقعي الكثير منهم' (لامبرت 1967). وطوّر 'لامبرت' تقنية 'المظهر المتطابق' المُبتكرة، حيث يتم تشغيل أصوات فرنسية، وإنكليزية، للمستمعين، على حد سواء، لكنهم لا يدركون أن المتحدثين، الذين يسمعونهم مرتين، هم متحدثون ثنائيو اللغة، يتحدّثون مرة واحدة باستخدام كلّ لغة. أي اختلاف في رأي المستمع، بين نفس المتحدثين، في 'مظهرهم

الإنكليزي'، مقابل 'مظهرهم الفرنسي'، يمثل تحيزاً لصالح اللغة الإنكليزية أو الفرنسية، أو ضدّهما.

التمرين 10.5: تحليل مواقف الصف

• قم بتجميع إجابات الصفّ، على القسم (أ) من الاستبيان الوارد في التمرين (10.4).

1- اطلب من طلاب الصف تفسير تصنيفاتهم.

2- اطلب منهم توضيح أسباب التصنيفات التي قاموا بها.

3- ناقش العلامات اللغوية، التي وردت في هذه التصنيفات.

4- فكّر في مجموعة الإجابات التي قدمها الصف، وأسبابها.

5- قم بقياس الإجابات، مقابل ما تعرفه عن الأعمار، والعرقيات، والمهن الفعلية، للمتحدثين في التسجيلات.

6- فكّر في التناقضات بين التصور والواقع.

• قم بتجميع درجات الفصل للمقاييس في القسم (ب). ضاعف كل درجة، لكل عامل (1–5)، حسب عدد الطلاب الذين يقومون بمنح تلك الدرجات، وبعدها قم بإضافة كل هذه المجاميع معاً، ثم قسّم مجموع الدرجات الإجمالي على العدد الإجمالي للطلاب. فينتج عن هذا متوسط التقييمات لكل عامل، على سبيل المثال، نقول 2.75، مقابل 4.15 لمستويات مصداقية المتحدثين لديك.

7- فسّر تصنيفات الصف.

8- فكّر في القضايا المماثلة التي تمّ تناولها في 2-4، في الأعلى.

• استخرج آراء الطلاب حول تجربتهم في تنفيذ هذا الاستبيان:

9- ما هي ردود فعل الطلاب تجاه الصور النمطية المتضمنة؟ ('فظيعة'، قال واحد منهم.) وتجاه ضآلة تسجيل الحافز؟

10- ناقش القضايا الاجتماعية المتضمّنة في الأسلوب، ونتائجها.

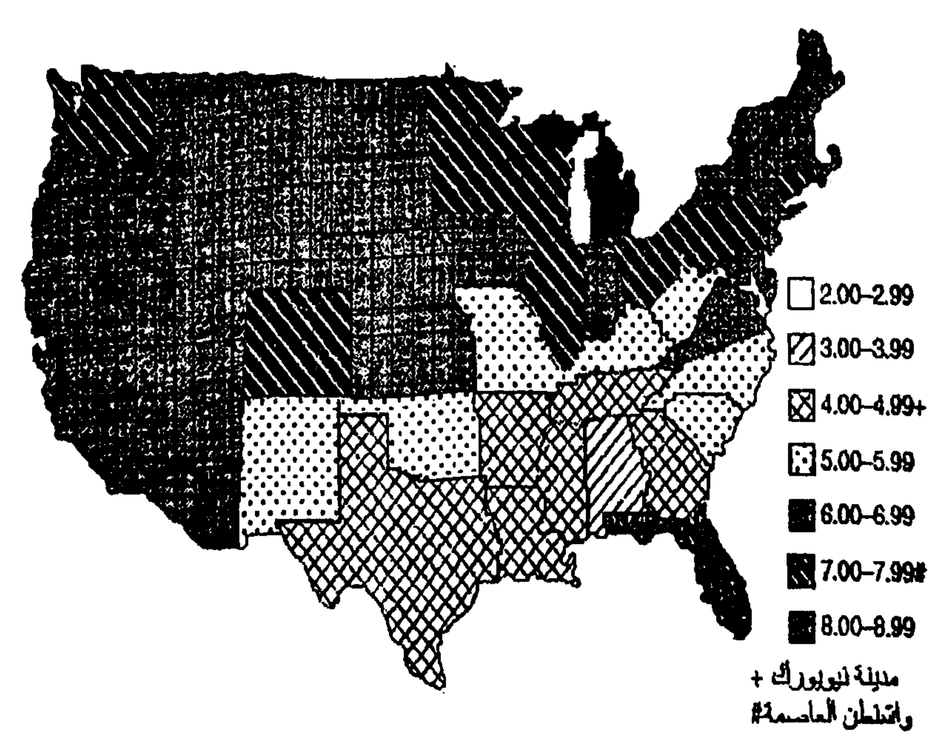
11- قيّم، وانقد الاستبيان، على سبيل المثال: المصطلحات المستخدمة في المقاييس، مثل 'طموح'.

12- فكّر في تجربة القيام بهذا الاستبيان والتحليل، وفي حقيقة أن تجارب مماثلة، شاركت خلال جمع البيانات للدراسات المنشورة. حتى من وراء الرسومات البيانية الواضحة، كانت هناك عملية تحتوي على العديد من الأظلال الرمادية، التي انتهت إلى الظهور كنتائج بالأبيض والأسود. ماذا تعني نتائج البحث هذه لنظريتنا؟

في تجربة 'لامبرت' الأصلية، قام الطلاب الناطقون بالفرنسية، والطلاب الناطقون بالإنكليزية، بتصنيف الأصوات التي أنتجها أربعة أشخاص ثنائيي اللغة ('لامبرت'، 1960). إذ قام المتحدثون الإنكليز بتقييم الأصوات الإنكليزية بشكلٍ أكثر إيجابية، لكن الأمر المفاجئ بالنسبة للباحثين أن الطلاب الناطقين بالفرنسية قدّموا التقييم ذاته أيضاً. والأمر الأكثر إثارة للدهشة هو أن المجموعة الناطقة بالفرنسية قد حكمت على الأصوات الناطقة بالفرنسية بأنها أقلّ إيجابية من المجموعة الناطقة بالإنكليزية. وخلص الباحثون إلى أن المتحدثين الفرنسيين، كانت لديهم صورة نمطية سلبية عن لغتهم. وقد كان ذلك قبل أكثر من نصف قرن، ثم تدفقت كمية كبيرة من التغييرات الاجتماعية والسياسية، عبر 'كيبيك'، في الفترة الانتقالية، خاصة فيما يتعلق بوضع اللغة الفرنسية. وبالرغم من ذلك، وجدت التجارب اللاحقة المتماثلة، بما فيها التجربة الأخيرة الوحيدة التي أعرفها (فرضية قصيرة، بولي 2002)، ذات النوع من تشويه السمعة الذاتي، وهي قضية سنعود إليها في القسم (10.5). وفي تجارب المواقف، قام 'الكيبيكيّون' أيضاً، بتخفيض قيمة خطابهم الخاص، مقارنةً بخطاب المتحدّث الفرنسي القارّي ('دانجليجان' و'تاكر'، 1973)، لكن هذا الأمر قد حدث أيضاً للعديد من أصناف ما بعد الاستعمار، للغة الإنكليزية، والإسبانية. يستمر استخدام تباينات 'الهيئة المطابقة'، على نطاق واسع، في أبحاث المواقف اللغوية، في عشرات اللغات.

علم اللهجات الإدراكي

علم اللّهجات الإدراكي هو دراسة ما يقوله الناس عن اللغة، ويؤيّده عالم اللسانيات الأمريكي 'دنيس بريستون'. وقد وجد هو وزملاؤه، أن هناك أرضية صغيرة مشتركة بين المعتقدات الشعبية واللغوية عن اللغة (نيدزيلسكي، وبريستون 2000). فقد يكون اللغويون وصفيين، لكن كلّ شخص آخر هو استباقي – ويشكّل هذا موقفاً يواجهه علماء اللّسانيات الاجتماعية في تعاملهم مع الآخرين. كما تهيمن الصحّة على وجهات النظر الشعبية. حيث يوازي الناس اللغة مع اللغة القياسية، ويعتبرون أيّ شيء غيرها، انحرافاً ناتجاً عن كسل المتحدثين، أو تمنّعهم. وهنا يوضح الشكل (10.1)، كيف صنّفت مجموعة، ممن تمت مقابلتهم في ولاية ميشيغان، مسألة صحّة اللغة الإنكليزية في الولايات المتحدة.



الشكل 10.1، تصنيفات سكّان ميشيغان لصحّة اللغة الإنكليزية، في الولايات المتحدة الاميركية القارّية، على مقياس من 10 نقاط: الأرقام الأعلى هي الأفضل. المصدر: بريستون (1996)، الشكل 13.

• فسّر واشرح الأنماط الموجودة في الخريطة (راجع 'بريستون'، 1996، للاطلاع على تفسيره).

اعتمدت الكثير من أبحاث علم اللهجات الإدراكي، على تحديد الناس للّهجات، وتصوراتهم لها. وتتمثّل إحدى مزايا هذه الطريقة، في أن الناس يولّدون تسمياتهم الخاصة، بدلاً من الاضطرار إلى التوافق مع المصطلحات المحددة مسبقاً للاستبيان. تغطى الخرائط بالتعليقات مثل 'الهيكس الجنوبيين'، 'القرويين'، 'المتكبّرين'، 'اليانكيين' وغيرهم. وتبيّن أن مناطق اللّهجة الأكثر بروزاً، هي تلك التي قام الأمريكيون بإنزالها إلى لغة إنكليزية غير صحيحة، أي لغة الجنوب، ومدينة نيويورك. كما أن البُعد الرئيسي الآخر للتعليق، هو حُسُن النبرات، وهنا تتجلّى اللّهجات مشوّهة السمعة بشكلٍ أفضل. ويتمّ تصنيف الخصائص اللغوية للّهجات، بمصطلحات مثل 'أنفيّة'، و'رنّانة'، و'متشدقة'، وبشكل خاصّ 'جيّدة/ سيّئة'.

10.3 تقييم المتغيرات اللغوية الفردية

لقد تعاملنا حتى الآن مع تقييم اللغات واللهجات "بشكلها العام". لكن المستمعين الأصليين، لا يستجيبون فقط - أو حتى في المقام الأول - لرموز لغوية كاملة، بل يستجيبون أيضاً للصيغ المحددة التي تشكل تلك الرموز، أي أصوات اللغة وتراكيبها.

وكما هو الحال في دراسات كثيرة أخرى، كان 'لابوف' رائداً في دراسة تقييمات المستمعين للمتغيرات اللغوية الاجتماعية الفردية، في دراسته لمدينة نيويورك (1966، 1972). بالإضافة إلى تسجيله للغة التي أنتجها المتحدثون، قام باختبار مفاهيمهم من خلال تسجيلات لمتحدثين آخرين من نيويورك، إذ طلب منهم ترتيب المتحدثين، وفق أعلى عمل كان مناسباً أن يشغلوه. وقد تمت كتابة أجزاء مختلفة من نصوص التسجيلات، بهدف التركيز على أمثلة

للمتغيرات الصوتيّة الخمسة، التي كان 'لابوف' يدرسها (الفصل 7.1). وكانت التسجيلات تطابقُ المظهر، أي إن المستمعين قد سمعوا المتحدثين ذاتهم، مع أو بدون، وجود المتغيّرات المستهدفة في كلامهم. تشير الاختلافات في تصنيف المستمعين، حول فرص عمل كل متحدث بين المظهرين المختلفين لهؤلاء المتحدّثين، إلى استجاباتهم للمتغيرات اللغوية المحددة.

لم تكن النتائج متوقعة: فكلما زاد تكرار الخاضعين للمقابلة لسمة موصومة في خطابهم، كانوا أكثر تحسّساً لسماعها. وهذا يتضمّن تقاطع الطبقة المتوسطة الدنيا مع نطق المتغيّر 'r'، الذي ناقشناه في الفصل (7.2). وقد تخطّت الطبقة المتوسطة الدُنيا، الطبقة المتوسطة العُليا، في حساسية إدراكها للمتغير 'r'، وتجاوزتها في تكراره. وكتغيير جديد، اختلف تكرار المتغيّر 'r' بين الفئات العمرية – واختلف في تقييمه أيضاً. يشعر جميع البالغين، دون سن الأربعين (أكثر مجموعة تستخدم هذا المتغير)، بحساسية لوجود هذا المتغير في الخطاب، بينما لا يشعر بذلك سوى نصف الأشخاص ممن تجاوزوا الأربعين عاماً. كما يظهر هذا النمط، الذي يربط التقييم مع الاستخدام، في موضعٍ آخر؛ حيث يُعدّ صنفُ 'الطليعة الهولندية'، الذي يتميز بتخفيض الإدغام /ɛi/، (فان بيزويجن، وفان هويفن 2010)، الصنفَ الذي تستخدمه نخبة الشابات في هولندا. ويتضح أنهم يقيّمونه، بشكلٍ إيجابي، في اختبارات الإدراك.

الاستجابة للمتغيّر 'ing'.

إن أكثر الأبحاث الحديثة تطوراً حول مفاهيم المتغيرات اللغوية، تعيدنا إلى موضوع دراسة الحالة في الفصل السابع، وهو المتغير 'ing'. لقد قامت 'كاثرين كامبل-كيبلر' بنقل بدائل المتغيرين ' /ing in' بشكل رقمي، إلى تسجيلات مطابقة للمتحدثين أنفسهم، لخلق

مظاهر متطابقة تختلف فقط في تحقيقها للمتغير 'ing'. وقد وجدت أن الردود تعكس مجموعة من الخصائص الاجتماعية، لا سيّما الإقليم، والنوع، والجندر، والطبقة، وقد توصلت إلى هذه النتائج عن طريق جمع مواقف المستمعين، عبر المقابلات الجماعية، والاستبيان عبر الأنترنت.

يشكّل الجنوب الأمريكي المنطقة الأمريكية الوحيدة، التي يهيمن المتغيّر 'ing' على لهجتها. وقد نظر المستمعون، لدى 'كامبل-كيبلر'، للمتحدثين الجنوبيين، على أنهم أكثر انتماءً للجنوب عند استخدامهم المتغيّر 'in' بدلاً من 'ing'. وقام المستمعون بربط خطاب الجنوبيين، مع كونهم 'ريفيين'، و'ذوي تعليمٍ أقل'، مستحضرين هذه المجموعة من الأشكال النمطية:

تاميكا: قد يكون 'أمريكياً أحمر'[1]... هذا ممكن... هذا مصطلح سيئ.

آبي: لا، ليس سيئاً! من المقبول تماماً أن نطلق على أحدهم صفة 'أمريكي أحمر'... لكنه يحب كرة القدم وحفلات الشواء.

ماري: والمشروبات أيضاً.

آبي: والمشروبات!! نعم، إنه 'أمريكي أحمر'.

(كامبل-كيبلر 2007:49)

من ناحيةٍ أخرى، وصف ما يقرب من ضعف عدد المستمعين، متحدثاً واحداً بأنه 'مثلي'، عندما كان يستخدم 'ing' بدلاً من 'in'، واعتبروه أقلّ 'ذكورة'، وأكثر 'حضرية'. تذكّر أن للمتغيّر 'in' ارتباطات جندرية بارزة في الدراسات التي أجراها 'فيشر' و'ترودجيل' وخاصة 'كيسلنغ'، في الفصل السابع. يُشير المتغيّر 'in'، في الإدراك كما في

---

[1] الكلمة باللغة الإنكليزية هي 'redneck' وتعني حرفياً 'أحمر الرقبة' وهي تشير إلى الشخص الأبيض من الطبقة العاملة، وخاصة إلى شخص يتصف بأنه ريفي رجعي سياسياً. المترجم.

الإنتاج، إلى القوة والبنية الجسدية والانتماء الريفي. وعلى النقيض من ذلك، يُنظر إلى المتحدث الذي يستخدم المتغير 'ing' على أنه متعلّم وذكي.

لكن الصورة ليست بهذه البساطة، كما توضح 'كامبل-كيبلر' في موضعٍ آخر (2008). فقد أثار بعض متحدثيها ردود فعل متباينة من مستمعيهم، حيث اتفق أحدهم مع الآخر على كيفية ظهور المتحدثين، لكنهم اختلفوا حول ما إذا كانت مجموعة التمثيلات الذاتية تلك صحيحة أم لا. ورأوا أن استخدام 'إليزابيث' للمتغيّر 'in' يدلّ على أنها إما عطوفة أو متعالية، وذلك اعتماداً على موقف المستمع الخاص المنسوب إليها. كما رأى بعضهم 'فاليري' على أنها ذكيّة في المظهر الذي استخدمت فيه المتغير 'ing'، لكن ربع المستمعين ظنّوا أنها غير ذكية، بل تحاول أن تترك انطباعاً لديهم (التمرين 10.6). وإذا تبيّن أن أحد المتحدثين يحاول القيام بشيء ما، عن قصد، وليس بشكل طبيعي، يميل المستمعون إلى عدم السماح له بالادّعاء، ويعطونه درجات عكسيّة.

هذا التباين بين المستمعين، يُشعرنا بالحاجة إلى النظر في افتراض 'لابوف'، الذي يعتبر أن التقييمات تتم مشاركتها عبر مجتمع الكلام. ويشير التباين إلى دراسة 'ريكفورد' للطبقة الاجتماعية في 'كين ووك - غويانا' (التمرين 7.3): حيث كانت تقييمات اللغة والمواقف، متناقضة أكثر من كونها توافقية، وتعكس الصراع الطبقي داخل المجتمع. تستنتج 'كامبل-كيبلر' (2009)، أنه حتى المتغير الفردي، مثل 'ing'، الذي هو موضوع للتعليق العلني، ولديه خاصّيته المعترف بها - "حذف حرف 'g' الأخير" - يمكنه استدعاء العديد من المعاني الاجتماعية المتناقضة.

إدراك تبدّلات الحروف الصوتية

يمثل التغيير الصوتي تحدياً للإدراك والفهم: كيف يتعامل المستمعون مع الأحرف الصوتية المتغيّرة، لا سيّما إذا كان هؤلاء المستمعون يأتون من مناطق لهجات أخرى لا تخضع للتغييرات؟ عادة ما يثبت المستمعون المحلّيون - وليس أمراً غريباً – أنهم أفضل في إدراك الفروق المحلّية، أكثر من الناس القادمين من أماكن أخرى. وقد شكّلت "سلسلة التبدلات في مدن الشمال" (الفصل **8.4**) أرضاً خصبة لدراسة هذا الأمر. إذ بحث 'بريستون' (**2010**) عن مفاهيم في ميشيغان، ووجد أن المستمعين الذين كانت لهجاتهم أكثر مشاركةً في هذا التبدّل، يدركون بشكلٍ أفضل، وأولئك الأقل مشاركةً، يدركون بشكلٍ أسوأ. وكما يشير عنوان مقال 'بريستون'، سيعتقد الغرباء أنهم أدركوا هذه الجملة غير المنطقية:

Belle's body just caught the fit gnat

جسد الحسناء يُمسك فقط بالقمامة المناسبة

لكن ما قاله أحد سكان ميشيغان فعلاً، مستخدماً سلسلة تبدّلات هو:

Bill's bawdy jest cut the fat knot

- تمرّن على تبدّلات الحروف الصوتية، باستخدام الشكل (3.8a).

التمرين 10.6: تقييم فاليري

في دراسات 'كامبل-كيبلر' عن المتغيّر 'ing'، شكّك بعض المستمعين في مستوى الذكاء الحقيقي لأحد المتحدّثين. وكان المقطع التالي هو ما قالته 'فاليري' في التسجيلات التي سمعوها (الكلمات الخمس الواردة في المقطع والتي تحوي لاحقة 'ing'، نطقتها المتحدثة كما هي 'ing'):

To get a major in history you have to have taken classes from all different time periods, all different areas, **everything** like that. Umm, and that means you're **getting** breadth. You're basically **starting** from the **beginning** every time. You know, you move to a different part of the world you're **starting** from scratch. (Campbell-Kibler, 2007).

لكي تصبح متخصصاً في التاريخ، عليك أن تحضر دروساً عن جميع الفترات الزمنية المختلفة، وفي كافة المناطق المختلفة، وكل شيء يتعلّق بهذا المجال. وهذا يعني أن تصبح واسع الاطلاع. إنك تبدأ من البداية بشكل أساسي. وعندما تنتقل إلى منطقة مختلفة، تبدأ من الصفر. (كامبل-كيبلر **2007: 59**)

نورد أدناه ما قالته مجموعتنا المراقبة بعد سماعها:

سارة:... ربما هي ليست ذكية بما يكفي، لأنها لم تقل سوى البديهيات. أو ربما لم تكن تشعر بالراحة أثناء كلامها، وكانت تقول أي شيء يخطر في ذهنها وحسب.

آدم: نعم، أوافق على ذلك. بدت وكأنها لا تعرف ما تقول؛ وكأنها تقول أي كلام.

المشرف: حسناً.

جيريمي: نعم، لقد تركت لدي انطباعاً مؤكداً أنها ليست جيدة بالتاريخ.

إيمي: حسناً، حتى لو لم تكن مُجازة بالتاريخ، لا أعتقد أنها كانت دقيقة جداً...

المشرف: ما هو تحديداً ذلك الشيء الذي أعطاك هذا الانطباع؟

إيمي: لقد تلعثمت بعد أن تحدثت عن الأنماط المختلفة من التخصصات، و... كان هناك شيء من عدم الترابط.

إيميليا: نعم، لا أعتقد أنها ذكيةٌ.
('كامبل-كيبلر'، 2008)

1- اجعل طلاب الصف يعيدون قراءة نص فاليري بصوتٍ عالٍ، لإعطاء فكرة عن الطريقة التي قد يبدو بها الخطاب. اقرأ أيضاً النصوص التي تمت مناقشتها، بصوتٍ عالٍ، واجعل الطلاب يعبّرون عن المتحدّثين في المجموعات.

2- حللّ تقييمات المناقشين، والدليل عليها (لا يمكنك سماع خطابها الفعلي، ولكن معظم التعليقات تشير إلى المحتوى).

3- قم بإجراء تقييمك الخاص لفاليري.

4- قارن انطباعات المناقشين بانطباعك. هل هي متطابقة؟ عد إلى الأدلة الموجودة في النصّ.

5- ما رأيك في طريقة الدراسة؟ - تشغيل تسجيل، وإحضار مجموعة مراقبة لمناقشته. ونوع النتائج التي أنتجتها؟ راجع مقالات كامبل- كيبلر لمزيد من التفاصيل.

إن القدرة على تركيب الحروف الصوتية رقمياً، بدقة بالغة، على طول سلسلة صوتية، تعني أن الخبراء في علم الصوت الاجتماعي قادرون الآن على اختبار مفاهيم الفوارق اللفظيّة المصنّفة بدقّة. إن المستمعين من منطقة 'ديترويت' المشاركين في سلسلة التبدّل، لديهم حساسية قوية لتبدّل الحروف الصوتية، لكنّ أولئك القاطنين في شمال ميشيغان، البعيدين عن التبدّل، ليس لديهم حساسية كهذه (بليتشتا، وركرد 2010). ويبدو أن التعرض المتكرر، للألفاظ الواردة، يشكّل عاملاً بالغ الأهمية لإدراكها.

مفارقة الاندماج التقريبي

إن أكثر النتائج إثارةً للدهشة، حول إدراك المتغيرات اللغوية، هي وجود الاندماج التقريبي. حيث يحدث الاندماج عندما يأتي اثنان من

الحروف الصوتية، ليحتلّا المساحة نفسها (الفصل **8.4**). وقد تبيّن أن بعض الألفاظ يمكن دمجها تقريبيّاً، بحيث يتم سماعها بنفس الطريقة، حتى وإن أظهرتها المقاييس الصوتية على أنها ثابتة إذا كانت مختلفة قليلاً. وهذا يعني أن المتحدّثين يمكن أن ينتجوا اختلافاً لا يمكنهم إدراكه. ويبدو أن المفهوم لا ينسجم دائماً، على نحوٍ تامّ، مع الإنتاج - على الرغم من أن هذه الفكرة كانت تشكّل دائماً، معتقداً للنظرية اللغوية.

التمرين 10.7: "كافي أو كوبي – coffee or copy؟"

إن الخبرة الأكاديمية في عمليات الاندماج، لا تنقذ علماء اللّسانيات من سوء فهم الحروف الصوتية الأخرى المندمجة معاً للمتحدثين في محادثة عادية. يسجّل 'لابوف' (**1994**) هذه الحوارات بين علماء لسانيات اجتماعية خلطوا ما بين كلمتي 'copy' التي تعني 'نسخ' وكلمة 'coffee' التي تعني 'قهوة'، فكانت النتائج دمج الحرف الصوتي الخلفي المنخفض، وذلك في أجزاء من أمريكا الشمالية (لقد لاحظ حدوث ذلك بشكل منتظم في الخطاب الأكاديمي).

د. سانكوف: "it's time to make this copies"، الترجمة الحرفية هي "حان الوقت لإعداد النسختين" والمعنى الذي فهمه الآخر: "حان الوقت لتحضير القهوة".

و. لابوف: "but I've already had my coffe"، لكنني تناولت قهوتي للتوّ.

أ. تايلور: "do you have the copy key?"، الترجمة الحرفية هي "هل لديك نسخة عن المفتاح؟"، والمعنى الذي فهمة الآخر هو "هل لديك مفتاح للقهوة؟"

د. رينج: "is there a key to the coffee?"، وهل هناك مفتاح للقهوة؟

روبرتس: "how did the coffee machine work out?"،
الترجمة الحرفية هي "كيف تعمل آلة صنع القهوة؟" والمعنى الذي فهمه الآخر هو "كيف تعمل آلة الطباعة؟"
س. آش: [يبدأ في الحديث عن آلة الطباعة].

- سجّل ملاحظاتك حول الاختلافات بين لهجتك، ولهجة الآخرين، مما قد يؤدي إلى سوء الفهم عندما تتلاقى هاتان اللهجتان.
- اطلب من أعضاء الصف تسجيل جميع النماذج التي يسمعونها عن حالات مماثلة لسوء الفهم بين اللهجات. وبينما يجهز الجزء الأساسي، قم بتحليل المسائل الصوتية، والدلالية، والمعجمية، المُتضمَّنة.
- راجع ′لابوف′ (**2010**: الفصل **2**) للاطلاع على عمل مجموعته، على هذا النوع من البيانات.

المثال 10.2: اختبار المدرب

اخترع ′لابوف′ تجربة واقعيّة مبتكرة (**1994**)، لاختبار مفاهيم سكان ′فيلادلفيا′ عن الاندماج التقريبي، في كلمات مثل ′فيري وفوري – ferry and furry′ في حين كان تركيز المستمعين، بعيداً عن اللغة الفعلية. وقام بكتابة سيناريو عن مدرب فريق بيسبول في المدرسة الثانوية، يركّز على صبي يُدعى ′موراي′ وفتاة اسمها ′ميريون′. ففي المرحلة الحاسمة من المباراة النهائية، ينبغي على المدرب أن يقرر مَن منهما سيكون اللاعب البديل. يدور النقاش بينه وبين نفسه ثم يتخذ القرار:

A ′عليّ أن أُشرِك ميريون هنا′.

B ′عليّ أن أُشرِك موراي هناك′.

سجل الراوي النصّين الصوتيين كلهما، وكتب خاتمة القصة بطريقة غامضة، بحيث إنها تُناسب القرارين كلهما. يسمع الأشخاص

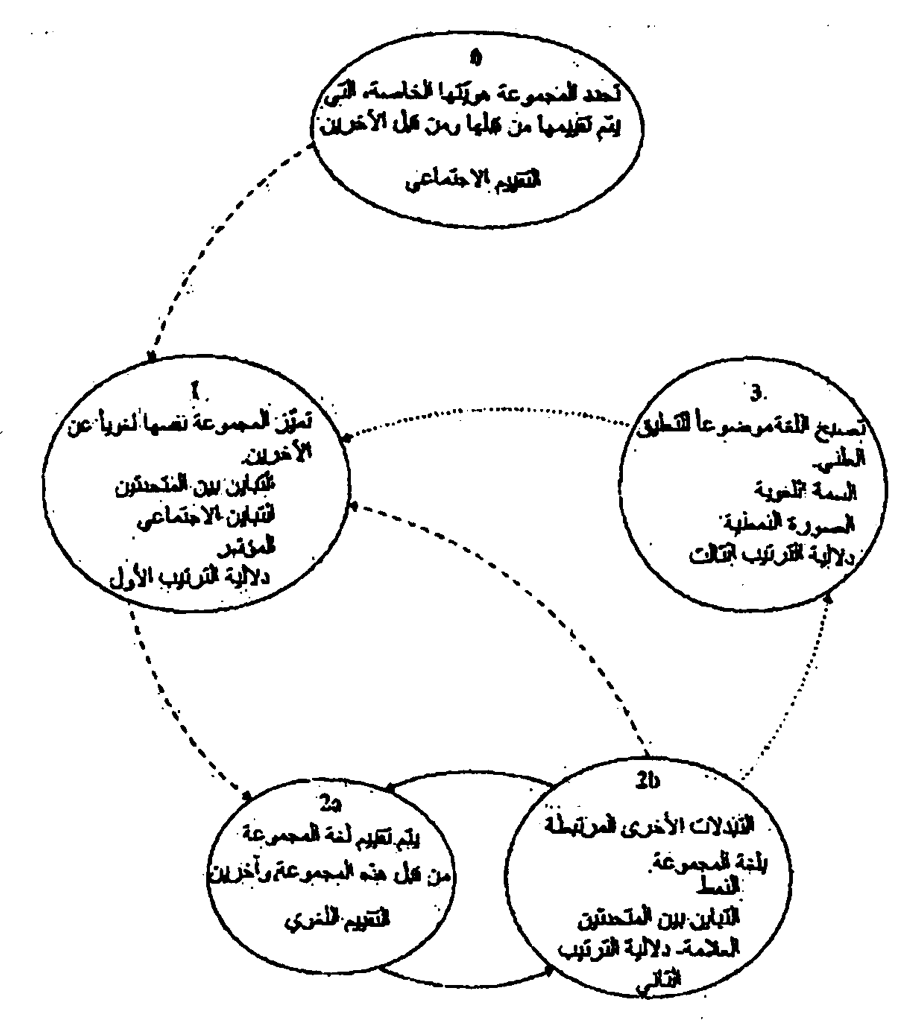
واحداً من النصوص، ويكون السؤال عما إذا كان المدرب قد اتخذ القرار الصحيح. توضح المحادثة التالية، ما إذا كانوا قد فسروا القرار على أنه تفضيل للصبي أم للفتاة، وهذا يشير بالتالي إلى كيفية فهم للدمج التقريبي بين الحروف الصوتية.

في عام (1988) تم إجراء التجربة، وقدّم أربعة عشر من أصل خمسة عشرَ شخصاً، غير محلّي، الإجابة الصحيحة على النصّ الذي سمعوه. لكن سبعةً من أصل واحد وعشرين شخصاً من فيلادلفيا، كانوا مخطئين بالإجابة، مشيرين إلى أنهم لم يدركوا تمييز الحروف الصوتية.

ظهر هناك عدة عمليات اندماج تقريبي في اللهجات الأمريكية، والبريطانية الإنكليزية، وكذلك السويدية (لابوف1994). وكان الاندماج بين ثنائيات مثل 'merry and murray'، هو الأكثر خضوعاً للدراسة والبحث في فيلادلفيا. إذ يُظهر بعض السكان دمجاً تاماً، يكون بعضه مميزاً بوضوح، لكن بعضهم يُظهر اندماجاً تقريبياً وحسب. وقد ابتكر 'لابوف' 'اختبار المدرب' لدراسة التمييز بين هذين الحرفين الصوتيين (المثال 10.2).

10.4 الدورة الدلالية

إلى حدّ كبير، يطرح القسم السابق سؤالاً أساسياً تُشكّل الإجابة عنه مهمة أساسية لنظريتنا في بقيّة هذا الكتاب. لقد رأينا كيف أن اللغات والأنواع مليئةٌ بالإيديولوجيات (القسم 10.1)، وكيف يتفاعل المستمعون مع تلك الرموز في دراسات الموقف (10.2)، وكيف يتجاوبون مع الصيغ اللغوية الفردية (10.3). لقد تناولنا سؤال 'ما هي هذه العملية'، لكننا لم نحاول، حتى الآن، معالجة أسبابها اللسانية الاجتماعية، وكيف تحدث، ومن يقوم بها. لماذا تشكّل اللسانيات معانٍ اجتماعية مستحقّة؟ كيف تفعل ذلك؟ ومن هو المسؤول؟



الشكل 10.2، الدورة الدلالية: عمليات خلق المعنى الاجتماعي في مراحل اللغة 2a و2b المتلازمتين. تشكّل المرحلتان 2 و3 عملية التدوين (آغا 2003). المصدر: مشتقّ من بيل (1984)، الشكل 2.

خلق المعنى الاجتماعي

لم تحدث المعالجة الأولى لهذه القضية المركزية، في علم اللغة الاجتماعي، ولا حتى في الغرب، بل من قبل المُنظّر الأدبي الروسي 'ميخائيل باختين'، الذي سنعالج نظريته في فصل دراسة حالة (10.6). وقد عالج مؤسسو اللّسانيات الاجتماعية، مثل 'فيرغسون' و'جامبرز'، هذه القضية في خمسينات القرن العشرين، و'لابوف' منذ الستينات. أما بالنسبة لمحاولاتي الشخصية، فقد بدأت في السبعينات وشكّلت أساساً لنظرية 'إعداد الجمهور' (بيل 1984). واقترحت نموذجاً لفهم كيفية تعامل اللغة والمتغيرات اللغوية مع المعنى الاجتماعي، كما هو موضح في النسخة الموسعة، في الشكل

(10.2)، كدورة دلالية. في غضون ذلك، بدأ عالم الأنثروبولوجيا اللغوية، 'مايكل سيلفرشتاين'، في تنظير العملية بطريقة أكثر تعقيداً، من حيث الدلالة التي اقترحَ أن لديها ثلاثة 'ترتيبات' (2003). ويشكّل المؤشّر علامةً، تحمل اتصالاً مباشراً بما تشير إليه - الرعد هو مؤشر للضوء. في اللغة، تدلّ الصيغة على القيم الاجتماعية، وتربط بين الصيغة اللغوية والمعنى الاجتماعي (مثل 'رمزيّة' إرفين وغال، في القسم، 10.1).

تشترك هذه النظريات في الكثير من النقاط: أحدد في الشكل (10.2) خمس مراحل تُشكّل الدورة الدلالية، وأقوم بتوضيحها عن طريق حالة عرفناها سابقاً باسم حالة 'بيلتن هاي' الخاصة بـ 'إيكرت' (الفصل 8.7). يتداخل الترقيم مع الترتيبات الثلاثة للدلالة عند 'سيلفرشتاين':

(0) *المجموعة (A) (أو فرد)، تحقق هوية مميزة، لها قيمة لدى أعضاء من المجموعة، تتعارض مع أعضاء آخرين يقيّمونها.*

• قدم اقتراحاً عن نقطة مثالية لأصل 'الجوكس والبرنوتس' في الماضي: تبدأ المجموعتان بتطبيق ممارساتهما الاجتماعية وخصائصهما، إنهما متمايزتان اجتماعياً.

(1) *تقوم المجموعة بتمييز جوانب لغتها عن المجموعات الأخرى،* إما كجزء من العملية التأسيسيّة، أو في وقتٍ لاحق. ينتج عن هذا 'تباين بين المتحدثين'، واختلافات بين خطاب المجموعة، وخطاب المجموعات الأخرى. وقد دعا 'لابوف' (1972) هذه العمليّة باسم 'التباين الاجتماعي'، وسمّى الصيغ اللغوية التي تجسد هذا التباين بين المتحدثين بـ 'المؤشرات'. وبالنسبة 'لسيلفرشتاين' (2003)، تشكّل هذه العملية ما يُسمى 'مؤشرات دلالية من المرتبة الأولى'، وتعدّ الخطوة الأولى في تثبيت المعنى الاجتماعي.

• يميّز 'الجوكس والبرنوتس' لغة أحدهم عن الآخر، على سبيل المثال، عن طريق استخدام التوافق السلبي بطريقة ما (الشكل **8.9**).

(2a) *يقيّم كلّ من المجموعة والمتحدّثين من خارجها، لغة المجموعة وصيغها من الناحية الاجتماعية.* كما تتعامل المتغيرات اللغوية مع المعاني الاجتماعية، بما يتماشى مع كيفية تقييم مجموعة المستخدمين، كما رأينا في القسم السابق بما يخص المتغيّر 'ing' والمتغيّر 'r'.

• بالنسبة إلى مجتمع 'بيلتن هاي'، يجذب التوافق السلبي التقييمات المرتبطة مع مجموعة مستخدميها، البرنوتس. وتبدأ الصيغة باتخاذ المعنى الذي تقصده المجموعة.

(2b) *في الوقت نفسه، يبدأ المتحدّثون من خارج المجموعة بتبنّي هذه السمات، للإشارة إلى الانتماء المرغوب مع المجموعة وقيمها.* وهذا يخلق 'تبايناً بين المتحدثين'؛ أي الأفراد الذين يتراوح خطابهم بين مرجعهم الأصلي، والمتغيرات المعتمدة حديثاً. وهذا هو 'التمط'. وقد دعا 'لابوف'، هذه العمليّة، بعلامات المتغيرات اللغوية، وأسماها 'سيلفرشتاين' 'مؤشرات دلالية من المرتبة الثانية'.

• قد يبدأ المعتدلون من مجموعة 'بيلتن هاي'، الذين يريدون الانضمام للبرنوتس، باستخدام التوافق السلبي. حيث تبدأ الصيغة بالرمز للانتماء للمجموعة.

(3) *قد تصبح بعض المتغيرات اللغوية موضع اهتمام وتعليق علني.* هذه هي 'السمات اللغوية – الشيبوليث' (المثال **10.1**)، والتي تُستخدَم بها الصيغ اللغوية بشكلٍ واعٍ للقيام بالعمل الاجتماعي. وقد أطلق عليها 'لابوف' اسم 'الصور النمطية'، وأسماها 'سيلفرشتاين' **'مؤشرات دلالية من المرتبة الثالثة'.**

• يتم تعريف التوافق السلبي، بشكلٍ علني، على أنه صورة نمطية لخطاب البرنوتس. ويمكن أن يُقدَّم كشعار للمجموعة – للانتماء، أو النقد، أو السخرية.

فهم المؤشرات الدلالية

في الشكل (10.2)، تُعتبر محاولتي إضفاء صفة رسمية على خلق معنى لساني اجتماعي - مثل أي محاولة أخرى - منفّذة بالشكل المثالي حتماً، وقيد التدقيق. إنها تعيد صياغة المفاهيم كمفهوم "الهوية" و"المجموعة"، وترتّب المراحل المتزامنة، أو المتداخلة، أو المتكررة، بشكلٍ زمني، وتجعل المتغير محدداً، والنسبي مطلقاً، وتعني ضمناً أن جميع متغيرات المجموعة تدلّ على المعنى الاجتماعي ذاته. ومع ذلك، ما يزال إنتاج نماذج 'كالدورة الدلالية' أمراً يستحقّ المحاولة، ونستطيع الآن استنباط عدد من التعميمات:

• لا يمكنك قراءة معنى اجتماعي من الدرجة الثانية من خلال تصنيف من الدرجة الأولى (سيلفرشتاين، 2003). إن وجود اختلافات إحصائية بين الأعمار، أو الطبقات، لا يثبت، في حد ذاته، أن المتغير له معنى اجتماعي (كما افترضت بعض الأعمال التباينية). فأنت تحتاج إلى دليل اجتماعي مستقل.

• تُستمدّ النمطية (المرحلة '2b') من التمايز 'الاجتماعي'، وتعكسه (1). إذ إنك لا تحصل على اختلاف نمطي بين المتحدثين دون وجود مسبق لاختلافات بينهم (بيل 1984). كما يشكّل وجود مؤشرات دلالية من المرتبة الأولى شرطاً مُسبقاً للمؤشرات الدلالية من المرتبة الثانية.

• تحدث المرحلتان (2a) و(2b) بشكل متلازم دوماً. وعلى سبيل المثال، تنصّ الأدلة التجريبية، من أعمال 'لابوف الأولى' على أنه

بمجرّد أن يبدأ تقييم المتغير اللغوي، يصبح بالضرورة موضوعاً لتبدّل النمط (الشكل **7.1**).

- تشكّل معظم المتغيرات علامات، ودلالات من الدرجة الثانية، إذ تخضع للتقييم، وتكون عرضة للتنميط. ويبقى القليل منها محصوراً في مستوى المؤشرات، مع إمكانية من الدرجة الثانية تكمن فقط في قابليّتها على إضفاء معنى اجتماعي (سيلفرشتاين **2003**). كما تنتقل بعض المتغيرات إلى (المرحلة **3**)، لتتحول إلى سمات لغوية مؤثرة بشكل واضح.
- يعدّ هذا النموذج أسلوباً لتخطيط كيفية خلق الاختلافات اللغوية بين المجموعات، أي كيف تتطور الأنماط. كما يوضح أيضاً العملية التي يتعلم بها الفرد التنميط، ويمكن أن يستمرّ في الانتقال إلى المتغيرات الجديدة - لاحظ أن الأسهم المتكررة من (2b) و(**3**) تعود إلى المرحلة (**1**).

إن أكثر الأبحاث شمولاً في المؤشرات الدلالية، وتدوين اللهجة التي تجسّدها، قامت بها 'باربرا جونستون' وزملائها في جامعة 'بيتسبيرغ' في الولايات المتحدة الأمريكية. لقد تابعوا لهجة 'بيتسبيرغ' من خلال الترتيبات الدلالية الثلاثة كلها، بدءاً بالاختلافات التاريخية، مروراً بالتقييم والتنميط، وصولاً إلى الأداء النمطي. كان أول ظهور مطبوع باسم 'بيتسبيرغ - Pittsburghese' في عام (**1967**)، وقد تم 'تسليعها' الآن وأصبحت مطبوعة على قمصان، ويتم تقديمها في مسرحيات إذاعية، كما تم عرضها في دليل منشور، حول موضوع ***كيف تتحدّث كشخص من 'بيتسبيرغ'***. يُعتبر الإدغام، كصوت أحادي، في كلمة 'MOUTH'، سمة لغوية راسخة الآن في بيتسبيرغ - المرحلة (**3**) في الشكل (**10.2**). وغالباً ما يتم عرض مثل هذا الاختلاف، في سلسلة عناصر معجمية (ربما يكون معاداً توضيحها)،

ويتم في هذه الحالة لفظ كلمة 'downtown'، التي تعني 'مركز المدينة' على شكل 'dahntahn'. تذكّر سرد 'ريكس أو نيل' الذي يتحدث عن طريقة نطق الحروف الصوتية في لهجة 'هوي تويد'[1] في منطقة أوكراكوك (المثال 9.1).

التمرين 10.8: ابحث عن نمط لغوي بالقرب منك

ما هي السمات النمطية - دلالات الترتيب الثالث - للهجتك المحلية؟ أو لصنف تعرف أنه محدد اجتماعياً، وليس إقليمياً، مثل اللغة التخصصية للشباب؟ انظر إلى بحث بيتسبيرغ كمثال ('جونستون'، 'أندرس'، 'دانيلسون'، **2006**؛ 'جونستون'، 'كيسلينغ'، **2008**؛ 'جونستون'، **2009**، **2011**).

1- اكتب قائمة بأكبر عدد ممكن من الصيغ اللغوية النمطية للهجة.

2- ما هي المستويات اللغوية التي تنتمي إليها هذه الصيغ؟ - معجمية، صوتيّة، أو حتّى نحوية؟

3- بالنسبة للنطق، هل يرتبط بواحدة من المفردات المعجمية المحددة، أم أكثر؟ لماذا هذه الكلمات؟ هل يستخدم تعبيراً خاصّاً لتمثيل اللهجة؟

4- هل توجد قواميس، أو قوائم كلمات على الويب، للّهجة المتاحة، أو نصائح حول كيفية التحدث بها؟ اختر واحدة، وقم بتحليلها.

5- اختر صيغة واحدة أو أكثر، وقدّم مجموعة من الأمثلة التي يتمّ استخدامها عن عمد لتمثيل الصّنف.

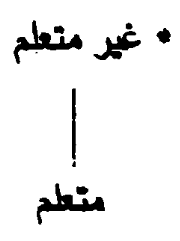
6- ما الأنواع (مثل الإعلانات)، أو المنتجات (مثل الأقداح)، التي تظهر بها الصيغ؟

---

hoi toide[1]: لهجة أميركية إنكليزية، تتحدث بها مجتمعات محدودة في الولايات المتحدة، المطلّة على جنوب المحيط الأطلنطي.

7- كيف يرتبط تمثيلها بالخصائص الاجتماعية المرتبطة باللهجة؟
8- ما هي مواقف المتحدثين والأجانب تجاه اللهجة؟ أو تجاه الصيغ النمطية؟

• غير متعلم



متعلم

• متراخي / كسول ـــ مجتهد

متمسك بالشكليات ـــ • مسترخي

فصيح / طنان

• عاجز عن الإفصاح / بسيط

الشكل ٣,١٠: النمط الروماني يمثل المتغير (ing)، والمسبوق بنجمة يمثل (in)

المجال الدلالي

تقترح 'إيكرت' مفهوم المجال الدلالي، كطريقة لتحديد نطاق المعاني الاجتماعية الخاصّة بالمتغيّر، لاعتقادها بأنه من غير المفترض ربط المتغيّر بدلالة واحدة. كما أنها تأخذ تنوّع الترابطات التي يستدعيها المتغيّر 'ing' في دراسات 'كامبل-كيبلر'، والتي بحثناها في وقت سابق، وتقوم بتمثيلها في رسم بياني (الشكل **10.3**). بالنسبة للمستمعين الأفراد، لا يحتاج المتغيّران 'ing' و'in' إلى مؤشر أضاد مباشر. كما وجد كلّ من 'جونستون، وكيسلنج' (**2008**)، أن الإدغام في كلمة MOUTH، له معانٍ مختلفة جداً، بالنسبة لأشخاص

مختلفين، ولا يمكن التنبؤ بها عادة من الناحية الديموغرافية للشخص. وبشكل خاص، ربما يكون لدى المتحدث معنى اجتماعي للمتغيّر، مختلف عن المعنى الذي يتلقّاه المستمع. ومع ذلك، يتضح من (الشكل 10.2) أن متغيراً من نوع 'ing' لا ينقل مجموعة أساسية من المعاني الاجتماعية.

10.5 تمييز اللغة

اللغة القياسية، ومقاييس اللغة

تعدّ اللغة القياسية المنتج الأكثر وضوحاً للأيديولوجية اللغوية. وعلى الرغم من إلقاء الناس الكثير من اهتمامهم على صيغ اللغة القياسية، إلا أنها في الأساس بناء اجتماعي وليس لغوياً. إن اللغات القياسية هي نتيجة العمليات الموضحة في القسمين الأول والثالث من هذا الفصل. وتذكّر أن السمة الرئيسة للإيديولوجية، هي أنها تخدم مصالح اجتماعية (وولارد 1998). حيث يتم تحديد اللغات القياسية، من قبل النخبة الاجتماعية، ولصالحها، مما يؤدّي إلى إضفاء الشرعية على الهيمنة اللغوية، وحجبها عن العامّة.

ربما تكون اللغة الفرنسية اللغةَ الأكثر قياسية في العالم، حيث أصبحت مرجعيّة في القرن السابع عشر، من خلال تأسيس الأكاديمية الفرنسية (المثال 10.3). بعد الثورة الفرنسية، أصبح توحيد اللغة أكثر تطرفاً، حيث تم تخفيض منزلة جميع اللغات الأخرى، مثل 'بريتون'، و 'أوكسيتان'، وجميع الأصناف الأخرى غير الفرنسية، لصالح فرنسية 'Île de' (منطقة حول باريس: راجع 'بورهيس' 1982، للمزيد من المعلومات). تاريخ كهذا يجعلنا لا نستغرب أن يكون عالم الاجتماع الفرنسي 'بيير بورديو'، الشخص الذي يُنظر إليه كأساس للتوحيد القياسي للغة. يوجد في المجتمع أنواع ومستويات مختلفة من الأسس الرمزية أو الثقافية، بما في ذلك

رأس **المال اللغوي**. ويقوم التوحيد القياسي للّغة بتوحيد السوق اللغوي (الفصل **8.6**)، مما يؤدّي بالضرورة، إلى خفض قيمة جميع الرموز الأخرى. حيث يبقى المتحدّثون، الذين لم يكتسبوا 'اللغة الرسمية' منذ الصغر (بورديو **1991**)، عرضةً للنقص تلقائياً. في المواقف التي يتوقع فيها استخدام اللغات القياسية، مثل المناسبات الاجتماعية الرسمية. إذ يجب سماع الخطاب وفهمه، واعتماد لغة رسمية - لكن لا يمكنهم تحقيق ذلك بسهولة. وتكون النتيجة شكلاً من أشكال العنف الرمزي، الذي يؤدي إلى سلوك تصحيحي مُفرط لـ 'البرجوازية الصغيرة' التي اكتشفها 'لابوف' في نيويورك، ولاحظها 'بورديو' في فرنسا. وقد قام 'لابوف' بحساب 'مؤشر انعدام الأمن اللغوي' لسكان مدينة نيويورك، وهو الفرق بين استخدامه الخاص، وما اعتقدوا أنه الصحيح. وإلى حدّ كبير، كانت الطبقة الوسطى الدنيا هي الأكثر تشوهاً للسمعة، حيث قادت 'لابوف' إلى إعطاء توصيف لمدينة نيويورك بأنها 'بؤرة الرقيّ السلبي' (**1972**).

المثال 10.3: الأكاديمية الفرنسيّة

تعدّ الأكاديمية الفرنسية أفضل هيئة معروفة للمقاييس اللغوية في العالم: إذ لديها أربعون مقعداً، كلٌّ منها مرقّم بشكلٍ فردي، ويحتلها واحد من المعمّرين الذين يزيد متوسط أعمارهم عن ثمانين عاماً. ويتم انتخاب الأعضاء الجدد، مدى الحياة، من قبل الأعضاء الحاليين، وعند الانضمام، يجب عليهم تقديم خطاب تأبين للعضو الذي قاموا بأخذ مكانه. لقد انتسب إلى هذه الأكاديمية أكثر من سبعمئة معمّر عبر تاريخها، وكان من بينهم ست نساء تم انتخابهنّ للمرة الأولى عام (**1980**).

أسس هذه الأكاديمية الكاردينال 'رشيليو'، وهو رئيس وزراء الملك 'لويس الثالث عشر' القوي. وتتمثّل مهمتها في 'تأسيس اللغة الفرنسية

بسرعة، وإنشاء قواعدها، وجعلها نقيّة مفهومة من قِبَلِ الجميع'. كما أنها تعطي أحكاماً حول مقاييس الصحة، وتنشر القواميس الرسمية للغة الفرنسية.

كان اهتمام الأكاديمية الرئيسي الأخير هو إيقاف تأثير اللغة الإنكليزية المتواصل والملموس، على اللغة الفرنسية. وفي عام (**2008**)، عارضت أيضاً، بشكل حازم لكن دون جدوى، الاعتراف الرسمي بأكثر من عشرين لغة إقليمية كانت قد حُرِمَت من الشرعية الدستورية لقرون. كما اعترضت الأكاديمية على استخدام بدائل مؤنثة للألقاب، مثل "La Ministre" للوزيرة بدلاً من صيغة المذكّر "Le Minister". ويشكّل استخدام البدائل المؤنّثة، ممارسة رسمية بالفعل في الدول الأخرى الناطقة بالفرنسية، وينتشر على نطاقٍ واسع في فرنسا.

نستطيع أن نرى إذاً أن النقاء اللغوي هو السائد في فرنسا؛ فقد تعرّض الرئيس 'نيكولا ساركوزي' لانتقادات واسعة بسبب لغته، لا سيّما حذفه لـ 'ne' في الجمل المنفيّة؛ والتي تُعدّ الآن القاعدة الأساسية لغالبية المتحدثين في معظم الأوقات (الفصل **8.3**).

• استخدم موارد الأنترنت للبحث عن أعمال مؤسسة توجيهية للغة في بلدك. ويمكن أن يشمل هذا: أكاديمية، وسلطات تعليمية أيضاً، وصانعي القواميس، ومنظمات البث.

• راقب تعليقات وسائل الإعلام على استخدام اللغة، وخصوصاً الشكاوى، والدعاوي (ما يسميه كاميرون 'الصحّة اللفظية'، **1995**). ما هي النماذج في التعليقات التي قمت بجمعها؟ ما هي الاهتمامات التي يقدّمونها؟

عمليات التوحيد القياسي

تعود دراسة التوحيد القياسي للغة، إلى بداية اللّسانيات الاجتماعيّة، عندما كان تخطيط اللغة نشاطاً رئيساً (راجع الفصل 3.4). وقد اقترح الأمريكي النرويجي 'إينار هوجين' (1966)، أن التوحيد القياسي يتألف من أربعة مراحل:

1- اختيار لغة، أو صنف، ليتم توحيده قياسيّاً.

2- تدوين الخصائص اللغوية للمقياس.

3- الإعداد - تعزيز المقياس، عبر المهام الاجتماعية (انظر الفصل 3.2)، والمجالات (6.1)

4- القبول – تطبيق ونشر المقياس في جميع أنحاء المجتمع.

يشترك نموذج 'هوجين' مع النظريات الوصفيّة كلها، بالميل لمحو الموقف الأيديولوجي الذي يتم تدوينه، ويتناغم بالتالي مع النظرية التي تُجمع على البنية الاجتماعية. وتماشياً مع نموذج النزاع الذي تم وصفه في الفصل (7.2)، يعتبر 'الثنائي ميلروي' (2012) التوحيد القياسي أشبه بإيديولوجية وعملية، ويعتبر المقياس أشبه بفكرة بدلاً من كونها مُنتجاً.

يعدّ 'النطق المُتلقّى' (RP)، أكثر النبرات القياسية شهرةً في العالم، ولكنه ابتكار حديث نسبياً، ناتج عن العمليات الاجتماعية، والمشاركة في التغيير اللغوي المستمر (تذكّر المثال 8.1). وعلى الرغم من أن التسمية تشير إلى سلطة تاريخية، إلا أنه حتى منتصف القرن الثامن عشر، لم يكن هناك أي معنى للنطق القياسي للغة الإنكليزية. ولكن بعد مئة عام، تم تأسيس "النطق المُتلقّى (RP) بوصفه نبرة للنخبة في إنكلترا. وقد انتقل من المركز الأول إلى الثاني، في الدورة الدلالية، في (الشكل 10.2). راجع دراسة 'آغا'، لتدوين "النطق المُتلقّى" في المثال (10.4).

يشكّل نظام التعليم الأداة الرئيسة للتوحيد القياسي للغة، ويعزز هذا النظام، بشكل روتيني، أحادية اللغة واللهجة. ويؤكد 'بورديو' أن المعلّمين، والنحويين، والكُتّاب، يُنشئون لغةً شرعية يجب أن تكون ثابتة من خلال التصحيح المستمر. في المملكة المتحدة، يجمع 'جون هوني' اللغة الإنكليزية القياسية، مع 'الثقافة' والإصلاح الاجتماعي (1997)، وتعلّم المقياس، مع القدرة على اكتساب المعرفة التكنولوجية - وينظرُ لعلماء اللغة على أنهم أعداء للمقياس. وقد اقترح إنشاء أكاديمية في بريطانيا، على غرار الأكاديمية الفرنسية. يحدد عمل 'ليبي-جرين' حول 'اللغة والأيديولوجيا والتمييز'، في الولايات المتحدة (2012)، مجموعة من الممارسات التعليمية التي تقوم بتهميش اللغة الإنكليزية غير القياسية، في الفصل الدراسي.

المثال 10.4: تدوين النطق المُتلقّى (RP)

بحث 'آصف آغا' (2003) في عملية 'التدوين'، التي أصبحت من خلالها نبرة أقلّية، من جنوب شرق إنكلترا، المقياس الوطني للغة الإنكليزية البريطانية. ويغطّي مصطلحه المرحلتين الثانية والثالثة للدورة الدلالية (الشكل 10.2)، منتقلاً من دلالات الترتيب الأول إلى الثاني إلى الثالث.

كان الشرط الأساسي لتدوين "النطق المُتلقّى"، تعميمه على نطاق أوسع في المجتمع. بدأ هذا حوالي عام (1760)، مع انتشار الأعمال الاستباقية المتعلّقة بالنطق، مما أدى إلى وجود كتيبات شائعة عن الخطاب الصحيح. وقد جمع الروائيون، في القرن التاسع عشر، سمات من خطاب شخصياتهم. وأصبحت فرقة 'أوريا هيب'، من ديكنز، رمزاً لحذف الحرف (H) (سيئ السمعة)، وهو رمز نمطي مكرر في كلمة واحدة مكررة ('umble). وأخيراً، نشرت مجلّة 'بينيْ' الأسبوعية، خطاباً للكلام الجيد على المستوى الاجتماعي.

وهكذا، أصبح يُنظر "للنطق المُتلقّى"، وعلى نطاق واسع، أنه خطاب مرغوب اجتماعياً، ومع حلول القرن التاسع عشر، أصبحت المدارس العامة الإنكليزية أشبه بحضانات لإنتاج المتحدثين به. وقد تم تحديد 'النطق المُتلقّى' بشكل متزايد مع ما وصفه 'آغا' 'بالشخصيات النمطيّة'. ففي البداية، عمل خريجو المدارس العامّة كمتحدثين مثاليين لهذا النوع، وتلاهم بعد ذلك ضباط الجيش، ومن ثم مذيعو هيئة الإذاعة البريطانية في منتصف القرن العشرين (انظر التمرين 10.9).

اليوم، يُقيَّم "النطق المُتلقّى" باستمرار بوصفه ذي مكانة عالية في تقييمات مقياس اللهجة، في دراسات المواقف (القسم 10.2). إذ لا يتحدث به سوى نسبة قليلة من سكان المملكة المتحدة، ولكنّ الندرة، هي التي تشكّل قدراً كبيراً من قيمته؛ إذ إن قيمته ستنخفض إذا تكلم بها الكثيرون.

- ابحث في لغة، أو صنف قياسٍ تعرفه. كيف اكتسب هذه المكانة؟
- اطلع على عمليات "النطق المُتلقّى" عن 'آغا' (2003)، وفكّر في العمليات الموازية - أو المختلفة - في بحثك. كيف يتم تعميم هذا الصنف، وكيف يتمّ حفظه؟
- من يرتبط بهذه اللغة، أو الصنف القياسي، من هم 'شخصياته النمطيّة' (مثل ارتباط الملكة بـ 'النطق المتلقّى)؟
- اطلع على عمل 'ليندا ماجلستون' الرائع، الخاص بحذف حرفي 'g' و'h' كرمز لعدم "التحدث بطريقة مناسبة" باللغة الإنكليزية (1995). ما هي السمات اللغوية، التي تحدد المقياس الذي تقوم بدراسته؟

الانتقاص اللغوي

إذا كان التحدث باللغة القياسية يعدّ ميزة اجتماعية، فلا بدّ أن يكون الافتقار إليه عيباً بالضرورة. والنتيجة، التي لا مفرّ منها، للتوحيد القياسي للغة، هي عدم المساواة للبعض بشكل مؤكد، وعدم مساواة للكثيرين في أغلب الأحيان. وكثيراً ما أشرتُ في هذه الفصول القليلة الماضية، إلى أنواع 'قياسية' لمتغير لغوي، على أنها مفهوم غير مثير للمشاكل. لكنّها ليست كذلك؛ إذ كان هذا المفهوم معرّفاً في اللّسانيات الاجتماعية، لكن شحنه الإيديولوجي لم يتم تناوله كثيراً، إذا استثنينا الثنائي 'ميلروي' (خاصة، **2012**). ويكون النقص مرمّزاً لغوياً. بالنسبة 'لبورديو'، إذا كان المتحدثون يفتقرون إلى أساس 'اللغة الشرعية'، سيكونون ناقصين.

التمرين **10.9**: البث كمقياس لغوي

روتينياً، يتم التعامل مع مذيعي الأخبار بوصفهم 'الشخصيات النمطية' التي يجسّد خطابها المقياس. وهذا ينطبق على "النطق المُتلقى" في المملكة المتحدة ('آغا'، **2003**)، وعلى "الشبكة الإنكليزية' في الولايات المتحدة. يُقرّ 'لابوف' بهذا التعريف من خلال استخدام مذيعي الأخبار كنماذج في تجارب التقييم ('لابوف'، **2011**).

- من وجهة نظرك، ما هي الأسباب التي دفعت أخبار البث، إلى اعتماد اللغة القياسية، في خطابها الخاص، منذ أيامها الأولى؟ - راجع 'لينير' (**1980**)، فيما يتعلّق براديو هيئة الإذاعة البريطانية الأول.
- لماذا تم اتخاذ الأخبار الإذاعية على أنها المقياس الذي يُحكم بموجبه على المقياس نفسه؟ حدّد على الأقل ستة أسباب.
- هل تستخدم الإذاعة والتلفزيون الوطنيين في بلدك اللغة القياسية؟ إذا كان الأمر كذلك، خمّن ما أسبابها؟

• إذا لم يكن الأمر كذلك، فما هو الصنف الذي يستخدمونه، ولماذا؟ هل كان دائماً بهذه الطريقة، أم أنه قد تغيّر؟ هل هي حالة من عدم، أو إعادة، التوحيد القياسي؟ ما هي العوامل التي تسهم في ذلك؟

وتشمل المصادر 'بيل' (1983، 2011)، 'آغا' (2003)، 'ليبي جرين' (2012).

تكون القرائن المعتادة للنقص اللغوي، هي النقص الاقتصادي والاجتماعي، سواء أكان ذلك للمغاربة في فرنسا، أو الشماليين في إنكلترا، أو الناطقين بلغة الكيشوا في بيرو، أو الأمريكيين من أصل إفريقي، أو الطبقة الملكية في كين ووك، غينيا (الفصل 7-2). إذا كان 'الأشخاص المثاليون' يتحدثون بطريقة معينة، فلن تصبح من ضمنهم دون التحدّث بطريقتهم، بغض النظر عن أن المؤشرات اللغوية الفعلية تكون استبدادية - لماذا يعدّ لفظ الحرف 'r' مرموقاً في أميركا، وسيئاً في إنكلترا؟ - بغض النظر عن أن أقلية صغيرة فقط من السكان تتحكم في المقياس.

لكن كما يُظهِر بحث علم اللّهجات الإدراكي، إن معظم الناس يتقبّلون المقياس على أنه طبيعي، وسوي، ومنطقي (جيمس ميلروي 2001) - انظر (التمرين 10.10). يشمل 'المقياس'، بل يعتمد في الواقع على الرؤية التوافقيّة للمجتمع، وهي ما انتقدته في الفصل (7.2) لأنها تتجاهل الحقائق الاجتماعية والاقتصادية، والحقائق الاجتماعية اللغوية التي غالباً ما تكون متعارضة. لقد كان معظم علماء اللّسانيات الاجتماعية على وعي تام بالنقص في المجتمعات التي درسوها، وتم تنفيذ العديد من المشروعات الكبرى لمعالجة الظلم اللغوي. ولكن، كما سنرى في دراسة حالة 'باختين' في القسم (10.6)، ربما نحتاج إلى شيء أكثر جوهريّة.

تقييم اللغة العامية

لا يعدّ المقياس السيناريو الوحيد: فقد رأينا في (الفصل 7.6)، في حالة المتغيّر 'ing'، وفي دراسة 'كامبل كيبلر' (10.3)، أن هناك قوى موازية. تدلّ هذه القوى على مجموعة من الارتباطات والقيم والمعارضات البديلة: الطبقة العاملة مقابل المتوسطة، الصلابة – الضعف، الرجولة- الأنوثة، التضامن- المكانة، المحلّية- العالمية، المادّية- الثقل. وقد دعا 'ترودجيل' هذا البديل، 'بالرقيّ السري'، على الرغم من أن 'لابوف' اختتم (2001: 217)، بأن تجاربه التقييمية، لم تقدم دعماً يُذكَر، لوجود مثل هذه المعايير في فيلادلفيا.

التمرين 10.10: الصحّة اللّغوية

في مقدّمته لدليل الطرق المنظّمة للكلام الجيّد (1940)، كتب البروفيسور 'ف. سينكلير'، من جامعة كانتربري، نيوزيلندا:

الخطاب المهين، - لا يمكن التأكيد عليه بشدّة - هو أحد أعراض الانحطاط الثقافي العام، وعدم الإحساس المتزايد بالقيم التي تكمن في جذور الثقافات جميعها. قال أحدهم إن الأشخاص الذين يتحدثون عن طريق الأنف، سيفكرون من خلاله. ومن المؤكد أنه إذا تحدثنا بشكل سيئ، فسوف نفكر بشكلٍ سيئ، ونشعر بالخشونة. ('جوردن' و'آبيل'، 1990).

يعدّ الكثير من الناس 'مخضرمين' لغويين، يركّزون على ما وصفته 'ديبورا كاميرون'، بالصحّة اللّغوية، أي: 'الرغبة في التدخل في مسائل اللغة' (1995)، إذ يعتمد الدافع لتطهير اللغة، على إيمانٍ راسخ بما وصفه 'لابوف' - بعد المقابلات مع آلاف المتحدثين - بمبدأ العصر الذهبي: 'في وقت ما في الماضي، كانت اللغة في حالة من الكمال' (2001). إذاً، يجب أن يكون التغيير اللغوي الكامل دائماً نحو الأسوأ. وغالباً ما يكون للشكاوى، (مثل شكوى سنكلاير)، أساسٌ أخلاقي

قوي. لكن بينما قد يعتقد اللغويون الوصفيون أن مثل هذه الآراء هراء، يحتاج علماء اللّسانيات الاجتماعية إلى أخذها كآراء راسخة، بطريقة جدّية.

• تنشر وسائل الإعلام العديد من هذه الشكاوى. ابحث باستخدام الكمبيوتر في الصحف، أو المجلات المحلية، مستخدماً مجموعات من الكلمات الرئيسة المناسبة لتحديد قصص الشكاوى والرسائل. أو اعثر على مدونات، أو مواقع ويب أخرى، مكرّسة للنظرية الاستباقيّة للّغة.

• قم بتحليل الشكاوى وتصنيفها. قارن الآراء المُبدية، مع ما يعتقده اللغويون. فسّر الاختلافات.

• تناول مجموعة واحدة من وجهات النظر هذه، واكتب بياناً يركّز عليها، واعقد مناقشةً مكونة من جانبين، حولها في الصف.

• أو ناقش هذا البيان:

لا توجد لهجة أو نبرة، أفضل لغوياً من أي واحدة أخرى: فالناس يعتبرون لهجة ما، على أنها أفضل من الأخرى، بناءً على أسس اجتماعية بحتة.

• تتضمّن المصادر كتاب خرافات اللغة، 'لباور، وترودجيل' (1998)، الصحّة اللغوية 'لكاميرون' (1995)، اللّسانيات الشعبيّة 'لنيدجلسكي، وبريستون' (2000)، اللغة الإنكليزية مع نبرة (ليبي-جرين 2012)، والإنكليزية القياسية 'لوات، وبيكس': توسيع النقاش (1999).

ومع ذلك، لا يزال من الواضح أن المجموعات، مثل مجموعة برنوتس لدى 'إيكرت'، تخلق المعايير اللغوية التي تتعارض بشكل صارم مع المقياس، وتحافظ عليها. وتعدّ الشبكات والممارسات المحلية المشتركة، آليات حفاظ على اللغة العامية، مع صلاحياتها الخاصة في

الإقناع والتوافق، في مواجهة الانتشار المؤسسي للمقياس. لكن حسب التعريف، لا يوجد خطاب عام، أو نقاش، حول ما هو خفي.

ومع ذلك، فإننا نحتاج أيضاً إلى أن نحترس، من دون شكّ، من عدم المصادقة على بناء مقياس واحد لسلسلة غير قياسية، والتي يجب أن تصنّف معها جميع التباينات اللغوية. يعارض 'بورديو' (1991) بشدّة هذه الازدواجية، بين اللغة القياسية واللغة 'الشعبية'، التي تؤيّد البنية السائدة ببساطة. كما يقدّم 'باختين' المطلب نفسه، كما سنرى في القسم الآتي، مع مفهومه عن 'المغايرة اللغوية'. تعدّ اللغة العامّية، أكثر تنوعاً من المقياس، بدرجة كبيرة، فهي مركز الابتكار، والإبداع اللغوي - تذكر برنوتس، في (الفصل 8.7). هناك حاجة إلى (إعادة) اكتشاف التنوع، حيث يقترح 'بورديو' الأسواق البديلة التي يتم فيها تقييم اللغة 'السائدة'.

من جديد، ظهر الآن شيء من هذا القبيل في الدول التي تأسست مقاييسها اللغوية منذ قرنين أو أكثر من الزمن. إن عمليات هدم التوحيد القياسي، وإعادة بنائه، واضحة في أوروبا، وهي قيد موضوع بحث يقوم به اتحاد الأبحاث 'SLICE' - إيديولوجيا اللغة القياسية في أوروبا المعاصرة' (كريستيانسن، وكوبلاند 2011). وضمن عملية إعادة التوحيد، لم يتمّ التخلّي عن الاعتقاد بأن هناك، بل ينبغي أن يكون هناك، 'لغة مُثلى'، لكن هذه الفكرة قد تغيّرت، أو يبدو أنها قد تغيّرت (كريستيانسن، 2009). ومن الأمثلة على ذلك، قبول لغة 'الأبونيكس'[1]، في ولاية كاليفورنيا، كوسيلة تعليم، عوضاً عن اللغة الإنكليزية القياسية.

والعمليّة الأكثر أساسية، هي عدم التوحيد القياسي، والتخلّي عن الفكرة القائلة بوجود المقياس، مع كل التداعيات الإيديولوجية التي

---

1 * الإبونيكس: اللغة الإنجليزية العامية للأميركيين الأفارقة.

تنطوي عليها. يصوّر مفهوم 'باختين'، لقوى اللغة الجاذبة والنابذة (القسم 10.6) هذا الاتجاه الملغى. حيث ينطوي عدم التوحيد، على الابتعاد عن المقياس في جميع الاتجاهات، وإلغاء مرافقة اللغة لفكرة المقياس. يدرس كتاب 'كريستيانسن وكوبلاند'، المدى الذي يمكن أن تعمل به عمليّات هدم التوحيد القياسي، وإعادة بنائه، في أوروبا المُعاصرة.

10.6 حالة باختين

تأتي قصة ميخائيل باختين، مع تحذير صحي حكومي. فقد كان باختين مدخّناً مُدمناً - على الرغم من أنه عاش ما يقرب من ثمانين عاماً - لكن لم تعش كل أعماله معه. إذ في سنوات الحرب الباردة الثانية، في الاتحاد السوفياتي، لم يعد لديه أوراق سجائر، وكانت الورقة الوحيدة المناسبة لديه واحدة من مخطوطاته، فقام باستخدامها صفحةً تلو الأخرى في لفّ سجائره. كما اختفت نسخة الناشر أثناء الغزو الألماني، مما أدى إلى ضياع الكتاب بتدخين مؤلّفه له.

تمثل هذه الحادثة، مثالاً لطريق 'باختين' الصعب نحو النشر والتمييز. فقد تم إنجاز عمله التأسيسي في العشرينات من القرن العشرين، لكن معظمه لم ير النور، حتى في الاتحاد السوفياتي، إلّا بعد أربعين عاماً. لكن تمت إعادة اكتشافه عام (1960)، داخل الاتحاد السوفياتي أولاً، ومن ثم في الغرب، حيث تم تمجيد فكره منذ ذلك الحين، عبر مجموعة من المجالات التي تبشّر بالكثير في علم اللسانيات الاجتماعية.

اللغة الجاذبة والنابذة

يؤكد 'باختين' أن اللغة في المجتمع، تشكّل موقعاً للصراع، بين القوى النابذة الديناميكية التي تسعى للتنوع، والقوى الجاذبة التي

تسعى إلى التوحيد القيامي وتحديد الطريقة اللغوية. إنه يعترف بالتوحيد القياسي كقوة، لكنه يمجّد النبذ - الاختلاف، والتفرد، والإبداع، وحتى الفوضى، في تنوع اللغة:

إلى جانب القوى الجاذبة، تمارس القوى النابذة للّغة عملها دون انقطاع؛ وإلى جانب المركزية والوحدة اللفظية الأيديولوجية، تستمر عمليات اللامركزية وعدم التوحيد قُدُماً. (باختين **1981**: **272**)

تعمل القوى الجاذبة والنابذة على المستوى الفردي والاجتماعي. ويرى 'باختين' هذا الصراع بمثابة حملة عنيفة تشنّها اللغة العامية ضدّ المقياس. كما أنه لم يكن محايداً في الاستجابة لهذه القوى، لكنه مجّد اللّغة كنماذج متنوّعة:

ينطوي الأمر هنا على شيء بالغ الأهميّة؛ إنه، في واقع الأمر، ثورة أساسيّة في مصير الخطاب الإنساني: التحرر الأساسي للنوايا الثقافية- الدلالية، والعاطفية، من هيمنة لغة واحدة موحّدة. (**1981**: **367**)

كما أن علماء اللّسانيات الاجتماعية غير محايدين في هذا الصراع. وبصفتنا طلاباً لتنوّع اللغة، فإن مجالنا يتوافق مع القوى النابذة؛ إذ إننا ندافع عن التنوع بدلاً من التجانس، وذلك في دعم اللغات أو اللهجات المهددة بالانقراض، أو المعرّضة لتشويه السمعة مثلاً.

المثال 10.5: دورات اللغة الإنكليزية

يتمّ تطبيق مفهوم 'باختين' للقوى الجاذبة والنابذة في اللغة - الدفع إلى مركز، أو الدفع باتجاه المحيط الخارجي - في بعض نظريات القضية الأيديولوجية اللغوية المنتشرة كثيراً في يومنا هذا، وهي مكانة اللغة الإنكليزية. إن النموذج الأساسي، والأقدم، والمستمرّ، للإنكليزية الدوليّة، هو نموذج الدوائر الثلاث، متّحدة المركز، لكاشرو (**1992**):

1. الدائرة الداخلية: تكون اللغة الإنكليزية لغة محلّية، 'تقديم المعيار' - الدول ذات اللغات الأولى، والراسخة في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا ونيوزيلندا وجنوب إفريقيا.

2. الدائرة الخارجية: تكون الإنكليزية لغة ثانية، 'تطوير المعيار' - على سبيل المثال، الهند، ماليزيا.

3. الدائرة الواسعة: تكون الإنكليزية لغة أجنبية، 'الاعتماد على المعيار' - على سبيل المثال، كوريا، ألمانيا.

كان هدف 'كاشرو' أن يكون إطاره عبارة عن قوة تحرر من هيمنة النماذج البريطانية الأمريكية التقليدية – ويشهد على ذلك نقاشه مع اللورد 'راندولف كورك'، في تسعينات القرن العشرين، حول المقاييس في اللغة الإنكليزية الدولية. ومع ذلك، فقد تم انتقاد نظريته لأنها تقوم بتركيز النمط السائد بدلاً من إيقافه. فالهند مثلاً، لديها عدة ملايين من المتحدّثين المحليين الناطقين باللغة الإنكليزية.

البديل الآخر هو نموذج المركز والمحيط، المُعتمد من نظرية ما بعد الاستعمار. ويرى 'كانجاراجا' (1999) هذا النموذج بأنه طريقة للتغلّب على الانقسامات الملموسة والمتكررة، بين الغرب والسكان الأصليين، بين اللغة الإنكليزية واللغة العامية، بين المحلّية وغير المحلّية. كما أنه يتجنب القبول الكلي أو الرفض الكلي للغة الإنكليزية، ويصوغ 'طريقة ثالثة' لاعتماد اللغة الإنكليزية في السياقات المحلية؛ حيث تصبح اللغة الإنكليزية عامّية، وجمعيّة - سيناريو للتنوّع ضمن اللغة الواحدة.

• راجع عملية التبادل في اللغة الإنكليزية المعاصرة، بين 'كورك' (1990)، 'وكاشرو' (1991). استخلص الحجج الواردة، وقيّمها، واطرح استنتاجك الخاص.

• قارن نماذج 'كاشرو' للدوائر الثلاث (1992)، وقيّمها، ونظرية 'كانجاراجا' المركز/المحيط (1999).

• تقدّم 'بيني كوك'، جدولاً مفيداً مكوناً من ست نظريات، للدور العالمي للغة الإنكليزية (2001). قارن بين هذه النظريات باستخدام معلومات من 'بيني كوك'، ومصادر أخرى، وقيّمها كإيديولوجيات.

تعد 'الإنجليزية العالمية' ميداناً راسخاً للأبحاث، حيث توجد ثلاث مجلّات (English World-Wide, English Today, World Englishes)، وروابط دولية، ومؤتمرات سنوية، ودليل خاص بها ('كاشرو' و'نيلسون'، 2006)، ومجموعة روتليدج - الجيدة جداً- من ستة مجلدات من القراءات ('بولتون' و'كاشرو'، 2006). راجع 'بولتون' (2004) للحصول على مراجعة عامة. للأعمال النقدية، راجع منشورات 'كانجاراجا' و'بيني كوك'.

التنوّع ضمن اللغة الواحدة

يُعدّ التنوّع ضمن اللغة الواحدة نتيجة لعمل القوى النابذة في اللغة:

إن التقسيم الداخلي لأية لغة وطنية واحدة إلى لهجات اجتماعية، يحدد سلوك المجموعات، واللهجات الاصطلاحية المهنية، واللغات العامة، ولغات الأجيال والفئات العمرية، ولغات المغتربين، ولغات السلطات، والحلقات المختلفة، والأنماط المتفاوتة، واللغات التي تخدم أغراضاً سياسية واجتماعية محددة لهذا اليوم، وحتى كل ساعة (لكل يوم شعاره الخاص، ومفرداته الخاصّة، وتأكيداته الخاصّة) - هذا التقسيم الداخلي [موجود] في كل لغة، وفي أي لحظة من وجودها التاريخي. (باختين، 1981)

ولتوضيح التنوّع ضمن اللغة الواحدة بشكل عملي، هناك صيغتان لـ 'بيلي جيمس'، أفضل ممثل كوميدي في نيوزيلندا، المتوفى

عام (1991). إن المثال (10.6) هو حكاية عن الفنان الماوري الكبير، الأمير 'توي تيكا'، الذي توفي قبل 'بيلي'. يتم تصوير المشهد باستخدام اللغة العامّية النيوزيلندية، وبشكل أكثر تحديداً، اللغة الماورية الإنكليزية (انظر بيل 2000):

An extremely backed DRESS vowel in *fellas*
Raised and fronted KIT vowel where the usual NZ English variant is centralized
Affricated /dh/
Devoiced final /z/, a Maori vernacular marker
Stereotypical Maori tag *eh*
Address form *bro*

تم تدعيم بعض هذه الصيغ - في السطر الخامس، وخاصة التاسع عشر، حيث اقتبس 'بيلي' عن 'توي' - من خلال النغمة المميزة المرتبطة بالإنكليزية الماورية العاميّة. كان 'بيلي جميس' أشبه بأيقونة عامة لهذا الرمز - 'شخصية له كاريزما خاصة' بمصطلحات 'آغا'. كما أن المرئيات تناسب الشخصيّة، في الدور الذي لعبه 'بيلي' لصبي ماوري مشاغب، يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً داخلياً أسود. هذه هي اللغة النابذة العامّية التي يتم تأسيسها وتفسيرها محلياً.

المثال 10.6: اللغة النابذة

يروي 'بيلي جيمس'، قصّة الأمير توي، ومحلّ المشروبات السريعة.

1 - قدنا السيارة نحو محلّ المشروبات السريعة.

يا إلهي، كنت أضحك!

أوقفنا السيّارة.

فتح 'توي' النافذة،

5 - نظرتُ إلى الفتاة وراء المشرب -
كانت من النمط الأسترالي،
تدخن سجائر ′روثمان′، تمضغ علكة ′PK′،
ولديها علامة، بقلم الحبر في الأعلى،
حيث كانت تضعه:
10 - "نعم، ماذا تريد؟"
يجيب ′توي′:
– Ah – gi′ us – ah – gi′ us

"ثلاثة همبرغر مع بيض مزدوجة "حرف (S) في كلمة ′eggburgers′ على شكل حرف (z) مخفف.

و – ثلاث دجاجات كاملة "حرف (i) في كلمة "chickens" مفتوح، وحرف (s) على شكل (z) مخففة.

15 - وآه - أربع ليترات كوكا دايت". حرف (s) في كلمة (litres) على شكل (z) مخففة.

ثم ذهبنا:

"هيه - يصيح ′توي′ للأولاد." حرف (th) في كلمة (the boys) يُلفظ وكأنه (dh)، وحرف (s) يُلفظ على شكل (z) مخففة.

استدار وقال:

"هل تريدون أي شيء؟" كسر حرف (e) في كلمة (fellas) وفتح حرف (i) في كلمة (anything).

20 - وهذه قصة حقيقية
وسأتذكّرها دائماً

إنها عن أخي ′توي′. حرف (th) في كلمة (that) يُلفظ على شكل (dh). متشدّق[dǒ] /dh/

(على الرغم من أنه لا يمكن تحديد موقع هذا المقطع عبر الأنترنت، إلا أن موقع (يوتيوب) يحتوي العديد من مسرحيات 'بيلي جيمس').

المشهد الثاني هو على الطرف الآخر من المجموعة النمطيّة النيوزيلندية من حيث المشاهد، وكذلك من حيث اللّهجة (المثال 10.7). في مسلسل تلفزيوني متنوع يسمى 'راديو تايمز'، يلعب 'بيلي' دور المضيف لبرنامج 'ديكستر فيتزجيبونز' الإذاعي القصصي، في ثلاثينات القرن العشرين، وهو اسم بريطاني مسرحي بارز. كان يرتدي ربطة عنق وسترة. وتماشياً مع الصور النمطية التي كانت سائدة في ثلاثينات القرن العشرين لهيئة البث النيوزيلندية، يؤدي 'بيلي' طريقة نطق قريبة من 'النطق المتلقّي'، وكان أكثر ما برز به هو الحروف الصوتيّة في (GOAT) وأيضاً في (KIT). يعدّ هذا النمط منفصلاً عن العصر الذي يستهدفه مدّة خمسين عاماً، وبعيداً في المكانة عن المقياس البريطاني الذي يقصد محاكاته. إنه، كما يقول 'باختين' عن القوى الجاذبة، مثال واضح جداً على الصيغة المجمدة.

وكونها لغة إنكليزية جاذبة، فهي معروفة ومفهومة على المستوى الدولي، دون الحاجة إلى شرح المفردات للمستمعين غير المحليين. ثم يعود المقياس في الزمن إلى الوراء، ويبتعد إلى مكان آخر - تذكر أن هذه هي الخصائص المميزة للازدواجية اللغوية (الفصل 5.3). إنها مشحونة اجتماعياً - نبرة في نيوزيلندا المعاصرة، ترمز للأجنبي والمحلّي. على النقيض من ذلك، يطرح 'باختين دعوة من أجل التنوّع ضمن اللغة الواحدة لتحدّي هيمنة المقياس:

من الضروري للتنوّع ضمن اللغة الواحدة أن يغذّي وعي الثقافة بنفسها ولغتها، ويتغلغل إلى جوهرها، وينقل نظام اللغة الأساسي

الذي تستند إليه إيديولوجيتها وأدبها، وتحرمه من غيابه الساذج عن الصراع... إن التركيبة الكاملة المتعلّقة باللهجة، والخاصة بلغة وطنية معينة، يجب أن تدرك أنها مُحاطة بمحيط كامل من التنوّع ضمن اللغة الواحدة (1981).

مثال 10.7: اللغة الجاذبة: 'بيلي جيمس' يقوم بالاستقبال، في برنامج 'راديو تايمز'

مساء الخير، مساء الخير، أيها المستمعون.
دعوني أؤكد لكم
أنه لا يوجد سبب للشعور بالسوء هذه الليلة
لأن كل الأشياء تبدو جيدة في 'راديو تايمز'.
معكم مضيفكم 'دكستر فيتزجيبونز'
يرحّب بكم في خمسين دقيقة أخرى رائعة، ومليئة بالمرح،
مع أعظم فرقة رقص في نصف الكرة الجنوبي،
أوركسترا 'راديو تايمز'،
'باني لو فو'، 'غي بوسانكويت'،
'تومي بلاك هاوس'، 'ذا هاي سبوتس'،
والسادة في 'مسرح الراديو'.

1- حدد مقطعي صوت/ فيديو (على اليوتيوب مثلاً)، مع صيغتين 'نابذة' و 'جاذبة' متناقضتين، أيّ: صنف قياسي، وصنف عامّي. وأن يكونا للمؤدّي نفسه إذا استطعت.

2- حللّ اللّسانيات للصيغتين الاثنتين.

3- فسّر المعاني الاجتماعية المشار إليها من قبل الصيغ اللغوية.

4- ما هي التعميمات التي يمكنك القيام بها حول كيفية عمل الدلالة؟

10.7 النشاط البحثي

القيام بمشروع (3) - النتائج، وإعداد التقارير

الخطوة 6: ترميز البيانات

لأن أهداف المشاريع الاجتماعية اللغوية وتصاميمها ومناهجها يمكن أن تكون متنوعة للغاية، فليس من الممكن تقديم نموذجٍ واحدٍ للترميز والتحليل والتفسير، يناسب جميع الدراسات. ولكن دعونا نميز ثلاثة أنواع واسعة من المشاريع:

1- نوعية / إثنوغرافية / خطاب / مراقبة: عادة ما تكون البيانات الخاصة بالتحليل عبارة عن نصوص، سواء أكانت ملاحظات الباحث الميدانية، أم تسجيلات/ نصوص، أم نصوصاً مطبوعة.

- يفتّش الباحث عن موضوعات مرمّزة، سواء أكان بشكل رسمي أم غير ذلك، كالإشارة إلى مشكلات اللغة مثلاً.

2- لغوية، خطابية: تعدّ البيانات سماتٍ وصيغاً لغوية في اللغة المنطوقة، أو المكتوبة.

- يجب تحديد سمات اللغة وترميزها، صيغ المتغيّر مثلاً، أو أنظمة أو أدوات عمليّة، أو أنماط .

3- دراسات المسح والكمية: تكون البيانات على شكل إجابات على استبيان منظم.

- يمكن أن تكون البيانات مسبقة التنظيم، بواسطة الاستبيان الرسمي (مسح اللغة مثلاً، كما في التمرين "9.2")، و/ أو قد تتضمّن تعليقات يمكن تدوينها بِشكلٍ موضوعي.

– اللغوي، حدّد سمات تحمل معنىً اجتماعياً ملحوظاً، على سبيل المثال، في استحضار مجموعة إقليمية، أو عرقية معينة. أما بالنسبة للتحليل الموضوعي أو الخطابي، فتوجّه للصيغ الأكثر ثراء.

– تذكر أن تأخذ في الاعتبار، ليس اللغة فقط، بل أيضاً جوانب أخرى من بياناتك، قد تكون ذات صلة، لا سيما المرئيّات.

– اطلع على البيانات أثناء تدوينها، لبدء اكتشاف الأنماط التي تبدأ في الظهور. اكتب ملاحظات عمّا تجده. تعدّ هذه المرحلة، ما قبل التحليلية، غير الرسمية، ذات أهمية كبيرة لتحديد ما قد يتبين من نتائجك الرئيسة.

الخطوة 7: تحليل البيانات

عندما يتم ذلك بشكلٍ صحيح، فإن نشاط التدوين يتحول إلى إجراءات تحليليّة. فبينما ندوّن، نبدأ بتمييز وملاحظة الأنماط في البيانات. وغالباً ما تكون المراحل متكررة؛ إذ نعود ونكرر التدوين بسبب المشكلات التي تظهر أثناء التحليل. وفي التحليل نبحث عن شيئين رئيسين:

1- أنماط الموضوعات، أو الاستخدام.

2- الدلالة الاجتماعية، والأهمية المتضمنة.

مثلاً، إذا كنت تقوم بمسح عينة صغيرة من متحدّثين ثنائيي اللغة باستخدام استبيان رسمي، كما في التمرين (9.2)، يمكنك إدخال إجاباتهم في استبيان فارغ، والبدء في تنظيمهم من هناك. إليك بعض النصائح:

– من المهم دوماً تجريب نظام ترميز، أو إجراء تحليل على عينة صغيرة قبل تطبيقه على كمية أكبر من البيانات - يمكن أن تكون عملية إعادة الترميز أو إعادة التحليل، مستهلكة للوقت ومحبطة.

– إذا كان هناك إمكانية للبحث عن بياناتك عن طريق الكمبيوتر، فهناك برامج يمكن أن تساعدك مثل برنامج (WordSmith).

- إذا كنت تعمل مع بيانات متنوّعة، فيمكن لـ 'تاليمونت' (2012)أن يقدّم لك دليلاً مفصلاً للتحليل، بما في ذلك العمل مع تطبيق 'جولد فارب'، أو 'ربرول'.
- إذا كنت قد قمت بتنظيم عيّنة ذات خصائص اجتماعية معينة، (ربما عشرة شبان، وعشرة من كبار السن، وعشر نساء وعشرة رجال)، يمكنك البدء في البحث في سلوك كل مجموعة ديموغرافية. أو يمكنك أن تأخذ السلوك - كنطق معين، أو إجابة معينة لمسألة حفظ اللغة - وتحلل أي مجموعة تقول ذلك.
- لا تحاول تحليل كل شيء، واستهدف ما يرشدك إليه شعورك.
- استخدم ملاحظاتك غير الرسمية الأولى لإرشادك إلى العمل بشكل أكثر عمقاً.
- راقب إبداء التعليقات النوعية التي يقدمها الأشخاص، والتي قد تلتقط بوضوح نقطة مهمة.
- سيكون لديك عادةً الكثير من البيانات للقيام بكل شيء. حدد، وتجاهل النص، أو الأسئلة التي لا تعدّ من الأولويات.
- إحدى الأمور المُثيرة في البحث هو أنك تخاطر؛ فأنت لا تعرف في الواقع ما الذي سيخرج من بياناتك، إذ قد تفاجئك نتائجك. كن مستعداً لما هو غير متوقع!

الخطوة 8: تفسير البيانات

يتجه التحليل الآن نحو التفسير. مرةً أخرى هنا، يوجد عملية تكرارية بين التحليل والتفسير، بالإضافة إلى مفاهيم جديدة، تقودك إلى إعادة بحثِ تحليلات سابقة وصياغتها. اكتب ملاحظات عن جميع الاتجاهات والمؤشرات، كما تراها بنفسك، لكن تأكد من إكمال التحليل الشاق والدقيق لإثباتها. نورد هنا بعض التفاصيل:

- استخدم البيانات النوعية لإلقاء الضوء على البيانات الكمية.

- راقب التفاعلات في العمل الكمي، (إذا لم تكن تجري إحصاءات رسمية تخبرك عنها)، في استبيان الحفاظ على اللغة، بين العمر ومدّة الإقامة في بلد جديد.
- راقب الأشخاص الخارجين عن المجموعة، أو المتحدّثين الاستثنائيين. فقد يقومون بإلقاء الضوء على الحالات الفردية، ولكن قد يؤدون إلى انحراف النتائج الإجمالية.
- يمكن أن تكون دراسات الحالة الفردية أو المقارنات مذهلة للغاية، كالمتحدثين المختلفين جداً في بياناتك على سبيل المثال.
- فسّر الأنماط التي تعثر عليها وأهميتها. قدّم تعميمات وتفسيرات لجميع تفاصيل النتائج الأولية، وليس رصداً تفصيلياً.
- أوضح مدى تمثيل بياناتك للظاهرة التي تبحث عنها ككلّ، على سبيل المثال، أنواع معينة من النصوص الإعلامية.
- أثناء التقدم بالعمل، لاحظ ما قد يوفّر طريقة جيدة لعرض بياناتك - من الناحية الكمية: ما الذي سيصبح رسماً بيانياً أو جدولاً، من الناحية النوعية: ما الذي سيكون مقتبساً جيداً، أو مثالاً لإنشاء تقرير.
- إذا لم تتمكن من إيجاد أي أنماط في بياناتك، أو إذا كانت متعارضة مع ما توقعته - فلا تحاول أن تخفي ذلك، قدّم ما تستطيع في وصف ما وجدته. وقدّم تفسيراً ممكناً إذا كنت تستطيع ذلك. أما إذا لم تستطع ذلك، فقل إنك لا تستطيع شرحه. وخذ بعين الاعتبار أنه من خلال تجربتي، يُعتبر جزء صغير جداً من المشاريع الطلابية مستعصياً.
- من خلال ما ورد أعلاه، حدد ما هي النتائج الرئيسة (القليلة) التي توصلت إليها، وما هي الاستنتاجات التي يمكنك استخلاصها، واربطها بالأدبيات التي قرأتها.

الخطوة 9: كتابة التقرير

ركز كامل تقريرك على تقديم النتائج الرئيسة الخاصة بك، من الإعداد حتى النهاية. في ما يلي مخطط تفصيلي لتقرير الدراسة:

1- الملخّص (100-200 كلمة موجزة)

2- أهداف، ومبررات دراستك:

ما هو موضوع البحث، أو السؤال الذي تتناوله الدراسة؟

ما هي وجهة نظره، لغوياً واجتماعياً؟

لماذا يعدّ مثيراً للاهتمام؟

لماذا يستحق البحث؟

3- خلفية قاعدة البيانات:

بما في ذلك السياق الاجتماعي والثقافي والجدلي.

4- مراجعة الأدب والبحث:

انظر الفصل (3.6)، الخطوة الثانية.

5- إعداد، وطريقة دراستك:

بما في ذلك أية قضايا أخلاقية، وقضايا الوصول؟

6- التنفيذ (الحصول على البيانات):

كيف تم تنفيذ الدراسة؟

كيف تم جمع البيانات ومعالجتها وتحليلها؟

أدرِجْ وصفاً لعينتك الفعلية، وخصائصها؛ كيف اختلف ما قمت به عن ما خططت له؟

7- طريقة التدوين والتحليل:

ما الذي قمت به للحصول على نتائجك؟

8- النتائج والتفسير (غالبية التقرير):

انظر الخطوات 6-8 في الأعلى

فكّر مليّاً في أية تمثيلات؛ كالجداول أو الرسوم البيانية، أدرج الحد الأدنى من المعلومات اللازمة لإثبات وجهة نظرك وتحديدها بوضوح؛ انظر إلى الأمثلة في المجلّات، أو إلى طرق جيدة لعرض البيانات.

9- التحفظات (قصيرة):

أية مشاكل، أو أخطاء

إعطاء تحذيرات حول أي تأثير محتمل لهذه النتائج

ما الذي ستنفّذه بطريقة مختلفة المرة القادمة؟

10- الاستنتاجات:

لخّص النتائج الرئيسة، وأهميتها.

اذكر أهداف الدراسة.

عمّمْ واشرح، لكن لا تفرط في التعميم.

11- المراجع:

يجب ذكر جميع المراجع المذكورة.

تأكد من أنها كاملة ودقيقة، وتم عملها بنمط محدد.

12- الملاحق - البيانات:

قدّم، أو انسخ (مقتطفات من) بياناتك.

تذكر التدقيق الإملائي، والتدقيق اللغوي - ورقّم الصفحات!

يحتوي كتاب ('راي' و'بلومر'، **2012**) على فصول تخص تحليل أنواع مختلفة من البيانات، وتوجيهات جيدة حول تقديم الدراسة وكتابتها.

10.8 ملخّص

• تشكّل أيديولوجيات اللغة، الطرق التي يتم بها تقييم اللغة، حيث يتم تقييم صيغة أو رمز لغوي واحد بوصفه أفضل أو أسوأ من غيره. عادةً ما تبقى الأيديولوجيات غير مُدركة، وتخدم مصالح

المجموعات الاجتماعية. إذ تخدم الأيديولوجيات السائدة النخبة، وتضفي الشرعية على الهيمنة، بينما تقوم بحجبها عن الناس العاديين.

• في العمليات الأيديولوجية، تجعل الرمزيّةُ لغةً معيّنة أو تنوّعاً أو سمة ما ممثلة لمجموعة. ويعرض التكرار حالة تميّز تتم على مستوى أول، وتتابع إلى مستوى آخر. كما يجعل المحو الحقائق التي لا تتناسب مع الأيديولوجية غير ظاهرة.

• يركّز علم النفس الاجتماعي للغة على المواقف اللغوية بشكلٍ خاص، ويسأل أحياناً عن اللغة بشكل مباشر. وتنطوي معظم الدراسات على تشغيل تسجيلات إلى لجنة تحكيمية تقوم عادة بتقييم اللغة القياسية بوصفها ذات مكانة عالية، وتقييم اللغة غير القياسية بوصفها ذات مكانة عالية من حيث التضامن. كما تمّ تطوير تقنية 'المظهر المتطابق' في 'كيبيك'، حيث سمع المستمعون متحدثين ثنائيي اللغة، دون أن يعرفوا أنهم المتحدثون ذاتهم باللغتين الفرنسية والإنكليزية. وقد صنّف المستمعون الفرنسيون والإنكليز الصيغ الإنكليزية بأنها أكثر إيجابية.

• يقوم علم اللهجات الإدراكي على دراسة ما يقوله الناس عن اللغة. وأثناء مهام تحديد الخرائط اللغوية تكون المناطق ذات اللهجة البارزة هي المناطق التي يقوم الناس بتخفيض قيمتها إلى لغة إنكليزية غير صحيحة.

• قام 'لابوف' بتشغيل تسجيلات للمستمعين، وقارن تقييمهم لنفس المتحدثين الذين يستخدمون متغيرات مختلفة. وكلما أنتج الرواة ميزة موصومة كانوا أكثر حساسية لسماعها. ووجدت 'كامبل كيبلر' أنه كان يُنظر إلى الجنوبيين بأنهم أقلّ تعليماً عندما يستخدمون المتغيّر 'in'، لكن استخدام المتغيّر 'ing' يجعل الرجل

أشبه بمثليّ. لقد اختلف فهم 'ing' بشكل كبير، مع وجود ردود أفعال متباينة، اعتماداً على ما إذا كانت مجموعة التمثيلات الذاتية للمتحدثين، صحيحة أم لا.

• عندما تتغير أنظمة الحروف الصوتية، يكون المستمعون المحلّيون أفضل في إدراك الفروقات أكثر من الناس أصحاب اللهجات الأخرى. وفي الاندماج التقريبي، يتم سماع الألفاظ على أنها هي ذاتها، على الرغم من وجود اختلاف طفيف بينها.

• تم تصميم العمليات التي تحصل من خلالها الصيغ اللغوية على المعنى الاجتماعي في خمس مراحل، وتم وضعها كدلالة اجتماعية. حيث تبدأ الدورة الدلالية مع التمييز الاجتماعي للمجموعة، مما يؤدي إلى تمايزها لغوياً عن طريق المتغيرات التي تشكّل مؤشرات، أو مؤشرات الترتيب الأول، ثم إلى التقييم الاجتماعي للمتغيرات، وتباين نمطها المتلازم كعلامات، أو مؤشرات الترتيب الثاني، وأحياناً إلى الصور النمطية، ودلالية الترتيب الثالث.

• تعدّ اللغة القياسية نتاجاً للإيديولوجيّة. بالنسبة للفرنسية؛ يتم تحديد المقاييس بواسطة الأكاديمية الفرنسية. إذ تنص نظرية 'بورديو' للأساس اللغوي، على أن التوحيد القياسي يقوم بتخفيض منزلة كل الرموز الأخرى، ويستخدم التعليم كأداة رئيسة له. وتتم عملية التوحيد القياسي على أربع مراحل: الاختيار والترميز والإعداد والقبول. وقد تم ترميز النطق المُتلقّى كنبرة قياسية لبريطانيا، مع اتّخاذ مذيعي الأخبار كنموذج لها.

• يشكّل عدم التحدث بالطريقة القياسية نقصاً اجتماعياً-اقتصادياً، ويتم الحفاظ على اللغة العامّية المحلية، التي تدلّ على قيم مُعارِضة، من خلال الشبكات والممارسات المشتركة. وقد

أصبحت عمليّات هدم التوحيد القياسي وإعادة بنائه جليّة في أوروبا وأماكن أخرى.

- حافظ 'باختين' على المفهوم القائل بأن اللغة تتعرض للدفع بين القوى النابذة التي تخلق التنوع، والقوى الجاذبة المهيمنة التي تقوم بالتوحيد القياسي. وتؤدي القوى النابذة إلى تنوّع لغوي في كافة المجالات. ويتضح هذا التنوّع في صيغتين للممثل الكوميدي النيوزيلندي، أولاً كرمز للغة الإنكليزية الماورية، ومن ثم كمُنتج للنطق المُتلقّى.
- يتم تنفيذ مفاهيم 'باختين' في نظريات مصنّفة للغة الإنكليزية. حيث يصوّر إطارٌ واحد الأممَ على أنها موجودة على ثلاث دوائر متحدة المركز من استخدام اللغة الإنكليزية. بينما يتم اعتماد اللغة الإنكليزية في السياقات المحليّة في نموذج الوسط والمحيط.

10.9 قراءات متقدمة

هناك عدّة مجموعات تشمل المقالات الرائدة من نظريات مختلفة لتقييم اللغة. في مجموعة 'كوبلاند' و'جورسكي'، هناك مجلّدات متعددة (2009). راجع المجلّد الثاني بعنوان: العمليات الموضوعية والإيديولوجية في اللسانيات الاجتماعية، والمجلّد الخامس بعنوان: اللسانيات الاجتماعية للثقافة.

إن المجموعات الأساسية لإيديولوجيات اللغة، هي قراءات أنظمة اللغة التي تم تحريرها بواسطة 'كروسكريتي' (2000)، لا سيّما الفصول الافتتاحية لدى 'كروسكريتي' و'إرفين' و'غال'، والإيديولوجيات اللغوية (1998) التي قام بتحريرها كلٌّ من 'شيفلن' و'ولارد' و'كروسكريتي'، ولا سيما مقدّمة 'وولارد' (مع مرجع واسع)، وخاتمة 'غال'. تقدّم المجموعات التي حرّرها 'بلومرت' (1999)، و'غال' و'ولارد' (2001)، مساهمات جيدة ومتنوعة، كما هو الحال

في العديد من الفصول، في مجموعة اللّسانيات الأنثروبولوجيّة المكوّنة من خمسة مجلّدات ('شيفلن' و'جاريت'، **2011**). تنشر مجلة الأنثروبولوجيا اللغوية، واللغة في المجتمع، العديد من المقالات حول الإيديولوجيات اللغوية، على سبيل المثال، 'ستراند' (**2012**)، فيما يتعلّق باللهجات النرويجية، و'هاشمي' فيما يتعلّق بالعربية المغربية (**2012**).

تشكّل مجلّة علم النفس الاجتماعي قاعدة محلّية للبحث في المواقف اللغوية. وقد حملت إصداراتها لعام (**2012**) استعراضاً للتطوّرات، لمدّة ثلاثين عاماً منذ تأسيس المجلة. انظر أيضاً مجلة الوعي اللغوي. هناك عدة مجموعات قديمة، تم تحريرها بواسطة 'جيلز' وزملائه ('جيلز' و'سانت كلير'، **1979**). 'روبنسون' و'جيلز' (**2001**)، هو كتيب يغطي الأعمال في ذلك الوقت. يقدم كتاب 'روبنسون' و'لوك' (**2011**) تاريخاً موجزاً، ولكنه بالأحرى احتمالية غير مؤكدة للمجال. وبالنسبة إلى علم اللهجات الإدراكي، راجع منشورات 'دنيس بريستون' العديدة، خاصة الكتيبَ ذا المجلّدين (**1999**؛ المجلد **2**، مع 'دانييل لونج'، **2002**). يعدّ 'غاريت' (**2010**) نصاً شاملاً يغطي العديد من الموضوعات في هذا الفصل.

كانت غالبية الأبحاث حول إدراك المتغيرات اللغوية، على الإنكليزية الأمريكية. إذ ينشر 'تباين وتغير اللغة' المقالات المتكررة في هذا المجال. وأقسام مجلّدات 'لابوف' الثلاثة حول التقييم: (**1994**)، الفصل الثاني عشر والرابع عشر؛ (**2001**) الفصل السادس؛ (**2010**)، الفصل الرابع والحادي عشر. يقوم 'كريستنسن' (**2011**) بتتبع تطوّر تفكير التقييم لدى 'لابوف' ونقده. ويقدّم الفصل السادس لدى 'كيسلنج' (**2011**)، ملخصاً جهّداً للبحث التقييمي التبايني. إن مجموعة أوراق 'كامبل-كيبلر' حول

المتغيّر 'ing' تشكّل مجموعة من الأعمال المفاهيميّة المتطورة (2007، 2008، 2009). وتركز مساهمات 'بريستون، ونيدجلسكي' العديدة، للقارئ الاجتماعي الصوتي (2010)، على الإدراك، بما في ذلك الفرنسية واليابانية والهولندية.

كانت نماذج من عمليات خلق المعنى الاجتماعي في اللغة، رائدة من قبل 'فيرجسون، وجامبرز (1960)، ولابوف' (1972)، ومطوّرة بطرق مختلفة من قبل 'بيل (1984، 2001)، وإيكرت' (2000، 2012). لقد أصبح تنظير 'سيلفرشتاين' للدلالية مركزياً (1979، 2003)، على الرغم من أنه غالبا ما صيغ في نثر مبهم. ومع ذلك، فقد أنتجت 'جونستون' تفسيرات قابلة للقراءة، راجع، على وجه الخصوص، جدولها في 'جونستون، وأندرس، ودانيلسون' (2006). إن بحث 'آغا' للنطق المتلقّى (2003)، 'وجونستون' وزملائها (2006، 2008، 2009، a2011)، في لهجة بيتسبرغ، هي دراسات رائدة لتدوين أصناف معيّنة. راجع أيضاً الفكرة الرئيسة لقضيّة الخطاب الأميركي (2009).

عمل 'الثنائي ميلروي' على التوحيد القياسي على نطاق واسع، لا سيّما عند 'جيمس ميلروي' و'ليزلي ميلروي' (2012)، وكذلك 'جيمس ميلروي' (2001). 'بيكس، وواتس' (1999)، 'وواتس وترودجيل' (2002)، وهي مجموعات قيّمة لمقالات حول اللغة الإنكليزية، كما في دراسة 'ماجلستون' (1995). يجمع كتاب 'كريستيانسن، وكوبلاند' (2011)، فصولاً حول عمليات عدم، وإعادة التوحيد القياسي، خاصة فيما يتعلق بالإعلام، ولديه مقدمة عامة مفيدة للتوحيد القياسي. يحتوي 'بورديو' (1991) على نسخ باللغة الإنجليزية من عمله المركزي في اللغة، مع مقدمة ممتازة. كما يجمع كل من

′وولفسون، ومانيس′ (1985) دراسات حالة اللغة واللامساواة، و′هربرت′ (2009) البحث في قضايا اللغة والفقر.

يحيط الغموض والجدل بمكانة مؤلفات ′باختين′: حيث تم نشر عمله الرئيسي في اللغة باسم زميل له (فولوشينوف 1973). وتحتوي المجموعتان (1981، 1986) على معظم المواد الأخرى ذات الصلة باللغة الإنكليزية. إن كتابة ′باختين′ مجزية ومؤثرة، ولكنها صعبة القراءة (على ما يبدو أيضاً باللغة الروسية)، أما مقاله حول ′مشكلة أنواع الخطاب′، (′باختين′، 1986) فإنه قصير ويمكن الوصول إليه نسبياً. كما تم إعداد ′بيل′ (2007) كمقدّمة قابلة للقراءة، للّسانيات الاجتماعية لباختين.

الفصل الحادي عشر

تنميط اللغة والهويات

في الحادي عشر من آذار من عام (2011)، بثّت إذاعة '91ZM' الخبر الآتي، وهي محطة بث موسيقى الشباب في أوكلاند، نيوزيلندا:

شرطة 'نابير' سعيدة جداً بكميات الماريغوانا المخدرة الهائلة التي تم الاستيلاء عليها. وقد تم اعتقال أكثر من أربعين شخصاً بعد كمين استهدف المزارعين الذين يسيطرون على حوالي اثني عشر ألف نبتة، أي ما يعادل أربعين ميلاً مربعاً تقريباً.

يبدو المحتوى عبارة عن خبر روتيني، لكن طريقة نقل الخبر ليست كذلك؛ إنه يتميّز بسلسلة المصطلحات المعجمية العامّية. وهو يتناقض جذرياً مع توقّعاتنا عن نمط الأخبار، مما يلفت النظر إليه. كما يتناغم هذا التميّز مع سمات أخرى مثل إيجاز الخبر، والعزف الموسيقي المرافق لصوت المذيع، وتركيب الجُمل العامّية (التمرين 11.1). وبذلك تختلف هذه الطريقة في سرد الأخبار عن الطريقة السائدة، مما يجعل نمطها مميزاً.

يبحث هذا الفصل في أنماط اللغة ومعانيها. وتمهيداً لطبيعة الفصل - لأن النمط كان محورياً بالنسبة إلى عملي الخاص على مدى

عدة عقود، وكانت أعمالي محورية بعلم اللسانيات الاجتماعية الخاصة بالنمط-. يختلف بحثي في هذا الفصل عن باقي فصول الكتاب؛ إذ إنه يتركّز على منهجي الخاص بالموضوع (مع أنه في حوار مع مناهج أخرى رائدة)، وعلى كمية كبيرة من البيانات المقدّمة المأخوذة من أعمالي الخاصة. وآمل أن يكون ذلك بمثابة إضافة وليس نقصاً.

11.1 منهجان في النمط

النمط هو ما يفعله الناطقون باللغة. وأساس النمط أن الناس لديهم خيارات. أما السؤال الرئيس لعالم اللّسانيات الاجتماعية عن النمط فهو: لماذا يتحدث هذا الناطق بهذه الطريقة، في هذه المناسبة؟

ينطوي السؤال على وجود بدائل - هل كان بالإمكان اختيار هذه الطريقة بدلاً من تلك؟ إنه يحدد النمط من خلال التمييز؛ أي الطريقة التي يميّز بها الناس أنفسهم أحدهم عن الآخر. كما يشير سؤالنا إلى أن الاهتمام الرئيس لعالم اللّسانيات الاجتماعية لا يقتصر فقط على وصف النمط، بل يشرح أيضاً: لماذا.

التمرين 11.1: أخبار متمايزة

1. في المثال المطروح في بداية الفصل، حدّد سمات النمط الثلاث غير المعجمية (اثنتان للحذف).

2. أعد كتابة القصّة لتُبَثّ على محطّة إخبارية نظامية. حلّل التغييرات التي قمت بها.

3. ما هو نوع الجمهور الذي يشمله هذا النمط؟ ما هي العلاقة بين المذيع والجمهور؟ ماهي المعاني الاجتماعية التي يدلّ عليها النمط؟

4. جِد وسيلتي إعلام إخباريتين متغايرتين، إما في منطقتك، أو عبر الأنترنت في أي مكان، واحدة ذات نمط نموذجي، والأخرى ذات نمط

مميز. تُظهر الصحف البريطانية اليومية اختلافات واسعة بين صحيفتي 'ذا سَن' و'ذا دايلي تلغراف' مثلاً.

5. حدّد الاختلافات اللغوية بين هاتين الوسيلتين الإخباريتين، وحاول تفسير معانيها الاجتماعية. لماذا تمّ اتخاذ هذه الخيارات، وليس خيارات بديلة؟

6. اهتمْ أيضاً بالجوانب الأخرى للأخبار في الوسط الذي اخترته، بالمرئيات مثلاً إذا اخترت التلفزيون أو الصحافة. كيف تتفاعل هذه الجوانب مع اللغة؟

ثمة رابط قوي بين هذا الفصل وبعض ما وصلنا إليه في الفصول السابقة، وخاصة الفصلين الخامس والسادس. لقد طرحت في الفصل (5.1) مفهوم الذخيرة اللغوية للمتحدّث - وهي مجموعة الرموز اللغوية التي تكون تحت تصرّف الناطقين باللغة. وقد تشمل هذه المجموعة لغات مختلفة، أو أصنافاً مختلفة من اللغة ذاتها - فليس هناك من فرق أساسي بين أنواع الرموز المختلفة. كما يمكن لها جميعاً أن تشير إلى المعنى الاجتماعي الذي تم توليده من خلال الدورة الدلالية التي ناقشناها في الفصل السابق. فالنمط اللغوي هو النظير أحادي اللغة لاختيار متحدثٌ ثنائي اللغة بين اللغتين، والذي رأيناه في الفصل الخامس. إن عملية صناعة المعنى الاجتماعي نفسها، والمُنجزة من خلال تبديل المتحدث أحادي اللغة بين 'ing' و'in'، يمكن فهرستها تحت عنوان تحوّل الرمز. ويُفصح نقاشي المطروح في الفصل السادس، حول المواقف وإعداد الناطقين والجمهور، بأنهم جميعاً متضمّنون بوضوح في النمط، وأركّز على دور الجمهور في القسم (11.2). لقد واجهنا في الفصل (7.1) نظرية لابوف عن النمط في مدينة نيويورك، وسوف أعود إليه في هذا الفصل (بطريقة

نقدية). أخيراً تُعد تغطية الفصل العاشر لتقييم اللغة والإيديولوجيات والتوحيد القياسي خلفية أساسية لطبيعة النمط – وتتشابك معه أيضاً.

النمط كمجال لغوي

يمكننا تحديد نظريتين رئيستين للنمط في اللّسانيات الاجتماعية هما نظرية كبرى ونظرية صغرى. تشمل الأولى النطاق الكامل للمستويات اللغوية بدءاً من متغيرات النطق الصغرى، إلى الخطاب الواسع أو النماذج الأدبية؛ أي الطرق المختلفة التي قد يعبّر بها الناطقون عن أنفسهم بشكل مختلف. وتشمل أيضاً مجموعة كبيرة من العوامل الاجتماعية - كالعديد من المحتويات الظرفية في نظرية 'هايمز' الخاصة بتصنيف المتحدثين (الفصل 6.2) – مجال يبحث فيه الناطقون عن خيارات.

بالتوافق مع هذا التقليد، تؤكّد عالمة الإنثروبولوجيا اللغوية 'جوديث إرفين' (2001) على اعتبار النمط فرقاً أو اختلافاً على غرار عمل 'بوردو' في التمييز (1984). كما يُجسّد 'بن رامبتون' بشكل رائع حقيقة 'الروابط الدائمة للأنماط، وللجزء الرئيس الذي يلعبه التباين والتمايز في تحديد الأهمية الرمزية للنمط' (2006). وهنا، يتم النظر إلى اللغة على أنها مورد سيميولوجي من بين موارد أخرى - كاللباس والموسيقى وحتى المكانة الاجتماعية - التي يميّز الأفراد من خلالها أنفسهم. إن دراسة 'إيكرت' لمجموعتين من طلاب المدارس[1]، ودراسة 'ميندوزا دانتون' لجماعة لاتينية، أظهرتا بإسهاب كيف

---

[1] المصطلح الوارد هو (the jocks and burnouts): الأولى المجموعة المشاركة من طلاب المدارس، وقد شاركوا في الحياة المدرسية بنشاط واستمتاع. والثانية، على النقيض من الأولى، مجموعة غير المشاركين، واختاروا عدم التفاعل مع النشاطات التي تحدث في المدرسة، وشاركوا في التمرّد. المترجم.

يمكن لمجموعة من هذه الممارسات أن تشكّل نمطاً مشحوناً إيديولوجياً - وتمّ تضمينه بشكل رائع في عنوان 'إيكرت': "الأحرف الصوتية وطلاء الأظافر" (2010). وبالمثل، نرى في الفصل الأخير كيف تنسجم الأصوات العاميّة والفصحى مع التناقضات المتوازية في اللباس لدى 'بيلي تي جميس': قميص داخلي مع شورت، مقابل ربطة عنق وسترة. في حين قد يركّز علماء اللّسانيات الاجتماعية بشكل أساسي على البعد اللغوي لمثل هذا الابتكار النمطي، وسيكونون حكماء أيضاً إذا أخذوا بحسبانهم المصادر والممارسات الواسعة. هذه هي نظرية 'الحد الأقصى' للنمط الانتقائي الواسع النطاق لغوياً واجتماعياً.

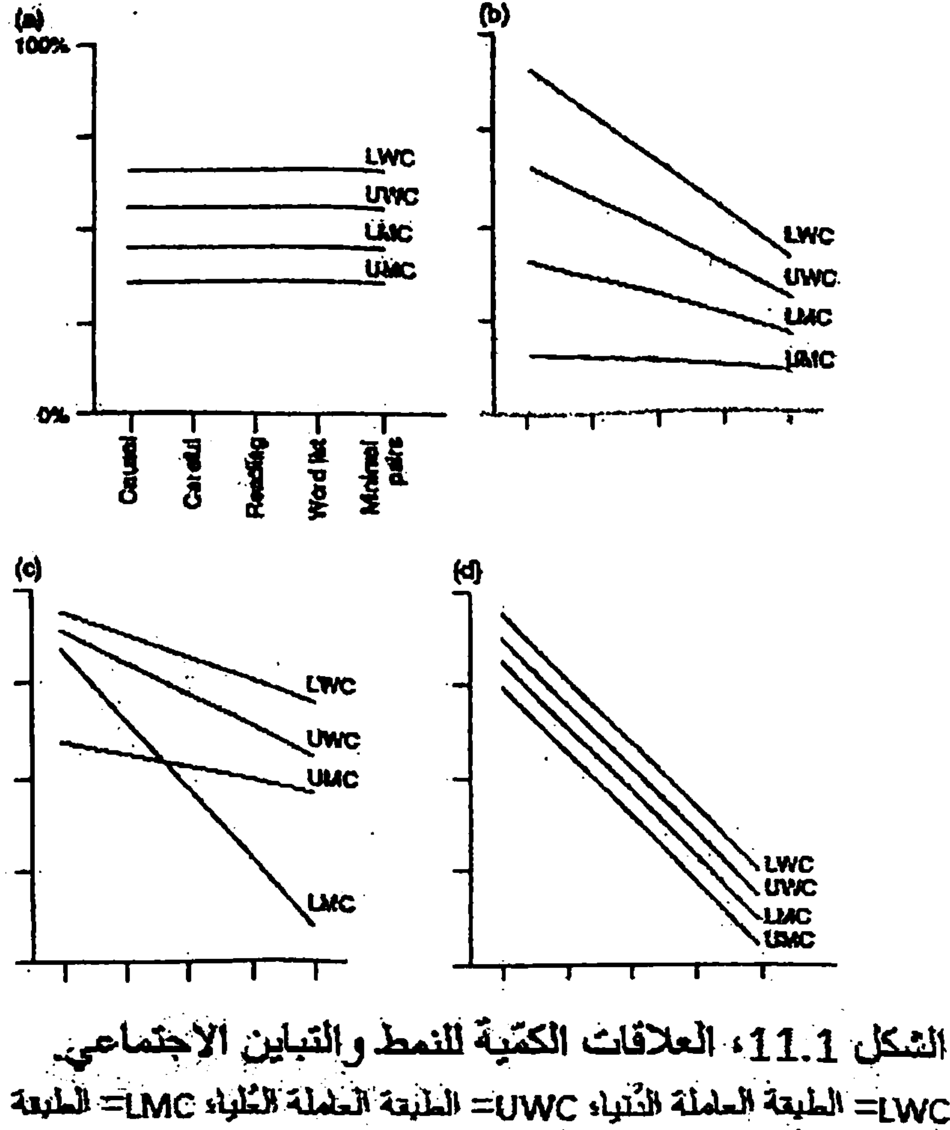
تحوّل النمط كتباين لغوي

أما النظرية الأخرى فهي، على النقيض من ذلك، نظرية الحد الأدنى التي تشكّل منهج التباين لدى 'لابوف'، والتي تم استعراضها في الفصل السابع. إنها تتناول سمات لغوية صغرى وتعرّفها بشكل دقيق 'كمتغيرات'، مع متغيرات متناوبة تحدث في بيئات لغوية محددة للغاية. وكما رأينا سابقاً، تميل نظرية التباين إلى تقييد الجانب الاجتماعي للمعادلة بهدف القيام بارتباطات إحصائية مع عوامل اجتماعية 'موضوعية' مثل الطبقة الاجتماعية أو العمر. ويتناسب مفهوم لابوف لتحويل النمط مع هذه النظرية المحددة بإحكام. وقد رأينا في الفصل (7.1) كيف تم إعداد سلسلة من المهام لتركيز انتباه الناطق باللغة أكثر فأكثر على الكلام، مع تصنيف النتائج كسلسلة من الأنماط، ابتداءً "بالكلام العَرَضيّ"، وصولاً إلى قائمة الكلمات والأزواج الصغيرة.

الشكل (11.1) عبارة عن مخطط يبيّن العلاقة بين النمط والوضع الاجتماعي، وهو مستمدّ من (بيل، 1984)، ويبيّن، بشكل مثالي، النموذجين الكميين الأساسيين اللذين تم تأسيسهما في الدراسات التباينية المُبكرة، إضافة إلى نموذجين منحرفين غير منتظمين. ويُظهر الشكل (a11.1) مؤشّراً دلالياً، وهو الترتيب الدلالي الأول لـ 'سيلفرستين' (كما هو مُحدد في الدورة الدلالية في الشكل 10.2). ويوجد هنا تمايز اجتماعي، لكن لا وجود لتحوّل نمطي (كما وجد 'ترودجيل' 1974 لعدة متغيّرات). ويحتوي الشكل (11.1b) ترتيباً طبقياً اجتماعياً منتظماً، وتحوّلاً منتظماً بين الأنماط (كما في الشكل 7.1). هذا هو النموذج المثالي لمعظم المتغيرات، وهذه هي العلامات/ دلالات النظام الثاني.

يمثّل الشكل (11.1c) حالة استثنائية لبنية منظّمة: نموذج التصحيح المُفرط للطبقة (المتوسطة - الدنيا) للنوع الموضّح في الشكل (7.2)، للمتغير (حرف آر - r) الخاص بنيويورك (مع أنه مصوّر هنا بالاتجاه المعاكس)؛ إذ يظهر انحرافه الاجتماعي والنمطي في التركيب المتقاطع للرسم البياني. وأخيراً يمثّل الشكل (11.1d) أيضاً نموذجاً منحرفاً لا يحدث في الواقع أبداً تقريباً (راجع 'بيل' 1984، من أجل مزيد من التفاصيل). إنه ينطوي على تحوّل حاد في النمط مع اختلاف اجتماعي بسيط.

• بالرجوع إلى الدورة الدلالية التي قدّمتُها سابقاً في الشكل (10.2)، فكّر في ندرة النموذج الموجود في الشكل (11.1d) – سنتحدث أكثر عن هذا الأمر لاحقاً.



الشكل 11.1، العلاقات الكمّية للنمط والتباين الاجتماعي.
LWC= الطبقة العاملة الدُنيا، UWC= الطبقة العاملة العُليا، LMC= الطبقة المتوسطة الدُنيا، UMC= الطبقة المتوسطة العليا.
a التقسيم النمطي للطبقة x المؤشر/ مؤشر الترتيب الأول
b العلامة/ مؤشر الترتيب الثاني
c تقاطع الطبقة المتوسطة الدنيا
d متغيّر منجرف لنمط مُبالغ
المصدر: بيل (1984)، الشكل 3.

النقد والتطوير

كانت تقنيات لابوف لاستخراج 'الأنماط'، الموجودة في مقابلة مسجّلة، عالية الإنتاجية، وتم استخدامها في عدد لا حصر له من الدراسات واللغات والبلدان، وتم العثور على نماذج مماثلة في كثير

من الأوقات؛ إذ تركّز تلك التقنيات على استخراج الكلام العَرَضيّ عن طريق الحدّ من 'مفارقة المراقب' - بمعنى أننا نريد أن نلاحظ كيف يتكلّم المتحدثون عندما لا يكونون خاضعين للمراقبة. ومع ذلك، فمن الأفضل اعتبار هذه التقنيات حيلاً منهجية لمحاكاة سلسلة من مستويات الخطاب بدلاً من اعتبار أنها تمثّل الأنماط. لكن خارج إطار المقابلة، تبقى علاقتها بالخطاب موضع تساؤل لأن الناس لا يستخدمون الطباق غالباً في كلامهم. فقد كان تحيّز 'لابوف' لمستويات الانتباه للكلام التدريجية بوصفها عاملاً فعالاً موضع معارضة كبيرة منذ ('بيل'، **1984**). ويمكن توجيه الانتباه إلى إنتاج جميع مستويات البدائل اللغوية، وليس فقط الأكثر هيبة – تذكّر أعضاء جمعية 'كيسلينغ' الذين اتخذوا مواقع لأنفسهم بناءً على المتغيّر 'in' والمتغيّر 'ing' (الفصل **7.6**)؛ إذ تمّ تطوير نظريتي الخاصّة بإعداد الجمهور جزئياً، وسوف ننتقل إليها مباشرة، استجابة لما أعتبره مساهمة النمط آلياً في الانتباه. فقد اعتقدت أن النمط يركّز على الأشخاص وليس على الآليات.

مع أنني ميّزت نظريتين رئيستين للنمط في هذا الجزء، إلا أنه في العقد الماضي، أو قبله بقليل، كان هناك تواصل متزايد ومثمر بين الاثنتين. لقد تمّ توسيع تحليل التباين ليشمل مجموعة واسعة من الأدوات النمطية، وتم تطبيق مفاهيم اجتماعية أغنى على جميع أصناف اللغة. وعندما بدأتُ البحث في النمط، في سبعينات القرن العشرين، كان بإمكاني وصفه، بشكل مبرَّر، بأنه "البُعد المُهمَل"؛ إذ يُعتبر النمط الآن في مركز النظرية اللسانية الاجتماعية، وسوف ننتقل الآن لاستكشاف ما يعنيه ذلك.

11.2 إعداد الجمهور

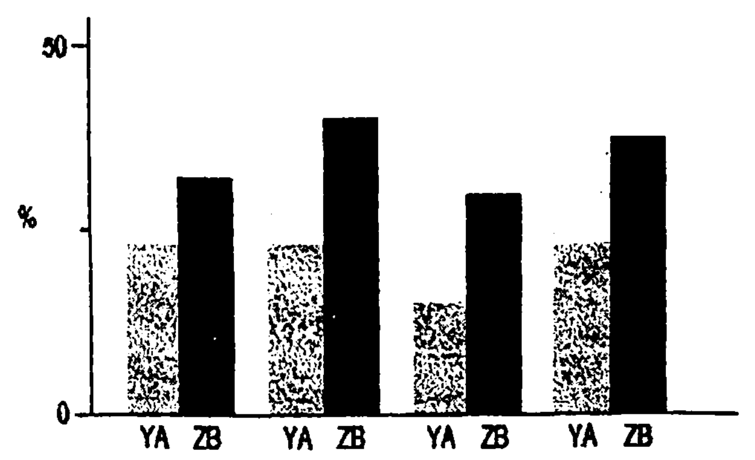
المنشأ

كان إعداد الجمهور النموذج الأساسي للنمط اللساني الاجتماعي منذ أن طرحه ’بيل’ (**1984**). وفي بحث عن تفسير الاختلافات النمطية كنت قد أجريته في رسالة الدكتوراه حول لغة الأخبار الإذاعية في أوكلاند، توصّلتُ إلى موقف ثَبُتَ أنه مصمم خصيصاً لتسليط الضوء على الاختلافات النمطية. وهو أن محطتين إذاعيتين نشأتا في هيئة البث العام ذاتها، تستخدمان المذيعين أنفسهم، وتعملان في الاستوديوهات ذاتها. لقد كان، في الواقع، موقفَ تمثيلٍ منسّقاً وطبيعياً - فجماهير مختلفة تستمع إلى المذيع ذاته الذي كان يتنقّل بين المحطات.

عبر العمل بطريقة التباين، قمتُ بدراسة عدد من المتغيّرات اللغوية بما في ذلك لفظ الحرف (t) الواقع بين الحروف الصوتية - تلك الحركة التي تجعل كلمة ممثل ’رايتر - writer’، والتي تعني ’الكاتب أو مؤلّف الكتاب’ تُلفظُ مثل ’رايدر - rider’. فهذه سمة متغيّرة في سياق البث في نيوزيلندا، وتشير إلى الأمريكية غير الرسمية (لأنها شبه صريحة في اللغة الإنكليزية الأمريكية). ويبيّن الشكل (**11.2**) النسبة المئوية للفظ الحرف ’تي - t’ الواقع بين الحروف الصوتية لأربعة مذيعين قمتُ بتسجيل طرق النطق لديهم على الإذاعتين. (YA) هي ’إذاعة نيوزيلندا الوطنية’ التي تتمتع بجمهور ذي مكانة أعلى من مكانة جمهور محطة المجتمع المحلّي (ZB) (لمزيد من التفاصيل، راجع ’بيل’، **1991**)؛ إذ يُظهر الرسم البياني أن كل مذيع يتنقّل بشكل ملحوظ ومنتظم بين المحطتين. وللعودة إلى السؤال الذي افتتحنا به هذه الفصل: لماذا يتكلّم هؤلاء الناطقون بهذه الطرق المختلفة بتلك المناسبات؟ فقبل كل

شيء، هناك فقط شخص مفرد ينتج نمطين متباعدين. ويكون المنشأ والنوع ومزيج المواضيع الإخبارية، وتنظيم الأستوديو، ومقدار الانتباه للكلام ثابتاً في كل 'ظهور'. ويبدو أن الاختلافات بين الجمهور هي فقط التفسير المعقول.

وبالنظر إلى ما وراء دراستي، بدأتُ أرى أن ذات الانتظام الذي كان موثوقاً جداً في بياناتي الخاصة بالإعلام، كان يعمل أيضاً في التواصل المباشر. وعندما صادفت لاحقاً "نظرية مواءمة الكلام"، اكتشفت أن هذه الفكرة لم تكن جديدة تماماً في اللسانيات الاجتماعية الخارجية - انظر لاحقاً القسم (11.2).



الشكل 11.2، النسبة المئوية للفظ /t/ الواقعة بين الحروف الصوتيّة، من قبل أربعة مذيعين، في محطتين إذاعيتين، في نيوزيلندا. المصدر: بيل (1984)، الشكل 9.

النموذج

في كتابي الصادر عام (1997)، قمت بتلخيص نموذج إعداد الجمهور في تسع نقاط، وقمت بمراجعته وتوسيعه إلى حد ما في ضوء التطوّرات الآتية:

1. ***إن النمط هو ما يفعله المتحدث الفردي في لغة ما من خلال علاقته مع الذات ومع الآخرين.*** كما أن مبدأ "إعداد الجمهور"

هو ذلك النمط الذي يركّز على الناس، وهو مسألة اجتماعية أساساً. فللنمط طبيعة تفاعلية متباينة، وهي تحدد الهوية الشخصية والعلاقات بين الأفراد.

2. ***يستمدّ النمط معناه من ترابط سمات لغوية مع مجموعات اجتماعية معيّنة***. وكما تم تطويره في الدورة الدلالية (الشكل **10.2**)، يعتمد التقييم الاجتماعي لمجموعة ما على السمات اللغوية المرتبطة بهذه المجموعة. ولذلك فإن للنمط أساساً معيارياً. وهذا يعني أن نمطاً معيناً يحمل معه خصائص ارتباطاته. وقد صاغها 'باختين' بهذه الطريقة:

لكل الكلمات 'نكهة' مرتبطة بمهنة، نوع، نزعة، حزب، عمل معين، شخص معيّن، جيل، فئة عمرية، أو يوم وساعة (**1981**).

3. ***يقوم الناطقون بتصميم نمطهم لجمهورهم في المقام الأول، واستجابة له***. هذا هو جوهر إعداد الجمهور. وأنا أعتبر الاستجابة للجمهور طريقة أساسية للتحوّل في النمط - لكنّها استجابة فعّالة وليست سلبية. يقول 'باختين' مرة أخرى: 'إن الحوار... موجّه نحو فهم "فيه استجابة"... فالفهم الذي يكون فيه استجابة، هو فهمٌ *فعّال*' (**1981**). ويقول أيضاً إنه ليس هناك ما هو مرعب أكثر من فقدان الاستجابة. كما يُعتبر الجمهور طرفاً أساسياً في التفاعل كالمتحدث تماماً (التمرين **11.2**).

للتوضيح: سجّل 'كوبلاند' (**1984**) محادثة لوكيلة سفر مع مجموعة واسعة من العملاء، وحلّل مستوى لفظ الحرف (t) أثناء كلامها وكلام عملائها. فوجد تقارُبَ وكيلة السفر مع العملاء من الطبقة الدنيا عبر الإكثار من لفظ الحرف (t) الذي كانوا أنفسهم يستخدمونه بنسبة كبيرة، بينما استخدمت لفظ هذا الحرف عدداً

أقل من المرات أثناء تحدثها مع عملاء من الطبقة العليا الذين يلفظونه بنسبة أقل (الشكل **11.3**).

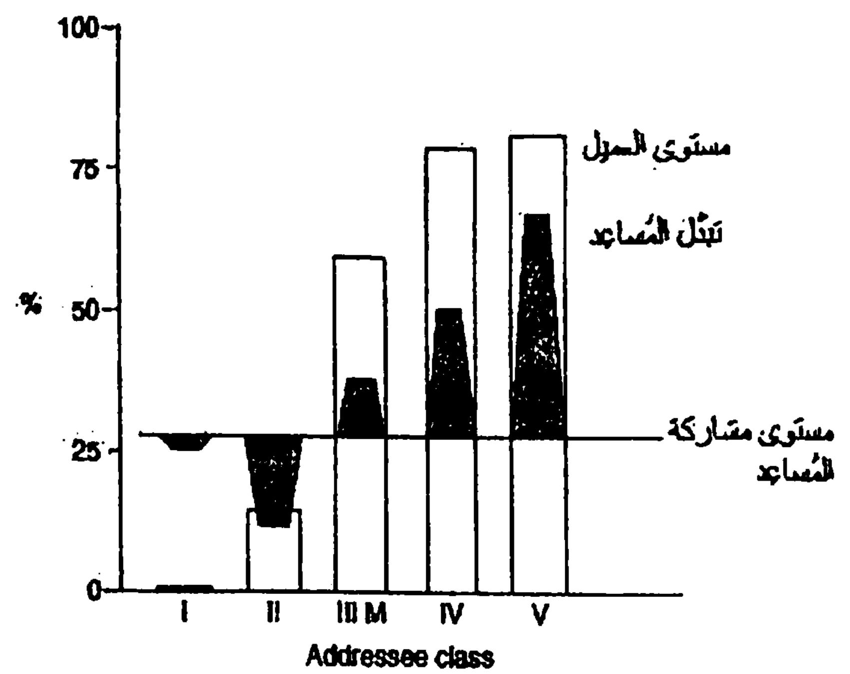
4. ***ينطبق إعداد الجمهور على كلّ رموز الذخيرة اللغوية ومستوياتها***. وقد رأينا في الفصلين الخامس والسادس أن الخيارات اللغوية للأشخاص ثنائيي اللغة تعتمد بشكل كبير على جمهورهم. وكما ناقشنا سابقاً في هذا الفصل، فإن العملية ذاتها تحدث في التحوّل النمطي أحادي اللغة. بالإضافة إلى ذلك، ينطبق إعداد الجمهور على مستويات اللغة كلها وليس على التحوّل النمطي المتباين فقط. فقد أخذت بعض الأعمال اللسانية الاجتماعية المبكّرة المُحاورين بعين الاعتبار. وفي دراسة أجراها 'جيلمان' و'براون' (**1960**) حول لفظ حرفي (T/V) في اللغات الأوروبية (في اللغة الفرنسية 'tu' و'vous')، فإن التركيز على صيغة الشخص الثاني يعطي الأولوية للمُخاطب بالضرورة.

التمرين 11.2: باختين والاستجابة

الشخص الذي أُجيبه هو المُخاطب، والذي أتوقّع منه استجابة بالمقابل (أو فهماً فيه استجابة على الأقل).. وعلى أية حال، فإن كلام الشخص الذي أستجيب إليه (أوافق أو أعترض أو أنفّذ أو أتقبل رأياً منه وما إلى ذلك)، يكون متوفراً مُسبقاً، لكن ردّه (أو فهمه الذي يتضمّن استجابة) لا يزال مُتوقعاً. وعندما أُنشئ عباراتي كاستجابة أحاول جاهداً تحديد هذه الاستجابة. والأكثر من ذلك، أحاول أن أتصرّف بما يتناسب مع الاستجابة التي أتوقّعها، ومن ثم هذه الاستجابة المتوقعة، تقوم بدورها بالتأثير في كلامي (أتفادى الاعتراضات التي أتوقعها، وأضع كل التحفظات وما إلى ذلك). وعندما أتحدّث، أراعي دوماً الخلفية المتوقّعة لإمكانية إدراك المُخاطب لكلامي... وتحدد هذه الاعتبارات أيضاً اختياري لجندر كلامي،

واختياري للأدوات التركيبية، وأخيراً اختياري للتركيبة اللغوية، أي نمط الكلام (**1986**).

- حدد تفاصيل العملية التي يتم إجراؤها من البداية إلى النهاية، والتي يصف فيها 'باختين' كيف يقوم المتحدثون بإجراء محادثاتهم. كيف يسير الأمر؟ إلى أي حدّ تعتقد أنها واعية؟
- ما هي المضامين التي تحتويها من أجل اختيارنا لنمط اللغة؟
- هل توافق على أن هذه هي الطريقة التي نتخذها في المحادثة؟



الشكل 11.3، تقارب لفظ /t/ الواقعة بين الأحرف الصوتيّة لوكيلة سفر من كارديف، مع خمس فئات مهنية من العملاء (الفئة الأولى هي الأعلى، والخامسة هي الأدنى). المصدر: بيل (1984)، الشكل 8، مشتق من كوبلاند (1984)، الشكل 4.

5. *تُستمدّ مجموعة أنماط المتحدث عموماً من المجموعة الموجودة بين المتحدثين في المجتمع، وتأتي استجابة لها.* فنحن كمتحدثين، نعتمد بشكل رئيس على المجال اللغوي الذي نسمعه حولنا، كمصدر لمدى تنوّعنا. وطالما أن كل المتحدثين مبدعون، فإن

الجزء الأكبر من إبداعهم يكمن في الاستخدام الجديد للصنف الموجود في مجتمعهم بدلاً من ابتكار صيغ جديدة. ومعظمنا لسنا مبتكرين مثل 'سيليست' عند لابوف و'جودي' عند إيكرت (الفصل 8). وهذا ينتج بشكل مباشر عن الدورة الدلالية، تلك العملية التي تشكّل اللغة من خلالها معنى اجتماعياً: إنها التجمّع العام للتنوع اللغوي الذي يعتمد عليه المتحدثون في نمطهم. وهذا هو السبب في أن الرسوم البيانية لنموذج الشكل (11.1d) لا تقع (عادة)، لأنها تتطلب وجود نمط مبالغ فيه إلى جانب تباين اجتماعي ضئيل. فهي تفترض أن من الممكن أن يكون لديك ترتيب دلالي ثانٍ دون الأول، وهذا يتعارض مع الدورة المبيّنة في الشكل (10.2). من ناحية أخرى، وكما رأينا سابقاً، من الممكن تماماً أن يكون لدينا متغيّرات عندما يوجد فرق بين المتحدثين، شرط ألا يوجد تحوّل نمطي - هذه هي مؤشرات الترتيب الأول. وكما نرى في الشكل (11.1b)، عادة ما تكون التحوّلات النمطية الكميّة أقل من الاختلافات بين المجموعات الاجتماعية (وهذا ما سمّاه لابوف 'مبدأ بيل')، مما يعزز مفهوم أن النمطية هي استجابة للاجتماعية.

6. ***يُظهر المتحدّثون قدرة فائقة على تصميم نمطهم بما يتوافق مع مجموعة من المُخاطَبين المختلفين، وكذلك بدرجة أقل مع أفراد آخرين من الجمهور.*** طرحتُ في الفصل (6.4) مفهوم أدوار الجمهور الطبقية - المُخاطب المباشر، والمستمع غير المُخاطب، ومُختلس السمع غير المُصدّق (الجدول 6.4). وقد رأينا كيف يمكن لأفراد من الجمهور أن يؤثروا في خيارات الأفراد ثنائيي اللغة. وعلى المنوال ذاته يمكن للمتحدثين أحاديي اللغة أن يقوموا بتكييف نمطهم بمهارة مع تغيّر الجمهور، مثلاً عندما ينضم شخص غريب إلى مجموعة ما. لقد أظهرت دراسة أجراها 'بيكرتون' وجود متحدّث

بلغة 'كريول هاواي' يتحوّل بشكل ملحوظ إلى الأصناف الإنكليزية الفُصحى لمخاطبة الباحث، لكن هذا التحول قلّ بمقدار النصف عندما كان الباحث حاضراً كمستمع فقط، أي غير مُخاطب بشكل مباشر (بيل، **1984**).

7. ***بسبب الموضوع أو الخلفية، يستمدّ النمط معناه واتجاهه من الارتباط الأساسي للموضوع أو الخلفيات مع أعضاء الجمهور النموذجيين.*** ويشكّلُ هذا النوع من الارتباط بين الجمهور والموضوع والخلفية الأساس لمفهوم مجالات 'فيشرمان' (الفصل 6.1). ومع ذلك، فهو أحد المقترحات الأكثر تجريباً لنموذج إعداد الجمهور، ويوجد أدلّة تؤيده أو تعارضه.

8. ***بالإضافة إلى البعد 'الاستجابي' للنمط، هناك أيضاً البعد 'الابتدائي' حيث يقوم التحوّل بالنمط بنفسه بتغيير الموقف بدل أن ينتج عنه.***

9. ***هذه التحوّلات النمطية 'الابتدائية' هي في الجوهر 'تصميم مرجعٍ' يمكن من خلاله استخدام السمات اللغوية المرتبطة بمجموعة ما للتعبير عن الانتماء لتلك المجموعة.***

تشكّل هاتان النقطتان الأخيرتان الموجزتان بُعداً رئيساً للنمط، وستكون محوراً للبقية العظمى من الفصل؛ إذ يقوم البحث بدراسة النمط بالضرورة بعمق، ولهذا فهو يتطلّب عادة عدداً قليلاً من المتحدثين - وغالباً ما يكون متحدثاً واحداً فقط. وفي دراسة حول التبدل النمطي لمراهق أميركي إفريقي، بدأ 'ريكفورد' و'ماكنير نوكس' بشكل صريح باختبار بعض 'التنبؤات والفرضيات الواضحة' لإعداد الجمهور كما هو موضح سابقاً. وقد وجدا درجة تأثير عالية للجمهور والموضوع على نمط الراوي. يدعوك التمرين (**11.3**) لتقييم النظرية ونقدها بنفسك.

التمرين 11.3: نقد نموذج إعداد الجمهور

مثل جميع النماذج، تم الاعتراض على حالة نموذج إعداد الجمهور بسبب أوجه النقص فيه. وجاءت أكثر الاعتراضات تفصيلاً في كتاب 'كوبلاند' بعنوان 'النمط'، وهو أفضل كتاب في هذا الموضوع (2007). فقد كرّس 'كوبلاند' فصلاً عن إعداد الجمهور، ورأيت فيها ثمانية اعتراضات يجب توضيحها:

1. إن الجدال بالإقصاء أمر غير مُرضٍ، وذلك، على سبيل المثال، في تخصيص عوامل أخرى غير الجمهور في بيانات محطة الراديو التي تم تمثيلها في الشكل (11.2).

2. يتم التعامل مع النمط كمقياس خطّي (كما في الأعمال السابقة لعلماء التباين)، وذلك لارتباطه بإطار الفئات الاجتماعية الثابتة كالطبقة الاجتماعية.

3. يستند التقدير الكمّي للفئات 'النمطية' و'الاجتماعية'، وخاصة في علاقة إحداها مع الأخرى، على افتراضات مشكوك فيها حول المجالات اللغوية المجتمعية.

4. يُفترض أن تكون الترددات النمطية ذات معنى اجتماعي دون تصوّر كيفية حدوث ذلك، من خلال الدلالة مثلاً.

5. لم يتم تصوّر طبيعة الجمهور بشكل كافٍ، واعتبار صيغ التنميط المصممة من أجل الجمهور استجابة له في آن معاً، أنت هنا تخلط شيئين مختلفين معاً.

6. يجب تحديد أهمية 'التصميم'، ولا سيّما فيما يتعلق بالمعنى الدقيق 'للاستجابة'.

7. يؤكّد إعداد الجمهور على أهمية جانب الجمهور في التفاعل اللغوي، ويقلّل من دور المتحدث.

8. يشدد النهج على القيود على نمط المتحدثين، دون اعتبار كافٍ للحرية الإبداعية للمتحدثين.

بعد عقود من ذلك، وافقت على بعض الانتقادات. وفي عرضي للإطار هنا، أعدت صياغة بعض الأمور وفقاً لذلك. (لم أكن قد قرأت لـ 'باختين' في أوائل الثمانينات على سبيل المثال). فيما يأتي بعض الطرق لتقييم النظرية والاعتراضات التي تواجهها:

9. يمكن لطلاب الصف أن يأخذوا اعتراضاً واحداً أو أكثر من الاعتراضات الثمانية الواردة أعلاه ويقوموا بدراستها.

10. اقرأ بيل (**1984**) أو (**1997**) فيما يتعلق بإعداد الجمهور، وقيّم النمط. انظر أيضاً مقال 'ريكفورد' و'ماكنير نوكس' (**1994**) الذي يعتمد عليه.

11. اقرأ بشكل خاص الفصل الثالث من كتاب 'كوبلاند' (**2007**). ضع في اعتبارك اعتراضات كوبلاند وقيّمها.

12. ضع استنتاجاتك الخاصّة عن الجدالات المختلفة. انظر أيضاً الفصول في 'إيكرت' و'ريكفورد' (**2001**) لمجموعة من النظريات والبيانات عن النمط، بما في ذلك التي صممها 'لابوف'، و'كوبلاند' و'جيلز' و'بيل'.

نظرية المواءمة

في الوقت الذي بدأتُ فيه العمل على إعداد الجمهور في نيوزيلندا، كان عالم النفس الاجتماعي الويلزي 'هوارد جيلز' ومساعدوه متقدمين أكثر في ابتكار نظرية موازية، هي نظرية المواءمة ('جيلز' و'باوسلاند'، **1975**). وتعني المواءمة أن تكيّف أسلوبك في الكلام مع الأشخاص الذين تتفاعل معهم. وقد سُمّيَت في البداية "نظرية مواءمة الخطاب" (SAT)، وتمّ توسيعها في ثمانينات القرن العشرين لتشمل جوانب أوسع من التفاعل، فتمت تسميتها 'نظرية

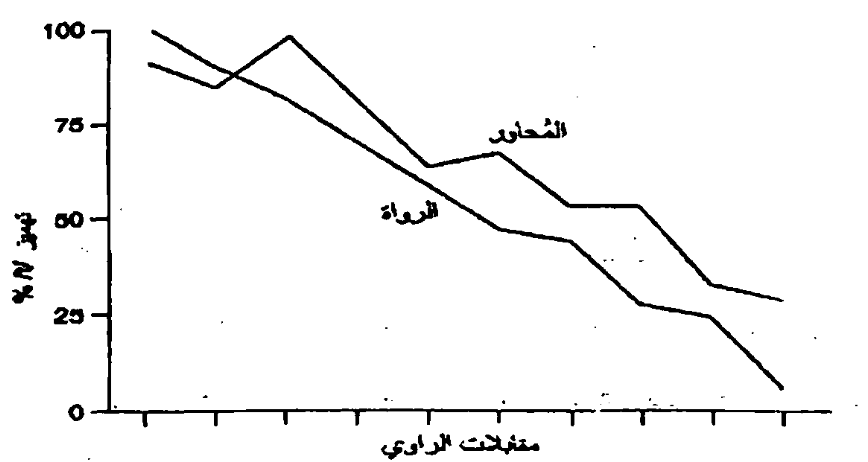
مواءمة التواصل' (CAT). وتتجاوز النظرية الوصف لتقدّم محتوى نفسي اجتماعي للعمليات التي قمتُ بوصفها.

تظهرُ المواءمة عادة عندما تحوّل المتحدثة النمط الخاص بها ليصبح أكثر تماثلاً مع نمط الشخص الذي تتحدث إليه - *تقارب*. قد يكون التقارب للأعلى أو الأسفل، وذلك تبعاً للحالة الاجتماعية النسبية للمتحاورين، وقد يكون متناسقاً أو غير متناسق، تبعاً لكَونِ التحوّل أحادياً أو متبادلاً. وبشكل معاكس، قد يتباعد المتحدثان بدلاً من تقاربهما. ويُعتبر التباعد طريقة تمكّن المرء من تمييز نفسه عن الآخرين. وقد درس البحث قضايا مثل دوافع المواءمة (كالبحث عن القبول مثلاً)، وكيفية تقييمها ('جيلز' و'أوجي'، **2007**).

أصبحت النظرية أكثر تعقيداً عندما حاولَت التعامل مع نتائج لا تتماشى بسهولة مع التقارب أو التباعد البسيط. فقد وجد 'جيلز' و'سميث' (**1979**) أن المتحدثين قد يتقاربون أكثر من اللازم، مما يجعل المُخاطَبين يتفاعلون بشكل غير مناسب، مع ما قد يشعرون أنه سلوك متعالٍ أو مُتملّق (تذكّر ردود أفعال المستمعين على 'فاليري' في تجربة المتغيّر 'ing' لـ 'كامبل - كيلر' التمرين **10.6**). وازداد عدد الملتحقين بالنظرية في ثمانينات القرن العشرين، وبينما استمرّ نشاط البحث على قدم وساق، لم تتقدّم النظرية بشكل كبير، وربما يرجع ذلك، جزئياً، إلى أن النماذج أصبحت بالفعل غير علمية.

بالنسبة إلى اللغويين، كان العجز الكبير في نظرية المواءمة المبكرة كامناً في سذاجتها اللغوية؛ إذ كانت تتعامل بشكل كبير مع عوامل من نوع، معدّل الكلام أو تصنيفات لجميع 'اللهجات'. وبحلول ثمانينات القرن العشرين، جاء بعض علماء اللّسانيات الاجتماعية إلى نظرية المواءمة بحثاً عن تفسير للنماذج التي كانوا يجدونها في دراستهم لسمات لغوية محددة. وقد شمل ذلك 'ترودجيل' إضافة إليّ وإلى

′كوبلاند′ الذي راجع مقابلاته في ′نورويتش′ بغية دراسة المواءمة هناك من خلال مقارنة خطابه كمحاور مع الرواة. يظهر في الشكل (11.4) نتيجة تغيّر "تهميز" الحرف (t) في كلمات مثل "butter"[1]. ومن الواضح أن ′ترودجيل′ يتابع في عمله الخاص مستويات الحرف (t) عند الرواة المصنّفين حسب الطبقة الاجتماعية.



الشكل 11.4، تطابق المحاور مع ١٠ رواة، في تهميز /t/ في نورويتش. المصدر: بيل (1984)، الشكل 7، بعد ترودجيل.

11.3 إعداد المرجع

إطارات للتنميط

يقف ′ريكس أونيل′ على منصّة في جزيرة أوكراكوك، في كارولينا الشمالية، مؤدّياً الأحرف الصوتية للهجة ′هوي تويد′، وهي لجهة أميركية إنكليزية تتحدث بها مجتمعات محدودة في الولايات المتحدة المطلّة على جنوب المحيط الأطلنطي. ويستخدم مراهق من الطبقة المتوسطة العليا خصائص من اللغة الإنكليزية الأميركية الإفريقية العامّية. ويشارك مراهق أبيض بعبارة من لغة ′البنجاب′. كما

[1] تهميز الحرف (t) يعني أن تُلفظ "التاء" في الكلمة على شكل همزة، حيث تُلفظ كلمة (butter - بتّر) بالهمزة لتُصبح (بئر). المترجم

يستخدم المراهقون المغاربة في بلجيكا لهجة 'أنتويرب' المحلّية المرتبطة عادةً بالعنصريين المعادين للمهاجرين.

هذا هو التنميط على وجه التقريب، أو ما أسميته سابقاً *إعداد المرجع*. لقد بحثنا في القسم السابق البُعد 'الاستجابي' للنمط، وننتقل الآن إلى البُعد 'المُبادِر' (النقطتين 8 و9 في نموذج إعداد الجمهور)، حيث يقوم المتحدّثون عمداً بتنميط الخصائص اللغوية من أجل استحضار ارتباطات مع مجموعات أو هويات معيّنة. وقد كانت هناك سلسلة من المحاولات في اللّسانيات الاجتماعية لمعرفة كيفية حدوث ذلك، وهي مُدرجة في الجدول (11.1). حيث تشمل هذه المجموعة المتنوعة من الأطر والتصنيفات ظواهر متشابهة اجتماعياً مع مجموعة من النتائج اللغوية، بدءاً من تحوّل لهجات المتحدث ثنائي اللغة إلى معالجة لهجات المتحدّث أحادي اللغة.

تشير اللغة هنا إلى مجموعة ما - غالباً ما تكون مجموعة خارجية، لكنّها قد تكون أيضاً مجموعة المتحدّث الخاصة - من خلال الاستخدام المتعمّد لرمزها اللغوي. وهذا يعني، تماشياً مع الدورة الدلالية، أن بالإمكان استخدام اللغة المرتبطة بمجموعة ما لاستحضار هذه المجموعة. وعادة ما تكون هذه المراجع قصيرة الأمد بطبيعتها، لكن يمكن في بعض الحالات أن يكون إعداد المراجع لمجموعة خارجية طويل الأمد؛ إذ يشير 'سيلفرستين' (1979) إلى أن الصيغة يمكن أن تنتقل من كونها 'مبدعة'، بحسب تعبيره، إلى كونها 'مستلزَمة' - أي إنها تُصبح قاعدة، وتأخذ دورة دلالية جديدة. وقد يكون هذا هو الحال بالنسبة إلى الرمز اللغوي كله. ففي ازدواجية اللسان (الفصل 5.3) جزء من ذخيرة المجتمع اللغوية وهي رمز من مكان أو زمن مختلف، ونحن نصنّف عادة هذا الأمر كموقف مُبادر أو مرجعي، لكن هنا يتم تطبيعه كجزء من القاعدة الأساسية.

تختلف النظريات الواردة في الجدول (11.1) في المصطلحات والتوكيد، لكن تكون العوامل المشتركة بينها أقل لفتاً للانتباه من اختلافاتها. وتفترض جميع هذه النظريات أن الصيغة اللغوية تكون ذات معنى اجتماعي، وأنها مُشبَّعة ومؤلَّفة من العديد من الاستخدامات الماضية. ويقترحون أن بالإمكان تطبيق هذه المعاني عمداً، ومعالجتها في أداء المتحدثين. ويقرّون بأن هناك حركة محلّية، ذهاباً وإياباً، بين الأبعاد الاستجابية والمبادرة، التي يتم من خلالها تكييف المعاني بنفس الأفعال التي يتمّ تبنّيها بها.

اتخاذ مبادرة

ينشأ التحوّل الاستجابي في هذه الأطر عن تغيير في الموقف، بينما يقوم التحوّل المُبادر بالبدء بمثل هذا التغيير. هذا هو التحوّل 'الظرفي' و'المجازي' الذي وجده 'بلوك' و'غومبيرز' (1972) في المجتمع النرويجي الذي قاما بدراسته؛ إذ يوجد في النمط الاستجابي ميل إلى أن يكون هناك ارتباط منتظّم بين اللغة والحالة الاجتماعية، والذي يستفيد منه النمط المبادر، مما يغذّي خاصّية وجود خلفية واحدة في سياق مختلف. وهنا أقتبس مرة أخرى من باختين:

- يمكن لأعضاء فئة/ مجموعات مختلفة أن يدرسوا واحدة من هذه النظريات (حذفه باختين).
- لخّصْ وقدّم إطار عمل للفئة، بما في ذلك بعض البيانات التي تم تطبيقها عليها. قم بتقييم كل إطار، والطريقة التي سيشرح بها نموذج البيانات.
- قارن بين الأطر. هل يمكنك اقتراح نظرية شاملة تتضمن أفضل جوانب هذه الأطر؟ ما هي المصطلحات التي ستتبناها؟

الجدول 11.1: مناهج للتنميط		
استجابية	مبادرة	المصدر
النمط	التنميط	باختين (1981) (5/1934)
ظرفي	مجازي	بلوم وجامبرز (1972)
استلزام	إبداع	سيلفرشتاين (1979)
إعداد الجمهور	إعداد المرجع	بيل (1984، a2001)
-	تهجين	رامبتون (1995)
ارتباطي	هوية	كوبلاند (a2001، 2007)

كنتيجة للعمل الذي قامت به جميع قوى التقسيم في اللغة، ليس هناك كلمات أو صيغ 'مُحايدة' - الكلمات والصيغ التي لا يمكن أن تنتمي إلى 'أي جزء'؛ فقد تمّ الاستيلاء على اللغة بالكامل، وامتلأت بالنوايا والنبرات... وتحمل كل كلمة خصائص السياق والسياقات التي عاشت فيها حياتها المشحونة اجتماعياً. (1981:293)

يُعدّ مصطلح 'باختين' المرتبط 'بالتنميط' المُصطلح الأبسط، وربما كانت الأكثر وضوحاً مع ما يتضمنه من إعادة تكوين متعمدة لمورد النمط الخاص بالمجتمع. وغالباً ما ينطوي التنميط على عملية يتكيّف بها المتحدثون مع هويتهم الخاصة بما يتوافق مع جمهورهم، ومن هنا جاء مصطلحي الخاص "إعداد المرجع" استخدام السمات اللغوية المرتبطة بمجموعة للدلالة على هذه المجموعة. سيتمّ التركيز أحياناً على مجموعة مرجعية غائبة - عن طريق تبنّي نبرة أخرى مثلاً - بدلاً من التركيز على المُخاطَب الحالي. ويمكن أن يتضمن إعداد المرجع انتقال المتحدث للتماهي أكثر مع مجموعته الخاصة، أو مع مجموعة خارجية يرغب في الانضمام إليها. ومن الممكن أن يتضمّن التماهي مع مجموعتين في الوقت ذاته: فقد وجد 'ياغر- درور' (1993) أن بإمكان

المطربين الإسرائيليين أن يلفظوا حرف 'r' بطريقتين مختلفتين، وهم هكذا يسعون إلى تحقيق هدفين في الوقت ذاته.

قوّة النمط

إذا كان بالإمكان استخدام نمط معيّن من أجل موقف ما، فالسؤال المطروح هو كيف يمكنه أن يحصل على المعنى الذي يجعله مناسباً لهذا الغرض؟ إنه يحصل على القوة التي يمكن استخدامها في النمط المبادر عن طريق استخدامه الروتيني كاستجابة لأنواع معينة من المواقف - الدورة الدلالية. إن الفكرة التي تقول إن بإمكاننا تنميط خطاب مجموعة أخرى تفترض مُسبقاً أن يحتوي نوعها على بعض السمات اللغوية المميزة والمستقرّة نسبياً. بالنسبة إلي أنا، ولأكون قادراً على 'التحدث باللهجة الأمريكية' أو 'اللهجة RP'، يتطلّب الأمر أن يكون هناك بعض الصيغ، أو قطّاعات أو ترددات تميّز تلك الأنواع. وإذا رغب المحللون في التخلي عن كل هذه الأنواع فعليهم أن يقدّموا تفسيراً للانتشار السريع للترتيبات الجزئية التي نجدها في خيارات نمط المتحدثين - تماماً كما يجب على أولئك الذين يرغبون في وضع تعميمات أن يأخذوا في اعتبارهم الجزء الكبير والهام للنمط، والذي ترفض أفضل نظرياتهم تفسيره.

السؤال المطروح بعد ذلك هو: ما الذي تعنيه 'الإشارة' إلى لغة مجموعة ما. يمكن أن يقوم إعداد المرجع بالنسبة إلى المتحدثين بتشغيل سلسلة كاملة من درجات الارتباط مع المجموعة المُشار إليها، بدءاً من الاستحضار البسيط لصوت المتحدث الآخر؛ إذ تكمن إمكانية التملّك في النهاية القصوى للارتباط، حيث تستولي مجموعة خارجية على رمز مجموعة أخرى. ويمكن بهذه الطريقة تفسير الحالات التي يتبنّى فيها متحدث خارجي الصيغ الإفريقية الأميركية العاميّة، وذلك من قِبَلِ الأمريكيين الأفارقة على الأقل. وبالمقابل، فإن نوع

'التهجين' إلى اللغة الإنكليزية الآسيوية المنمّطة، والذي بحثه 'رامبتون' (1995). على الرغم من تكراره النسبي، لا يبدو محاولة للاستيلاء على هذه الصيغ، ولا يبدو أنه يحمل دلالة ازدرائية (المثال 11.1). إنه يُحرّض أكثر من كونه يستولي.

الانتقادات

كان القسم السابق عبارة عن تفسيري الخاص للتنميط، والذي يمكن أن يعارضه آخرون. إن التحدي الرئيس لأي نظرية للنمط، بما في ذلك إعداد الجمهور، هو في اعتقادي أخذ ديناميات التنميط بعين الاعتبار أثناء تحقيق مستوى تعميم جدير بالاهتمام حول النماذج التي نستطيع تمييزها في نمط. فالانتقاد الأساسي للأطر التي تحاول تنظيم النمط هي أنها مختزلة: إنها تقلل أو تنقص من تعقيدات استخدام المتحدثين اللحظي والتعبيري الذاتي للغة. ويُعدّ هذا بالتأكيد قضيّة بالنسبة إلى 'إعداد الجمهور' لكنه، بشكل مشابه أيضاً، قضيّة سيواجهها أي نموذج للنمط، لأن أية محاولة لتمييز أنماط أو ترتيبات في نمط البشر ستخضع للمعارضة ذاتها.

هناك قوة في الاعتراضات التي قدّمها علماء مثل 'إكرت' (2000)، و'شيلينغ-إيستس' (2004)، و'كوبلاند' (2007). أعتقد أن أساس الرؤية الديناميكية للنمط موجود في مفهومي الخاص حول إعداد المرجع؛ وعلى أية حال، كما تم طرح الحالة لدى 'بيل' (1984)، كان لديه طابع إضافي. لقد عالجتُ إعداد المرجع كبُعد ثانوي باستطاعته أن يحلّ مكان إعداد الجمهور عندما يفشل؛ إذ يمكن لهذا، على الأقل، أن يترك مشكلة معرفة أين كان الحد الفاصل بين البُعدين: أين انتهى إعداد الجمهور، وأين بدأ إعداد المرجع؟ متى انتقل المتحدثون من نمط الاستجابة إلى نمط المُبادرة؟

أصبحتُ أميل مؤخراً إلى وجهة نظر 'بيل' (**2001**) التي تعتبر أن علينا الاعتراف بإعداد المرجع كجزء دائم من استخدام الأفراد للغة. فنحن نضع أنفسنا بشكل مُسبق دوماً في علاقة مع مجموعتنا الخاصة، والمجموعات الأخرى، ومن يحاورنا أيضاً. هذه أبعاد متكاملة ومتعايشة للنمط الذي يعمل في وقت واحد مع جميع مجريات الكلام. نعم، نحن نصمم كلامنا لمستمعينا. لكننا أيضاً، وفي الوقت ذاته، نصممه بحسب ما يتماشى مع عوامل ومجموعات مرجعية أخرى. ومع ذلك، تظلّ الحقيقة الصعبة هي أن البُعد المُبادر يُستمدّ من البعد الاستجابي. وكما تُظهر الدورة الدلالية، يعمل التنميط فقط لأنه يستفيد من نمط له ارتباطات اجتماعية معروفة.

تشكّل الأبعاد المبادرة والاستجابية للنمط جزءاً من المعضلة ذات التاريخ الطويل في النظرية الاجتماعية - العلاقة بين **البنية والكفاءة**. فالبنية هي القوالب الاجتماعية التي تشكّل طريقة عيشنا وتحددها، والكفاءة هي قدرتنا كبشر على القيام بأعمالنا الخاصة، وممارسة طرقنا الخاصة. وللعلوم الاجتماعية تاريخ من التقاليد العريقة التي تتأرجح بين هذين البُعدين.

التمرين 11.4: تنميط الإثنية (العرق)

حللت 'نتالي شيلينغ - إيستس' محادثة واحدة بين أميركي إفريقي وهندي لومبي. لقد وجدت أدلّة كثيرة على أن هذين المتحدّثَين كانا يقومان بتعديل أنماط خطابهما ليتلاءم أحدهما مع الآخر حيث كانا، في مراحل مختلفة من المحادثة، يتقاربان حيناً ويتباعدان حيناً آخر. وقد استخدم المتحدثان الموارد اللغوية المُتاحة لهما لتبنّي مواقف وشخصيات مختلفة بشكل فعّال، ولأخذ المبادرة لصياغة اللقاء، وعلاقتهما ووضعهما تجاه ما كانا يناقشانه. لقد مزجت 'شيلينغ -

إيستس' التحليل الكمّي والنوعي لتقديم تقرير عن هذا التفاعل بحيث يكون أكثر اكتمالاً مما يتم إنجازه في كثير من الأحيان.

- سجّل محادثة بين شخصيتين تعرفهما، ويتحدثان بأصناف عرقية مختلفة. اطلب منهما أن يتحدثا عن العلاقات العرقية في بلدك.
- حلل تمثيلهما اللغوي الوارد عبر المقابلة كلها، ثم مع انتقال المقابلة من موضوع إلى آخر، بالإضافة إلى حالة المشتركين نفسهما من ناحية علاقة أحدهما بالآخر. ولمزيد من الأمثلة عن دراسات مشابهة، انظر 'شيلينغ - إيستس' (**2004**)، و'بيل' (**2001** - القسم اللاحق).

في علم اللّسانيات الاجتماعية، انحرف النوّاس بشدّة حالياً نحو الكفاءة بدلاً من البنية، وينتج عن ذلك تداعيات كبيرة على نظريتنا النمطية. فأنا أميل إلى وجهة النظر التي تعتبر أن الميلان نحو الكفاءة قد أثّر في توازن رؤيتنا للنمط اللغوي. إن المناهج التي تتعامل مع المتحدثين بوصفهم عوامل غير مقيّدة لا تأخذ في الحسبان بطريقة كافية دور البنية في التفاعل والحياة؛ تماماً كالمناهج التي تتعامل مع المتحدّثين وكأنهم ارتباط اجتماعي - ديموغرافي، والتي لا تأخذ في الحسبان الكفاءة الفردية بشكل مناسب. أعود الآن إلى النظرية الاجتماعية التابعة لمعضلة "المبادرة/ الاستجابة" في الفصل الختامي الآتي.

11.4 أداء الهويات اللغوية الاجتماعية

يتضمّن ما أسميته التنميط أو إعداد المرجع طريقة أداء المتحدثين للغتهم. كما يوجد الآن اتجاه تؤدّى فيه اللغة كاملة - ويكون واضحاً جداً عند متحدثين من نوع المتحدثين في مجموعة 'برنوتس المخفقة عند 'إيكرت'، والذين يظهرون وكأنهم 'على خشبة

المسرح' دوماً. يحدث أداء اللغة الأكثر شيوعاً عندما يخرج المتحدّث عن المحادثة بشكل موجز، وينتقل إلى صيغة الأداء العلني. ففي هذه الحالة، يعرض المتحدث اللغة بوضوح، ويزيد الوضوح أكثر عند اقتباس عبارات أو نقلها. لكن بخلاف ذلك، وفي سياق التفاعل اليومي، يأخذ المتحدّث دور الأداء، وذلك بشكل عفوي مختصر. إن ما يميز الأداء 'العادي' (كوبلاند، **2007**) عن الأداء المسرحي، هو أنه مؤقت وغير رسمي، وليس تابعاً لمؤسسة وغير مخطط له.

يرتبط هذا الأداء اللغوي اليومي إلى حد كبير بمفاهيم الهوية كما سيبيّن شرحي لإعداد المرجع.'فالهوية' واحدة من أكثر المصطلحات استخداماً، والأقل تخصصاً، في الدراسات اللغوية الاجتماعية، وهناك حالة لتجنّبها لكن فكرة كهذه لا يمكن تجنّبها بسهولة. أنا أرى أن للهوية بُعدين هما البعد البنيوي والبعد الفعّال. إنهما جزئياً أشياء مُنتجة، ومُقدمة لك - فلا يمكنك اختيار المكان الذي وُلِدتَ فيه مثلاً، سواء أكان من الناحية الجغرافية أم الاجتماعية، ولا يمكنك أن تعرف عادة أين نشأت وكيف. لكن تُعتبر الهوية أيضاً عملية جزئية، شيئاً يتم بناؤه مع الوقت وذلك لأن بإمكانك أن تتخذ قراراتك بنفسك عندما تكبر، ويمكنك أن تقرر ما ستصبح عليه في الحالات الخاصة والعامة.

كان دور اللغة في بناء الهويات وتمثيلها الاهتمامَ الرئيس لعلماء اللسانيات الاجتماعية، على الأقل، منذ أن قام 'لابوف' بدراسة المعنى المحلي لحرف صوتي واحد في 'مارثا فينيارد'. وتركّز سلسلة البحوث المتزايدة باستمرار على الطريقة التي يدّعي بها المتحدثون الهويات اللسانية الاجتماعية وفق عوامل كالجندر والعرق، سواء أكانت تلك الهوية تبدو 'طبيعية' بالنسبة إليهم - يؤكد الذكور على ذكورتهم، كما فعل أعضاء جمعية 'كيسلنغ' - أم على ما يبدو أنها هوية أخرى

يدعونها: شخصاً أبيضَ يقلّد العامية الأميركية الإفريقية. يمكننا القول الآن إن أداء اللغة هي أكثر القطّاعات ابتكاراً وإنتاجية وإثارة للاهتمام في اللسانيات الاجتماعية.

خلق الجندر – **Doing gender**

رأينا في الفصل السابع كيف تزايدت النظرة إلى الجندر بوصفه شيئاً يتم إنشاؤه أو تنفيذه بدلاً من تحديده بالجنس البيولوجي. ويستخدم المتحدثون متغيرات مثل 'ing' للإشارة إلى المعنى الاجتماعي في عملية تمثيل الهوية، بمعنى 'ذكر' أو 'أنثى'. وقد كانت 'إيلينور أوكس' رائدة في البحث في الدلالة اللغوية للمعنى الاجتماعي، مستكشفة الجندر في دراسة مقارنة للغة سكان 'ساموا' ولغة الأمومة الأمريكية (1992). حيث كيّفت الأمهات الأمريكيات كلامهن مع كلام أطفالهن (خاصة خلال 'مرحلة الطفولة')، كما توقّعت أمهات 'الساموا' أن يتكيّف الأطفال معهن. وهذا يؤدي إلى تمركز مختلف جدا للنساء كأمهات، في الثقافات المختلفة. وقد تمت دراسة الطرق العديدة التي يشير بها الناس إلى الجندر في حالات واسعة النطاق مثل:

- كيف يدلّ اختيار اللغة والنبرة على مدى الذكورة في برشلونة ('بوجولارد آي كوس، 1997).
- كيف يتصنّع كبار المدراء 'تصرّفات الإناث' في أماكن العمل في نيوزيلندا (هولمز، 2006)
- كيف يبني الشباب الأمريكيون ذكورة تميل للجنس الآخر من خلال حديثهم عن المثليين (كاميرون، 1997)
- كيف تقوم الإناث اللاتينيات التابعات لمجموعتي 'جوكس' و'برنوتس' بأداء الجندر في مجتمعات الممارسات الخاصة بهن ('مندوزا - دينتون'، 2008، و'إيكرت'، 2000)

في هذه الدراسات، يُعتبر إقحام معظم موضوع الجندر في اللغة كحالة استجابية إلى حدّ بعيد، مع أن بعضها يتحوّل إلى أداء علني. لكن الجندر المؤدّى علناً يكون أكثر وضوحاً عندما تقوم اللغة بادعاء هوية جندر جنسي أو بديل. لقد قام باحثون من أمثال 'هال' بالتحقيق في كيفية عمل اللغة كجزء من التطابق بين الجندرين، كحالة شخص هندي مخنّث مثلاً، متحول جنسياً، ويتحدث لغة 'هيجراس' (**1997**).

إن مدى حدّة الصوت هو إحدى السمات التي ترتبط غالباً بكلام المثليين. 'هيث' هو أمريكي مثلي الجنس بشكل علني، وقد أدرجه 'بوديزفا' (**2007**) في مجموعة من المواقف الاجتماعية. منها موقفه في: حفلة شواء مع الأصدقاء المقرّبين؛ حيث برز استخدامه المتكرر للصوت العالي بنسبة أعلى وأوسع نطاقاً من أي مكان آخر؛ إذ يجادل 'بوديزفا' بأن الطبقة العالية تدلّ على التعبير عن الذات، وتُستخدم للتعبير عن الدهشة والتقييم والسرد والاقتباس. وهو، بشكل أكثر تحديداً، يستدعي شخصية 'جريئة' مرتبطة بالهوية المثلية - 'المومس' وهو الوصف المتكرر الذي يُطلقه عليه أصدقاؤه. ويستعرض التمرين (**11.5**) محادثة قصيرة لـ 'هيث' في أثناء حفلة الشواء.

التمرين 11.5: الأداء بجرأة

الخطوط المائلة الثخينة تدلّ على الصوت العالي. في نقاش يدور حول 'الفتحات' البارزة في ملابس 'إليزا'.

1 هيث: هل تريدين مني أن أفعل أي شيء يا عزيزتي؟

2 إليزا: لا، أريدك أن تبقى هادئاً وجميلاً وحسب.

3 هيث: <ضحك> أنت تعلمين أنه عملي.

4 ***أوه، أوه،*** **إنه مفتوح قليلاً!**

5 إليزا: نعم.

6 هيث: *أوه، رائع. أعجبني* هذا!

7 تثيرني جداً هذه الفتحات الصغيرة في ثوبك.

8 إليزا: أعرف ذلك

9 أليس رائعاً؟ إنه زيّ لطيف قليلاً.

10 هيث: إنه كذلك،

11 لقد أعجبني حقاً

(بوديزفا 2007: 493)

1. بالإضافة إلى الصوت العالي، حدّد السمات الأخرى التي تدلّ على 'الجريء' أو 'المثلي' في هذه المحادثة. كيف تعمل هذه السمات معاً لبناء الشخصية؟

2. كيف تساهم 'أدوار' 'إليزا' في جعل هيث جريئاً؟ كيف يتعاون الاثنان معاً في الجرأة؟

3. كيف يرتبط موضوع المحادثة بالشخصية؟

4. أعد كتابة الحوار باستخدام المعجم والسمات التي تدلّ على شخصية حيادية. حلل التغييرات التي قمت بها وصيغتها اللغوية، وفسّر معانيها الاجتماعية.

الانتماء العرقي – **Doing ethnicity**

في التنميط، يمكن للرمز اللغوي المفرد البارز أن يكون كافياً لتحريض معنى اجتماعي، ودراسته تستدعي أنواعاً من التحليل اللغوي. فالتعداد الكميّ الإجمالي لأداء المتحدثين لمتغيرات لغوية معيّنة قد لا يكون ممكناً أو مُثمراً، تبعاً لعدد الرموز. لكن من الممكن تحديد الاستخدام الفردي للسمة وتتبعه، وكذلك تحديد علاقتها بالسمات الأخرى. يمثّل هذا المزج للتحليل الكميّ والنوعي والمتلازم مجموعة ضخمة من الأدوات لفهم النمط الاجتماعي اللغوي.

في مشروعي الخاص المصمم خصيصاً لاختبار العديد من فرضيات إعداد الجمهور (بيل وجونسون 1997؛ بيل 2001)، قام أربعة محاورين بمقابلة مجموعة مكوّنة من أربعة رواة على التوالي، بمجموع بلغ اثنتي عشرة مقابلة (تم استبعاد مجموعة من المقابلات). ثم تمت مطابقة العيّنات الديموغرافية للرواة والمحاورين مع الجندر والعرق، بحيث احتوى كل نموذج على امرأة 'ماورية'[1]، ورجل 'ماوري'، وامرأة من 'الباكيها'[2] (أنغلو) ورجل من 'الباكيها'. إننا نركّز على ظهور أداة الخطاب (eh) التي تشير إلى حالة نمطية، الترتيب الثالث في جدول اللغة الإنكليزية الماورية (تذكّر المثال '10.6' من 'بايلي تي جيمس').

الجدول 11.2: جدول استخدام 'eh' في المقابلات بين عيّنة متطابقة لمحاورين ورواة ذوي أعراق متقاطعة وجندر موحّد (الرموز لكل عشرة آلاف كلمة)، نيوزيلندا.				
	للمحاورين			
	ذكر ماوري	أنثى ماورية	ذكر باكيهي	أنثى باكيهية
من قبل الرواة				
ذكر ماوري	46	26	19	-
أنثى ماورية	2	4	-	0
ذكر باكيهي	0	-	0	1
أنثى باكيهية	-	0	0	0

من الناحية الكمّية، استخدم الرجل الماوري 'دونكان' معظم رموز الأداة 'eh' الموجودة في التسجيلات، أكثر بكثير من الرواة الثلاثة

[1] الشعب البولينيزي الأصلي في نيوزيلندا. المترجم.

[2] الباكيها: هم النيوزيلنديون من أصل أوروبي، وأصبح يُشير مؤخراً إلى ذوي البشرة الفاتحة، أو الأشخاص غير الماوريين. المترجم.

الأخرين (الجدول 11.2). واستخدم الرمز 'eh' بنسبة كبيرة مع الذكر المحاور الماوري، وبشكل أقل مع الذكر 'الباكيهي' – من الواضح أنه نمط مصمم للجمهور. لكن من الناحية النوعية، كان جديراً بالملاحظة أنه، حتى مع الرجل الماوري الآخر، استخدم فقط ثلاثة رموز للأداة 'eh' في أول عشرين دقيقة. ويزداد ذلك بعد أن يستقرّ في التفاعل، وتميل الرموز للتجمّع معاً عندما يتحدث عن أمور تخصّ 'الماوري' كالعائلة وجنازة جده، ولغة الماوري وثقافتهم. كما يستخدم 'دونكان'، أثناء حديثه مع رجل 'باكيهي' عدداً قليلاً من رمز الأداة 'eh'، لكنه يستخدم الكثير من الدلالات الواقعية مثل "y'know". ويبدو واضحاً أن 'eh' تعمل للدلالة على الماورية المشتركة بين 'دونكان' والرجل الماوري الآخر في مواضيع حديثهم.

بالإضافة إلى تأكيد الهوية العرقية لمجموعة أحدهم، يمكن استخدام اللغة للتعبير عن عرق لا ينتمي إليه المتحدث بطبيعته. وقد كان بحث 'رامبتون' عن هذا 'التهجين' بين المراهقين في لندن هو الدراسة المرجعية (1995)؛ إذ وجد أن المتحدثين المشاركين يتحوّلون من لغتهم العاميّة العادية إلى نظام الأقليّة العرقية، وبشكل أساسي إلى 'اللغة الإنكليزية الآسيوية المنمّطة' التي غالباً ما تقوم بعقاب أحدهم لارتكاب مخالفة/ إزعاج، من خلال إسناد الكفاءة الثقافية الضئيلة له (المثال 11.1). في الولايات المتحدة، قامت 'بوخولز' بالتحقيق بالطرق التي يشير بها الأمريكيون الأوروبيون إلى اللغة الأميركية الأفريقية العامّية. ووجدت فتىً أبيض يستخدم خصائص ما أطلقت عليه مصطلح 'CRAAVE' - اللغة الإنكليزية الأميركية الإفريقية العامّية، عبر العرقية (1999). تدّعي الحركة أنها تزيد من الذكورة عبر ارتباطها بثقافة الذكور الأميركيين الأفارقة النمطية. وقد وجدَتْ الدلالة اللغوية والاجتماعية ذاتها في شخصيات الفيلم التي

لعبها 'ستيف مارتن' و'وارن بيتي' (بوخولز ولوبيز، **2011**): وتشكّل هذه العروض المسرحية للهويات مجالاً غنياً للتحليل اللغوي والاجتماعي والسيميولوجي الذي سننتقل إليه الآن.

المثال 11.1: اللغة الإنكليزية الآسيوية المنمّطة

يقوم الأولاد بالاصطفاف لتناول العشاء عندما يلفت نظرهم تلميذ من أصل بنغالي يحاول الدخول (رامبتون، **1995**). اللغة الإنكليزية الآسيوية المنمّطة مكتوبة بحروف ثخينة داكنة؛ ()= صمت.

7 ريتش: OI EH EH أين تذهب؟ (.) عُد OI

8 ()

9 ريتش: ايه عُد (1.0) **HEY WHAT A RAAS** ((= تقريب للغة كريول)) (.)

10 إيان: ايه () ايه يا آنسة (.) إلى أين هم ذاهبون (.)

11 ريتش: يا آنسة، لقد دخلوا

12 إيان: OI (.) انظر بيكر ((السادس السابق)) هؤلاء الكُثر قد دخلوا

13 (.) هم فقط (عشاءنا) هم (اشتروه) (.)

14 عودوا للخلف

15 ريتش: اخرجوا

16 انون A: ((بلغة إنكليزية آسيوية مبالغة:)) **اخرجوا**

17 ريتش: اخرجوا

18 انون A [M]: ((ببط، مستخدماً لغة إنكليزية آسيوية منمّطة:)): **اخرجوا**

19 انون B [M]: ((ببطء:)): **اخرجوا يا أولاد**

20 انون A ((ببطء:)): **اخرجوا**

21 ريتش: (هؤلاء الآخرون) قد دخلوا

• ما الذي تستخلصه من هذا الاستخدام للغة الإنكليزية الآسيوية المنمّطة - خلفيّتها ومعناها الاجتماعي، ووضعها بالنسبة إلى المشاركين، وتأثيرها على التفاعل؟

11.5 حالة 'مارلين ديتريش'

حتى لو لم يكن لديها أي شيء غير صوتها، فبإمكانها أن تحطّم قلبك به. (أرنست همنغواي، مجلّة الحياة، 1952)

إنه شهر 'تموز - يوليه' من عام (1930) تقترب باخرة من ساحل المغرب عبر الضباب. وبينما كانت المرأة تجتاز سطح السفينة المزدحم نحو الرصيف، تسقط حقيبتها وتتناثر محتوياتها على الأرض، يلتقط مُسافر حضري محتويات الحقيبة، ويعرض عليها المزيد من المساعدة. تُجيب المرأة: 'لا أريد مساعدتك'.

على الأقل، هذا ما تم كتابته لتقوله 'مارلين ديتريش'. لكن ما قيل عبارة عن مقطع لفظي غير محلّي، إذ يوجد حرف صوتي مُدخل كان سبباً في لفظ كلمة 'hellubh'، بحسب ما سيقوم المخرج 'جوزيف فون ستيرنبرغ بتكليفه لاحقاً (1966). ما الذي يجب القيام به؟ هو يعتقد أن أكثر من مجرّد كلمة واحدة تشكّل عقبة بالنسبة إلى السيدة الرئيسة في فيلمها الأمريكي الأول، *المغرب*. إذ إن درجة السخرية من اللغة الإنكليزية الألمانية ستلغي سحر حضورها وجماله. لكن اللفظ غير الناجح استمرّ حتى اقترح 'فون ستيرنبرغ' في النهاية: الفظي كلمة 'مساعدة - help' كما لو أن الحروف الأربعة كلها ألمانية. فبدأت بذلك على الفور، وبعد ما يقارب الخمسين محاولة، أصبح أمام المخرج لقطات قابلة للتصوير.

كان ذلك الحادث أساسياً في جعل 'ديتريش' نجمة. وتكشف الموسيقى التصويرية النهائية للفيلم أن 'ديتريش' قدّمت نبرة غريبة لأن المشاهدين قد سمعوا شيئاً مختلفاً لكنهم لا يستطيعون تحديد

ما هو هذا الشيء أو ما الذي يعنيه. وهذا يضع نموذجاً لأدائها المُستقبلي في اللغة الإنكليزية، وللجانب الغريب من الاختلاف اللغوي الذي سيكون جزءاً من شخصيتها. لقد كانت اللغة عاملاً أساسياً في تألقها كنجمة.

الممثّل غير المحلّي

أدى انتشار اللغة الإنكليزية إلى وجود جيل من الممثلين الذين لا يتحدثون اللغة المحلية، لكن أداءهم كان باللغة الإنكليزية بشكل رئيس - غريتا غاربو، موريس تشافالير، أرنولد شوارزينغر، فريق الآبا، وفريق بيورك. ويمكن القول إن ′مارلين ديتريش، كانت الممثلة الأكثر نجومية ورمزية بينهم جميعاً. لقد امتدت حياتها المهنية خمسين عاماً، وكانت محطّ إعجاب الجميع. تحلل هذه الحالة الدراسية الشخصية اللغوية للغة ′ديترش′ الإنكليزية بشكل أساسي في العروض المتكررة لأغنية ′الوقوع في الحب مجدداً′. إنه يدرس طبيعة شهرة ′ديترش′ وشخصيتها، والدور الذي لعبته طبيعة صوتها ولغتها الإنكليزية غير المحليّة في هذا الأمر. كما تُستخدم حالة ′مارلين′ لمعالجة قضايا أوسع لدور اللغة في العروض المسرحية والإعلامية، ولاسيّما في إنشاء شهرة الفنان وجعلها رمزاً. يعتمد هذا على دراستي المفصلة في (بيل، 2011).

′الوقوع في الحب مجدداً′: 1930

وصلت ′ديتريش′ إلى النجومية عام (1930) أثناء عرض فيلم "الملاك الأزرق"، بعد أن تم ′اكتشافها′ على مسرح برلين على يد المخرج ′فون ستيرنبرغ′ حيث قدّمت دور مغنية مُغرية في ملهى اسمها "لولا لولا". فقد تم تصوير الفيلم باللغتين الألمانية والإنكليزية معاً، وقدّم لها هذا الفيلم النبرة التي لازمتها طوال مسيرتها الفنية " Ich ′bin von Kopf bisFuß/Falling in love again؛ إذ كانت

الموسيقى والكلمات الألمانية من تأليف الموسيقي الألماني البارز 'فريدريك هولاندر'، مع أن كلمات 'اللازمة' في فيلم 'الوقوع في الحب مرة أخرى' كانت تحمل في اللغة الإنكليزية معنى معاكساً إلى حد ما لمعناها الأصلي في اللغة الألمانية (المثال، **11.2**). وقد صرّح كلٌ من 'هولاندر' و'ديتريش' أنهما لم يحبّا النسخة الإنكليزية المُحلاة.

تجري أحداث الفيلم في قاعة 'الملاك الأزرق' وهي قاعة بيرة فوضوية صاخبة. وكانت 'لولا' ترتدي قبّعة، وتجلس على برميل بيرة، وتميل إلى الخلف بساقيها الملتويتين، وترفع ركبتها وتمسكها وتغنّي بشكل مغرٍ ومباشر للمدرّس المُحبط 'إيمانويل راث': سيصبح المشهد كلاسيكياً؛ إذ يرتّب 'روث' هندامه وهو مبتهج جداً. لكن من حيث الأداء، فإن 'ديتريش' تستحق المكانة الرمزية التي ستصل إليها.

في بداية تصوير فيلم 'الملاك الأزرق' في برلين، كان من النادر أن يتم توصيف 'ديتريش' كناطقة باللغة الإنكليزية، ويُظهر تحليل نطقها في الفيلم أن نبرتها ليست محليّة بشكل ملحوظ؛ حيث يقدّم الجدول (**11.3**) السمات التي أسمتها عادة بوصفها غير محلية - ساكنة وصوتية وعروضية - فمعظمها تأثيرات للتحوّل عن اللغة الأولى (L1). وأكثرها سطوة هي مشاكل الحروف الصوتية. إن الإدغام يُلفظ كصوت أحادي في كلمات مثل 'واي - way' و'دو - do'. وتحتفظ بعض أحرف العلّة المشددة بقيمتها الكاملة بدلاً من تخفيضها إلى 'schwa' أي (ə)، التي تسببها العروض غير المحلية. وقد كانت النتيجة النهائية أن 'ديتريش' تصنع لهذه الأغنية طريقة نطق غير محليّة بشكل واضح ملحوظ بالنسبة إلى المستمع الناطق باللغة الإنكليزية.

المثال **11.2**: كلمات أغنية 'الوقوع في الحب مجدداً'

النسخة الإنكليزية	النسخة الألمانية	ترجمة الألمانية
الوقوع في الحب مجدداً لم أرغب في ذلك أبدا ماذا على الفتاة أن تفعل؟ لا يمكن الامتناع عن ذلك.	Ich bin von Kopf bis Fu Auf Liebeeingestellt, Denn das istmeine Welt Und sonst gar nichts.	من الرأس للقدم أنا خُلقتُ للحبّ لذلك هو عالمي . ولا شيء آخر غيره. ما الذي عليّ فعله؟
الحبّ كان دائما لعبتي ألعبه كيفما أريد كنت أقوم به بهذه الطريقة لاأستطيع الامتناع عن ذلك أصبحت في نسخة لاحقة ما الذي عليّ فعله؟	Das ist, was sollich machen, MeineNatur, Ichkann halt liebennur Und sonst gar nichts.	هذه طبيعتي، كل ما باستطاعتي فعله هو الحب ولا شيء آخر غيره

- باشر مشروعك مثلاً بمقارنة العروض الأخرى التي قامت 'ديتريش' بأدائها، أو العروض التي قدّمها أيٌّ من الممثلين الآخرين، أو من خلال تسجيلات 'ديتريش' الأخرى. أو العروض غير المحلية الأخرى. احصل على المواد من موقع يوتيوب.

الجدول 11.3: إحصاء أداء 'مارلين ديتريش' غير المحلّي لأغنية 'الوقوع في الحب مرة أخرى' في فيلم 'الملاك الأزرق' عام (1930) (الرموز الواقعة بين قوسين هي وسيط).

	الخاصّية	مثال	العدد
الحروف الصوتية	حرف صوتي كامل لـ (ə)schwa لفظ /ei/ و/ʊu/ كصوت واحد تقصير الحرف الصوتي عدم إكمال/ إنقاص [a]	to, wanted do, to, always, flame been, moth burn	10 12 2 3
الحروف الساكنة	عدم النطق بملء النفس تشديد /d/ تسكين الأصوات غير مكتمل/ شفوي سِنّي /w/ إيضاح /l/ الواقع بعد الحرف الصوتي، بطريقة مبالغة	to, wanted around Their what, wanted help	5 1 1 3 (1+) (2+)
العَروض	المبالغة في الإيقاع	I just can't help it	4
المجموع			41 (44)

إعداد المرجع

يمكن اعتبار أداء ديتريش على أنه إعداد مرجع:

- **داخل المجموعة/ خارج المجموعة.** إن أداءها بلغة (إنكليزية)، ليست لغتها الأصلية، يقدّم مثالاً واضحاً على إعداد المرجع لمجموعة خارجية.

• **قصير الأمد/ طويل الأمد.** كان أداء 'ديتريش' للغة الإنكليزية قصير الأمد في البداية - تم إنتاجه في ألمانيا لفيلم باللغة الإنكليزية. لكن عندما انتقلت بعد ذلك إلى الولايات المتحدة، واستقرّت هناك، أصبحت الديناميكية طويلة الأمد.

• **دقيق مقابل غير دقيق.** كان أداؤها غير المحلي و'غير الدقيق' ملحوظاً للجمهور الإنكليزي، لكنهم استطاعوا أن يفهموها ويقيّموا الحالة بأنها إيجابية.

• ناجح مقابل فاشل. لم تكن 'ديتريش' ناجحة بتاتاً في لسانيات إعداد المرجع الخاص بها - أي إن نطقها طوال حياتها يبقى غير محليّ بطريقة يمكن تمييزها. لكن نبرتها، بحسب 'لورنس' (**2007**)، 'تعمل كإشارة على الاختلاف، وضمان لاعتبارها "آخر"'. كان ذلك مورداً لغوياً اعتمدت عليه لإظهار اختلافها بدلاً من اعتباره فشلاً في التحدث بالطريقة المحليّة.

منذ عام (**1930**)، قدّمت 'ديتريش' ستة أفلام مع 'فون ستيرنبرغ' في هوليود، وكان أولها في المغرب. لقد قامت في هذه الأعمال بتكوين شخصيتها كحسناء لعوب (هانسون وأوراويي، **2010**)، مما أدى إلى تسجيل نبرتها غير المحليّة، وميزة صوتها المنخفض، بوصفها أول صوت للحسناء اللعوب في الأفلام الناطقة. ولا بد أن يكون هذا الصوت مختلفاً وغريباً وغير محلي. لقد قامت 'ديتريش' خلال ثلاثينات القرن العشرين بتأسيس صورة الحسناء اللعوب ونقلها، وتابعت ذلك في أعمالها المسرحية خلال الحرب العالمية الثانية. لقد كانت نموذجاً للصوت الأصلي الدائم للحسناء اللعوب، 'الشخصية النمطية' بمصطلحات 'آغا' (**2003**)، أي إنها أيقونة.

'الوقوع في الحب مجدداً': 1964

لمدة ثلاثة عقود، وبدءاً من أربعينات القرن العشرين، قامت 'ديتريش' بجولات لعرض حيّ لأزيائها الرائعة. وقام موسم لندن الناجح في عام (1964) بإنتاج تسجيل للفيلم في ليلة انتهاء الموسم. تُظهر المقارنات أن لغتها الإنكليزية أصبحت أكثر محليّة بعد مضي خمسة وثلاثين عاماً، لكنها لا تزال تحتفظ بنبرة مختلفة ملحوظة، وهي ما أصبح يُعتبر اليوم كلفظ مميز لها. يبيّن الجدول (11.4) السمات غير المحليّة في أداء 'ديتريش' في أغنية 'الوقوع في الحب مجدداً' خلال عرض عام (1964). لقد اختفت تماماً العديد من السمات غير الأصلية التي كانت موجودة عام (1930). كما أن السمات التي لا تزال تظهر في عرض (1964) كانت في مستوى أقل بكثير من المستوى الذي كانت عليه قبل خمسة وثلاثين عاماً، وهي أقل وضوحاً وحدّة صوتية بنسبة كبيرة. لقد عاشت 'مارلين' وعملت لعقود طويلة في بيئة تتحدث اللغة الإنكليزية. حتى الآن لا يزال بالإمكان تمييزها – لكن لا يمكن تمييزها كثيراً.

الجدول 11.4: إحصاء أداء ديتريش غير المحلّي في أغنية 'الوقوع في الحب مجدداً' على مسرح الملكة في لندن عام (1964) (الرموز الواقعة بين قوسين هي وسيط).

	الخاصّية	مثال	العدد
الحروف الصوتية	حرف صوتي كامل لـ (ə)schwa	falling, wanted	2 (1+) (3)
	للفظ /ʊu/ no) /ei/ كصوت واحد	blame, flame	1 0
	تقصير الحرف الصوتي	not	
	عدم إكمال/ إنقاص [a]	-	

الحروف الساكنة	عدم النطق بملء النفس	can't help	(2)
	تشديد /d/	-	0
	تسكين الأصوات	-	0
	غير مكتمل/ شفوي سِنّي /w/	-	0
	إيضاح /l/ الواقع بعد الحرف الصوتي، بطريقة مبالغة	help	(2)
العَروض	المبالغة في الإيقاع	-	0
المجموع			3 (11)

الرمزية والتدوين

كشخصية مشهورة من الماضي، ولا تزال رمزيتها في حالة انتشار نشيط، وحوار ثقافي مع الحاضر، تقدّم حالة 'مارلين ديتريش' منظوراً تنويرياً عن اللسانيات الاجتماعية في الأداء المُعاصر. لقد أدّت عقود 'ديتريش' من الأداء المتكرر إلى جعلها رمزاً، وأصبح ظهورها والنطق الخاص بها منتشرين ومُقلّدين، وموضع سخرية على نطاق واسع أحياناً. إن أداة التدوين، كإحدى 'الشخصيات النمطيّة' لـ 'آغا' هي تكرار السمات البارزة من خلال سلسلة من العروض المتشابهة؛ إذ يشكّل مثل هذا التكرار ضرورة للأداء المُباشر الناجح، ولعنة أيضاً. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يركّز الرمز ويُنشر في المرجعية التي يحصل عليها من الثقافة الأوسع؛ إذ كان يُشار إلى ظهور 'ديتريش' (ولاسيّما لباسها)، وكان يُقلّد باستمرار، ويكون موضع سخرية أحياناً. فضلاً عن أن اللفظ الصوتي لها لم يكن محلياً، فقد كان منخفضاً بشكل مميز أيضاً. ومنذ ثلاثينات القرن الماضي، اتجه بشكل متزايد نحو نوعية الصوت المنخفض: فأصبح الصوت المنخفض علامة تجارية.

بعيشها شخصية الأنثى اللعوب في حياتها الخاصة، وغرس صورتها بانعكاسية شديدة، حققت 'ديتريش' التماهي التام مع المجموعة الداخلية. لقد كرّست اهتماماً وعملاً كبيرين للحفاظ على شخصيتها الراسخة على جميع الجبهات. ويمكن تفسير الأمر على أنه حالة خاصّة ومُبالغ فيها من إعداد المرجع لمجموعة داخلية، حيث يصبح هدف المتحدث الحصول على صيغة متقدمة من الإنتاج اللغوي الفردي الخاص. منذ ثلاثينات القرن الماضي حتى نهاية مسيرتها، أي بعد أربعين عاماً، يمكننا القول إن مرجع 'مارلين ديتريش' كان في الواقع نفسها.

11.6 النشاط البحثي

مشروع أداء اللغة

يوفّر هذا النشاط البحثي الفرصة لإجراء دراسة على الأداء اللغوي. فأداء اللغة المسرحي، الذي ظهر كمجال اهتمام في اللسانيات الاجتماعية الحديثة، يغطي باستمرار بيانات رائعة ومتعددة الطبقات، حيث ينتشر تنميط الموارد اللغوية. كما يدعونا إلى وضع نظرية حول طبيعة اللغة في المجتمع، اعتماداً على 'نصوص' مفيدة، ومجهدة من الناحية التحليلية، تحاكي بعض أهم القضايا الاجتماعية المُعاصرة، مثل العولمة.

الأداء المسرحي

أولاً، التعريف: هو التطابق المرحلي الظاهري، وارتقاء (بشكل حرفي غالباً) شخص أو أكثر للتمثيل، على المسرح عادة، أو في مكان شبيه بالمسرح، كموقع أمام الكاميرا أو الميكروفون. وعادة ما يشمل تمايزاً واضحاً ما بين الممثل والجمهور. وبشكله النموذجي، يحدث الأداء المسرحي بعدة أنواع، كالمسرحية، والحفلة الموسيقية، أو الشعائر الدينية، وفي الأماكن المخصصة لعروض كهذه - المسرح،

قاعات الحفلات الموسيقية أو دور العبادة. تتضمن هنا أيضاً العروض التي تبثّها وسائل الإعلام أو الأنترنت.

هناك عدّة عوامل رئيسة للأداء المسرحي واللّسانيات الاجتماعية الخاصة به (بيل وجيبسون 2011):

- الهويات - يركّز الأداء عادة على إبراز الهويات، ويتضمن إشارة إلى مجموعات مستهدفة على مجموعة مستويات، بدءاً بالاستدعاءات، وصولاً إلى التملّك.
- الانعكاسية - يعرض الأداء الذاتي الصيغ اللغوية من أجل المتعة والنقد.
- الجمهور - كما أشار 'كوبلاند' (2007)، ليست العروض مُعدّة للجمهور فقط بل هي أيضاً من أجله، كما يُشكّل نمط استجابة الجمهور العرض نفسه. ويتكوّن الجمهور أيضاً من عدّة طبقات (كما في إطاري الخاص للأدوار، الفصل '6.4').
- المصداقية - هناك توقّعات متباينة. يتوقّع الجمهور في الموسيقى الشعبية أن يتم إبراز الذات 'الصادقة'، بينما تنطوي موسيقى 'drag' على استراتيجية غير صادقة (كوبلاند، 2011).
- الجندر - يكون أسلوب الأداء ومضمونه خاصاً بالجندر، على سبيل المثال، الاختلافات بين موسيقى الجاز وموسيقى الروك.
- الأساليب - يمكن للأبعاد غير اللغوية أن تكون أساسية. كما رأينا في حالة 'ديتريش'، إن المظهر المرئي والحركة، وإعداد المسرح والفيلم، تلائم قراءة اللغة. وعندما يتمّ إدخال الغناء، تكون الموسيقى محوريّة كالكلمات.

اللّسانيات الاجتماعية للأداء

يفترض الأداء القيام بالإجراء الفعّال، وتمثيل اللغة بشكل متعمّد لخدمة المعنى الاجتماعي. لكنّه أيضاً يفترض خلفية من المعاني

والصيغ الموجودة، مقابل تلك التي يصدر عنها الأداء، ويستمدّ معانيه منها؛ إذ يوجد في الأداء تعارض بين التقليد النوعي والموهبة الفردية. ويقوم الممثلون بابتكار الأصول ونقل التقاليد - غالباً في الوقت ذاته.

تميل العروض المسرحية لأن تكون منمّطة لغوياً مما يدفع حدود الإبداع والمراجعة والوعي الذاتي، وملاءمة المرحلة، والمبالغة في بعض الأحيان (كوبلاند، 2007). كما تكون الصوتيات الخاصة بالأداء انتقائية من حيث السمات التي تدركُها. وهي تسيء إدراك بعض السمات، ولا تحقق الهدف في فرص معيّنة (مثل لغة 'ديتريش' الإنكليزية، التي ليست اللغة الأم)، وتتخطاها في أوقات أخرى - في تقاليد اللغة الأمريكية الإفريقية العاميّة على سبيل المثال (بوخولز ولوبيز، 2011).

المثال 11.3: عيّنة من مشاريع الأداء

تم إجراء الدراسات الآتية في دورة على مستوى الدراسات العليا، وكنت قد قمت بتدريسها في جامعة ألمانية حول الأداء في اللغة الإنكليزية؛ إذ قام الطلاب بإنشاء دراستهم الخاصة وإعدادها. وعلى الرغم من تخوّف أغلب الطلاب من قدرتهم على القيام بذلك، لكنهم نجحوا جميعاً تقريباً، وببراعة أحياناً.

- أداء جنساني مُدمّر في فيلم.
- أداء جندري مُدمّر في فيلم 'ذا روكي هورو بيكتشر شو'.
- تحليل أغنية 'نحن ننتمي للموت' لفرقة 'ميتال ديث'.
- مقارنة بين الإصدارات الأمريكية والبريطانية للمسلسل التلفزيوني الكوميدي 'ذا أوفيس'.

مقارنة بين فيلم 'ماي فاير ليدي' عام (1964) و'بيجماليون' (1938).

- عروض فيلم ′إيوان ماكغوير′ باللغة الإنكليزية الأسكتلندية - أو لا

- ′الكلام الواقع′ لـ ′فيكي بولارد′ في المسلسل التلفزيوني الكوميدي ′البريطاني الصغير′.

- الشخصيات اللغوية لـ ′ساشا بارون كوهن′.

- الاختلافات اللغوية الاجتماعية في ′النعوات′.

- لهجة نيويورك كعلامة اجتماعية في المسرحية الهزلية ′ملك الملكات′.

وأخيراً، يمكن للعروض الإعلانية أن تؤدي إلى تأثيرات لسانية اجتماعية أوسع. إنها تنشر صيغاً جديدة، وقد تساهم في تغيير اللغة. إذ تربط بين الموارد اللغوية والأشكال المنطقية مثل ′كاترين تيت′ و′الوقاحة′ في المملكة المتحدة، مركّزة في شعارها على عبارة ′هل أنا مزعجة؟′ يجمع العرض ′مجموعات نمطية واجتماعية وسيمولوجية، ويجعلها قابلة للنقل (كوبلاند، 2007).

القيام بمشروع أداء

تتبع دراسة كهذه الخطوات التسع المبيّنة في الفصل الثالث والسابع والعاشر. وتستطيع أن تأخذ بياناتك من أي نوع من الأنواع الأدبية المتعددة التي يمكن الوصول إليها عبر الوسائل الإعلامية والعروض المباشرة. كما يوضّح المثال (11.3) نوع الدراسات القابلة للتنفيذ. ويقدّم موقع ′يوتيوب′، ومواقع الأنترنت الأخرى مجموعة كبيرة من المواد التي نشأت في وسائل إعلام أخرى، مثل مقاطع الفيديو الموسيقية، ونصوص الصحف الإخبارية، وأقراص مُدمجة.

من أجل التحليل، حدد مجالاً لغوياً معيّناً تعتقد أنه يحتوي على سمات لغوية مثيرة للاهتمام، ويسلّط الضوء على اللغة، أو الصنف المعروض أو المُشار إليه، وينقل معانٍ اجتماعية لتقوم بتفسيرها. قم

بتحديد ’نص‘ قصير نسبياً - يمكن في بعض الحالات مثلاً أن يصل طول إعلان تجاري تلفزيوني إلى دقيقة واحدة. وفي حالات أخرى، ربما يصل طول مقطع من فيلم أو مقطع فيديو إلى عشر دقائق. وبالنسبة إلى المواد المكتوبة، يمكن أن يصل طولها إلى صفحتين. لا تحاول تغطية الكثير.

ابحث عن السمات اللغوية من جميع الأنواع، وفي جميع المستويات اللغوية - علم الأصوات، علم التشكّل، بناء الجملة، والخطاب. ركّز بشكل خاص على تلك السمات التي تحمل معنى اجتماعياً ملحوظاً، كما في استدعاء هويات إقليمية أو عرقية أو عمرية مثلاً. وخذ في الحسبان الجوانب متعددة الوسائط الأخرى لبياناتك، مثل المرئيات والموسيقى.

فسّر المعنى الاجتماعي للسمات اللغوية للبيانات المُقتبسة التي اخترتها. وللقيام بذلك، يجب أن تحدد خلفية الحالة الاجتماعية والنوع الثقافي والأشياء الأخرى التي تأتي منها بياناتك (على سبيل المثال، المُغنّي، الكوميديا التلفزيونية، المجلّة، النوع الموسيقي، إلخ)، والمواقف اللغوية التي تأتي منها وتُشير إليها (الإقليم، المجموعة العرقية وما إلى ذلك). يوضّح التمرين (11.6) طريقة لدراسة تحليل اللسانيات الاجتماعية للأداء.

التمرين 11.6: تحليل لغة الأداء

هذه بعض الإرشادات الخاصة بتحليل لغة الأداء تحت ستّة عناوين رئيسة (والّتي أسمّيها ’اللّسانيات الاجتماعية للفظ‘):

المادية أو الفيزيائية

- ما هي الطبيعة المادية للوسط والتكنولوجيا - وما هي طبيعة تلقّيه؟
- وعن النص (الضبط، والتنسيق مثلاً)؟

المحلّية

- ما هي المحليّة؟
- هل المحتوى قابل للتفسير محلياً فقط – أو على نحو مختلف؟
- هل هناك انعكاس عالمي على المحلي؟

النوع

- أين يقع ذلك بين خيارات اللغة أو النوع؟
- هل توجد أدلّة على الضغوط اللغوية الجاذبة أو النابذة؟
- هل توجد تعابير متناقضة؟
- هل يوجد تبادل بين الثقافات؟

الأداء

- هل العرض متعمّد أو معروف؟
- ما هي الأصداء الاجتماعية الثقافية؟
- ما هي الموارد اللغوية التي يعتمد عليها العرض؟
- هل توجد مجموعات مرجعيّة لهذا العرض؟
- هل العرض 'طبيعي' لهذا الجمهور؟
- ما هو مفتاح العرض؟ كيف يرتبط بالمصداقية؟
- ما هي المهارات أو الخبرة المُتضمنة؟ هل كان هناك بروفا؟

الحوار

- هل يوجد أدلّة على الطبيعة الحواريّة للغة؟ - هل هناك تعاون، أو تبادل أو منافسة؟
- ما نوع الجمهور أو طبقاته المحتملة لهذا العرض؟ كيف يتفاعل الجمهور مع العرض (ضحك، صمت، وما إلى ذلك)؟

الهوية

- ما هي التعبيرات الموجودة في هذا العرض؟ تعبيرات من؟
- ما هي معانيها الاجتماعية؟

- هل هناك 'مغايرة'؟ هل هناك تملّك؟
- ما هي التعبيرات الموجودة في هذا العرض؟ تعبيرات من؟
- ما هي معانيهم الاجتماعية؟
- هل هناك 'آخر'؟ هل هناك تملّك؟

11.7 مُلخّص

- النمط هو ما يفعله الفرد باللغة. يسأل علماء اللسانيات الاجتماعية عن سبب قيام المتحدث بخيارات نمطيّة محددة، وليس بدائلها، ومن ثم تحديد النمط بشكل مميّز. إن المقاربة الرئيسة للنمط في اللسانيات الاجتماعية هي نظرية الحد الأقصى، وتشمل مجموعة كاملة من المستويات اللغوية، ومجموعة متنوّعة من العوامل الاجتماعية.
- المقاربة التباينية الثانية هي، على النقيض من ذلك، نظرية الحدّ الأدنى. إنها تحدد المتغيّرات اللغوية بإحكام، وتربط بينها وبين الأنماط المحددة في مهام المقابلة، والتي يهدف من خلالها 'لابوف' إلى لفت عدد متزايد من انتباه المتحدثين للكلام. على أية حال، إن تحيّزه للانتباه كعامل فعّال في النمط قد تلقى الكثير من المعارضة.
- طرح 'بيل' (1984) نموذج إعداد الجمهور، الذي يقوم به المتحدثون بإعداد النمط الخاص بهم، بالاستجابة لجمهورهم بشكل خاص. وفي بحثي عن لغة الأخبار الإذاعيّة، كانت اختلافات الجمهور فقط هي التفسير المعقول للاختلافات النمطية. ويبدو أن العمليات نفسها تعمل في التواصل المُباشر. فقد تمّ اختصار إعداد الجمهور في تسعة بنود رئيسة موجودة في القسم (11.2).
- تُعدّ نظرية 'جيلز' عن المواءمة نظرية نفسيّة اجتماعية موازية لنموذج إعداد الجمهور. وهي تسأل عن سبب قيام المتحدّثين

بتكييف خطابهم مع الأشخاص الذين يتفاعلون معهم، وخاصة عبر التقارب منهم.

- حاولت نظريات كثيرة معرفة العلاقة بين الاستجابة والمبادرة - النمط والتنميط؛ إذ ينتجُ التبدّل في الاستجابة عن تغيير الموقف، بينما يقوم التبدّل في المبادرة بإحداث هذا التغيير. فيما يتعلّق بإعداد المرجع، هو يعني أن المتحدثين يعيدون توجيه هوياتهم الخاصة بما يتوافق مع الجمهور، إما بالتركيز على مجموعة خارجية مرجعيّة، أو تعزيز التماهي مع مجموعتهم الداخلية.
- تعكس الأبعاد الخاصة بالنمط، في الاستجابة والمبادرة، تأرجح النظرية الاجتماعية بين أدوار البنية والكفاءة في المجتمع. لكن الميل نحو الكفاءة في اللسانيات الاجتماعية أخلّ بتوازن رؤيتنا لنمط اللغة. إننا نحتاج إلى استعادة الاتجاه الذي يقول إن البنية هي التي تزوّد المتحدثين بالمورد الذي يعتمدون عليه في نمطهم.
- يشمل إعداد المرجع اللغة الأدائية للمتحدثين، وهي الخروج لمدّة قصيرة من صيغة المحادثة اليومية إلى الأداء العلني. ويرتبط أداء كهذا ارتباطاً وثيقاً بالهوية التي تشمل أبعاد البنية والكفاءة والإنتاج الجزئي والعملية الجزئية.
- يمكن للمتحدثين ادّعاء هويّات قد لا تبدو 'طبيعية' لهم. ويُنظر إلى الجندر بشكل متزايد على أنه شيء يُبنى أو يتم تنفيذه بدلاً من تعريفه بالجنس البيولوجي. ويمكن استخدام اللغة لادّعاء هوية جندرية بارزة أو بديلة، كجزء من التطابق بين جندرين على سبيل المثال.
- يستدعي البحث النمطي مزيجاً من التحليل الكميّ والنوعي والمتلازم. في دراسة تركّز على تنميط الهويات الجندرية والعرقية، وجدتُ أن الرجل 'الماوري' يستخدم رموز العلامة العرقية (eh) مع

مُحاور ماوري أكثر مما يستخدمها في حديثه مع رجل 'باكيهي'، وتتزايد العلامة (eh) عندما يكون الموضوع مُرتبطاً بقضايا 'ماورية'.

- وصلت 'مارلين ديتريش' إلى النجومية في الفيلم الألماني 'الملاك الأزرق' عام (1930)، وقدّم هذا الفيلم لها النبرة التي لازمتها طوال مسيرتها خلال أدائها لأغنية 'الوقوع في الحبّ مجدداً'. لقد كان نطقها مختلفاً عن النطق المحلي بشكل ملحوظ، وهو ما يمكن اعتباره إعداداً للمرجع. لقد وثّقت أفلامها اللاحقة في هوليوود نبرتها غير المحلّية، كالصوت الأول والدائم للحسناء اللعوب.
- تكشف مقارنة عرض أغنية 'الوقوع في الحب مجدداً' عام (1964) أن لغة 'ديتريش' الإنكليزية أصبحت محليّة أكثر بعد خمسة وثلاثين عاماً من عرضها الأول، لكنها احتفظت بالنبرة التي تم تقييمها الآن كصوت مميز لها. بعد عقود من الأداء المتكرر، وانتشار نمطها ومظهرها المرئي، وتعايشها مع شخصية الحسناء اللعوب، أصبحت 'ديتريش' تشكّل مرجعها الخاص.

11.8 قراءات متقدمة

فيما يتعلّق بالنمط اللغوي العام، يقدّم 'كوبلاند' (2011) ملخّصاً ومراجعة عامة ممتازة؛ إذ يُعدّ كتابه 'النمط' (2007) أفضل كتاب، حتى الآن، يشمل عرضاً لإعداد الجمهور ونقداً له. وهناك مجموعة من الفصول في كتاب 'كوبلاند' و'جورسكي' المكوّن من مجلّد واحد (2009). جاءت المجموعة الشاملة لـ 'إيكرت' و'ريكفورد' (2001) من ندوة ضمّت العديد من كبار العلماء والبدائل النظرية الأساسية. إنها تشمل نماذج تتعلّق بالاستجابة.

تركّز فصول متعددة لـ 'لابوف' (1972) على النمط. وبما يتعلّق بانتقاد نظرية 'لابوف' وخاصة الانتباه للكلام، راجع بيل (1984)،

وفصلاً آخر عند 'كوبلاند' (2007). يؤكد 'لابوف' (2001) مرّة أخرى، وبشكل رئيس، على مواقفه السابقة.

حدّدت محاضرتي الطويلة الأصلية حول اجتماعيات اللغة (1984) موضوع إعداد الجمهور، وبقيت دراسة أساسية للنمط اللساني الاجتماعي. تلخّص النسخة المختصرة ذلك الأمر في تسع نقاط رئيسة، وبشكل أفضل مما تم تقديمه هنا. فقد عدّل 'بيل' (2001) ذلك النموذج ووسّعه في كتابه 'العودة إلى النمط'. إن مقالة 'ريكفورد' و'ماكنير نوكس' هي مقالة رئيسة يختبر فيها بعض فرضيات إعداد الجمهور (1994).

يقدّم 'بيل' (1984) تفاصيل عن 'إعداد المرجع' ومتغيراته، وقد تم توسيعها في 'بيل' (1999، 2001). انظر الجدول (11.1) للاطلاع على أطر مشابهة. وللاطلاع على البنية المتقاطعة عند 'رامبتون'، راجع كتابه الصادر عام (1995)، وكذلك عمله الأخير حول لهجتي 'posh' مقابل 'cockney' (2006).

إن نصّ 'جيلز' و'باوسلاند' (1975) هو نص أساسي لنظرية المواءمة، يتبعه العديد من المقالات والمجموعات التي شارك 'جيلز' في تأليفها وتحريرها. وقد كان تطوير 'جيلز' و'كوبلاند' (1991) آخر التطورات الرئيسة للنظرية. كما كان 'ترود جيل' (1981) أول عالم لساني اجتماعي معارض لنظرية المواءمة. ويُطبّق 'ماير هوف' (1998) علاقة هذه النظرية بمجالنا ويقيّمها. ويقوم كلٌّ من 'شيفرد' و'جيلز' و'لوبوار' (2001)، و'جيلز' و'أوجي' (2007) باستعراض المزيد من الأعمال الحديثة. فقد نشرت مجلّة اللغة وعلم النفس الاجتماعي الكثير من الأعمال في ثمانينات القرن العشرين وتسعيناته.

كان بحث 'إلينور' و'أوكس' بحثاً رائداً في الدلالة اللغوية للجندر (1992). وفيما يتعلّق بالأعمال الخاصة بالذكورة والأنوثة، راجع

منشورات 'هولمز' و'كاميرون' و'كيسلنغ' و'بوجولار'. أما للأعمال المتعلّقة بلغة المثليين وممارسة دور الجنس الآخر، فراجع 'كوليك' و'ليفو' و'كاميرون' و'بوديزفا' و'باريت'. وفيما يتعلّق بالعرق، راجع 'شيلنغ' و'رامبتون' و'ريكفورد' و'بوخولز' و'بيل' وآخرين كثر. هناك العديد من المنشورات في المجلتين الرئيستين بالإضافة إلى مجلّة الأنثروبولوجيا اللغوية ومجلّة الجندر واللغة.

بما يخص 'مارلين ديتريش'، راجع المحاضرة التي أخذت منها هذه الدراسة 'بيل' (2011)، والمراجع التي تحتوي هذا الموضوع، وخاصة عمل 'جيمندن' و'ديسجردين' (2007) حول رمزيّة 'ديتريش'. أما عملي الآخر عن العرض المسرحي فيغطي الإعلانات التلفزيونية (1992)، و'تنميط الآخر' في أغنية ماورية (1999)، والإعلانات التجارية النيوزيلندية الوطنية (2001)، وإنكليزية الباسيفيك في كوميديا الرسوم المتحركة (جيبسون وبيل، 2010). كما يحتوي 'بيل' و'جيبسون' (2011) على أحدث التطوّرات النظرية.

بالنسبة إلى اللسانيات الاجتماعية الخاصة بالأداء، راجع الفكرة الرئيسة لإصدار (2011)، لمجلّة اللسانيات الاجتماعية التي حررها 'بيل' و'جيبسون'، وخاصة المقدمة، لأجل التنظير والمراجعة العامة. أيضاً الفكرة الرئيسة لإصدار مجلّة اللسانيات الاجتماعية الإنكليزية (2009)، التي يحررها 'روث كينغ'. إن مجموعة 'هيرنانديز - كامبوي'، و'كوتيلاس - سبينوزا' (2012) عبارة عن مجموعة ممتازة تتعلّق بالتنميط في وسائل الإعلام. وخلف هؤلاء جميعاً راجع المقالات التي كتبها 'كوبلاند' و'باومان' و'جونستون' و'بوخولز'.

الفصل الثاني عشر

النظرية والمشاركة

يُكمِل هذا الفصل الأخير القصير موضوع هذا الكتاب؛ إذ يتطرّق مباشرةً لبعض القضايا الأساسية للنظرية اللسانية الاجتماعية التي اطلعنا عليها سابقاً. ثم سأنتقل بإيجاز إلى تطبيق اللسانيات الاجتماعية على مشاكل العالم الحقيقي، وأخيراً سأدرس شكل النظام المبني اجتماعياً، والذي طرحته في الفصل الافتتاحي. وسيمكننا ذلك من الرجوع إلى النهج الذي سلكناه في اللسانيات الاجتماعية خلال هذا الكتاب، وخاصة وفق الأهداف التي حددتها في الفصل الأول. لقد شمل ذلك إدراك صيغة اللسانيات الاجتماعية، وفهم أبحاثها، والتجارب العملية عليها، بالإضافة إلى هدفين إضافيين:

- تزويدك بفرصة للتفكير بوضعك اللساني الاجتماعي – الكثير من اللغات والتعابير التي تشكّل جزءاً كبيراً من حياتك.
- تقدّم لك فرصة للمشاركة في العملية التي تؤثر من خلالها اللغة في المجتمع، وخاصة من حيث تؤدي إلى عدم المساواة.

لقد تطرّقت فصول الكتاب الأساسية إلى مجالات مثل التعددية اللغوية، وتبدّل الرمز، وتغيير اللغة والأنماط، وشجّعت على دراسة تجربتك الخاصة في هذه المجالات. وضمن هذه العملية، قامت هذه

الفصول بطرح أسئلة كثيرة حول دور اللغة في المجتمع، وموقعها السياسي والإيديولوجي، مما يحثّ على مشاركتنا، هو ما سندرسه بإيجاز في هذا الفصل.

12.1 الموقع الاجتماعي في اللّسانيات الاجتماعية

سألتُ في بداية هذا الكتاب: 'ما هي اللغة؟'، مشيراً إلى أن هذا السؤال لم يُطرح غالباً بقدر كافٍ في اللسانيات الاجتماعية. لكنني لم أطرح السؤال الموازي الذي يستدعيه مجالنا: 'ما هو المجتمع؟'، والذي تحدثنا عنه بوتيرة أقل. لم يتمكّن علم اللسانيات الاجتماعية من دمج عملنا بالنظرية الاجتماعية نظراً لأن معظمنا علماء لغة بالأصل، ولسنا علماء لسانيات اجتماعية. لقد فضّلنا إعداد إجاباتنا الخاصة المنوّعة عن الأسئلة التي لطالما تم تناولها في علم الاجتماع، أو اعتماد حلول علمية اجتماعية قديمة كمعطيات عامة دون مراعاة المصدر الذي أتت منه، أو إلى أين تتجه. يدعوك التمرين (12.1) إلى التفكير في هذه المسألة.

التمرين 12.1: اللّسانيات الاجتماعية والنظرية الاجتماعية

كتبت 'وولارد' في مقالة سابقة (1985):

غالباً ما استعار علماء اللّسانيات الاجتماعية مفاهيم اجتماعية، لغرض معيّن، عند تطوير أوصاف التباين في الخطاب وتفسيره، دون التفكير نقدياً في الأطر النظرية الضمنية التي يتم استيرادها بالجملة مع مثل هذه البُنى المناسبة مثل ثلاثة، أو أربعة أو تسعة قطاعات لتدرّج الوضع الاجتماعي الاقتصادي. وفي حالات أخرى، اخترع المُهتمون منّا بالتنوع اللساني الاجتماعي مفاهيمنا التفسيرية المفضّلة، أو حسّنوها على الأقل، مطوّرين من خلال ذلك ما يعادل نظريات اجتماعية جزئية لتفسير بياناتنا التجريبية الفورية. في أي حالة من الحالتين، غالباً ما يرقى العمل للاعتماد على نظرية اجتماعية ضمنية بدلاً من نظرية اجتماعية صريحة، مع اهتمام

ضئيل بكيفية تعديل النتائج اللسانية الاجتماعية من خلال اعتماد إطار نظري مختلف للاختبار، أو قد يُثبت أو يغيّر بدوره النظريات الكبرى لكيفية عمل المجتمع.

• فكّر وناقش رأي 'وولارد' في ضوء الدراسات الكثيرة التي تعرّفت عليها في الفصول السابقة. هل توافق على تشخيصها، وإذا كان الأمر على هذا النحو، ما هي الخطوات العملية التي يمكن اتخاذها للتعامل معها؟

شهدت العلاقة الاجتماعية واللغوية اتجاهين متعاكسين في اللّسانيات الاجتماعية الحديثة. كان الدافع الرئيس هو الانخراط بالنظريات الاجتماعية، بشكل مباشر أكثر، ودمجها إلى حد كبير في النظام. لقد قلل الاتجاه الآخر من أهميّة دور المجتمع، وحدد بعض السلوكيات اللسانية الاجتماعية كتلك الموجّهة ميكانيكياً وليس اجتماعياً.

إلغاء الدور الاجتماعي

إنه لجدل غريب أن تقوم اثنتان من الشخصيات المؤسِّسة الرائدة في اللسانيات الاجتماعية، في القرن الحادي والعشرين، بتقليص دور المجتمع في تغيير اللغة وتباينها بشكل ملحوظ، مبتعدتين عن المقاربة بين النظرية الاجتماعية واللسانيات الاجتماعية بدلاً من السعي لهذه المقاربة. وقد تمّ تهميش العوامل النفسية الاجتماعية لصالح المزيد من العوامل الميكانيكيّة.

قام 'لابوف' (1972)، في أعماله الأولى، بجعل تقييم اللغة والنمط قضايا رئيسة في الاهتمامات اللغوية الاجتماعية - في الوقت ذاته الذي عارض فيه عنوان 'اللسانيات الاجتماعية' في طرحه لأول الكتب التي تحتوي على هذا المُصطلح في عناوينها. لكنه ألغى في الآونة الأخيرة دور التقييم والموقف كقوى في التغيير اللغوي. وبدلاً من ذلك، تبنّى 'مبدأ الكثافة' الميكانيكي الذي يقول إن الأشخاص

يؤثّرون في لغة أحدهم الآخر، فقط من خلال تلاقيهم وتحادثهم. إن ما يهمّ هنا ليس دوافعهم واستجاباتهم النفسية الاجتماعية بل الحقيقة البسيطة في أنهم يتفاعلون (لابوف، 2001). ثم يصبح قياس التأثير اللغوي الاجتماعي مسألة حساب رياضي لنماذج التفاعل بطريقة تدفّق الحركة[1].

التمرين 12.2: الدور الاجتماعي للسانيات الاجتماعية؟

يؤكّد مبدأ الكثافة ضمنياً بأنه لا يتعيّن علينا البحث عن قوة دافعة وراء انتشار التغيير اللغوي. إن التأثير ميكانيكي، وهو واحد حتماً. والافتراض الضمني هو أن التقييم والمواقف الاجتماعية تلعب دوراً ثانوياً (لابوف، 2001).

اقرأ الصفحات من (18) إلى (20) في كتاب 'لابوف'، ومقال 'ترودجيل' القصير في موضوع الاجتماعيات اللغوية المتعلّق بهذا السؤال (2008)، والاستجابات الستة التي تم نشرها معه (تذكّر التمرين 9.7).

1. استخدم هذه المؤلّفات كأساس لفهم وتقييم الموقف المؤيّد والمعارض لعوامل التحفيز والهوية في تباين اللغة والتغيير والاتصال.
2. ناقش هذه المسألة ضمن قاعة الصف.
3. يشير كلّ من 'لابوف' و'ترودجيل'، بشكل صائب، إلى أن علماء اللسانيات الاجتماعية غالباً ما اقترحوا الهوية كتفسير للتباين أو التغيير، وذلك لدعمه بدون بيانات سوى التباين نفسه. أعد النظر في إحدى دراسات الحالة في الفصول السابقة - اللغة العامية في 'ريو دي جانيرو' مثلاً (الفصل السادس)، الاستخدام الأمريكي لـ "ing' من قِبَلِ أعضاء الجمعية (الفصل السابع)، 'الجوكس البرنوتس' في 'بيلتن

[1] في الرياضيات والهندسة المدنية، يدلّ تدفق الحركة على قياس التفاعل بين المسافرين والبنية التحتية، بهدف فهم شبكة النقل المثالية وتطويرها مع كفاءة حركة المرور، والحد الأدنى من الازدحام المروري. المترجم.

هاي' (الفصل الثامن)، إنكليزية 'مارلين ديتريش' غير المحلية (الفصل الحادي عشر). قدّر دور التقييم والدوافع والمواقف والهوية في التفسيرات التي قدّمها الباحثون لنتائجهم. إلى أي مدى تُعدّ هذه التركيبات الاجتماعية النفسية مناسبة، أو حتى ضرورية لتفسير السلوكيات اللغوية الاجتماعية؟

طرح 'ترودجيل' نظرية المواءمة النفسيّة الاجتماعيّة في اللّسانيات الاجتماعية عام (1981) (الفصل 11.2). وخمّن في عمله اللاحق عن الإنكليزية النيوزيلندية أن تبدّل الحرف الصوتي الأمامي في هذه اللهجة مشتقّ من دوافع الهوية؛ إذ لا يرغب النيوزيلنديون بالتحدث مثل الأستراليين، لذلك قاموا بتمييز حروفهم الصوتية ('ترودجيل'، 'غوردون' و'لويس'، 1998). لكن كما رأينا في الفصل (9.6)، اتخذ 'ترودجيل'، منذ ذلك الحين، الرأي القائل إن عملية تشكيل اللهجات الاستعمارية في حالات كهذه هي عملية ميكانيكية وحتمية لغوياً، ولا تلعب خصائص الهوية دوراً فيها (على الرغم من أنها قد تتبع كنتيجة). إن المواءمة التي تحدث هي عمليّة أوتوماتيكية للتنسيق السلوكي بين المتحدثين، وهي غير محرّكة بالدوافع على الإطلاق.

كان 'لابوف' و'ترودجيل' من الباحثين الذين استفدتُ كثيراً من أعمالهم في هذا النص، والذين يحتاج مركزهم إلى بحث دقيق. يتناول التمرين (12.2) الأسئلة التي تطرحها المواقف التي اتخذوها.

ترسيخ الاجتماعي في اللّسانيات الاجتماعية

في عرضه لكتاب 'كوبلاند، 2001'، ومجلّد 'سارانجي' و'كاندلين' عن اللسانيات الاجتماعية والنظرية الاجتماعية، يحدد 'نيكولاس كوبلاند' ثلاثة مواقف اتخذتها اللسانيات الاجتماعية فيما يتعلّق بالنظرية:

a) نظرية اللسانيات الاجتماعية هي نظرية لغوية مناسبة. أي إن اللسانيات الاجتماعية تُنتج اللسانيات بالطريقة التي يجب أن تُنتجَ بها.

b) اللسانيات الاجتماعية هي تراكم لنظريات صغيرة ذات صلة اجتماعياً. وهي تشمل نظريات، وليس نظرية.

c) النظرية اللسانية الاجتماعية هي، أو ينبغي أن تكون، نظرية اجتماعية. أي إن اللسانيات الاجتماعية تتضمن بالضرورة محتوى اجتماعياً نظرياً.

النقطة الأخيرة هي نقطة البدء. وسواء أكنا نرغب أم لا، فإننا نعمل في اللسانيات الاجتماعية مع نظرية اجتماعية عن طريق ممارستها فقط. وسوف نتبنّى نظرية حتى إذا لم نكن مدركين لها. ويمكن القول إن من الأفضل القيام بذلك بوعي وبشكل انتقائي، بدلاً من القيام به تلقائياً.

من المؤكّد أن 'لابوف' و'ترودجيل' كانا محقّين في القول إنه يجب دراسة العوامل اللغوية والميكانيكية في المزيج السببي، وكذلك العوامل النفسية والاجتماعية. لكنني، من ناحيتي شخصياً، لا أريد أن أرى أن ذلك يؤدي إلى تهميش الدور الاجتماعي في اللسانيات الاجتماعية. ويبدو لي أن المساهمة الفريدة لمجالنا هي أننا نتعامل بجدّية وبراعة مع تحليل المجتمع واللغة وتنظيرهما معاً، وأننا نعارض كونهما كيانين منفصلين أو قابلين للانفصال. يجب أن يكون الدافع هو تنظير كلّ من المجتمع واللغة بطريقة أكثر رسوخاً وتكاملاً. وهذا يقودنا إلى النظر بإيجاز في قضيّة مركزيّة واحدة في النظرية الاجتماعية، ومكانها في الفكر الاجتماعي اللغوي.

12.2 البنية والكفاءة

إن زيادة الاهتمام باللسانيات الاجتماعية بالنمط الذي أشرت إليه في الفصل السابق هو أحد جوانب 'التحوّل إلى المجتمع في مجالنا.

لقد قيل الكثير في العقدين الماضيين عن 'التحوّل إلى اللغة' في العلوم الاجتماعية، ولم يحدث التحوّل المتبادل في اللسانيات الاجتماعية قديماً. نعود الآن إلى المسألة النظرية الاجتماعية التي تكتسب أهمية في الفصل الأخير – التفاعل بين الكفاءة والبنية في الحياة الاجتماعية، وبين المبادرة والاستجابة. وثبت هذا أنه أمر أساسي بالنسبة إلى النظرية الاجتماعية اللغوية والممارسة.

من جهة أولى، تحدد البنية الاجتماعية كيف نعيش. فنحن لا نبدأ الحياة بسجّل فارغ، بل بما نرثه (لغوياً واجتماعياً أيضاً). ومن الجهة الأخرى، الكفاءة هي حريتنا في أن نحيا كما نريد. حتّى في البيئة الأكثر صرامة، كالسجن مثلاً، فهناك مجال لأن تقوم الكفاءة البشرية بخلق شيء جديد. لقد رأينا في الفصل التاسع أن علاقتنا بالمكان مقيّدة بالطريقة التي يقوم فيها البشر الآخرون والبُنى الاجتماعية التي لديهم، بشكل فعلي بتشكيل المكان الذي نرثه – لكننا نعيد بدورنا تشكيل ذلك، ونخلق أماكن جديدة من الأماكن القديمة. وهكذا فإن البشر والمجتمع أحرار ومقيّدون في الوقت ذاته.

في منتصف القرن العشرين، عندما نشأت اللسانيات الاجتماعية، حكمتْ البنية في ذلك الوقت النماذج المثالية الوظيفية للعلوم المجتمعية. وفي القرن الحادي والعشرين، سادت مبادئ الكفاءة والنظريات البنّاءة. وكانت فروع اللسانيات الاجتماعية المختلفة وَرَثَة للجانبين المتعارضين في هذه الازدواجية. اللّسانيات الاجتماعية المتباينة وأجتماعيات اللغة تأتي بوضوح من تقاليد العلوم الاجتماعية التجريبية التي تقع إلى جانبية البنية تماماً كما رأينا في الفصل (7.2). وعلى النقيض من ذلك، كانت الفروع الأنثروبولوجيّة تميل دوماً نحو الكفاءة. على مدار العقدين الماضيين، فأصبحت النظرية البنّاءة أكثر هيمنة في اللسانيات الاجتماعية، وكذلك في جميع العلوم الاجتماعية.

هذا له تداعيات كبيرة على شكل الاختصاص وإدارته، بدءاً بالطريقة التي ننظر بها إلى اللغة واللغات (الفصل الأول والعاشر)، واستخدام اللغة (الفصل السادس والسابع). فقد تصوّرت 'إيكرت' طبيعة التبدّل منذ ستينات القرن العشرين:

الرؤية الشاملة للعلاقة بين اللغة والمجتمع قد انقلبت. فالتركيز على الممارسة النمطية.... لا تصنّف المتحدثين كناقلين سلبيين وثابتين للهجة، بل لعوامل نمطيّة... لقد أصبح من الواضح أن نماذج التباين لا تأتي ببساطة من الوضع البنيوي للمتحدث في نظام الإنتاج، بل هي جزء من الإنتاج النمطي الفعّال للتمايز الاجتماعي. (إيكرت **2012:97**)

تم تلخيص ذلك بدقّة - لكن بشكل جزئي أيضاً. فالمتحدثون ليسوا الوكلاء غير المقيّدين الذين يمكن أن يتضمّنهم الاقتباس أكثر من كونهم رجالاً آليين اجتماعيين للنظرية الاجتماعية في منتصف القرن العشرين. لقد أعادت 'إكرت' تفسير تاريخ اللسانيات الاجتماعية من جانب الكفاءة، واقترحت أننا الآن في 'المرحلة الثالثة' من تطوّره. وكما بيّنت في الفصل الأول، من الواضح أنه كان هناك مزج متزايد، ومرحّب به، لفروع اللسانيات الاجتماعية المختلفة، ولا سيّما النظريات الإثنوغرافية والتفاعلية المتداخلة مع البحث متعدد اللغات. يدعوك التمرين (**12.3**) إلى البحث في دراسة 'إيكرت' لصيغة اللسانيات الاجتماعية، ولدراسة البدائل.

كرّس العديد من المفكرين الاجتماعيين أنفسهم للبحث عن اتجاه عبر ثنائية البنية/ الكفاءة. فكانت نظرية 'جيدين' عن 'البنية هي إحدى هذه المحاولات (انظر الفصل التاسع)، حيث تُعامل البُنى باعتبارها الإبداع المستمرّ للكفاءة البشرية. كما أن النظرية التي وجدت أنها أكثر ملاءمة هي علم الاجتماع 'الواقعي'، وخاصة كما طرحه 'كارتر' و'سيلي' في اللسانيات الاجتماعية في مقال قصير واضح

رائع متبوع بكتاب كامل ('سيلي' و'كارتر'، **2004**). لقد قاما بمعاملة البنية والكفاءة كواقع وضرورة؛ إذ تكون البنية الاجتماعية سابقة للعمل، ويتم في الوقت ذاته تعديلها بناءً على نتيجة العمل. لكن البنية أيضاً هي أكثر من مجرّد مجموعة الأفعال الفردية: فيصبح تشكيلها مستقلاً عن الأفراد الذين ساهموا فيها:

إن الإصرار الكبير على البُنى يحرم الفاعلين من أية سلطة، ويفشل في تفسير أن الناس يشكّلون فرقاً. والإصرار الكبير على الكفاءة يتجاهل.... القيود الواقعية تماماً، التي تؤثر علينا في المكان والزمان ('كارتر' و'سيلي'، **2000**).

التمرين 12.3: استنطاق الموجة الثالثة

فسّرت 'بينلوب إيكرت' اللسانيات الاجتماعية بأنها تطوّرت في ثلاث موجات، من خلال طرح الفرضية التي كانت مؤثرة لبعض الوقت، على الرغم من عدم نشرها حتى العام (**2012**):

1 اعتمدت الأولى على منهجية الدراسة، وإقامة علاقات متبادلة بين التباين اللغوي والفئات الاجتماعية الديموغرافية، بدءاً من دراسة 'لابوف' في نيويورك فصاعداً.

2 ثم جاء استخدام الأساليب الإثنوغرافية لتحديد الأصناف المحلية التي تؤثر في التباين. وقد بدأ ذلك بدراسات 'ميلوري' في بلفاست، وشمل مشروع 'إيكرت' (بيلتن هاي).

3 في المرحلة الثالثة، يقوم التباين نفسه ببناء المعنى الاجتماعي، ويتمّ التركيز على الأنماط. فيشمل ذلك أحدث الأبحاث التي أجرتها 'إيكرت'، وأعمال 'كيسلنغ' و'كامبل كيبلر' وغيرها. وتحولت بشكل متزايد إلى الأرثوذكسية الحالية.

اقرأ مقال إيكرت القصير (**2012**). والآن بعد أن اقتربت من نهاية هذا الكتاب، ونهاية دراستك أيضاً، فكّر فيما تعرفه عن فروع اللسانيات الاجتماعية.

• هل تؤيّد وصف 'إيكرت' لتاريخ اللسانيات الاجتماعية ؟ هل هناك ثلاث مراحل فعلاً؟ أو هل هناك مراحل بديلة؟ قم بتحديد أوجه الاختلاف لديك.

• هل توافق على تفسيرها للتطوّر؟ اطرح أسبابك.

• إذا كنت تعارض، فما هو تفسيرك البديل؟ علل بطريقة تفصيلية.

• يمكن أن يناقش الطلاب في الفصل هذه القضايا بحيث يؤيّد بعضهم اقتراح 'إيكرت'، ويعارضه بعضهم الآخر.

• فكّر فيما تعرفه الآن عن تاريخ فروع اللسانيات الاجتماعية الأخرى وشكلها، مثل التعددية اللغوية، أو تبديل الرموز. ما الذي يمكن أن تعتبره مراحل لتطوّرها؟

ما يكمن في أساس هذه المناقشات هو رأينا في طبيعة الشخصية. إن أفكاراً كهذه لا تشكّل طبعاً فرضية قابلة للإثبات في اللسانيات الاجتماعية، أو أي نظام أكاديمي آخر. إنها فرضية، أساس يعتمد على نظام معتقداتنا الخاص. أنا أعتقد أن الشخص بالتأكيد هو أكثر من مجموعة ثابتة من الفئات اللسانية الاجتماعية - وعلى الرغم من القول إن أحدهم ذكر، أو إنكليزي، أو من طبقة متوسطة، يخبرنا بشيء عن ذلك الشخص. إن جزءاً من سلوكنا هو انعكاس للخصائص الاجتماعية للمجموعات التي نربطها بها.

لكنّ الشخص هو أيضاً أكثر من مجرّد مشهد دائم التغيّر لشخصيات تم إنشاؤها في مواقف مختلفة، أو بواسطة مواقف مختلفة، وبدون أساس مستقرّ – على الرغم من أن القول بأننا نبدو كطفل بالنسبة إلى والدينا، وموظف بالنسبة إلى مديرنا في العمل، وشريك بالنسبة إلى شريكنا، يخبرنا بشيء عن الشخص. فنحن لا نعيد إنشاء أنفسنا لحظة بلحظة من لا شيء. بل نقوم باستحضار تشكيلات ماضينا وعلاقاتنا وبيئتنا إلى الحاضر. ومع ذلك، نحن أكثر

من مجموع تلك الأشياء. نحن نصوغ لغتنا بصورة مبتكرة – بالإضافة إلى دلالات أخرى ذات معنى- لإعادة تمثيل أنفسنا في مظاهر دائمة التغيّر بينما يتقدّم عبر أيامنا الناس والأحداث الموجودة فيها.

12.3 نحو لسانيات مبنيّة اجتماعياً

في بداية الفصل الأول، اقتبست تمييز 'هايمز' لثلاث علاقات مختلفة يمكن تصوّرها بين اللسانيات الاجتماعية والمجتمع:

- الاجتماعية، وكذلك اللغوية.
- اللسانيات الواقعية الاجتماعية.
- اللسانيات المبنيّة اجتماعياً.

أولها يشمل معالجة القضايا الاجتماعية التي تحتوي على مكوّن لغوي. فقد قام علماء اللسانيات الاجتماعية، من الأصناف كلها، بهذا العمل دائماً - إذ قاموا بتطبيق معرفتهم لصالح الذين يقومون بدراستهم. وكان هذا التدخّل الاجتماعي غالباً هو ذاته الدافع لإجراء البحث؛ حيث أشارت معظم فصول هذا الكتاب إلى مثل هذه الأعمال التي كانت محور العديد من الحقول الفرعية ذات الصلة، والتي قمت بتوضيحها في الفصل الأول. كما تقدّم اللّسانيات الاجتماعية التطبيقية العديد من الاحتمالات، مع أن التوغّل فيها بتفاصيل محددة كان خارج نطاق عملنا في هذا الكتاب:

- **المحافظة على اللغة:** إن العديد من علماء اللسانيات الاجتماعية الذين درسوا اللغات المهددة، قد حوّلوا خبرتهم لمصلحة المجتمع ولغته، على الرغم من أن الخبرة اللغوية لا تضمن نتيجة اجتماعية - سياسية إيجابية.
- **اللغة في التعليم:** قاد علماء اللّسانيات الاجتماعية المناصرون لصحّة لغات المتحدثين الأقلّ حظاً في التعليم ولهجاتهم.
- **سياسة اللغة والتخطيط لها:** تتلاقى هنا المعرفة الأكاديمية مع المطالب السياسية. وهذا يؤدي عادة إلى نتيجة مُثمرة، كما هو الحال

في سياسة اللغة القومية الأسترالية في ثمانينات القرن العشرين. وعلى النقيض من ذلك، لم تصل السياسة اللغوية الممتازة، المُقترحة في نيوزيلندا، إلى أي شيء بعد بضع سنوات، ولا تزال البلاد حتى الآن لا تتبع سياسة لغوية.

كانت مثل هذه الالتزامات، في الغالب، الدوافع الرئيسة التي حفّزت مؤسسي مجالنا، واستمرّت في تحفيز الأجيال المُتعاقبة من علماء اللسانيات الاجتماعية. وهي تعدّ بمثابة عمل ضروري لمواصلة البحث، لأجل المجتمعات ومعها (تذكّر التمرين **3.11**). وعلى أية حال، تخيّل 'ديل هايمز' - وأنا أؤيده - شيئاً أكثر أساسية وشمولية. إننا لا نسعى فقط إلى تحسين الظروف اللغوية للناس، لكن نحتاج - مع 'باختين' - لمواجهة أسس التعصّب والظلم اللغوي (الفصل **10.6**). فهناك وظيفة أساسية في اللسانيات الاجتماعية، كما هو الأمر في تحليل الخطاب. إن دعم بُعد واحد من عملية إعادة النظر هذه يأتي من مصدر قد يكون مفاجئاً.

إعادة زيارة بابل

إن الاعتقاد السائد بأن التعددية اللغوية لعنة، وأن أحادية اللغة أمر طبيعي (الفصل الثاني)، هو أمر راسخ بعمق في الوعي الغربي. وتعود الصورة والرواية الرئيسة لهذا الأمر، في ذاكرة الغرب الثقافية إلى القصّة اليهودية/ المسيحية عن بابل. قد يُفهم هذا الأمر أنه استنكار للتنوّع اللغوي، ولا يزال ذلك مؤثراً ومنتجاً بشكل هائل في ثقافة القرن الحادي والعشرين.

التمرين 12.4: إعادة بناء بابل

1. اقرأ قصّة بابل (متوفّرة على الأنترنت)، ما هو تفسيرك لها؟
2. قارن هذا التفسير الذي قدّمته في 'بيل'. قيّم الأدلّة التي قدّمتها، واطرح تحليلك الخاص، واستخلص استنتاجاتك الخاصّة.

3. ادرس وناقش العلاقة بين أحادية اللغة. والقوّة والإمبراطورية. استخدم موارد الأنترنت والمكتبة لمعرفة الممارسات الاجتماعية اللغوية لإحدى هذه الإمبراطوريات وتأثيراتها طويلة الأمد، أو قارن بين اثنين منها أو أكثر. يُعتبر 'أوستلر' (2005) موقعاً جيد البدء:

الفارسية، الإغريقية، الرومانية، الصينية، الإسبانية، الفرنسية، البريطانية والأمريكية.

لكن هناك قراءة بديلة متاحة للقصة: لقد عزّز حكم بابل انتشار الجنس البشري والتنوّع الغني للغاته. وأنا أناقش في 'بيل' (2011) بأن بابل نعمة وليست نقمة. وتُعدّ ميثاقاً للتنوع اللغوي، وبياناً للتعددية اللغوية بدلاً من الرثاء لفقدان أحادية اللغة. انظر التمرين (12.4) لإعادة النظر في قصّة بابل.

يمكننا أن نلاحظ أن بابل، هي إلى حد ما، قصة عن القوة اللغوية، وعن المعاني الاجتماعية والسياسية لأحادية اللغة وتعدديتها. وكما ناقشنا في الفصل الأول، فقد تم إنشاء الدولة القومية الأوربية بافتراض أنه ينبغي أن يكون للبلد لغته الفردية الخاصة. لكن أحادية اللغة هذه تُعتبر، بشكل روتيني، قمعيّة تجاه لغات أخرى. وتُشكّل قصص الأطفال الذين يعاقبون في المدرسة بسبب تحدّثهم بلغة الأقلية في وطنهم مسلّمات لسانية اجتماعية. وقد كان الدافع أحادي اللغة للإمبراطورية، ولعدة قرون، أكثر وضوحاً في فرنسا، لكن في الآونة الأخيرة، سعت حركة اللغة الإنكليزية فقط، في الولايات المتحدة، إلى حظر لغات أخرى من الحياة العامة، وخاصة اللغة الإسبانية. لكن بابل تبقى علامة فارقة لعدم جدوى أي حملة لفرض لغة أحادية.

هناك رابط وثيق بين هذه الدراسة عن 'بابل' وتناول باختين المدمّر عن تنوع اللغة - القوى الجاذبة والنابذة للغة. يسعى الدافع الثابت والمركزي، للمعيار والتقليد اللغوي، إلى تحديد اللغات وتسميتها. وهو

في تعارض دائم مع الاستخدام اللامركزي، والمؤقّت، والمبدع للغة. وغالباً ما كان يُنظر إلى 'باختين' على أنه رائد نظريات البناء والكفاءة، لكنّه كان يُصرّ أيضاً على معيارية اللغة المتزامنة والمتلازمة (1981): إذ تدفع القوى النابذة اللغة نحو التنوّع، وتحيك كلمات ولهجات ولغات وتعابير جديدة بغضّ النظر عن كل الجهود المعارضة للأكاديميين أو المعلّمين أو السياسيين أو المدققين.

اللّسانيات الاجتماعية المرتبطة بالصوت

في هذه المرحلة، تندمج مواضيع الكتاب الرئيسة معاً بوفرة وتكافؤ. فقد ذكرت في الفصل الأول أن اللغة اجتماعية - حوارية - وافرة - إيديولوجية. واقتبست سؤال 'ديل هايمز' عن التعابير التي يميّزها المجتمع، وما الذي تقوله هذه الأصوات عن المجتمع. أنا أرى 'إصدار الصوت' كدور للّسانيات الاجتماعية هذه. يتضمن ذلك 'إصدار صوت' لأنفسنا، لكنه يؤكّد بشكل بارز أيضاً عن الحاجة إلى تمكين أصوات الآخرين؛ إذ تشكّل استجابة كهذه جزءاً من اللسانيات الاجتماعية الخاصة بالصوت. فقبول أصوات بعض الأشخاص يعني قبولهم؛ ورفضه يعني رفضهم.

إذا استطعنا إصدار صوت، فبإمكاننا أيضاً إبعاد هذا الصوت. ويمكننا تعطيل صوت الآخرين من خلال عدم الاستماع إليهم أو إقصائهم. فأنا أعلم أن بلدي يتحمل مسؤولية خاصة عن أصوات الماوريين والباسيفيكا. وسيكون للدول الأخرى مواقف موازية خاصة بها. إن جزءاً من البحوث الفكرية والعملية التي يتضمنها هذا الكتاب، دعت القرّاء للتركيز على تحديد هذه القضايا والتعامل معها في مواقفهم الخاصّة.

لهذا نحن بحاجة إلى وجود سياسة للتعبير. أرى هذا كاتّجاه لمستقبل هذا المجال، والذي آمل أن يساهم هذا النص في تكوينه: اللّسانيات الاجتماعية التي تمجّد وفرة الأصوات، والتي تشكّل موضوعها الرئيس، وتلتزم بالاستماع المنصف إلى تلك الأصوات كلها.

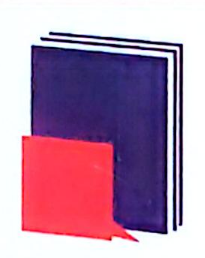
الفهرس

لقد تعددت طرق دراسة المجتمع عبر التاريخ، ولطالما امتزجت بعلوم أخرى. فهل يمكن أن ندرس المجتمع من خلال لغته؟

يبحث هذا الكتاب في علم اللسانيات الاجتماعية، أي في دراسة المجتمع على أساس لغته، حيث يكون القائمون على هذا المجال مختصّين باللسانيات، ويدرسون اللغة نفسها بالنظر إلى علاقتها مع المجتمع.

لكل بلد لهجاته المتعددة المستمدّة من المنطقة أو الإقليم الذي نشأ فيه، لكننا نشهد أحياناً اختلافات في نبرة الصوت، أو في نطق كلمات تتضمن إخفاء أو إدغاماً أو تشديداً، فهل لهذه المتغيرات دلائل اجتماعية؟ يرى الباحثون أن طريقة نطق الكلمات، ضمن اللغة الواحدة، واللهجة الواحدة، قد تعطينا انطباعاً عن تمايز طبقي أو عرقي أو مناطقي، وقد تدل أحياناً على انتماء مستخدميها إلى مجموعات صغيرة تحاول تمييز نفسها عن الآخرين.

ليست اللغة مجرّد أداة تواصل، بل هي هوية ثقافية وسياسية واجتماعية. يمكننا أن نرى بوضوح أن هناك احتلالاً يقوم على اللغة، وهناك سيطرة تجارية واقتصادية وحتى علمية أساسها اللغة. وهناك لغات توشك أن تموت، ولغات أخرى تولد. من أجل كل ذلك يأتي هذا الدليل إلى اللسانيات الاجتماعية.



منحة الترجمة
Translation Grant
صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Fund



